

تفسير سورة يونس

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾)

(الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا السَّحِرُ مُبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ ۗ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ۗ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ [يونس: ١-٤].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿تِلْكَ - ءَايَاتُ - الْكِتَابِ - الْحَكِيمِ - عَجَبًا - أَوْحَيْنَا - أَنْذِرِ النَّاسَ - قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ - أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ - يُدَبِّرُ الْأَمْرَ - شَفِيعَ - ذَلِكَمُ اللَّهُ - تَذَكَّرُونَ - يَبْدُوا الْفَلَاقَ - ثُمَّ يُعِيدُهُ - يَالْقَسُطَ - حَمِيمٍ - إِلِيمٌ﴾.

ج:

| الكلمة                             | معناها                                                                                                           |
|------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| (تِلْكَ) ﴿                         | هذه - وأيضا إشارة إلى مؤنث غائب.                                                                                 |
| (ءَايَاتُ) ﴿                       | علامات ودلالات.                                                                                                  |
| (الْكِتَابِ) ﴿                     | القرآن.                                                                                                          |
| (الْحَكِيمِ) ﴿                     | المحكم المبين - الموضح.                                                                                          |
| (عَجَبًا) ﴿                        | مثارًا للتعجب.                                                                                                   |
| (أَوْحَيْنَا) ﴿                    | أرسلنا ملكًا يوحي وحينا إلى بشر.                                                                                 |
| (أَنْذِرِ النَّاسَ) ﴿              | خوِّف الناس وحذرهم.                                                                                              |
| (قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) ﴿ | ثواب عملهم الصالح ينتظرهم ويتقدمهم.                                                                              |
| (أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) ﴿      | علا وارتفع على العرش.                                                                                            |
| (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ) ﴿            | يدبر أمر المخلوقات - يرزقهم ويعافيهم فيعطي من يشاء ويمنع من يشاء، ويحيي ويميت ويعز ويذل ويرفع ويخفض إلى غير ذلك. |
| (شَفِيعَ) ﴿                        | شافع يشفع لكم.                                                                                                   |

(٧) أحمر أسود

تفسير سورة يونس

٧

|                         |                                          |
|-------------------------|------------------------------------------|
| (ذَلِكُمْ اللَّهُ ﴿١﴾)  | هذا هو الله ربكم.                        |
| (تَذَكَّرُونَ ﴿٢﴾)      | تتعظون.                                  |
| (بَدَأُ الْخَلْقَ ﴿٣﴾)  | يخلق الخلق لأول مرة - يبدأ خلقهم.        |
| (ثُمَّ يُعِيدُهُمْ ﴿٤﴾) | ثم يعيدهم أحياء بعد موتهم (يوم القيامة). |
| (بِالْقِسْطِ ﴿٥﴾)       | بالعدل - بالحق                           |
| (حَمِيمٍ ﴿٦﴾)           | ماءٌ أغلي حتى بلغ أعلى درجات حرارته.     |
| (الْيَمِّ ﴿٧﴾)          | مؤلمٌ موجعٌ.                             |



س: ما معنى قوله تعالى: ﴿الرَّ﴾ ؟

ج: معناها موكولٌ إلى الله سبحانه وتعالى.

وحاصل الأمر: أنها أحرفٌ مقطوعةٌ بُدئت بها بعض السور وقد سيقّت

للتحدي، وكأن المعنى ألف ولام وراء أحرف تعرفونها تقرأونها وتكتبونها ولكن لا تستطيعوا أن تأتوا منها بآية ولا بسورة. والله أعلم.

هذا، ومن العلماء من قال: إن معناها: أنا الله أرى.

وقال آخرون: هي حروف من اسم الله الذي هو الرحمن.

وقال آخرون: هي اسم من أسماء القرآن.

والأظهر ما قدمته، والله أعلم.



س: ما معنى قوله تعالى: ﴿تِلْكَ﴾ ؟

ج: معناها: هذه، وقيل: إنها على بابها: إشارة إلى غائبٍ مؤنث.



س: قوله تعالى: ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى ماذا؟

ج: قيل: إشارة إلى (الرَّ) وأخواتها من الحروف (حروف الهجاء) أي:

تلك الحروف المبتدئة بها بعض السور.

وقيل: إشارة إلى القصص التي تسمعونها في القرآن.

وقيل: إشارة إلى عموم الآيات التي جرى ذكرها من القرآن.

وقيل: المراد هذه الآيات التي في القرآن عمومًا سواء التي نزلت أو التي

ستنزل.

\* وهذا القول الأخير هو الذي أجنح إليه وأميل والله أعلم.





س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾؟

ج: المراد أعلام ودلالات، أي: أعلام ودلالات على وحدانية الله ﷻ وعلى صدق رسوله ﷺ فيما أخبر به.



س: ما المراد بـ: ﴿الْحَكِيمِ﴾.

ج: لأهل العلم قولان:

أظهرهما وأصحهما: أنه القرآن، وبهذا قال أكثر أهل العلم.

الثاني: أنه التوراة والإنجيل. والله أعلم.



س: ما معنى: ﴿الْحَكِيمِ﴾.

ج: قال عددٌ من أهل العلم إن المراد بالحكيم المُحكّم، وكذا المبين

الموضح أحكمه الله ﷻ ووضّحه لعباده وبيّنه لهم.

قال الطبري رحمه الله:

ومعنى ﴿الْحَكِيمِ﴾، في هذا الموضع، «المحكم»، صرف «مُفْعَل» إلى

«فعل»، كما قيل: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، بمعنى مؤلم، وكما قال الشاعر:

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ

وقد بينا ذلك في غير موضع من الكتاب.

فمعناه إذاً: تلك آيات الكتاب المحكم، الذي أحكمه الله وبيّنه لعباده، كما

قال جل ثناؤه: ﴿الرَّكَتَبُ أُحْكِمَتْ أَيْنُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

وقال القرطبي رحمه الله:

والحكيم: المحكم بالحلال والحرام والحدود والأحكام؛ قاله أبو عبيدة

وغيره. وقيل: الحكيم بمعنى الحاكم؛ أي إنه حاكم بالحلال والحرام،

وحاكم بين الناس بالحق ؛ فعيل بمعنى فاعل . دليله قوله : ﴿ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢١٣] . وقيل : الحكيم بمعنى المحكوم فيه ؛ أي حكم الله فيه بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، وحكم فيه بالنهي عن الفحشاء والمنكر ، وبالجنة لمن أطاعه وبالنار لمن عصاه ؛ فهو فعيل بمعنى المفعول ؛ قاله الحسن وغيره . وقال مقاتل : الحكيم بمعنى المحكم من الباطل لا كذب فيه ولا اختلاف ؛ فعيل بمعنى مفعول ، كقول الأعشى يذكر قصيدته التي قالها :

**وغريبة تأتي الملوك حكمة قد قلتها ليقال من ذا قالها**



**س: وضع المعنى الإجمالي لقوله تعالى : (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝١) ؟**

**ج: المعنى -** والله تعالى أعلم - : هذه الآيات التي تلوتها عليكم والتي ستلى عليكم ، هي آيات القرآن الكريم المحكم المبين الموضح الذي أوضح الله فيه العقائد الصحيحة ، والحلال والحرام ، والأخبار والقصص الصحيحة ، وغير ذلك من أمور الجنة والنار والبعث والنشور وغير ذلك ، هذه الآيات هي أعلام على وحدانية الله ﷻ وعلى صدق رسوله ﷺ فيما أخبر به ، والله أعلم .



المراد بـقدم الصدق

س: ما المراد بـ (قَدَّمَ صِدْقٍ) ؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

**أحدها:** أن المراد بذلك أجر الأعمال الصالحة التي عملوها في الدنيا، فهذا الأجر ينتظرهم فالمعنى: أن لهم أجراً حسناً بما قدموه من صالح الأعمال.

وهذا القول هو أظهر الأقوال وعليه أكثر العلماء.

**الثاني:** أن المراد بـقدم الصدق ما سبق لهم في علم الله ﷻ، وأثبت في اللوح المحفوظ من السعادة التي كتبت لهم.

**الثالث:** أن محمداً ﷺ شفيع لهم.

**قال الطبري رحمه الله:**

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، قول من قال: معناه: أن لهم أعمالاً صالحة عند الله يستوجبون بها منه الثواب.

وذلك أنه محكي عن العرب: «هؤلاء أهلُ القَدَم في الإسلام» أي هؤلاء الذين قَدَّموا فيه خيراً، فكان لهم فيه تقديم. ويقال: «له عندي قدم صدق، وقدام سوء»، وذلك ما قَدَّمَ إليه من خير أو شر، ومنه قول حسان بن ثابت:

**لَنَا الْقَدَمُ الْغُلْيَا إِلَيْكَ وَحَلَفْنَا      لَأُولِنَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَابِعُ**

وقول ذي الرمة:

**لَكُمْ قَدَمٌ لَا يُنْكِرُ النَّاسُ أَنَّهَا      مَعَ الْحَسَبِ الْعَادِيِّ طَمَّتْ عَلَى**

**قال أبو جعفر:** فتأويل الكلام إذا: وبشر الذين آمنوا أن لهم تقدمة خير من

الأعمال الصالحة عند ربهم.

قلت (مصطفى): وهناك أقوال أخر ذكرها العلماء:

منها: مقام صدق لا يتحولون عنه (وهو الجنة).

ومنها: سلف صالح تقدمهم.

ومنها: المنزلة الرفيعة العالية.

ومنها: الولد الصالح الذي مات في حياتهم.

ومنها: دعوة الملائكة لهم.



تعجب الكفار من إرسال رسولٍ بشرى إليهم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صَدَقَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا السَّحَرُ الْمُتَيْنِ ﴿٢﴾ .

ج: المعنى - والله أعلم -: أكان شيئاً مثيراً للعجب، لعجب الناس، أو أوحينا إلى رجل منهم، من البشر وأمرناه أن ينذر الناس، يخوفهم من عقاب الله إن هم أشركوا بالله وعصوه وكذبوا، وأن يبشر الموحدين المطيعين المؤمنين بأن لهم أجراً حسناً إن هم أطاعوا وعملوا صالحاً، أكان هذا أمراً مثيراً للعجب؟! \* أيشير العجب أن يُبَشِّرَ الصالحُ بأجر عمله الصالح؟!!

\* أيشير العجب أن يُحذِرَ ويُنذِرَ الظالم حتى يقلع عن ظلمه؟!!

\* أيشير العجب أن يُقال إن الله واحدٌ فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً؟!!

\* أيشير العجب أن يُحذِرَ الناس رجلٌ منهم؟!!

كلّا، بل يعمل هذا على شكر الله ﷻ، ويحمل على تصديق رسله، ولكن أبى الظالمون إلا كفوراً، فوصفوا الرسول الذي بعثه الله ﷻ منذراً ومبشراً وصفوه، ووصفوا ما جاءهم به من الآيات بشر وصف، وصفوه بأنه ساحر، ووصفوا الآيات بأنها سحر، (قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا السَّحَرُ الْمُتَيْنِ ﴿٢﴾) لساحرٌ مظهر بما جاء به أنه ساحر لا شك في ذلك. هكذا قالوا ولئس ما قالوا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ:

وقوله: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ الآية، يقول تعالى منكراً على من تعجب من الكفار من إرسال المرسلين من البشر، كما أخبر تعالى عن القرون الماضية من قولهم: ﴿ أَبَشِّرْ يَهُودَ نَاثًا ﴾ [التغابن: ٦] وقال هود وصالح لقومهما: ﴿ أَوْعِظْتُمْ أَنْ جَاءَ كُرٌّ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ ﴾ [الأعراف: ٦٣: ٦٩] وقال تعالى مخبراً عن كفار قريش أنهم

قالوا: ﴿أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: مع أنا بعثنا إليهم رسولا منهم، رجلا من جنسهم، بشيرا ونذيرا، ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: ظاهر، وهم الكاذبون في ذلك.



شيء من عظمة الله ﷻ

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: إن ربكم، مالكم ورازقكم وخالقكم ومربيكم بنعمه هو الله ﷻ، هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش علا وارتفع على العرش استقراء يليق بكماله وجلاله، يُدبر أمر الخلائق كلها، ويدبر الأمور جميعها من السماء إلى الأرض، ليس لكم من شافع يشفع لكم عنده إلا إذا أذن كما قال تعالى: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ) [الأنبياء: ٢٨] ذلكم الله ربكم الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، فاعبدوه ولا تشرکوا به شيئاً أفلا تتعظون وتعتبرون؟!!

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: إن ربكم الذي له عبادة كل شيء، ولا تنبغي العبادة إلا له، هو الذي خلق السموات السبع والأرضين السبع في ستة أيام، وانفرد بخلقها بغير شريك ولا ظهير، ثم استوى على عرشه مدبراً للأمور، وقاضياً في خلقه ما أحب، لا يضاده في قضائه أحد، ولا يتعقب تدبيره مُتَعَقِّبٌ، ولا يدخل أموره خلل. ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾، يقول: لا يشفع عنده شافع يوم القيامة في أحد، إلا من بعد أن يأذن في الشفاعة ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾، يقول جل جلاله: هذا الذي هذه صفته، سيّدكم ومولاكم، لا من لا يسمع ولا يبصر ولا يدبر ولا يقضي من الآلهة والأوثان ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾، يقول: فاعبدوا ربكم

الذي هذه صفته، وأخلصوا له العبادة، وأفردوا له الألوهية والربوبية، بالذلة منكم له، دون أوثانكم وسائر ما تشركون معه في العبادة ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، يقول: أفلا تتعظون وتعتبرون بهذه الآيات والحجج، فتنبهون إلى الإذعان بتوحيد ربكم وإفراده بالعبادة، وتخلعون الأنداد وتبرؤون منها؟

**قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

يخبر تعالى أنه رب العالم جميعه، وأنه خَلَقَ السموات والأرض في ستة أيام - قيل: كهذه الأيام، وقيل: كل يوم كالف سنة مما تعدون. كما سيأتي بيانه (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)، والعرش أعظم المخلوقات وسقفها.

**وقال أيضًا:**

**وقوله:** ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ أي: يدبر أمر الخلائق، ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣]، ولا يشغله شأن عن شأن، ولا تغلظه المسائل، ولا يتبرم بالجاح الملحّين ولا يلهيه تدبير الكبير عن الصغير، في الجبال والبحار وال عمران والقفار، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦]. ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَكْتُبُهَا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

**وقال:**

**وقوله:** ﴿مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وكقوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُفَعِّلُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦] وقوله: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٣].

**وقوله:** ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: أفردوه بالعبادة وحده لا شريك له، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: أيها المشركون في أمركم، تعبدون



مع الله غيره، وأنتم تعلمون أنه المتفرد بالخلق، كقوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقوله: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَنْقُوتُ ﴿٨٧﴾ [المؤمنون: ٨٦-٨٧]، وكذا الآية التي قبلها والتي بعدها.

### وقال السعدي رحمه الله:

يقول تعالى مبينا لربوبيته وإلهيته وعظمته: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ مع أنه قادر على خلقها في لحظة واحدة، ولكن لما له في ذلك من الحكمة الإلهية، ولأنه رفيق في أفعاله. ومن جملة حكمته فيها، أنه خلقها بالحق وللحق، ليعرف بأسمائه وصفاته ويفرد بالعبادة.

﴿ثُمَّ﴾ بعد خلق السماوات والأرض ﴿أَسَوَّى عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواء يليق بعظمته.

﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ في العالم العلوي والسفلي من الإماتة والإحياء، وإنزال الأرزاق، ومداولة الأيام بين الناس، وكشف الضر عن المضرورين، وإجابة سؤال السائلين.

فأنواع التدابير نازلة منه وصاعدة إليه، وجميع الخلق مدعون لعزه خاضعون لعظمته وسلطانه.

﴿مَا مِنْ شَيْعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ فلا يقدم أحد منهم على الشفاعة، ولو كان أفضل الخلق، حتى يأذن الله ولا يأذن، إلا لمن ارتضى، ولا يرتضى إلا أهل الإخلاص والتوحيد له.

﴿ذَلِكُمْ﴾ الذي هذا شأنه ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ أي: هو الله الذي له وصف الإلهية الجامعة لصفات الكمال، ووصف الربوبية الجامع لصفات الأفعال.

﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ أي: أفردوه بجميع ما تقدرُونَ عليه من أنواع العبودية، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ الأدلة الدالة على أنه وحده المعبود المحمود، ذو الجلال والإكرام.



### ذكر بعض العلة من البعث

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: إلى الله ﷻ مصيركم جميعاً فإليه تعودون بعد مماتكم، وهذا وعدٌ لا يتخلف، بل وعدٌ حق وهو على ذلك قادر فهو الذي بدأ الخلق أول مرة، وأنشأهم وأوجدهم ثم هو يعيدهم وهذا أيسر عليه وأسهل، يُعيدهم ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط، بالحق والعدل، وكذا ليجزي أهل الكفر بالحق والعدل، ومن الحق والعدل، أنهم يجازون على كفرهم بشراب من حميم، من ماءٍ قد غُلي وسخن حتى بلغ أقصى درجات حرارته ولهم عذابٌ مؤلِّمٌ مَّوجعٌ بسبب كفرهم وجحودهم لآيات الله ﷻ وإنكارهم لها.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: إلى ربكم الذي صفته ما وصفَ جل ثناؤه في الآية قبل هذه، معادكم، أيها الناس، يوم القيامة جميعاً. ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ فأخرج ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ مصدراً من قوله: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾، لأنه فيه معنى «الوعد»، ومعناه: يعدكم الله أن يحييكم بعد مماتكم وعداً حقاً، فلذلك نصب ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ يقول تعالى ذكره: إن ربكم يبدأ إنشاء الخلق وإحداثه وإيجاده ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، يقول: ثم يعيده فيوجده حياً كهيئته يوم ابتدأه، بعد فناءه وبلائه.

وقال:

وقوله: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾، يقول: ثم يعيده من بعد مماته كهيئته قبل مماته عند بعثه من قبره ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ليشيب من صدق الله ورسوله وعملوا ما أمرهم الله به من الأعمال، واجتنبوا ما نهاهم عنه، على أعمالهم الحسنة ﴿بِالْقِسْطِ﴾ يقول: ليجزيهم على الحسن من أعمالهم التي عملوها في الدنيا الحسن من الثواب، والصالح من الجزاء في الآخرة وذلك هو «القسط»، و«القسط» العدل والإنصاف.

### وقال:

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾، فإنه جل ثناؤه ابتدأ الخبر عما أعد الله للذين كفروا من العذاب، وفيه معنى العطف على الأول. لأنه تعالى ذكره عم بالخبر عن معاد جميعهم، كفارهم ومؤمنهم، إليه. ثم أخبر أن إعادتهم ليجزي كل فريق بما عمل المحسن منهم بالإحسان، والمسيء بالإساءة. ولكن لما كان قد تقدم الخبر المستأنف عما أعد للذين كفروا من العذاب، ما يدل سامع ذلك على المراد، ابتدأ الخبر، والمعني العطف فقال: والذين جحدوا الله ورسوله وكذبوا بآيات الله ﴿لَهُمْ شَرَابٌ﴾ في جهنم ﴿مِّنْ حَمِيمٍ﴾ وذلك شراب قد أغلي واشتد حره، حتى إنه فيما ذكر عن النبي ﷺ ليساقط من أحدهم حين يدينه منه فروة رأسه، وكما وصفه جل ثناؤه: ﴿كَأَلْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾، [الكهف: ٢٩].

وأصله: «مفعول» صرف إلى «فعليل»، وإنما هو «محموم»: أي مسخن، وكل مسخن عند العرب فهو حميم، ومنه قول المرقش:

**وَكُلُّ يَوْمٍ لَهَا مِقْطَرَةٌ فِيهَا كِبَاءٌ مُّعَدٌّ وَحَمِيمٌ**

يعني بـ «الحميم»، الماء المسخن.

وقوله: ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، يقول: ولهم مع ذلك عذاب موجه، سوى

الشراب من الحميم، بما كانوا يكفرون بالله ورسوله.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالى أن إليه مرجع الخلائق يوم القيامة، لا يترك منهم أحدا حتى يعيده كما بدأه. ثم ذكر تعالى أنه كما بدأ الخلق كذلك يعيده، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ [الرؤم: ٢٧].

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾ أي: بالعدل والجزاء الأوفى، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [٤١] أي: بسبب كفرهم يعذبون يوم القيامة بأنواع العقاب، من ﴿سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ [٤٢] وظل من يحوم ﴿[الواقعة: ٤٢، ٤٣]﴾. ﴿هَذَا فَلْيَذوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقُ﴾ [٥٧] ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجَ﴾ [٥٨] ﴿[ص: ٥٧، ٥٨]﴾. ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [٤٣] ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ﴾ [٤٤] ﴿[الرحمن: ٤٣، ٤٤]﴾.

وقال السعدي رحمه الله:

فلما ذكر حكمه القدري وهو التدبير العام، وحكمه الديني وهو شرعه، الذي مضمونه ومقصوده عبادته وحده لا شريك له، ذكر الحكم الجزائي، وهو مجازاته على الأعمال بعد الموت، فقال: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ أي: سيجمعكم بعد موتكم، لميقات يوم معلوم.

﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ فالقادر على ابتداء الخلق قادر على إعادته، والذي يرى ابتداءه بالخلق، ثم ينكر إعادته للخلق، فهو فاقد العقل منكر لأحد المثليين مع إثبات ما هو أولى منه، فهذا دليل عقلي واضح على المعاد. وقد ذكر الدليل النقلی فقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ أي: وعده صادق لا بد من إتمامه ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بقلوبهم بما أمرهم الله بالإيمان به.

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بجوارحهم، من واجبات، ومستحبات، ﴿بِالْقِسْطِ﴾

أي: بإيمانهم وأعمالهم، جزاء قد بينه لعباده، وأخبر أنه لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بآيات الله وكذبوا رسل الله. ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ أي: ماء حار، يشوي الوجوه، ويقطع الأمعاء. ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ من سائر أصناف العذاب ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ أي: بسبب كفرهم وظلمهم، وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون.



**س: لماذا خُصَّ أهل الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى يجزيهم بالقسط ولم يذكر ذلك في شأن أهل الكفر مع أن الله ﷻ حكم عدلٌ؟**

**ج: نعم** الله ﷻ حكم عدل لا يظلم ربنا أحداً ولكن ذكر بعض أهل العلم هنا إنه اقتصر على شأن القسط في حال المؤمنين، مع أنه يقضي بالقسط مع كل أحد، لبيان ما سيحل بالكفار من العقاب، وإلى هذا أشار ابن الجوزي فيما أورده عن ابن الأنباري.

**قال ابن الجوزي في زاد المسير:**

**فإن قيل: كيف خص جزاء المؤمنين بالعدل وهو في جزاء الكافرين عادل أيضاً:**

**فالجواب:** أنه لو جمع الفريقين في القسط، لم يتبين في حال اجتماعهما ما يقع بالكافرين من العذاب الأليم والشرب من الحميم، ففصلهم من المؤمنين ليبين ما يجزيهم به مما هو عدل أيضاً، ذكره ابن الأنباري. فأما الحميم، فهو الماء الحار. وقال أبو عبيدة: كل حار فهو حميم.



### الاستدلال على البعث بالخلق الأول

س: كثيرًا ما يُستدل على البعث بالخلق الأول، دَلِّلْ على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ).

وقوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) [الروم: ٢٧].

وقوله تعالى: (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُعِى الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ

يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾) [يس: ٧٨، ٧٩].

إلى غير ذلك من الآيات.



## قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَأْوَهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَءَاخِرُ دَعْوَتُهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الملك: ٥-١١].



س: اذكر معنى ما يلي:

(ضِيَاءٌ - وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ - يُفَصِّلُ الْآيَاتِ - أَخْلَافَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ - يَتَّقُونَ - لَا يَرْجُونَ - وَأَطْمَأْنَوْا بِهَا - يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ - جَنَّاتِ النَّعِيمِ - دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ - وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ - وَءَاخِرُ دَعْوَانَهُمْ ﴿٢٥﴾).

ج:

| الكلمة                                      | معناها                                                                                                                                    |
|---------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| (ضِيَاءٌ ﴿٢٥﴾)                              | مضيئة - ذات ضياء ﴿٢٥﴾ والضياء جمع ضوء ﴿٢٥﴾ كالسياط جمع سوط، والحياض جمع حوض.                                                              |
| (وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ ﴿٢٥﴾)                 | جعله ذا منازل ينزلها كل ليلة.                                                                                                             |
| (يُفَصِّلُ الْآيَاتِ ﴿٢٥﴾)                  | يبين بعضها عن بعض ويفصل بعضها عن بعض، ويوضح بعضها عن بعض.                                                                                 |
| (أَخْلَافَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴿٢٥﴾)     | تفاوت ما بينها - هذا يطول وهذا يقصر، والعكس، وما بينهما من تفاوت في النور والظلام والحر والبرد وظهور الشمس نهاراً، والقمر ليلاً وغير ذلك. |
| (يَتَّقُونَ ﴿٢٥﴾)                           | يتعدون عن الشرك - يتقون عقاب الله.                                                                                                        |
| (لَا يَرْجُونَ ﴿٢٥﴾)                        | لا يخافون لقاءنا يوم القيامة.                                                                                                             |
| (وَأَطْمَأْنَوْا بِهَا)                     | ركنوا إليها.                                                                                                                              |
| (يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ﴿٢٥﴾) | يوفقهم ربهم في دنياهم ويزيدهم إيماناً وهدى. يرشدهم ربهم إلى طريق الجنان وإلى المرور على الصراط بسلام.                                     |

|                                                                                                                                                                                                        |                                                                                                                                                                                                                                                     |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| (جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١﴾<br>جَنَاتِ التَّعْنِيمِ، يَتَنَعَّمُونَ فِيهَا بِكُلِّ صَوْرِ النَّعِيمِ الَّذِي<br>تَشْتَهُينَ أَنْفُسُهُمْ وَتَكْذِبُهُ أَعْيُنُهُمْ.                                       | (دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ<br>اللَّهُمَّ ﴿٢﴾<br>دَعَاؤُهُمْ إِذَا أَرَادُوا شَيْئًا، وَسَوَّالُهُمْ إِذَا أَرَادُوا شَيْئًا<br>تَنْزِيهًا لَكَ يَا رَبَّنَا عَنَّا لِعَجْزِ، وَعَلَى كُلِّ مَا يَصِفُكَ بِهِ<br>الْوَاصِفُونَ الْمُشْرِكُونَ. |
| (وَتَحِيَّاتُهُمْ فِيهَا<br>سَلَامٌ ﴿٣﴾<br>تَحِيَّتُهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِقَوْلِ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ، وَكَذَا يَحْيِيهِمْ<br>رَبُّهُمْ بِهَذِهِ التَّحِيَّةِ، وَتَحْيِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ بِهَا. | (وَأَخْرَجُوا دَعَوْنَهُمْ ﴿٤﴾<br>أَخْرَجُوا دَعَائِهِمْ إِذَا أَكَلُوا وَشَرَبُوا وَتَمَتَّعُوا الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ<br>الْعَالَمِينَ، وَكَذَا يَتَعَبَّدُونَ لِلَّهِ بِذَلِكَ دَوْمًا.                                                         |



### تعلم الحساب

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ  
نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ  
يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾)؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم: الله ﷻ هو الذي جعل الشمس مضيئة مشرقة ذات ضياء وجعل القمر منيرًا وذا نور، جعل للشمس سلطانًا، وذاك نهارًا، وجعل القمر سلطانًا وذاك يكون ليلاً، وقدر القمر منازل كما قال: (وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴿٣٩﴾) [يس: ٣٩]، أي: جعله ذا منازل فيبدو في أوله صغيرًا ثم يكبر شيئًا فشيئًا حتى يتكامل ويكون بدرًا ثم يبدأ في النقصان شيئًا بعد شيء على أن يختفي ويتلاشى وهذا لتعلموا عدد السنين، فبظهور القمر وبضياء الشمس وإهلال الهلال تُعلم الأيام والشهور والسنوات كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩]. وكذا لتعلموا الحساب، حساب التواريخ والعدد، عدد الحيض والطلاق، والصيام وغير ذلك (مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ) إلا للحق قيل: لم يخلق عبثًا ولم يخلقه سدى بل لحكم عظيمة يعلمها سبحانه، منها لدلالة على قدرته والدلالة على وحدانيته، ومنها ليستدل بها على البعث، وقول يفصل الآيات والحجج ويوضحها ويبينها لقوم يعلمون، أن الله واحد لا شريك له، وأنه على كل شيء قدير.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض ﴿٥﴾ هو الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً ﴿٦﴾، بالنهار ﴿٧﴾ وَالْقَمَرَ نُورًا ﴿٨﴾ بالليل. ومعنى ذلك: هو الذي أضاء

الشمس وأنار القمر ﴿وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ﴾، يقول: قضاه فسوّاه منازل، لا يجاوزها ولا يقصر دُونها، على حالٍ واحدةٍ أبداً.  
وقال: ﴿وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ﴾، فوَحّده، وقد ذكر «الشمس» و«القمر»، فإن في ذلك وجهين:

**أحدهما:** أن تكون «الهاء» في قوله: ﴿وَقَدَرَهُ﴾ للقمر خاصة، لأن بالأهله يُعرف انقضاء الشهور والسنين، لا بالشمس.

**والآخر:** أن يكون اكتفي بذكر أحدهما عن الآخر، كما قال في موضع آخر: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾، [سورة التوبة: ٦٢]، وكما قال الشاعر:

**رَمَانِي بِأَمْرِ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي بَرِيًّا، وَمِنْ جُودِ الطَّوِيِّ رَمَانِي**

وقوله: ﴿لِنَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾، يقول: وقدر ذلك منازل ﴿لِنَعْلَمُوا﴾، أنتم أيها الناس ﴿عَدَدَ السِّنِينَ﴾، دخول ما يدخل منها، أو انقضاء ما يستقبل منها، وحسابها، يقول: وحساب أوقات السنين، وعدد أيامها، وحساب ساعات أيامها ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، يقول جل ثناؤه: لم يخلق الله الشمس والقمر ومنازلهما إلا بالحق. يقول الحق تعالى ذكره: خلقت ذلك كله بحقٍ وحدي، بغير عون ولا شريك ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ يقول: يبين الحجج والأدلة ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، إذا تدبروها، حقيقةً وحدانية الله وصحة ما يدعوهم إليه محمد ﷺ، من خلع الأنداد، والبراءة من الأوثان.

**وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:**

يخبر تعالى عما خلق من الآيات الدالة على كمال قدرته، وعظيم سلطانه، وأنه جعل الشعاع الصادر عن جرم الشمس ضياءً وشعاع القمر نوراً، هذا فن وهذا فن آخر، ففاوت بينهما لئلا يشتبهما، وجعل سلطان الشمس بالنهار، وسلطان القمر بالليل، وقدر القمر منازل، فأول ما يبدو صغيراً، ثم يتزايد نُوره

وجرمه، حتى يستوسق ويكمل إبداره، ثم يشرع في النقص حتى يرجع إلى حاله الأول في تمام شهر، كما قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ [يس: ٣٩، ٤٠]. وقال: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٩٦) [الأنعام: ٩٦].

وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿وَقَدَرَهُ﴾ أي: القمر ﴿وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِنَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ فبالشمس تعرف الأيام، وبسير القمر تعرف الشهور والأعوام.

﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: لم يخلقه عبثاً بل له حكمة عظيمة في ذلك، وحجة بالغة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (٢٧) [ص: ٢٧]. وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥) فَتَعَلَّىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

وقوله: ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ أي: نبين الحجج والأدلة ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

#### وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾ مفعولان، أي مضيئة، ولم يؤنث لأنه مصدر؛ أو ذات ضياء ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ عطف، أي منيراً، أو ذا نور، فالضياء ما يضيء الأشياء، والنور ما يبين فيخفى، لأنه من النار من أصل واحد. والضياء جمع ضوء؛ .... ثم قال:

قوله تعالى: ﴿وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ﴾ أي ذا منازل، أو قدر له منازل. ثم قيل: المعنى وقدرهما، فوحد إيجازاً واختصاراً؛ كما قال: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾. وكما قال:

## نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف

**وقيل:** إن الإخبار عن القمر وحده ؛ إذ به تحصى الشهور التي عليها العمل في المعاملات ونحوها، كما تقدم في «البقرة». وفي سورة يس: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩] أي على عدد الشهر، وهو ثمانية وعشرون منزلاً. ويومان للنقصان والمحاق، وهناك يأتي بيانه.

قوله تعالى: ﴿لِنَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ قال ابن عباس: لو جعل شمسين، شمساً بالنهار وشمساً بالليل ليس فيهما ظلمة ولا ليل، لم يعلم عدد السنين وحساب الشهور..... وقال:

قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي ما أراد الله ﷻ بخلق ذلك إلا الحكمة والصواب، وإظهاراً لصنعته وحكمته، ودلالة على قدرته وعلمه، ولتجزى كل نفس بما كسبت ؛ فهذا هو الحق.

﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ تفصيل الآيات تبينها ليستدل بها على قدرته تعالى، لاختصاص الليل بظلامه والنهار بضياءه من غير استحقاق لهما ولا إيجاب ؛ فيكون هذا لهم دليلاً على أن ذلك بإرادة مريد.

## وقال السعدي رحمه الله:

لما قرر ربوبيته وإلهيته، ذكر الأدلة العقلية الأفقية الدالة على ذلك وعلى كماله، في أسمائه وصفاته، من الشمس والقمر، والسماوات والأرض وجميع ما خلق فيهما من سائر أصناف المخلوقات، وأخبر أنها آيات ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ و﴿لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾.

فإن العلم يهدي إلى معرفة الدلالة فيها، وكيفية استنباط الدليل على أقرب وجه، والتقوى تحدث في القلب الرغبة في الخير، والرغبة من الشر، الناشئين عن الأدلة والبراهين، وعن العلم واليقين.

وحاصل ذلك أن مجرد خلق هذه المخلوقات بهذه الصفة، دال على كمال قدرة الله تعالى، وعلمه، وحياته، وقيوميته، وما فيها من الأحكام والإتقان والإبداع والحسن، دال على كمال حكمة الله، وحسن خلقه وسعة علمه. وما فيها من أنواع المنافع والمصالح -كجعل الشمس ضياء، والقمر نورا، يحصل بهما من النفع الضروري وغيره ما يحصل - يدل ذلك على رحمة الله تعالى واعتناؤه بعباده وسعة بره وإحسانه، وما فيها من التخصيصات دال على مشيئة الله وإرادته النافذة.

وذلك دال على أنه وحده المعبود والمحبوب المحمود، ذو الجلال والإكرام والأوصاف العظام، الذي لا تنبغي الرغبة والرغبة إلا إليه، ولا يصرف خالص الدعاء إلا له، لا لغيره من المخلوقات المربوبات، المفتقرات إلى الله في جميع شئونها.

وفي هذه الآيات الحث والترغيب على التفكير في مخلوقات الله، والنظر فيها بعين الاعتبار، فإن بذلك تنفتح البصيرة، ويزداد الإيمان والعقل، وتقوى القريحة، وفي إهمال ذلك، تهاون بما أمر الله به، وإغلاق لزيادة الإيمان، وجمود للذهن والقريحة.



## بعض الدلالات على وحدانية الله ﷻ

س: وضح معنى قوله تعالى: ( إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْتَقُونَ ) (٦).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: إن في تعاقب الليل والنهار واختلافهما في الطول والقصر فأحياناً يقصر هذا ويطول ذاك، وأحياناً فيعكس الأمر، وكذا في اختلاف ما فيها من النور والظلام وظهور الشمس واختفاء القمر والنجوم، والعكس وما يصاحب ذلك من بردٍ وحرٍّ وغير ذلك، وكذا في عموم ما خلق الله في السموات والأرض من الدواب والنباتات والسحب والرياح والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر وسائر المخلوقات لدلالات على وحدانية الله ﷻ يستدل بها على قدرة الله ووحدانيته القوم المتقون الذين يتقون الشرك، ويتقون عقاب الله ﷻ ويحذرونه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره، منبهاً عباده على موضع الدلالة على ربوبيته، وأنه خالق كل ما دونه: إن في اعتقاب الليل والنهار، واعتقاب النهار الليل، إذا ذهب هذا جاء هذا، وإذا جاء هذا ذهب هذا، وفيما خلق الله في السموات من الشمس والقمر والنجوم، وفي الأرض من عجائب الخلق الدالة على أن لها صانعا ليس كمثله شيء ﴿لَا يَتَّخِذُ﴾، يقول: لأدلة وحججاً وأعلاماً واضحة ﴿لِقَوْمٍ يَعْتَقُونَ﴾ الله، فيخافون وعيده ويخشون عقابه على إخلاص العبادة لربهم.

فإن قال قائل: أو لا دلالة فيما خلق الله في السموات والأرض على صانعه،

إلا لمن اتقى الله؟



**قيل:** في ذلك الدلالة الواضحة على صانعه لكل من صحت فطرته، وبرئ من العاهات قلبه. ولم يقصد بذلك الخبر عن أن فيه الدلالة لمن كان قد أشعر نفسه تقوى الله وإنما معناه: إن في ذلك لآيات لمن اتقى عقاب الله، فلم يحمله هواه على خلاف ما وضح له من الحق، لأن ذلك يدل كل ذي فطرة صحيحة على أن له مدبراً يستحق عليه الإذعان له بالعبودة، دون ما سواه من الآلهة والأنداد.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

**وقوله:** ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: تعاقبهما إذا جاء هذا ذهب هذا، وإذا ذهب هذا جاء هذا، لا يتأخر عنه شيئاً، كما قال تعالى: ﴿يُعْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ [يس: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

**وقوله:** ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: من الآيات الدالة على عظمته تعالى، كما قال: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ [يوسف: ١٠٥].  
**وقوله:** ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]. وقال: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [سبا: ٩]. وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]. أي: العقول، وقال هاهنا: ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [٦] أي: عقاب الله، وسخطه، وعذابه.



## تحذير الغافلين عن لقاء الله

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِمَا أَتَيْنَا عَنْ آبَائِنَا غَفْلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَأْوَهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾) ؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: إن الذين لا يخافون لقاءنا يوم القيامة فلا يخشون بعثاً ولا حساباً ولا يخافون لقاءنا وسؤالنا لهم عما عملوه في دنياهم وما اقترفوه من شركٍ وكفرٍ وتكذيب، ورضوا بحياتهم الدنيا وما فيها من الملاذ ولم يُلْقُوا لِلْآخِرَةِ بَالاً، بل ركنوا إلى الدنيا واطمأنوا إليها، وأعرضوا عن آياتنا وحججنا الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا وتركوها خلف ظهورهم ولم يتفكروا في آيات الكتاب المنزل ولم يصدقوها، ولم يعتبروا كذلك بما حولهم من الآيات، وأولئك مصيرهم الذي يصيرون إليه، ومأواهم الذي يأوون إليه هو النار، جزاء بما اكتسبوه في دنياهم من الشرك والجرائم والكفر والتكذيب والظلم والعناد.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: إن الذين لا يخافون لقاءنا يوم القيامة، فهم لذلك مكذبون بالثواب والعقاب، متنافسون في زين الدنيا وزخارفها، راضون بها عوضاً من الآخرة، مطمئنين إليها ساكنين - والذين هم عن آيات الله - وهي أدلته على وحدانيته، وحججه على عباده، في إخلاص العباداة له ﴿غَفْلُونَ﴾، معرضون عنها لاهون، لا يتأملونها تأمل ناصح لنفسه، فيعلموا بها حقيقة ما دلّتهم عليه، ويعرفوا بها بطول ما هم عليه مقيمون ﴿أُولَئِكَ مَأْوَهُمُ النَّارُ﴾، يقول جل ثناؤه: هؤلاء الذين هذه صفتهم ﴿مَأْوَهُمُ﴾، مصيرها إلى النار نار

جهنم في الآخرة ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ٨، في الدنيا من الآثام والأجرام،  
ويجتريون من السيئات.

والعرب تقول: «فلان لا يرجو فلاناً»: إذا كان لا يخافه.

ومنه قول الله جل ثناؤه: ﴿مَالِكُ لَا تَزْحُوتَ لِلَّهِ فَاَرَأَيْتَ﴾ [نوح: ١٣]، ومنه قول

أبي ذؤيب:

**إِذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يُرْجَ لَسَعُهَا وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نُوبِ عَوَاسِلِ**

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

يقول الله تعالى مخبراً عن حال الأشقياء الذين كفروا بلقاء الله يوم القيامة  
ولا يرجون في لقاء الله شيئاً، ورضوا بهذه الحياة الدنيا واطمأنت إليها أنفسهم.

**قال الحسن:** والله ما زينوها ولا رفعوها، حتى رضوا بها وهم غافلون عن  
آيات الله الكونية فلا يتفكرون فيها، والشرعية فلا يأتَمرون بها، بأن مأواهم يوم  
معادهم النار، جزاء على ما كانوا يكسبون في دنياهم من الآثام والخطايا  
والإجرام، مع ما هم فيه من الكفر بالله ورسوله واليوم الآخر.

**وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:**

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ ﴿يَرْجُونَ﴾ يخافون؛ ومنه قول

الشاعر:

**إِذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يُرْجَ لَسَعُهَا وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نُوبِ عَوَاسِلِ**

وقيل يرجون يطمعون؛ ومنه قول الآخر:

**أُيْرَجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعِي وَطَاعَتِي وَقَوْمِي تَمِيمٌ وَالْفَلَاةُ وَرَائِيَا**

فالرجاء يكون بمعنى الخوف والطمع؛ أي لا يخافون عقاباً ولا يرجون

ثواباً. وجعل لقاء العذاب والثواب لقاء لله تفخيماً لهما. وقيل: يجري اللقاء

على ظاهره، وهو الرؤية ؛ أي لا يطمعون في رؤيتنا. وقال بعض العلماء: لا يقع الرجاء بمعنى الخوف إلا مع الجحد ؛ كقوله تعالى: ﴿مَالِكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ فَادًا﴾ [نوح: ١٣]. وقال بعضهم: بل يقع بمعناه في كل موضع دل عليه المعنى. قوله تعالى: ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي رضوا بها عوضا من الآخرة فعملوا لها. ﴿وَاطْمَأْنَوْا بِهَا﴾ أي فرحوا بها وسكنوا إليها، وأصل اطمأن طأمن طمأنينة، فقدمت ميمه وزيدت نون وألف وصل، ذكره الغزنوي. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا﴾ أي عن أدلتنا ﴿غَفِلُونَ﴾ لا يعتبرون ولا يتفكرون. ﴿أُولَٰئِكَ مَأْوَهُمُ﴾ أي مثواهم ومقامهم. ﴿النَّارُ يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي من الكفر والتكذيب.

#### وقال السعدي رحمه الله:

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ أي: لا يطمعون بلقاء الله، الذي هو أكبر ما طمع فيه الطامعون، وأعلى ما أمله المؤمنون، بل أعرضوا عن ذلك، وربما كذبوا به ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بدلا عن الآخرة. ﴿وَاطْمَأْنَوْا بِهَا﴾ أي: ركنوا إليها، وجعلوها غاية مرامهم ونهاية قصدهم، فسعوا لها وأكبوا على لذاتها وشهواتها، بأي طريق حصلت حصلوها، ومن أي وجه لاحت ابتدروها، قد صرفوا إرادتهم ونياتهم وأفكارهم وأعمالهم إليها. فكانهم خلقوا للبقاء فيها، وكأنها ليست دار ممر، يتزود منها المسافرون إلى الدار الباقية التي إليها يرحل الأولون والآخرون، وإلى نعيمها ولذاتها شمر الموفقون. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَفِلُونَ﴾ فلا ينتفعون بالآيات القرآنية، ولا بالآيات الأفقية والنفسية، والإعراض عن الدليل مستلزم للإعراض والغفلة، عن المدلول المقصود.

﴿أُولَٰئِكَ﴾ الذين هذا وصفهم ﴿مَأْوَهُمُ النَّارُ﴾ أي: مقرهم ومسكنهم  
التي لا يرحلون عنها.

﴿يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٨﴾ من الكفر والشرك وأنواع المعاصي.



من سلك طريق الهداية يسر الله له أسبابها

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

**أحدها:** يرشدهم ربهم بإيمانهم إلى طريق الجنة وذلك يوم القيامة، فيكون له إيمانه وعمله الصالح نوراً ينير له الطريق إلى الجنة فيجتاز الصراط بسلاٍ وأمانٍ.

**وأورد الطبري أثراً بسندٍ حسنٍ عن قتادة لكنه مرسل فيه أن قتادة قال: قوله: (**

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝٩) بلغنا أن نبي الله ﷺ قال: «إن المؤمن إذا خرج من قبره صُور له عمله في صورة حسنة فيقول له: ما أنت؟ فوالله إني لأراك امرأ صديق! فيقول: أنا عملك! فيكون له نوراً وقائداً إلى الجنة. وأما الكافر إذا خرج من قبره صُور له عمله في صورة سيئة وشارة سيئة فيقول: ما أنت؟ فوالله إني لأراك امرأ سوء! فيقول: أنا عملك! فينطلق به حتى يدخله النار».

**الثاني:** أن ذلك في الدنيا، والمعنى أن الله ﷻ يزيدهم هدى بسبب إيمانهم،

كما قال تعالى: (وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ يَقُولُهُمْ ۝١٧) [محمد: ١٧].

**الثالث:** يثيبهم ربهم بإيمانهم.



س: ما معنى قوله تعالى: (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ)؟

ج: الظاهر - والله أعلم - أنها تجري من بين أيديهم أي: أمامهم كما قال

تعالى: (فَدَجَلَ رَبُّكَ تَحَنُّكَ سِرِّيًّا ۝٢٤) [مري: ٢٤].

**قال الطبري رحمه الله:**

**وقوله:** ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾، يقول: تجري من تحت هؤلاء

المؤمنين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم، أنهار الجنة، ﴿فِي جَنَّاتٍ الْتَعِيمِ﴾، يقول في بساتين النعيم، الذي نَعَمَ الله به أهل طاعته والإيمان به.  
**فإن قال قائل:** وكيف قيل: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾، وإنما وصف جل ثناؤه أنهار الجنة في سائر القرآن أنها تجري تحت الجنات؟ وكيف يمكن الأنهار أن تجري من تحتهم، إلا أن يكونوا فوق أرضها والأنهار تجري من تحت أرضها؟ وليس ذلك من صفة أنهار الجنة، لأن صفتها أنها تجري على وجه الأرض في غير أخاديد؟

**قيل:** إن معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهب، وإنما معنى ذلك: تجري من دونهم الأنهار إلى ما بين أيديهم في بساتين النعيم، وذلك نظير قول الله: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [سورة مريم: ٢٤]. ومعلوم أنه لم يجعل «السري» تحتها وهي عليه قاعدة - إذ كان «السري» هو الجدول - وإنما عني به: جعل دونها: بين يديها، وكما قال جل ثناؤه مخبراً عن قيل فرعون، ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ [سورة الزخرف: ٥١]، بمعنى: من دوني، بين يدي.



**س:** ما معنى قوله تعالى: ﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ ؟

**ج:** المعنى - والله أعلم - دعاؤهم في الجنة الذي يدعون به سبحانه اللهم.

**وفي دعائهم قولان:**

**أحدهما:** أنهم إذا اشتبهوا شيئاً من الطعام والشراب، قالوا سبحانه اللهم، أي: نادوا بقولهم سبحانه اللهم.

**والثاني:** أنهم إذا رغبوا إلى الله وعبدوه، عبدوه بقولهم: سبحانه اللهم، كما في الحديث: «يلهمون التسبيح كما تلهمون النفس».

**أما معنى:** (سُبْحَنَكَ) فتزيتها لك يا ربنا عما يصفك به الواصفون المشركون، وتزيتها لك يا ربنا عن أن تعجز عن فعل شيء، وتزيتها لك يا ربنا عن كل ما لا يليق بك.

**أما قولهم:** (اللَّهُمَّ) فمعناه يا الله.

**قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:**

التسبيح والحمد والتهليل قد يُسمَّى دعاء؛ روى مسلم والبخاري عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم. لا إله إلا الله رب العرش العظيم. لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم».



**س:** ما المراد بقوله تعالى: (وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ)؟

**ج:** في ذلك أقوال لأهل العلم:

**أحدها:** أن الله ﷻ يسلم عليهم ويحييهم بالسلام كما في الآية الكريمة: (سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾) [يس: ٥٨].

**الثاني:** أن تحية بعضهم لبعض السلام عليكم.

**الثالث:** أن الملائكة تحيهم بقولها لهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار.

**الرابع:** أن الولدان المخلدون يحيونهم بالسلام.

والآية تنتظم كل ذلك، والله أعلم.

**قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

وهذه الآية فيها شبه من قوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾

[الأحزاب: ٤٤]، وقوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٤٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٤٦﴾﴾ [الواقعة:



٢٥، ٢٦]. وقوله: (سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾) [يس: ٥٨]. وقوله: ﴿وَالْمَلَكُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٢﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾



ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

**أحدها:** أن أهل الجنة إذا مرَّ بهم الطيرُ يشتهونه فيقولون: سبحانك اللهم فيأتيهم مشويًا مطهياً بالطريقة التي يحبونها، فإذا انتهوا من أكلهم كان شكرهم الحمد لله رب العالمين.

**الثاني:** أنهم دوماً يشكرون الله على نعمه فيبتدئون بقولهم: سبحانك اللهم، ويختتمون بقولهم. (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾).

**قال الطبري رحمه الله:**

وقوله: ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ﴾، يقول: وآخر دعائهم ﴿أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، يقول: وآخر دعائهم أن يقولوا: الحمد لله رب العالمين، ولذلك خففت «أن» ولم تشدد لأنه أريد بها الحكاية.

**وقال القرطبي رحمه الله:**

من السنة لمن بدأ بالأكل أن يسمي الله عند أكله وشربه ويحمده عند فراغه اقتداء بأهل الجنة؛ وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها».

**وقال القرطبي أيضاً:**

يستحب للداعي أن يقول في آخر دعائه كما قال أهل الجنة: وآخر دعواهم

أن الحمد لله رب العالمين ؛ وحسن أن يقرأ آخر «والصافات» فإنها جمعت تنزيه الباري تعالى عما نسب إليه، والتسليم على المرسلين، والختم بالحمد لله رب العالمين.

**وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

**وقوله:** ﴿وَأٰخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هذا فيه دلالة على أن الله تعالى هو المحمود أبدا، المعبود على طول المدى؛ ولهذا حمد نفسه عند ابتداء خلقه واستمراره، وفي ابتداء كتابه، وعند ابتداء تنزيله، حيث يقول تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١] إلى غير ذلك من الأحوال التي يطول بسطها، وأنه المحمود في الأول والآخر، في الحياة الدنيا وفي الآخرة، في جميع الأحوال؛ ولهذا جاء في الحديث: «إن أهل الجنة يُلهَمُونَ التسبيح والتحميد كما يُلهَمُونَ النَّفْسَ» وإنما يكون ذلك كذلك لما يرون من تضاعف نعم الله عليهم، فتكرّر وتعاد وتزاد، فليس لها انقضاء ولا أمد، فلا إله إلا هو ولا رب سواه.



**س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى:** ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١﴾ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأٰخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ ؟

**ج: المعنى - والله تعالى أعلم -:** أن الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين، وآمنوا بما أُلْزِمُوا الإيمان به وابتعوا ذلك بالعمل الصالح الموافق للكتاب العزيز والسنة المباركة يتفضل عليهم ربهم بمزيد من الهداية في الدنيا والآخرة فيزيدهم إيماناً وتوفيقاً وسداداً في الدنيا، كما يوفقهم يوم القيامة للمرور على الصراط بأمانٍ وسلامٍ إلى جنات النعيم تلك التي فيها أنهارٌ تجري من بين

أيدهم يتنعمون بها ويتلذذون بالنظر إليها والشرب فيها، وإذا أرادوا شيئاً فإنهم يدعون ربهم أن يعطيهم إياه، وذلك بقولهم: سبحانك اللهم، وكذا فإنهم يتعبدون الله ﷻ بتسبيحهم له وتنزيههم له عن النقائص والعيوب، وعما يصفه به الواصفون المشركون، وينزهون ربهم عن كل ما لا يليق به، فقولهم: سبحانك اللهم.

معناها تنزيهاً لك يا ربنا عن كل نقصٍ وعيب، وعن كل ما يصفك به الواصفون الكاذبون، ثم إن تحيتهم في الجنة سلام، يسلم الله عليهم بها ويسلم بعضهم على بعضٍ بها، وتسلم الملائكة عليهم بها، وآخر دعائهم بعد فراغهم من طعامهم وشرابهم الحمد لله رب العالمين. فابتدأوا الطعام والشراب والتنعّم بقوله سبحانك اللهم وختموه بالحمد لله رب العالمين.

وبنحو هذا قال أهل العلم، وإن كانت بعض أقوالهم قد تقدمت في ذلك، وها هي أقوالٌ أخرى.

#### قال السعدي رحمه الله: ﴿تيسير الكريم الرحمن﴾:

يقول تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: جمعوا بين الإيمان، والقيام بموجبه ومقتضاه من الأعمال الصالحة، المشتملة على أعمال القلوب وأعمال الجوارح، على وجه الإخلاص والمتابعة.

﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ أي: بسبب ما معهم من الإيمان، يثيبهم الله أعظم الثواب، وهو الهداية، فيعلمهم ما ينفعهم، ويمن عليهم بالأعمال الناشئة عن الهداية، ويهديهم للنظر في آياته، ويهديهم في هذه الدار إلى الصراط المستقيم وفي الصراط المستقيم، وفي دار الجزاء إلى الصراط الموصل إلى جنات النعيم. ولهذا قال: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ الجارية على الدوام ﴿فِي جَنَّاتِ

النَّعِيمِ ﴿١٠﴾ ﴿١﴾ أضافها الله إلى النعيم، لاشتغالها على النعيم التام، نعيم القلب بالفرح والسرور، والبهجة والحبور، ورؤية الرحمن وسماع كلامه، والاغتراب برضاه وقربه، ولقاء الأحبة والإخوان، والتمتع بالاجتماع بهم، وسماع الأصوات المطربات، والنغمات المشجيات، والمناظر المفرحات. ونعيم البدن بأنواع المآكل والمشارب، والمناكح ونحو ذلك، مما لا تعلمه النفوس، ولا خطر ببال أحد، أو قدر أن يصفه الواصفون.

﴿ دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ ﴾ أي عبادتهم فيها لله، أولها تسبيح لله وتنزيه له عن النقائص، وآخرها تحميد لله، فالتكاليف سقطت عنهم في دار الجزاء، وإنما بقي لهم أكمل اللذات، الذي هو ألد عليهم من المآكل اللذيذة، ألا وهو ذكر الله الذي تطمئن به القلوب، وتفرح به الأرواح، وهو لهم بمنزلة النفس، من دون كلفة ومشقة.

﴿ و ﴾ أما ﴿ وَنَحْنُهُمْ ﴾ فيما بينهم عند التلاقي والتزاور، فهو السلام، أي: كلام سالم من اللغو والإثم، موصوف بأنه ﴿ سَلَامٌ ﴾ وقد قيل في تفسير قوله ﴿ دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ ﴾ إلى آخر الآية، أن أهل الجنة -إذا احتاجوا إلى الطعام والشراب ونحوهما- قالوا سبحانك اللهم، فأحضر لهم في الحال. ﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ ﴾ إذا فرغوا قالوا: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٠﴾.



### قال الله تعالى:

﴿ وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْبَاهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (١١) وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِ بِشُرٍّ آوْ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ إِيَّائِي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ ﴿يونس: ١١-١٧﴾.

س: اذكر معنى ما يلي:

(يُعِجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ - اسْتَعْجَالُهُمْ بِالْخَيْرِ - لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ - فَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا - طُفَيْنَاهُمْ - يَعْمَهُوت - مَسَّ - دَعَانَا لِجَنبِهِ - زَيْنَ - بِالْبَيِّنَاتِ - خَلَقَ فِي الْأَرْضِ - مِنْ تِلْقَائِي نَفْسٍ).

ج:

| الكلمة                                 | معناها                                                   |
|----------------------------------------|----------------------------------------------------------|
| (يُعِجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ) | يستجيب الله للناس إذا دعوا على أنفسهم بالشر.             |
| (اسْتَعْجَالُهُمْ بِالْخَيْرِ)         | كما يعمل إجابة دعوتهم إذا دعوا لأنفسهم بالخير.           |
| (لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ)        | لماتوا وفرغ منهم.                                        |
| (فَذَرُ)                               | فترك.                                                    |
| (الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا)   | لا يخافون لقاءنا يوم القيامة، ومن ثمَّ فلا يخشون العذاب. |
| (طُفَيْنَاهُمْ)                        | كفرهم وشدة عتوهم وظلمهم.                                 |
| (يَعْمَهُوت)                           | يتحIRON - يترددون.                                       |
| (مَسَّ)                                | أصاب.                                                    |
| (دَعَانَا لِجَنبِهِ)                   | سألنا وهو مضطجع على جنبه.                                |
| (زَيْنَ)                               | حسن.                                                     |
| (بِالْبَيِّنَاتِ)                      | بالحجج الواضحات.                                         |
| (خَلَقَ فِي الْأَرْضِ)                 | تخلفون من قبلكم - تأتون من بعدهم وتخلفونهم.              |
| (مِنْ تِلْقَائِي نَفْسٍ)               | من عند نفسي.                                             |

س: من المعنيون بالناس في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَىٰ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ وما معنى هذا القدر من الآية الكريمة؟  
ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

**أحدهما:** أن المراد بالناس عموم الناس، وأن معنى الآية الكريمة، ولو استجاب الله دعاء الناس على أنفسهم وعلى أولادهم وبناتهم وذرياتهم وأموالهم إذ يدعون بالمكروه والشر لأهلكهم، ولكن رحمة من الله ﷻ بعباده أنه يمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة والشر.

أي: أن الله ﷻ لو استجاب لهم عندما يدعون على أنفسهم بالشر كما يستجيب لهم إذ دعوا لأنفسهم بالخير لماتوا وهلكوا ولكنه سبحانه يمهلهم.

**الثاني:** أن المعنيين بذلك أهل الكفر إذ كانوا يدعون على أنفسهم بالهلاك إن كان الرسول ﷺ صادقاً، إذ يقولون: (رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَآ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾) [ص: ١٦]، ويقولون: (اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذَاهُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنْ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾) [الأنفال: ٣٢].

**والقول الأول أظهر، والله أعلم.**

ثم هذه بعض أقوال أهل العلم في ذلك.

**قال الطبري رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره:** ولو يعجل الله للناس إجابة دعائهم في الشر، وذلك فيما عليهم مضرة في نفس أو مال ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾، يقول: كاستعجاله لهم في الخير بالإجابة إذا دعوه به ﴿لَقَضَىٰ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾، يقول: لهلكوا، وعجل لهم الموت، وهو الأجل.

**وعني بقوله:** ﴿لَقَضَىٰ﴾، لفرغ إليهم من أجلهم، ونُبذ إليهم، كما قال أبو

ذؤيب:

**وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا دَاوُدُ، أَوْ صَنَعَ السَّوَابِغِ تَبَّعُ**

﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾، يقول: فندع الذين لا يخافون عقابنا، ولا يوقنون بالبعث ولا بالنشور، ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾، يقول: في تمردهم وعتوهم، ﴿يَعْمَهُوتُ﴾ يعني: يترددون.

وإنما أخبر جل ثناؤه عن هؤلاء الكفرة بالبعث بما أخبر به عنهم، من طغيانهم وترددهم فيه عند تعجيله إجابة دعائهم في الشر لو استجاب لهم، أن ذلك كان يدعوهم إلى التقرب إلى الوثن الذي يشرك به أحدهم، أو يضيف ذلك إلى أنه من فعله.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

يخبر تعالى عن حلمه ولطفه بعباده: أنه لا يستجيب لهم إذا دعوا على أنفسهم أو أموالهم أو أولادهم في حال ضجرهم وغضبهم، وأنه يعلم منهم عدم القصد إلى إرادة ذلك، فلهذا لا يستجيب لهم - والحالة هذه - لطفاً ورحمة، كما يستجيب لهم إذا دعوا لأنفسهم أو لأموالهم وأولادهم بالخير والبركة والنماء؛ ولهذا قال: ﴿وَلَوْ يُعِجِلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ أي: لو استجاب لهم كل ما دعوه به في ذلك، لأهلكهم، ولكن لا ينبغي الإكثار من ذلك.

**وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:**

وهذا من لطفه وإحسانه بعباده، أنه لو عجل لهم الشر إذا أتوا بأسبابه، وبأدركهم بالعقوبة على ذلك، كما يعجل لهم الخير إذا أتوا بأسبابه ﴿لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ أي: لمحقتهم العقوبة، ولكنه تعالى يمهّلهم ولا يهملهم، ويعفو عن كثير من حقوقه، فلو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها



من دابة.

ويدخل في هذا، أن العبد إذا غضب على أولاده أو أهله أو ماله، ربما دعا عليهم دعوة لو قبلت منه لهلكوا، ولأضره ذلك غاية الضرر، ولكنه تعالى حلیم حکيم.

**وقوله:** ﴿فَنَذِرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ أي: لا يؤمنون بالآخرة، فلذلك لا يستعدون لها، ولا يعلمون ما ينجيهم من عذاب الله، ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ أي: باطلهم، الذي جاوزوا به الحق والحد.

﴿يَعْمَهُوتُ﴾ يترددون حائرين، لا يهتدون السبيل، ولا يوفقون لأقوم دليل، وذلك عقوبة لهم على ظلمهم، وكفرهم بآيات الله.

**وقال القرطبي رحمه الله:**

**قوله تعالى:** ﴿وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَلْسَرَ﴾ قيل: معناه ولو عجل الله للناس العقوبة كما يستعجلون الثواب والخير لماتوا، لأنهم خلقوا في الدنيا خلقاً ضعيفاً، وليس هم كذا يوم القيامة؛ لأنهم يوم القيامة يخلقون للبقاء. وقيل: المعنى لو فعل الله مع الناس في إجابته إلى المكروه مثل ما يريدون فعله معهم في إجابته إلى الخير لأهلكهم؛ وهو معنى ﴿لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ﴾. وقيل: إنه خاص بالكافر؛ أي ولو يجعل الله للكافر العذاب على كفره كما عجل له خير الدنيا من المال والولد لعجل له قضاء أجله ليتعجل عذاب الآخرة.



**س: ما معنى قوله تعالى: (فَنَذِرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُوتُ**

**١١).**

**ج: المعنى - والله تعالى أعلم -:** أننا نترك الناس في كثيرٍ من الأحيان في الدنيا إذا دعوا على أنفسهم بالشر فلا نجيب دعاءهم على أنفسهم لعلَّ منهم

من يهتدي أما الذين لا يهتدون، وكتبت عليهم الشقاوة فإنهم يزدادون بتركنا تعجيل العذاب عليهم، يزدادون ضلالاً إلى ضلالهم، وتحيراً إلى تحيرهم فييقون في ظلمهم وشركهم وعتوهم يتحiron يترددون، فإنهم تصيبهم المصائب ويدعون بالهلاك والموت على أنفسهم، فلا يُجابوا فيزدادوا ضجراً وكفراً وحيرةً وعدم اهتداءً، والله أعلم.



س: اذكر بعض الوارد في النهي عن الدعاء على النفس؟

ج: من ذلك ما يلي:

قول رسول الله ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم؛ لا توافقوا من الله تبارك وتعالى ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم»<sup>(١)</sup>.  
وقال النبي ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون»<sup>(٢)</sup>.

ولا تدع بائماً ولا بقطيعة رحم:  
أخرج الإمام مسلم في «صحيحه»<sup>(٣)</sup> من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بائماً أو قطيعة رحم ما لم يستعجل...» الحديث، وقد تقدم.

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٣٠٠٩).

(٢) وذلك في الحديث الذي أخرجه مسلم (مع النووي ٦/٢٢٢) من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شقَّ بصره فأغمضه ثم قال: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر»، فضج الناس من أهله، فقال: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون».

(٣) مسلم (مع النووي ١٧/٥٢).

\* ومن ذلك النعمة على أهل الكفر لدعائهم بتعجيل العذاب قال تعالى:  
( وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَآ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ) (ص: ١٦).  
\* وقال تعالى: ( وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِّنْ عِنْدِكَ فَامْطُرْ عَلَيْنَا  
حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ) (الأنفال: ٣٢).  
\* وقال تعالى: ( وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ  
كَأَنَّهُ سَنَةٌ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ ) (الحج: ٤٧).  
فتمنى تعجيل العقوبة فعل الكفار كما سلف، ثم هو فعل من كل علمهم،  
وأيضاً فهو خلاف هدي النبي ﷺ.  
(١) من حديث أنس رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَادَ  
رَجُلًا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتْ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « هَلْ  
كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ ». قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتُ مُعَاقِبِي  
بِهِ فِي الْآخِرَةِ فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « سُبْحَانَ اللَّهِ لَا تُطِيقُهُ -  
أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ - أَفَلَا قُلْتَ اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا  
عَذَابَ النَّارِ ». قَالَ: فَدَعَا اللَّهُ لَهُ فَشَفَاهُ.  
(٢) وفي «الصحيحين» من حديث أنس رضي الله عنه، واللفظ لمسلم من طريق  
عبد العزيز - وهو ابنُ صُهَيْبٍ - سَأَلَ قَتَادَةُ أَنَسًا أَيُّ دَعْوَةٍ كَانَ يَدْعُو بِهَا النَّبِيُّ  
ﷺ أَكْثَرَ قَالَ كَانَ أَكْثَرَ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا يَقُولُ « اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي  
الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ».  
قَالَ: وَكَانَ أَنَسٌ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدَعْوَةٍ دَعَا بِهَا فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدُعَاءٍ  
دَعَا بِهَا فِيهِ.

(١) مسلم (مع النووي ١٧/١٣).

(٢) البخاري (حديث ٦٣٨٩)، ومسلم (حديث ٢٦٩٠).

ومن صور الجهل ذلك الدعاء بما يجلب على النفس المشقة والتعب  
كقول قوم سبأ: (رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَصْفَارِنَا) (سبأ: ١٩).

وذلك أن الله سبحانه وتعالى كان قد جعل لهم أماكن إيواء ومنازل  
ينزلونها واستراحات يستريحون فيها إذا أرادوا السفر إلى الأرض المباركة،  
فكلما شعروا بتعب في سفرهم وجدوا مكاناً للراحة يستريحون فيه،  
ويستجمون كما قال تعالى: (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً) (سبأ: ١٨)، وقد قدر الله هذه المسافات تقديرًا مناسبًا لمصالحهم ومصالح  
دوابهم حيث لا يجدون التعب إلى وجدوا مكاناً للراحة، كما قال: (وَقَدَرْنَا فِيهَا  
السَّيْرَ سِيرُوهَا فِيهَا لِيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾)، ولكنهم أرادوا تعبًا ومشقة، وإرهاقًا،  
أرادوا أن تطول مسافات سفرهم ويحملوا الزاد ويوقدوا النيران في الأسفار  
ويجمعوا الحطب حتى يشعروا بلذة السفر كما زعموا فدعوا ربهم بقولهم:  
(رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَصْفَارِنَا) وظلموا أنفسهم بهذا الدعاء كما قال تعالى: (وَظَلَمُوا  
أَنْفُسَهُمْ) فشئت الله شملهم وفرق الله جمعهم، وجعلهم أحاديث يتحدث  
الناس بهم، ويعتبر بهم المعترفون كما قال تعالى: (فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ  
مُمَزَقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾) (سبأ: ١٩).

ومن صور الجهل في الدعاء سرعة تمني الموت لضر في البدن أو ابتلاء في  
المال، وذلك لما في «الصحيحين»<sup>(١)</sup> من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم: «لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لا بد متمنيًا للموت  
فليقل: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لِي».  
وفي الصحيحين «كذلك من طريق قيس قال: أتيت خبابًا وقد اكتوى سبغًا

(١) البخاري (مع الفتح ١١ / ١٥٠)، ومسلم (مع النووي ١٧ / ٧).

في بطنه فسمعتة يقول: لولا أن النبي ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به <sup>(١)</sup>.  
وعند البخاري <sup>(٢)</sup> من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:  
«..ولا يتمنين أحدكم الموت، إمّا محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا وإمّا مُسيئًا فلعله أن يستعذب».

وفي رواية لمسلم <sup>(٣)</sup> من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:  
«لا يتمنى أحدكم الموت، ولا يدعوه به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيرًا».



س: من المراد بالإنسان في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم: إنه الإنسان الكافر أو العاصي أو اللاهي والغافل.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وإذا أصاب الإنسان ضرٌّ أو جهدٌ في نفسه أو قلةٌ في حاله أو مصيبةٌ في دنياه دعا الله ﷻ على كل أحواله، دعاه مضطجعاً على جنبه، وكذا دعاه قاعداً وقائماً فلما استجاب الله دعاءه وكشف عنه الضر استمر على طريقته في الغي والضلال والعصيان كأن لم يُصب بشيء، ولم يدع

(١) البخاري (مع الفتح ١١/ ١٥٠)، ومسلم (مع النووي ٨/ ١٧).

(٢) البخاري (حديث ٥٦٧٣).

(٣) مسلم (حديث ٢٦٨٢).

الله بشيء ولم يستجب الله له شيئاً أي: أنه جحد نعم الله ﷻ التي أنعم بها عليه، فهكذا زين الشيطان لأهل الكفر والإسراف عملهم فاستمروا على طريقتهم في الغي والضلال.

**وبنحو هذا قال أهل العلم.**

**قال الطبري رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره:** وإذا أصاب الإنسان الشدة والجهد ﴿دَعَانَا لِجَنبَيْهِ﴾، يقول: استغاث بنا في كشف ذلك عنه ﴿لِجَنبَيْهِ﴾، يعني مضطجعا لجنبه. ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ بالحال التي يكون بها عند نزول ذلك الضر به ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ صُرَّتْهُ﴾، يقول: فلما فرجنا عنه الجهد الذي أصابه ﴿مَرَّكَانَ لَمَّا دَعَا إِلَى صُرَّتْهُ مَسَّةً﴾، يقول: استمر على طريقته الأولى قبل أن يصيبه الضر، ونسي ما كان فيه من الجهد والبلاء أو تناساه، وترك الشكر لربه الذي فرج عنه ما كان قد نزل به من البلاء حين استعاذ به، وعاد للشرك ودعوى الآلهة والأوثان أرباباً معه. يقول تعالى ذكره: ﴿كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، يقول: كما زين لهذا الإنسان الذي وصفنا صفتَه، استمراره على كفره بعد كشف الله عنه ما كان فيه من الضر، كذلك زين للذين أسرفوا في الكذب على الله وعلى أنبيائه، فتجاوزوا في القول فيهم إلى غير ما أذن الله لهم به، ما كانوا يعملون من معاصي الله والشرك وبه.

**وقال القرطبي رحمه الله:**

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبَيْهِ﴾ قيل: المراد بالإنسان هنا الكافر، قيل: هو أبو حذيفة بن المغيرة المشرك، تصيبه البأساء والشدة والجهد. ﴿دَعَانَا لِجَنبَيْهِ﴾ أي على جنبه مضطجعا. ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ وإنما أراد جميع حالاته؛ لأن الإنسان لا يعدو إحدى هذه الحالات الثلاثة. قال

بعضهم: إنما بدأ بالمضطجع لأنه بالضر أشد في غالب الأمر، فهو يدعو أكثر، واجتهاده أشد، ثم القاعد ثم القائم. ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ صُورَهُ مَرَّ﴾ أي استمر على كفره ولم يشكر ولم يتعظ.

قلت: وهذه صفة كثير من المخلطين الموحدين، إذا أصابته العافية مر على ما كان عليه من المعاصي؛ فالآية تعم الكافر وغيره. ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا﴾ قال الأخفش: هي «كأن» الثقيلة خففت، والمعنى كأنه وأنشد:  
**وي كأن من يكن له نشب يُخـبب ومن يفتقر يعيش يعيش ضر**

﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ﴾ أي كما زين لهذا الدعاء عند البلاء والإعراض عن الرخاء. ﴿زُيِّنَ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ أي للمشركين أعمالهم من الكفر والمعاصي. وهذا التزيين يجوز أن يكون من الله، ويجوز أن يكون من الشيطان، وإضلاله دعاؤه إلى الكفر.

#### وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يخبر تعالى عن الإنسان وضجره وقلقه إذا مسه الضر، كقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُودُكَ عَرِيضٌ ۝٥١﴾ [فصلت: ٥١] أي: كثير، وهما في معنى واحد؛ وذلك لأنه إذا أصابته شدة قلق لها وجزع منها، وأكثر الدعاء عند ذلك، فدعا الله في كشفها وزوالها عنه في حال اضطجاعه وقعوده وقيامه، وفي جميع أحواله، فإذا فرج الله شدته وكشف كربته، أعرض ونأى بجانبه، وذهب كأنه ما كان به من ذاك شيء، ﴿مَرَّكَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضَرٍّ مَّسَّهُ﴾

ثم ذم تعالى من هذه صفته وطريقته فقال: ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُشْرِكِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فأما من رزقه الله الهداية والسداد والتوفيق والرشاد، فإنه مستثنى من ذلك، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [هود: ١١]، وكقول رسول الله ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له: إن

أصابته ضراء صبر فكان خيرا له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرا له»، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن.

**وقال السعدي رحمه الله:**

وهذا إخبار عن طبيعة الإنسان من حيث هو، وأنه إذا مسه ضرر، من مرض أو مصيبة اجتهد في الدعاء، وسأل الله في جميع أحواله، قائما وقاعدا ومضطجعا، وألح في الدعاء ليكشف الله عنه ضرره.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ﴾ أي: استمر في غفلته معرضا عن ربه، كأنه ما جاءه ضرره، فكشفه الله عنه، فأى ظلم أعظم من هذا الظلم؟! يطلب من الله قضاء غرضه، فإذا أناله إياه لم ينظر إلى حق ربه، وكأنه ليس عليه لله حق. وهذا تزيين من الشيطان، زين له ما كان مستهجننا مستقبحا في العقول والفطر.

﴿كَذَلِكَ زَيَّنَ لِّلْمُتَسْرِفِينَ﴾ أي: المتجاوزين للحد ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

**وقال ابن الجوزي (زاد المسير):**

**قوله تعالى ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ﴾ فيه ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** أعرض عن الدعاء، قاله مقاتل. والثاني: مرَّ في العافية على ما كان عليه قبل أن يُبتلى، ولم يتعظ بما يناله، قاله الزجاج. والثالث: مر طاعيا على ترك الشكر.



**س:** وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ

رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي

الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾؟

**ج:** المعنى - والله تعالى أعلم - ولقد أهلكنا الأمم والقرون من قبلكم يا



معشر قريش، ويا من أرسل إليهم محمد ﷺ، أهلكناهم بعد إرسال رسلنا إليهم فكذبوا رسلنا وما آمنوا وما صدقوا فحينئذٍ أحللنا بهم عقابنا وأنزلنا بهم نعمتنا، وكذلك نجزي أهل الإجمام، وأهل التكذيب، ثم جعلناكم يا أمة محمد ﷺ خلائف تخلفون من سبقوكم، تخلفونهم في الأرض لننظر، نظرًا ينبي عليه الثواب والعقاب ماذا ستصنعون هل ستعملون صالحًا أم أنكم ستكذبوا كما كذب الذين من قبلكم.

**وينحو هذا قال أهل العلم.**

**قال الطبري رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره:** ولقد أهلكنا الأمم التي كذبت رسل الله من قبلكم أيها المشركون بربهم ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾، يقول: لما أشركوا وخالفوا أمر الله ونهيه ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ من عند الله، ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾، وهي الآيات والحجج التي تبين عن صدق من جاء بها.

**ومعنى الكلام:** وجاءتهم رسلهم بالآيات البينات أنها حق ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ يقول: فلم تكن هذه الأمم التي أهلكناها ليؤمنوا برسلهم ويصدقوهم إلى ما دعوهم إليه من توحيد الله وإخلاص العباد له ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾، يقول تعالى ذكره: كما أهلكنا هذه القرون من قبلكم، أيها المشركون، بظلمهم أنفسهم، وتكذيبهم رسلهم، وردّهم نصيحتهم، كذلك أفعال بكم فأهلككم كما أهلكتهم بتكذيبكم رسولكم محمدًا ﷺ، وظلمكم أنفسكم بشرككم بربكم، إن أنتم لم تُنبيوا وتوبوا إلى الله من شرككم فإن من ثواب الكافر بي على كفره عندي، أن أهلكه بسخطي في الدنيا، وأوردّه النار في الآخرة.

**وقال في تأويل قوله تعالى:** ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ

تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

**يقول تعالى ذكره:** ثم جعلناكم، أيها الناس، خلائف من بعد هؤلاء القرون الذين أهلكناهم لما ظلموا، تخلفونهم في الأرض، وتكونون فيها بعدهم ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (١٤)، يقول: لينظر ربكم أين عملكم من عمل من هلك من قبلكم من الأمم بذنوبهم وكفرهم بربهم، تحتذون مثالهم فيه، فتستحقون من العقاب ما استحقوا، أم تخالفون سبيلهم فتؤمنون بالله ورسوله وتقرّون بالبعث بعد الممات، فتستحقون من ربكم الثواب الجزيل.

#### وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

أخبر تعالى عما أحلّ بالقرون الماضية، في تكذيبهم الرسل فيما جاءهم به من البينات والحجج الواضحات، ثم استخلف الله هؤلاء القوم من بعدهم، وأرسل إليهم رسولا لينظر طاعتهم له، واتباعهم رسوله، وفي صحيح مسلم من حديث أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء».

#### وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ يعني الأمم الماضية من قبل أهل مكة أهلكناهم. ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ أي كفروا وأشركوا. ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي بالمعجزات الواضحات والبراهين النيرات. ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ أي أهلكناهم لعلمنا أنهم لا يؤمنون. يخوف كفار مكة عذاب الأمم الماضية؛ أي نحن قادرون على إهلاك هؤلاء بتكذيبهم محمدا ﷺ، ولكن نمهلهم لعلمنا بأن فيهم من يؤمن، أو يخرج من أصلاهم من يؤمن. وهذه الآية ترد على أهل الضلال القائلين بخلق الهدى والإيمان. وقيل: معنى ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ أي جازاهم على كفرهم بأن طبع على قلوبهم؛ ويدل على هذا أنه

قال: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١٣).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ﴾ مفعولان. والخلائف جمع خليفة، وقد تقدم آخر «الأنعام» أي جعلناكم سكانا ﴿فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي من بعد القرون المهلكة. ﴿لِنَنْظُرَ﴾ نصب بلام كي، وقد تقدم نظائره وأمثاله؛ أي ليقع منكم ما تستحقون به الثواب والعقاب، ولم يزل يعلمه غيبا. وقيل: يعاملكم معاملة المختبر إظهارا للعدل. وقيل: النظر راجع إلى الرسل؛ أي لينظر رسلنا وأوليائنا كيف أعمالكم. و﴿كَيْفَ﴾ نصب بقوله: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ لأن الاستفهام له صدر الكلام فلا يعمل فيه ما قبله.

وقال السعدي رحمه الله:

يخبر تعالى أنه أهلك الأمم الماضية بظلمهم وكفرهم، بعد ما جاءتهم البينات على أيدي الرسل وتبين الحق فلم ينقادوا لها ولم يؤمنوا. فأحل بهم عقابه الذي لا يرد عن كل مجرم متجرئ على محارم الله، وهذه سته في جميع الأمم.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ﴾ أيها المخاطبون ﴿خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (١٤) فإن أنتم اعتبرتم واتعظتم بمن قبلكم واتبعتم آيات الله وصدقتم رسله، نجوتم في الدنيا والآخرة. وإن فعلتم كفعل الظالمين قبلكم، أحل بكم ما أحل بهم، ومن أنذر فقد أعذر.



س: وما الذي يريده الكفار بقولهم: (أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ)؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنت بقرآن ليس فيه تحليلٌ لشيءٍ حرمناه ولا تحريمٌ لشيءٍ

أحللناه.

**الثاني:** ائت بقرآنٍ ليس فيه ذكر البعث ولا النشور ولا الثواب ولا العقاب، ولا التهديد، ولا الوعيد.

**الثالث:** ائت بقرآنٍ غير هذا لا تسفه به آلهتنا ولا تعيب به أصنامنا.  
وثم أقوال آخر.



**س:** وضع المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتَ بِشِرَاءٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي بِنَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾؟

**ج:** المعنى - والله تعالى أعلم - وإذا تُقرأ على هؤلاء المشركين آياتنا التي أنزلناها عليك يا رسول الله، واضحات ظاهرات يعرفونها ويفقهون معانيها قال الذين لا يخافون لقاءنا ولا يرجون ثوابنا ولا يخشون عقابنا ائت بقرآن غير هذا فيه ما ليس في هذا القرآن، ليس فيه تهديد ووعيد، وليس فيه تسفيه لآلهتنا ولا عيب لأصنامنا، وليس فيه تحليل ولا تحريم، أو بدّل هذا القرآن بشيء آخر، أو بدّل آياته غير فيها وعدّل لعلنا نتبعك ونؤمن بك ونصدقك فقل: يا رسول الله لهؤلاء المكذبين المنكرين الحاصدين ليس لي أن أبدل هذا القرآن من عند نفسي، ولا أن أغير منه شيئاً فما أنا إلا متبع لما يُوحى إلي، إني أخاف إن بدلت شيئاً وعصيت ربي عذاب يوم القيامة، وهو يوم عظيم، عظيم عذابه كذلك لمن عصى ربه ولم يتقه.

وينحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

**يقول تعالى ذكره:** وإذا قرئ على هؤلاء المشركين آيات كتاب الله الذي

أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ، يَا مُحَمَّدٌ ﴿بَيِّنَاتٍ﴾، واضحات، على الحق دالات ﴿قَالَ  
الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾، يقول: قال الذين لا يخافون عقابنا، ولا يوقنون  
بالمعاد إلينا، ولا يصدقون بالبعث، لك ﴿أَنْتَ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾، يقول:  
أو غيره ﴿قُلْ﴾ لهم، يا محمد ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي﴾، أي: من  
عندي.

والتبديل الذي سأله، فيما ذكر، أن يحول آية الوعيد آية وعد، وآية الوعد  
وعيداً والحرام حلالاً والحلال حراماً، فأمر الله نبيه ﷺ أن يخبرهم أن ذلك  
ليس إليه، وأن ذلك إلى من لا يردّ حكمه، ولا يتعقب قضاؤه، وإنما هو رسول  
مبلغ ومأمور متبع.

**وقوله:** ﴿إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكُمْ﴾، يقول: قل لهم: ما أتبع في كل ما أمركم  
به أيها القوم، وأنهاكم عنه، إلا ما ينزلني إليّ ربي، ويأمرني به ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ  
عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ١٥، يقول: إني أخشى من الله إن خالفت أمره،  
وغيرت أحكام كتابه، وبدلت وحيه، فعصيته بذلك، عذاب يوم عظيم هو له،  
وذلك: يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها  
وترى الناس سكارى وما هم بسكارى.

**وقال ابن كثير رحمه الله:**

يخبر تعالى عن تعنت الكفار من مشركي قريش الجاحدين الحقّ  
المعرضين عنه، أنهم إذا قرأ عليهم الرسول ﷺ كتاب الله وحججه الواضحة  
قالوا له: ﴿أَنْتَ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا﴾ أي: رد هذا وجئنا بغيره من نمط آخر، أو  
بدّله إلى وضع آخر، قال الله لنبيه، صلوات الله وسلامه عليه، ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي  
أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي﴾ أي: ليس هذا إليّ، إنما أنا عبد مأمور، ورسول مبلغ  
عن الله، ﴿إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكُمْ﴾ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم.

## وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ ﴿تُتْلَى﴾ تقرأ، و﴿بَيِّنَتْ﴾ نصب على الحال؛ أي واضحات لا لبس فيها ولا إشكال. ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ يعني لا يخافون يوم البعث والحساب ولا يرجون الثواب. قال قتادة: يعني مشركي أهل مكة. ﴿أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ والفرق بين تبديله والإتيان بغيره أن تبديله لا يجوز أن يكون معه، والإتيان بغيره قد يجوز أن يكون معه؛ وفي قولهم ذلك ثلاثة أوجه:

**أحدها:** أنهم سألوه أن يحول الوعد وعيدا والوعيد وعدا، والحلال حراما والحرام حلالا؛ قاله ابن جرير الطبري.

**الثاني:** سألوه أن يسقط ما في القرآن من عيب آلهتهم وتسفيه أحلامهم؛ قاله ابن عيسى.

**الثالث:** أنهم سألوه إسقاط ما فيه من ذكر البعث والنشور؛ قاله الزجاج. قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي﴾ أي قل يا محمد ما كان لي ﴿أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي﴾ ومن عندي، كما ليس لي أن ألقاه بالرد والتكذيب. ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ أي لا أتبع إلا ما أتلوه عليكم من وعد ووعد، وتحريم وتحليل، وأمر ونهي. وقد يستدل بهذا من يمنع نسخ الكتاب بالسنة؛ لأنه تعالى قال: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي﴾ وهذا فيه بعد؛ فإن الآية وردت في طلب المشركين مثل القرآن نظما، ولم يكن الرسول ﷺ قادرا على ذلك، ولم يسألوه تبديل الحكم دون اللفظ؛ ولأن الذي يقوله الرسول ﷺ إذا كان وحيا لم يكن من تلقاء نفسه، بل كان من عند الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ أي إن خالفت في تبديله وتغييره أو في ترك العمل به. ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني يوم القيامة.

س: ما وجه الاحتجاج على أهل الشرك بقوله: (فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾)؟

ج: وجه الاحتجاج أنهم يوفون رسول الله ﷺ قبل مبعثه وأنه الصادق الأمين، وكانوا يستودعون أماناتهم عنده فيحفظها لهم خير حفظ، ويقوم عليه خير قيام، وما عهدوا منه خيانة ولا غدرًا ولا كذبًا ولا غشًا، فكيف يدع الكذب على الناس، ويكذب على الله ﷻ، كما في سؤالات هرقل لأبي سفيان إذ سأله هل كنتم تتهمونه قبل أن يقول ما قال، قال: لا. وثم وجه آخر حاصله أنني لبثت فيكم زمانًا أربعون سنة لم أفر على الله فهل أفتري على الله في كبر سني؟ والوجه الأول أظهر، والله أعلم.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ ظرف، أي مقدارًا من الزمان وهو أربعون سنة. ﴿مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾ أي من قبل القرآن، تعرفونني بالصدق والأمانة، لا أقرأ ولا أكتب، ثم جئتمكم بالمعجزات. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ أن هذا لا يكون إلا من عند الله لا من قبلي. وقيل: معنى ﴿لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ أي لبثت فيكم مدة شبابي لم أعص الله، أفتريدون مني الآن وقد بلغت أربعين سنة أن أخالف أمر الله، وأغير ما ينزله علي.



س: وضع المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِۦ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - : قل: يا رسول الله لهؤلاء المكذبين

الجاحدين المنكرين الذين سالوك وقالوا: ائت بتوانٍ غير هذا أو بدله، قل لهؤلاء لو شاء الله ما أنزله عليّ ولا تلوته عليكم، ولا أعلمكم به ولا أشعركم، فقد مكثت فيكم زماناً تعرفون صدقي وعدم افترائي على الله، وعدم الكذب على الناس أفلا تعقلون، ومن ثمّ تفهمون أن الذي لا يكذب على الناس لا يكذب على الله؟! وكذا تعقلون أن هذا القرآن من عند الله؟! فليس هناك ظالم وفقير أظلم ممن افتري على الله كذباً، وكذا ليس هناك ظالم أظلم ممن كذب بآيات الله المنزلة من عنده على رسوله، إنه لا يظفر بمطلوبه ولا ينجو من مرهوبه أهل الإجماع.

فلن يظفر المجرم بمطلوبه، وأعظم مطلوب هو الجنة، ولن ينجو المجرم من مرهوبه، وأعظم مرهوب هو النار.

**وبنحو هذا قال أهل العلم.**

**قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:**

يقول تعالى ذكره لنبيه، معرّفه الحجة على هؤلاء المشركين الذين قالوا له: ﴿أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾، ﴿قُلْ لَهُمْ، يَا مُحَمَّد، ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْهِمْ﴾، أي: ما تلوت هذا القرآن عليكم، أيها الناس، بأن كان لا ينزله عليّ فيأمرني بتلاوته عليكم، ﴿وَلَا أَدْرِيكُمْ بِهِ﴾، يقول: ولا أعلمكم به، ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ﴾ يقول: فقد مكثت فيكم أربعين سنة من قبل أن أتلوّه عليكم، ومن قبل أن يوحى إليّ ربي، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٦)، أي لو كنت منتحلاً ما ليس لي من القول، كنت قد انتحلته في أيام شبابي وحداثتي، وقبل الوقت الذي تلوته عليكم؟ فقد كان لي اليوم، لو لم يوح إليّ وأمر بتلاوته عليكم، مندوحة عن معاداتكم، ومتّسع، في الحال التي كنت بها منكم قبل أن يوحى إليّ وأمر بتلاوته عليكم.



**وقال في تأويل قوله تعالى:** ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (١٧).

**يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ:** قل لهؤلاء المشركين الذين نسبوك فيما جئتهم به من عند ربك إلى الكذب: أي خلق أشدُّ تعديًا، وأوضع لقيه في غير موضعه، ممن اختلق على الله كذبًا، وافتري عليه باطلا ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ يعني بحججه ورسله وآيات كتابه؟ يقول له جل ثناؤه: قل لهم: ليس الذي أضفتموني إليه بأعجب من كذبكم على ربكم، وافترائكم عليه، وتكذيبكم بآياته ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (١٧)، يقول: إنه لا ينجح الذين اجترموا الكفر في الدنيا يوم القيامة، إذا لقوا ربهم، ولا ينالون الفلاح.

**وقال القرطبي رحمه الله:**

هذا استفهام بمعنى الجحد؛ أي لا أحد أظلم ممن افترى على الله الكذب، وبذل كلامه وأضاف شيئًا إليه مما لم ينزله. وكذلك لا أحد أظلم منكم إذا أنكرتم القرآن وافتريتم على الله الكذب، وقلتم ليس هذا كلامه. وهذا مما أمر به الرسول ﷺ أن يقول لهم. وقيل: هو من قول الله ابتداء. وقيل: المفترى المشرك، والمكذب بالآيات أهل الكتاب. ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (١٧).

**وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:**

ثم قال محتجا عليهم في صحة ما جاءهم به: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾ أي: هذا إنما جئكم به عن إذن الله لي في ذلك ومشيتته وإرادته، والدليل على أني لست أقوله من عندي ولا افتريته أنكم عاجزون عن معارضته، وأنكم تعلمون صدقي وأمانتي منذ نشأت بينكم إلى حين بعثني الله ﷻ، لا تتقدون علي شيئًا تغمصوني به؛ ولهذا قال: ﴿فَقَدْ

لَيْسَتْ فِيكُمْ عُمْرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ❦ أي: أفليس لكم عقول تعرفون بها الحق من الباطل؛ ولهذا لما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان ومن معه، فيما سأله من صفة النبي ﷺ، قال: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان: فقلت: لا - وقد كان أبو سفيان إذ ذاك رأس الكفرة وزعيم المشركين، ومع هذا اعترف بالحق:

### وَالْفُضْلُ مَا شَهِدْتُ بِهِ الْأَعْدَاءُ

فقال له هرقل: فقد أعرف أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله!.

وقال جعفر بن أبي طالب للنجاشي ملك الحبشة: بعث الله فينا رسولا نعرف نسبه وصدقه وأمانته<sup>(١)</sup>.

### وقال ﷺ:

يقول تعالى: لا أحد أظلم ولا أعتى ولا أشد إجراما ❦ وَمَن أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ❦ وتقول على الله، وزعم أن الله أرسله، ولم يكن كذلك، فليس أحد أكبر جرماً ولا أعظم ظلماً من هذا، ومثل هذا لا يخفى أمره على الأغبياء، فكيف يشبه حال هذا بالأنبياء! فإن من قال هذه المقالة صادقاً أو كاذباً، فلا بد أن الله ينصب عليه من الأدلة على برّه أو فجوره ما وأظهر من الشمس، فإن الفرق بين محمد ﷺ وبين مسيلمة الكذاب لمن شاهدهما أظهر من الفرق بين وقت الضحى ووقت نصف الليل في حندس الظلماء، فمن سيما كل منهما وكلامه وفعاله يستدل من له بصيرة على صدق محمد ﷺ وكذب مسيلمة الكذاب، وسجّاح، والأسود العنسي.

(١) البخاري (حديث رقم ٧) بنحوه.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ طويلاً ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: قبل تلاوته، وقبل درايتكم به، وأنا ما خطر على بالي، ولا وقع في ظني.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١١) أي حيث لم أتقوله في مدة عمري، ولا صدر مني ما يدل على ذلك، فكيف أتقوله بعد ذلك، وقد لبثت فيكم عمراً طويلاً تعرفون حقيقة حالي، بأني أُمي لا أقرأ ولا أكتب، ولا أدرس ولا أعلم من أحد؟!!

فأتيتكم بكتاب عظيم أعجز الفصحاء، وأعيا العلماء، فهل يمكن -مع هذا- أن يكون من تلقاء نفسي، أم هذا دليل قاطع أنه تنزيل من حكيم حميد؟ فلو أعلمتم أفكاركم وعقولكم، وتدبرتم حالي وحال هذا الكتاب، لجزمتهم جزماً لا يقبل الريب بصدقه، وأنه الحق الذي ليس بعده إلا الضلال، ولكن إذ أبيتم إلا التكذيب والعناد، فأنتم لا شك أنكم ظالمون.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾؟!!

فلو كنت متقولاً لكنت أظلم الناس، وفاتني الفلاح، ولم تخف عليكم حالي، ولكني جئتكم بآيات الله، فكذبتم بها، فتعين فيكم الظلم، ولا بد أن أمركم سيضمحل، ولن تنالوا الفلاح، ما دمت كذلك.

ودل قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ [الفرقان: ٢١] الآية، أن الذي حملهم على هذا التعنت الذي صدر منهم هو عدم إيمانهم بقاء الله وعدم رجائه، وأن من آمن بقاء الله فلا بد أن ينقاد لهذا الكتاب ويؤمن به، لأنه حسن القصد.



## قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسْتَهْمٍ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُكَ فِي الْبَرْحِ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ رِيحٌ طَيِّبَةٌ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَجَبَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَتَأَيَّاهُ النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ

مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَظُرِبَ  
أَهْلُهَا أَنْهَمَ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا  
كَانَ لَمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾

[يونس: ١٨-٢٤]

س: اذكر معنى ما يلي:

- (أَتَنْتِفُونَ - سُبْحَنَهُ، - وَتَعَالَى - أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ - كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ -  
لَقَضَى بَيْنَهُمْ - آيَةً مِنْ رَبِّهِ - الْغَيْبُ لِلَّهِ - رَحْمَةً - مَكْرٌ - فِي آيَاتِنَا - الْفُلُكُ - يَرِيحُ طَلَبُهُ -  
يَرِيحُ عَاصِفٌ - وَظَنُوا - أُحِيطَ بِهِمْ - مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ - يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ - زُخْرُفَهَا -  
حَصِيدًا - لَمْ تَغْنِ الْآمِنِينَ - نَفِصِلُ الْآيَاتِ ❖).

ج:

| الكلمة                                | معناها                                             |
|---------------------------------------|----------------------------------------------------|
| (أَتَنْتِفُونَ) ❖                     | أتخبرون.                                           |
| (سُبْحَنَهُ،) ❖                       | تنزه.                                              |
| (وَتَعَالَى) ❖                        | ارتفع (عن كل ما لا يليق به).                       |
| (أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ) ❖                 | جماعة واحدة على ملّة واحدة.                        |
| (كَلِمَةُ سَبَقَتْ<br>مِنْ رَبِّكَ) ❖ | قضاء قضاءه الله وتكلم به قبل أن يخلق الخلق.        |
| (لَقَضَى بَيْنَهُمْ) ❖                | لحكم على كل بما يستحق، ولأهلك من يستحق<br>الإهلاك. |
| (آيَةً مِنْ رَبِّهِ) ❖                | معجزه من ربه.                                      |
| (الْغَيْبُ لِلَّهِ) ❖                 | علم الغيب لله لا يعلمه أحد سواه.                   |
| (رَحْمَةً) ❖                          | نعمة - عافية - سراء.                               |
| (مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا)                | تكذيب واستهزاء وسخرية بآيات الله.                  |
| (الْفُلُكُ) ❖                         | السفن العظيمة.                                     |

(٧١) أحمر  
أسود

تفسير سورة يونس

٧١

|                                                                               |                                   |
|-------------------------------------------------------------------------------|-----------------------------------|
| ريح لّين هادئة.                                                               | (رِيحٌ طَيِّبَةٌ ﴿١﴾)             |
| ريح شديدة الهبوب عاتية.                                                       | (رِيحٌ عَاصِفٌ ﴿٢﴾)               |
| أيقنوا - توهّموا.                                                             | (وَعَلُّوا ﴿٣﴾)                   |
| هلكوا - أحاطت بهم سبل الموت حيث لا مفر منها.                                  | (أُحِيطَ بِهِمْ ﴿٤﴾)              |
| مخلصين له الدعاء - لا يدعون حيثئذٍ معه أحدًا سواه.                            | (مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴿٥﴾)   |
| يسعون في الأرض بالفساد وينشرون الشرور يرتكبون الشرك والكبائر والمعاصي والظلم. | (يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ ﴿٦﴾)     |
| زيتها.                                                                        | (زُفِّرَهَا ﴿٧﴾)                  |
| محصورة من أصلها - مقطوعة مقلوعة من أصلها.                                     | (حَصِيدًا ﴿٨﴾)                    |
| كأن لم تكن موجودة بزيتها بالأمس.                                              | (لَمْ تَكُنْ إِلَّا مَسَرًّا ﴿٩﴾) |
| بنينها ونفصل بعضها عن بعض.                                                    | (نُفِصِلُ الْآيَاتِ ﴿١٠﴾)         |



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونََ عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ويعبد أهل الشرك هؤلاء مع الله ﷻ آلهة أخرى، أصنامًا وأوثانًا وآلهة أخرى كذلك، ويقولون إنما نعبدهم ليشفعوا لنا عند الله ﷻ، كما في قولهم: (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) [الزمر: ٣]، فقل لهؤلاء المشركين أتخبرون الله ﷻ بما لا يكون في السموات ولا في الأرض، فإذا كانت هذه الآلهة لا تنفعكم في دنياكم فكيف تنفعكم في أخراكم، أتخبرون الله أن له شريكًا وهو يعلم أنه ليس له شريك، أتخبرون الله أن هناك من يشفع عنده وهو يعلم أن ليس هناك شافع يشفع من هذه الأوثان والأصنام. أو بصياغة أخرى أتخبرون الله أن له شريكًا وهو لا يعلم لنفسه شريكًا. أتخبرون الله أن عنده من يشفع وهو لا يعلم شافعًا يشفع بغير إذنه. أتخبرون الله بأمورٍ تظنون أنهما لا يعلمها في السموات ولا في الأرض. أتظنون أن الله يجهل ما في السموات وما في الأرض؟! أتظنون أن الله يخفى عليه شيء في السموات والأرض (سُبْحَنَهُ) تنزه ربنا عن الشريك وعن المثل وعن الند وعن الجهل وتنزه عن كل ما لا يليق به.

(وَتَعَالَى) عن أن يكون له شريك.

(وَتَعَالَى) عن أن يكون له مثلٌ وندٌ.

(وَتَعَالَى) ربنا عن الجهل وقلة العلم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويعبد هؤلاء المشركون الذين وصفت لك، يا محمد



صفتهم، من دون الله الذي لا يضرهم شيئاً ولا ينفعهم، في الدنيا ولا في الآخرة، وذلك هو الآلهة والأصنام التي كانوا يعبدونها ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾، يعني: أنهم كانوا يعبدونها رجاء شفاعتها عند الله قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ ﴿أَتُنَبِّئُوكَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾، يقول: أتخبرون الله بما لا يكون في السموات ولا في الأرض؟ وذلك أن الآلهة لا تشفع لهم عند الله في السموات ولا في الأرض. وكان المشركون يزعمون أنها تشفع لهم عند الله. فقال الله لنبيه صلى الله عليه وآله: قل لهم: أتخبرون الله أن ما لا يشفع في السموات ولا في الأرض يشفع لكم فيهما؟ وذلك باطل لا تعلم حقيقته وصحته، بل يعلم الله أن ذلك خلاف ما تقولون، وأنها لا تشفع لأحد، ولا تنفع ولا تضر ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، يقول: تنزيهاً لله وعلواً عما يفعله هؤلاء المشركون، من إشراكهم في عبادته ما لا يضر ولا ينفع، وافترائهم عليه الكذب.

#### وقال ابن كثير رحمه الله:

ينكر تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره، ظانين أن تلك الآلهة تنفعهم شفاعتها عند الله، فأخبر تعالى أنها لا تنفع ولا تضر ولا تملك شيئاً، ولا يقع شيء مما يزعمون فيها، ولا يكون هذا أبداً؛ ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُوكَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾.

وقال ابن جرير: معناه أتخبرون الله بما لا يكون في السماوات ولا في الأرض؟ ثم نزه نفسه عن شركهم وكفرهم، فقال: ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

ثم أخبر تعالى أن هذا الشرك حادث في الناس، كائن بعد أن لم يكن، وأن الناس كلهم كانوا على دين واحد، وهو الإسلام؛ قال ابن عباس: كان بين آدم

ونوح عشرة قرون، كلهم على الإسلام، ثم وقع الاختلاف بين الناس، وعُبدت الأصنام والأنداد والأوثان، فبعث الله الرسل بآياته وبيناته وحججه البالغة وبراهينه الدامغة، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

### وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ يريد الأصنام. ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾ وهذه غاية الجهالة منهم؛ حيث ينتظرون الشفاعة في المال ممن لا يوجد منه نفع ولا ضرر في الحال. وقيل: ﴿شَفَعَاؤُنَا﴾ أي تشفع لنا عند الله في إصلاح معاشنا في الدنيا. ﴿قُلْ أَتَنْتَبِهُونَ﴾ الله يَمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴿قراءة العامة (تُنَبِّئُونَ) بالتشديد. وقرأ أبو السمال العدوي ﴿أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ﴾ مخففاً، من أنبأ ينبئ. وقراءة العامة من نبأ ينبئ تنبئة؛ وهما بمعنى واحد، جمعهما قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ﴾ [الخير: ٢] ﴿[التحريم: ٣] أي أتخبرون الله أن له شريكا في ملكه أو شفيعا بغير إذنه، والله لا يعلم لنفسه شريكا في السموات ولا في الأرض؛ لأنه لا شريك له فلذلك لا يعلمه. نظيره قوله: ﴿أَمْ تَتَّخِذُونَ يَمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ٣٣] ثم نزه نفسه وقدها عن الشرك فقال: ﴿سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١٨) أي هو أعظم من أن يكون له شريك وقيل: المعنى أي يعبدون ما لا يسمع ولا يبصر ولا يميز ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾ فيكذبون؛ وهل يتهيا لكم أن تنبؤه بما لا يعلم، سبحانه وتعالى عما يشركون!

### وقال ابن الجوزي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ يعني المشركين ﴿هَؤُلَاءِ﴾ يعنون الأصنام قال أبو عبيدة خرجت كنايةها على لفظ كناية الأدميين وقد ذكرنا هذا المعنى

في [الأعراف: ١٩١] عند قوله ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ وفي قوله ﴿شَفَعْتُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ قولان أحدهما شفاعونا في الآخرة قاله أبو صالح عن ابن عباس ومقاتل والثاني شفاعونا في إصلاح معاشنا في الدنيا لأنهم لا يقرون بالبعث قاله الحسن

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ قال الضحاك أتخبرون الله أن له شريكا ولا يعلم الله لنفسه شريكا في السموات ولا في الأرض.

وقال السعدي رحمه الله:

يقول تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ أي: المشركون المكذبون لرسول الله ﷺ. ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ أي: لا تملك لهم مثقال ذرة من النفع ولا تدفع عنهم شيئا.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ قولا خاليا من البرهان: ﴿هَؤُلَاءِ شَفَعْتُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: يعبدونهم ليقربوهم إلى الله، ويشفعوا لهم عنده، وهذا قول من تلقاء أنفسهم، وكلام ابتكروه هم، ولهذا قال تعالى -مبطلا لهذا القول-: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: الله تعالى هو العالم، الذي أحاط علما بجميع ما في السموات والأرض، وقد أخبركم بأنه ليس له شريك ولا إله معه، أفأنتم -يا معشر المشركين- تزعمون أنه يوجد له فيها شركاء؟ أفأنتم بأمركم خفي عليه، وعلمتوه؟ أنتم أعلم أم الله؟ فهل يوجد قول أبطل من هذا القول، المتضمن أن هؤلاء الضلال الجهال السفهاء أعلم من رب العالمين؟ فليكتف العاقل بمجرد تصور هذا القول، فإنه يجزم بفساده وبطلانه: ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تقدس وتنزه أن يكون له شريك أو نظير، بل هو الله الأحد الفرد الصمد الذي لا إله في السموات والأرض إلا هو، وكل معبود في العالم العلوي والسفلي سواه، فإنه باطل عقلا وشرعا وفطرة.

﴿ ذَٰلِكَ يَأْتِي اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَتَى مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَتَى اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢].



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [١٩].  
ج: المعنى - والله تعالى أعلم :-

وما كان الناس إلا جماعة واحدة على ملة واحدة فاختلفوا، وهذه تحتل احتمالات:

**أولاً:** كانوا جماعة واحدة على التوحيد فقد فطروا عليه وجبلوا عليه ثم اتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم وغيّرت كثيراً ونقلته من الإسلام إلى الكفر، ومن الفطرة السليمة الصحيحة إلى دين الشرك والعياذ بالله.  
كما في الحديث القدسي: «إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم...».

**الثاني:** أنهم كانوا قبل مجيء الرسل قد حادوا عن طريق الحق والصواب في جملتهم وأصبحوا ملة واحدة على الكفر فلما جاءتهم الرسل بالبينات آمن من آمن، وكفر من كفر فحصل الاختلاف والافتراق، كما قال تعالى: (وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ) [البينة: ٤].

وكما قال: (فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ) [البجائية: ١٧].  
وتم أقوال آخر أضربت عنها لوهاؤها أما قوله تعالى: (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) .

فهذه الكلمة هي الكلمة التي كتبها الله على نفسه وقضى أنها واقعة، وهي ما ذكره في كتابه من أن لكل أجل كتاب، ومن أن الأمم تهلك إذا جاء وقت

إهلاكها.

**وقوله تعالى:** (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) لحكم بينهم فيما فيه يختلفون فقضى على الكافر بالهلاك في حينه. والله تعالى أعلم.

**وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.**

**قال الطبري رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره:** وما كان الناس إلا أهل دين واحد وملة واحدة فاختلفوا في دينهم، فافترقت بهم السبل في ذلك، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾، يقول: ولولا أنه سبق من الله أنه لا يهلك قوما إلا بعد انقضاء آجالهم ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١٩) يقول: لقضى بينهم بأن يهلك أهل الباطل منهم، وينجي أهل الحق.

**وقال القرطبي رحمه الله:**

**وقال الزجاج:** هم العرب كانوا على الشرك. وقيل: كل مولود يولد على الفطرة، فاختلفوا عند البلوغ. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١٩) إشارة إلى القضاء والقدر؛ أي لولا ما سبق في حكمه أنه لا يقضى بينهم فيما اختلفوا فيه بالثواب والعقاب دون القيامة لقضى بينهم في الدنيا، فأدخل المؤمنين الجنة بأعمالهم والكافرين النار بكفرهم، ولكنه سبق من الله الأجل مع علمه بصنيعهم فجعل موعدهم القيامة؛ قال الحسن. وقال أبو ورق: ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ لأقام عليهم الساعة. وقيل: لفرغ من هلاكهم. وقال الكلبي: «الكلمة» أن الله أخر هذه الأمة فلا يهلكهم بالعذاب في الدنيا إلى يوم القيامة، فلولا. هذا التأخير لقضى بينهم بنزول العذاب أو بإقامة الساعة. والآية تسلية للنبي ﷺ في تأخير العذاب عمن كفر به. وقيل: الكلمة السابقة أنه لا يأخذ أحدا إلا بحجة وهو إرسال الرسل؛ كما قال: ﴿وَمَا كُنَّا

مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ [الإسراء: ١٥] وقيل: الكلمة قوله: «سبقت رحمتي غضبي» ولولا ذلك لما أخرج العصاة إلى التوبة. وقرأ عيسى «لقضى» بالفتح.

**وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ (زاد المسير):**

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ قد شرحنا هذا في سورة [البقرة: ٢١٣] وأحسن الأقوال أنهم كانوا على دين واحد موحدين فاختلَفُوا وعبدوا الأصنام فكان أول من بعث إليهم نوح رَحِمَهُ اللهُ.

قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

**أحدها:** ولولا كلمة سبقت بتأخير هذه الأمة أنه لا يهلكهم بالعذاب كما أهلك الذين من قبلهم لقضى بينهم بنزول العذاب فكان ذلك فصلا بينهم فيما فيه يختلفون من الدين.

**والثاني:** أن الكلمة أن لكل أمة أجلا وللدنيا مدة لا يتقدم ذلك على وقته.

**والثالث:** أن الكلمة أنه لا يأخذ أحدا إلا بعد إقامة الحجة عليه.

**وفي قوله: ﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ قولان:**

**أحدهما:** لقضى بينهم بإقامة الساعة.

**والثاني:** بنزول العذاب على المكذبين ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠﴾﴾.

**وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:**

أي: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ متفقين على الدين الصحيح، ولكنهم اختلفوا، فبعث الله الرسل مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بامهال العاصين وعدم معاجلتهم بذنوبهم، ﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ بأن ننجي المؤمنين، ونهلك الكافرين المكذبين،

وصار هذا فارقا بينهم ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿١٩﴾ ولكنه أراد امتحانهم وابتلاء بعضهم ببعض، ليتبين الصادق من الكاذب.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ ﴿٢٠﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم :-

ويقول أهل الكفر هؤلاء لولا أنزل على رسول الله ﷺ معجزة من المعجزات كالتي جاء بها الأنبياء من قبله صلوات الله وسلامه عليه، هلا جاء معه بمعجزة فقد جاء صالح بناقة عظيمة، لما سأل ربه ذلك، وكان موسى ﷺ معه العصا التي تحولت إلى حية تسعى، واليد التي تخرج بيضاء وغير ذلك، وعيسى كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، وداود لأن الله له الحديد وسبحت معه الجبال والطيور، وسليمان سخرت له الريح والجن والشياطين وغير ذلك، فهلا جاء محمد بآية كهذه الآيات، فقل لهم يا رسول الله إن الغيب يعلمه الله، والذي يأتي بهذه هو الله ﷻ وليس لي إلا أن أبلغكم ما أرسلت به، فانتظروا قضاء الله بيني وبينكم وحكم الله بيني وبينكم، وأنا معكم من المنتظرين لقضاء الله وقدر الله وإظهار المحق من المبطل.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المشركون: هلا أنزل على محمد آية من ربه - يقول: عَلمٌ ودليلٌ نعلم به أن محمدًا محق فيما يقول؟ قال الله له: ﴿فَقُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ أي: لا يُعلم أحدٌ يفعل ذلك إلا هو جل ثناؤه، لأنه لا يعلم الغيب - وهو السرُّ والخفيُّ من الأمور - إلا الله، فانتظروا

أيها القوم، قضاء الله بيننا، بتعجيل عقوبته للمبطل منا، وإظهاره المحقّ عليه،  
إني معكم ممن ينتظر ذلك. ففعل ذلك جل ثناؤه ففضى بينهم وبينه بأن قتلهم  
يوم بدرٍ بالسيف.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

أي: ويقول هؤلاء الكفرة الملحدون المكذبون المعاندون: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ﴾  
على محمد ﴿آيَةً مِنْ رَبِّهِ﴾، يعنون كما أعطى الله ثمود الناقة، أو أن يحول  
لهم الصفا ذهباً، أو يزيح عنهم جبال مكة ويجعل مكانها بساتين وأنهاراً، ونحو  
ذلك مما الله عليه قادر ولكنه حكيم في أفعاله وأقواله، كما قال تعالى:  
﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ فُصُورًا ۝١٠﴾  
﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝١١﴾ [الفرقان: ١٠، ١١] وقال  
تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآيِنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً  
فَطَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخَوِيفًا ۝٥٩﴾ [الإسراء: ٥٩]، يقول تعالى: إن سنتي  
في خلقي أني إذا آتيتهم ما سألوا، فإن آمنوا وإلا عاجلتهم بالعقوبة. ولهذا لما  
خير رسول الله، عليه الصلاة والسلام، بين أن يُعطى ما سألوا، فإن أجابوا وإلا  
عُوجلوا، وبين أن يتركهم ويُنظرهم، اختار إنظارهم، كما حلم عنهم غير مرة،  
صلوات الله عليه؛ ولهذا قال تعالى إرشاداً لنبهه إلى الجواب عما سألوا: ﴿فَقُلْ  
إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ أي: الأمر كله لله، وهو يعلم العواقب في الأمور، ﴿فَانتَظِرُوا إِنِّي  
مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ۝٢٠﴾ أي: إن كنتم لا تؤمنون حتى تشهدوا ما سألتهم  
فانتظروا حكم الله فيّ وفيكم. هذا مع أنهم قد شاهدوا من معجزاته، **ﷺ**  
أعظم مما سألوا حين أشار بحضرتهم إلى القمر ليلة إبداره، فانشق باثنتين  
فرقة من وراء الجبل، وفرقة من دونه. وهذا أعظم من سائر الآيات الأرضية



مما سألوا وما لم يسألوا، ولو علم الله منهم أنهم سألوا ذلك استرشادا وتثبتاً لأجابهم، ولكن علم أنهم إنما يسألون عنادا وتعنّتا، فتركهم فيما رابهم، وعلم أنهم لا يؤمن منهم أحد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۝١٧﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيَّةَ وَلَكَّمْهُمُ الْوَتَنَ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ۝١٣﴾ [الأنعام: ١١١]، ولما فيهم من المكابرة، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝١٤﴾ [الحجر: ١٤، ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ۝٤٤﴾ [الطور: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ [الأنعام: ٧]، فمثل هؤلاء أقل من أن يجابوا إلى ما سألوه؛ لأنه لا فائدة في جواب هؤلاء؛ لأنه دائر على تعنتهم وعنادهم، لكثرة فجورهم وفسادهم؛ ولهذا قال: ﴿فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ۝٢٠﴾.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ يعني المشركين ﴿لَوْلَا﴾ أي هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ مثل العصا واليد وآيات الأنبياء ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن سؤالكم لم لم تنزل الآية غيب ولا يعلم علة امتناعها إلا الله.

والثاني: أن نزول الآية متى يكون غيب ولا يعلمه إلا الله.

قوله تعالى: ﴿فَانتَظِرُوا﴾ فيه قولان أحدهما انتظروا نزول الآية والثاني

قضاء الله بيننا باظهار المحق على المبطل.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَتْهُمْ إِذَا لَّهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿١٦﴾ ).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -:

وإذا أنعمنا على الناس بنعمة بعد ضررٍ وشدةٍ كانوا فيها إذا بهم بعد أن أنعمنا عليهم يكذبون بآياتنا ويستهزئون بها، فقل لهؤلاء المكذبين المستهزئين إنكم تمكرون والله ﷻ يمكر بكم كما قال تعالى: (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ) [الأنفال: ٣٠]، وكما قال: (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾) [الطارق: ١٥-١٦].

(إِنَّ رُسُلَنَا) ملائكتنا الكتبة يكتبون ما يصدر منكم من استهزاء وتكذيب ومكر وخداع.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وإذا رزقنا المشركين بالله فرجاً بعد كرب، ورخاء بعد شدة أصابتهم.

وقيل: عنى به المطر بعد القحط، و«الضراء»: وهي الشدة، و«الرحمة»: هي الفرج. يقول: ﴿إِذَا لَّهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾، استهزاء وتكذيب.

وقال رحمه الله:

وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿قُلِ﴾ لهؤلاء المشركين المستهزئين من حججنا وأدلتنا، يا محمد ﴿اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾، أي: أسرع مَحَالاً بكم، واستدراجاً لكم وعقوبةً، منكم، من المكر في آيات الله.

والعرب تكتفي بـ «إذا» من «فعلت» و«فعلوا»، فلذلك حُذِفَ الفعل معها. وإنما معنى الكلام: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَتْهُمْ﴾، مكروا في آياتنا فاكتمى من ﴿مَكْرٌ﴾، بـ ﴿إِذَا لَّهُمْ مَكْرٌ﴾.

﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمَكُرُونَ﴾ (٨٣)، يقول: إن حفظنا الذين نرسلهم إليكم، أيها الناس، يكتبون عليكم ما تمكرون في آياتنا.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

يخبر تعالى أنه إذا أذاق الناس رحمة من بعد ضراء مستهم، كالرخاء بعد الشدة، والخصب بعد الجذب، والمطر بعد القحط ونحو ذلك ﴿إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾.

قال مجاهد: استهزاء وتكذيب. كما قال: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ﴾ [يونس: ١٢]، وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ صلى بهم الصبح على أثر سماء - مطر - أصابهم من الليل ثم قال: «هل تدرون ماذا قال ربكم الليلة؟» قالوا الله ورسوله أعلم. قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذاك كافر بي مؤمن بالكوكب».

**وقوله:** ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ أي: أشد استدراجا وإمهالا حتى يظن الظان من المجرمين أنه ليس بمعذب، وإنما هو في مهلة، ثم يؤخذ على غرة منه، والكاتبون الكرام يكتبون عليه جميع ما يفعله، ويحصونه عليه، ثم يعرضون على عالم الغيب والشهادة، فيجزيه على الحقيق والجليل والنقيز والقطمير.

**وقال ابن الجوزي (زاد المسير):**

**قال المفسرون:** المراد بالناس هاهنا الكفار وفي المراد بالرحمة والضراء ثلاثة أقوال:

**أحدها:** أن الرحمة العافية والسرور والضراء الفقر والبلاء قاله ابن عباس.  
**والثاني:** الرحمة الإسلام والضراء الكفر وهذا في حق المنافقين قاله

الحسن.

**والثالث:** الرحمة الخصب والضراء الجذب قاله الضحاك.

**وفي المراد بالمكر هاهنا أربعة أقوال:**

**أحدها:** أنه الاستهزاء والتكذيب قاله مجاهد ومقاتل.

**والثاني:** أنه الجحود والرد قاله أبو عبيدة.

**والثالث:** أنه إضافة النعم إلى غير الله فيقولون سقينا بنوء كذا قاله مقاتل بن

حيان.

**والرابع:** أن المكر النفاق لأنه إظهار الإيمان وإبطان الكفر ذكره

الماوردي.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَبََنَّ يَهُمُ الْبَرِّجَ طَافُوا وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رَيْحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَجَبْنَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغْيِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

**ج: هذا - والله أعلم -:** مفاده أن الله ﷻ يُذكر عباده بنعمه عليهم وبقدرته عليهم كذلك، فيقول تعالى مُذَكِّرًا عباده، هو الذي يسيركم في البر والبحر فمسيركم في البر بنعمته فقد حملكم في البر على ظهور الإبل التي خلقها لكم وعلى ظهور غيرها من الدواب كذلك وحملكم على ما ألهمكم صناعته كذلك، وكذا حملكم في البحر على السفن التي ذللها لكم وهداكم إلى صناعتها، وجعل المياه لحملها، حتى إذا ركبتموها في بعض أحيانكم، أعني ركبتكم الفلك، وهي السفن العظيمة وجرت بكم في البحر بريح لينة طيبة سَيرت السفينة بأمر الله

فبينما أنتم على هذه الحال جاءت السفينة ريح عاصفة شديدة الهبوب مخيفة مزعجة ترفع السفينة وتخفضها وجاء موج شديد عاتياً عالياً يضرب السفينة ليقبلها بمن فيها في البحر، جاءهم هذا الموج من كل مكان، وأيقنوا بالهلاك، أيقنوا أن الموت سيأتيهم وأن الغرق مُدركهم دعوا الله وحده لا شريك له، وامتنعوا من دعاء الأوثان والأصنام لعلمهم أنها لن تنفعهم آنذاك، وأن الذي سينجيهم هو الله وحده لا شريك له، فأفردوه بالدعاء وأفردوه بالعبادة قائلين لئن أنجيتنا يا ربنا من هذه الريح، ومن هذه البلية التي نحن فيها لنكونن من الشاكرين لك المثنين عليك الموحدين لك ( فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ) إذا هم يتمادون في الغي الذي كانوا فيه قبل حلول البلية بهم، بل يزدادوا كفراً وضلالاً وغياً وفساداً وإفساداً، فقل لهؤلاء يا رسول الله: يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم، وإثمه واقع عليكم أنتم لستم بضارين الله شيئاً، وذلك كالوارد في الحديث القدسي: «لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً».

وفيه: «يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي

فتنفعوني».

فبغيكم عائد أثره ووباله عليكم، وما تحصلونه من وراءه إنما هو متاع الحياة الدنيا، وهو متاع زائل ثم إلينا مرجعكم يوم القيامة فنخبركم بأعمالكم التي عملتموها في الدنيا، ونجازي المحسن بإحسانه، ونعاقب أهل الشرك والإجرام على شركهم وإجرامهم.

وينحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: الله الذي يسيركم، أيها الناس، في البر على الظهر وفي

البحر في الفلك ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾، وهي السفن ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ يعني: وجرت الفلك بالناس ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾، في البحر ﴿وَفَرِحُوا بِهَا﴾، يعني: وفرح ركبان الفلك بالريح الطيبة التي يسIRON بها.

و«الهاء» في قوله: «بها» عائدة على «الريح الطيبة».

﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾، يقول: جاءت الفلك ريحٌ عاصف، وهي الشديدة. والعرب تقول: «ريح عاصف، وعاصفة»، و«وقد أعصفت الريح، وعَصَفَتْ» و«أعصفت»، في بني أسد، فيما ذكر، قال بعض بني دُبَيْر:

**حَتَّىٰ إِذَا أَعْصَفَتْ رِيحٌ مُّزْعِرَةً فِيهَا قِطَارٌ وَرَعْدٌ صَوْتُهُ زَجَلٌ**

﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وجاء ركبان السفينة الموج من كل مكان ﴿وظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾، يقول: وظنوا أن الهلاك قد أحاط بهم وأحْدَق ﴿دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، يقول: أخلصوا الدعاء لله هنالك، دون أوثانهم وآلهتهم، وكان مفزعهم حينئذٍ إلى الله دونها.

**وأورد آثاراً منها أثر بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله:** ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّتْهُمْ﴾ إلى آخر الآية، قال: هؤلاء المشركون يدعون مع الله ما يدعون، فإذا كان الضر لم يدعوا إلا الله، فإذا نجاهم إذا هم يشركون. ﴿لَئِنْ أَنجَيْنَا﴾ من هذه الشدة التي نحن فيها، ﴿مِّنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٢٢)، لك على نعمك، وتخليصك إيانا مما نحن فيه، بإخلاصنا العبادة لك، وإفراد الطاعة دون الآلهة والأنداد.

**ثم قال الطبري رحمه الله:**

**في تأويل قوله تعالى:** ﴿فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٣). **يقول تعالى ذكره:** فلما أنجى الله هؤلاء الذين ظنُّوا في البحر أنهم أحيط

بهم، من الجهد الذي كانوا فيه، أخلفوا الله ما وعدوه، وبغوا في الأرض، فتجاوزوا فيها إلى غير ما أذن الله لهم فيه، من الكفر به، والعمل بمعاصيه على ظهرها.

**يقول الله:** يا أيها الناس، إنما اعتداؤكم الذي تعتدونه على أنفسكم، وإياها تظلمون. وهذا الذي أنتم فيه، ﴿مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، يقول: ذلك بلاغ تبلغون به في عاجل دنياكم.

وعلى هذا التأويل، «البغي» يكون مرفوعاً بالعائد من ذكره في قوله: ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ ويكون قوله: ﴿مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، مرفوعاً على معنى: ذلك متاع الحياة الدنيا، كما قال: ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلُغٌ﴾، [سورة الأحقاف: ٣٥]، بمعنى: هذا بلاغ.

وقد يحتمل أن يكون معنى ذلك: إنما بغيكم في الحياة الدنيا على أنفسكم، لأنكم بكفركم تكسبونها غضب الله، متاع الحياة الدنيا، كأنه قال: إنما بغيكم متاع الحياة الدنيا، فيكون «البغي» مرفوعاً بـ «المتاع»، و «على أنفسكم» من صلة «البغي».

وبرفع «المتاع» قرأت القراء سوى عبد الله بن أبي إسحاق، فإنه نصبه، بمعنى: إنما بغيكم على أنفسكم متاعاً في الحياة الدنيا، فجعل «البغي» مرفوعاً بقوله: ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾، و «المتاع» منصوباً على الحال.

**وقوله:** ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ يقول: ثم إلينا بعد ذلك معادكم ومصيركم، وذلك بعد الممات يقول: فنخبركم يوم القيامة بما كنتم تعملون في الدنيا من معاصي الله، ونجازيكم على أعمالكم التي سلفت منكم في الدنيا.

**وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

ثم أخبر تعالى أنه: ﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْأَرْضِ وَالْبَحْرِ﴾ أي: يحفظكم ويكلؤكم

بحراسته ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا ﴾ أي: بسرعة سيرهم رافقين، فينما هم كذلك إذ ﴿ جَاءَتْهَا ﴾ أي: تلك السفن ﴿ رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ أي: شديدة ﴿ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ﴾ أي: اغتلم البحر عليهم ﴿ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ﴾ أي: هلكوا ﴿ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ أي: لا يدعون معه صنما ولا وثنا، بل يفرّدونه بالدعاء والابتهال، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٦٧]، وقال هاهنا: ﴿ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَٰذِهِ ﴾ أي: هذه الحال ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ ٢٣ ﴿ أي: لا نشرك بك أحدا، ولنفرّدك بالعبادة هناك كما أفرّدناك بالدعاء هاهنا، قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ ﴾ أي: من تلك الورطة ﴿ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ أي: كأن لم يكن من ذاك شيء ﴿ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضَرْبٍ مِّسَّهُ ﴾.

**ثم قال تعالى:** ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ﴾ أي: إنما يذوق وبال هذا البغي أنتم أنفسكم ولا تضرون به أحدا غيركم، كما جاء في الحديث: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا، مع ما يدخر الله لصاحبه في الآخرة، من البغي وقطيعة الرحم»<sup>(١)</sup>.

**وقوله:** ﴿ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ أي: إنما لكم متاع في الحياة الدنيا الدنيئة الحقيرة ﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ ﴾ أي: مصيركم ومآلكم ﴿ فَنُنَبِّئُكُمْ ﴾ أي: فنخبركم بجميع أعمالكم، ونوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

**وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:**

﴿ جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ الضمير في ﴿ جَاءَتْهَا ﴾ للسفينة. وقيل للريح الطيبة.

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٩٠٢)، والترمذي (٢٥١١)، وابن ماجه (٤٢١١).



والعاصف الشديدة ؛ يقال: عصفت الريح وأعصفت، فهي عاصف ومعصف ومعصفة أي شديدة، قال الشاعر:  
**حتى إذا أعصفت ريح مزعزة فيها قطار ورعد صوته زجل**

**وقال:** ﴿عَاصِفٌ﴾ بالتذكير لأن لفظ الريح مذكر، وهي القاصف أيضا. والطيبة غير عاصف ولا بطيئة. ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ والموج ما ارتفع من الماء ﴿وَوُظِنُوا﴾ أي أيقنوا ﴿أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أي أحاط بهم البلاء ؛ يقال لمن وقع في بلية: قد أحيط به، كأن البلاء قد أحاط به ؛ وأصل هذا أن العدو إذا أحاط بموضع فقد هلك أهله. ﴿دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي دعوه وحده وتركوا ما كانوا يعبدون. وفي هذا دليل على أن الخلق جبلوا على الرجوع إلى الله في الشدائد، وأن المضطر يجاب دعاؤه، وإن كان كافرا ؛ لانقطاع الأسباب ورجوعه إلى الواحد رب الأرباب ؛ على ما يأتي بيانه في «النمل» إن شاء الله تعالى. وقال بعض المفسرين: إنهم قالوا في دعائهم أهيا شراها ؛ أي يا حي يا قيوم. وهي لغة العجم.

**وقال في قوله:** ﴿إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بَغْيَ الْحَقِّ﴾ أي يعملون في الأرض بالفساد وبالمعاصي. والبغي: الفساد والشرك ؛ من بغي الجرح إذا فسد ؛ وأصله الطلب، أي يطلبون الاستعلاء بالفساد. ﴿بَغْيَ الْحَقِّ﴾ أي بالتكذيب ؛ ومنه بغت المرأة طلبت غير زوجها.

**قوله تعالى:** ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ أي وباله عائد عليكم ؛ وتم الكلام، ثم ابتداء فقال: ﴿مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي هو متاع الحياة الدنيا ؛ ولا بقاء له.

**وقال السعدي رحمه الله:**

لما ذكر تعالى القاعدة العامة في أحوال الناس عند إصابة الرحمة لهم بعد

الضراء، واليسر بعد العسر، ذكر حالة، تؤيد ذلك، وهي حالهم في البحر عند اشتداده، والخوف من عواقبه، فقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ بما يسر لكم من الأسباب المسيرة لكم فيها، وهداكم إليها.

﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾ أي: السفن البحرية ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ موافقة لما يهوونه، من غير انزعاج ولا مشقة.

﴿وَفَرَحُوا بِهَا﴾ واطمأنوا إليها، فبينما هم كذلك، إذ ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ شديدة الهبوب ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أي: عرفوا أنه الهلاك، فانقطع حينئذ تعلقهم بالمخلوقين، وعرفوا أنه لا ينجيهم من هذه الشدة إلا الله وحده، فدَعَوْهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ووعدوا من أنفسهم على وجه الإلزام، فقالوا: ﴿لَئِنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي: نسوا تلك الشدة وذلك الدعاء، وما ألزمه أنفسهم، فأشركوا بالله، من اعترفوا بأنه لا ينجيهم من الشدائد، ولا يدفع عنهم المضايق، فهلا أخلصوا الله العبادة في الرخاء، كما أخلصوها في الشدة؟!!!

ولكن هذا البغي يعود وباله عليهم، ولهذا قال: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: غاية ما تؤملون ببغيكم، وشروءكم عن الإخلاص لله، أن تنالوا شيئاً من حطام الدنيا وجاهها النزر اليسير الذي سينقضي سريعاً، ويمضي جميعاً، ثم تنتقلون عنه بالرغم.

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ في يوم القيامة ﴿فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ وفي هذا غاية التحذير لهم عن الاستمرار على عملهم.



س: قوله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم) فيه تحول في الخطاب

وضَّحه؟

**ج:** إيضاحه أن الخطاب انتقل من المخاطب إلى الغائب فقوله: (حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ) مخاطب وقوله: (وَجَرَيْنَ بِهِم) غائب، والسياق يقتضي في اللغة- وجرين بكم، ولكن قيل: (وَجَرَيْنَ بِهِم) للفت الأنظار، وهذا من الأساليب البلاغية المعروفة عند العرب.

**قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:**

**وقوله:** ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ خروج من الخطاب إلى الغيبة، وهو في القرآن وأشعار العرب كثير؛ قال النابغة:  
**يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد**

**قال ابن الأنباري:** وجائز في اللغة أن يرجع من خطاب الغيبة إلى لفظ المواجهة بالخطاب؛ قال الله تعالى: ﴿وَسَقَهُمُ رَبُّهُمْ سُورًا طَهُورًا﴾ (١١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾ [الإنسان: ٢١ - ٢٢] فأبدل الكاف من الهاء.



**س:** وضع معنى قوله تعالى: (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَلٍّ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَطَرَىٰ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَمْرًا لَّيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾).

**ج: المعنى - والله تعالى أعلم -:** إنما مثل الحياة الدنيا الذي تتكالبون عليه وتتنافسون فيه، وتتكاثرون فيه في ذهابه وزواله كماءٍ فرحتم بنزوله إذا نزل ونبات بذرتم بذرتة في الأرض، وانتظرتم الماء فجاءكم الماء فاختلف به ما بذرتموه في الأرض، وهنا قولان للعلماء:

**أحدهما:** أن الماء تسبب في إخراج النبات فاختلف النبات ببعضه، فتكون الباء في قوله: (بِهِ) سببية، أي: اختلف بسبب الماء نبات الأرض فهذا أحمر،

وهذا أخضر، وهذا أبيض، وهذا حلو، وهذا حامض، وهذا تأكله الدواب، وهذا يأكله بنو آدم.

**والثاني:** أن قوله: ﴿يَهُ﴾ أي: اختلط الماء ببذور الأرض أو بنباتها الضعيف حتى إذا بلغ هذا النبات أشدّه وكان أحسن ما يكون واستعدّ أهله لحصاده وظنوا أنهم تمكنوا منه ومن حصاده أصابه الدمار والهلاك من عند الله، لئلا كان ذلك، وهم نائمون كما قال تعالى في شأن أصحاب الجنة (الحديقة والبستان) ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [القلم: ١٩]، وها هنا قال: ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾ أي: محصودة مقتلعة من أصلها ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾ أي: كأن لم تكن شيئاً بالأمس، كأنها لم تكن موجودة بالأمس وهكذا الحياة في زوالها وانقضائها وذهاب ما عليها من متاع، وفناء ما عليها من خلق تذهب وتزول ولا تبقى لأحد كائناً ما كان، ولا يبقى منها ولا يخرج منها إلا بصلاح العمل الذي ينتفع به أهله في الآخرة.

#### قال الطبري رحمه الله:

**يقول تعالى ذكره:** إنما مثل ما تباهون في الدنيا وتفخرون به من زيتها وأموالها، مع ما قد وُكِّلَ بذلك من التكدير والتغيص وزواله بالفناء والموت، كمثّل ماء أنزلناه من السماء، يقول: كمطر أرسلناه من السماء إلى الأرض، ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾، يقول: فنبت بذلك المطر أنواع من النبات، مختلط بعضها ببعض.

**وقوله:** ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ يعني: ظهر حسننها وبهاؤها ﴿وَأَزْيَنْتَ﴾ يقول: وتزينت ﴿وَوَدَّعَ أَهْلُهَا﴾، يعني: أهل الأرض ﴿أَنَّهُمْ قَدِירוْنَ عَلَيْهَا﴾، يعني: على ما أنبتت. وخرج الخبر عن ﴿لَاَرْضُ﴾ والمعنى للنبات، إذا كان مفهوماً بالخطاب ما عني به.

وقوله: ﴿أَتَمَرْنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾، يقول: جاء الأرض «أمرنا»، يعني: قضاؤنا بهلاك ما عليها من النبات - إما ليلاً وإما نهاراً ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾، يقول: فجعلنا ما عليها ﴿حَصِيدًا﴾ يعني: مقطوعة مقلوعة من أصولها.

وإنما هي «محسودة» صرفت إلى «حصيد».

﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ﴾، يقول: كأن لم تكن تلك الزروع والنبات على ظهر الأرض نابتة قائمة على الأرض قبل ذلك بالأمس.

وأصله: من «غني فلان بمكان كذا، يغني به»، إذا أقام به، كما قال النابغة

الذبياني:

**غَنَيْتَ بِذَلِكَ إِذْ هُمْ لَكَ جِيرَةٌ مِنْهَا بِعُطْفِ رِسَالَةٍ وَتَوَدُّدِ**

يقول: فكَذَلِكَ يَأْتِي الْفَنَاءُ عَلَى مَا تَتَبَاهُونَ بِهِ مِنْ دُنْيَاكُمْ وَزَخَارِفِهَا، فَيُفْنِيهَا وَيَهْلِكُهَا كَمَا أَهْلَكَ أَمْرُنَا وَقَضَاؤُنَا نَبَاتَ هَذِهِ الْأَرْضِ بَعْدَ حَسْنِهَا وَبَهْجَتِهَا، حَتَّى صَارَتْ كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ، كَأَن لَّمْ تَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ نَبَاتًا عَلَى ظَهْرِهَا.

**يقول الله جل ثناؤها:** ﴿كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾ (٢٤)، يقول: كما بينا لكم أيها الناس، مثل الدنيا وعرفناكم حكمها وأمرها، كذلك نبين حججنا وأدلتنا لمن تفكر واعتبر ونظر.

وخصَّ به أهل الفكر، لأنهم أهل التمييز بين الأمور، والفحص عن حقائق ما يعرض من الشُّبه في الصدور.

**وقال القرطبي رحمه الله:**

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ معنى الآية التشبيه والتمثيل، أي صفة الحياة الدنيا في فنائها وزوالها وقلة خطرهما والملاذ بها كماء؛ أي مثل ماء، فالكاف في موضع رفع. وسيأتي لهذا التشبيه مزيد بيان في «الكهف» إن شاء الله تعالى. ﴿أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ نعت لـ ﴿مَاءٍ﴾. ﴿فَاخْتَلَطَ﴾

روي عن نافع أنه وقف على ﴿فَلَخَّنَاكَ﴾ أي فاختلط الماء بالأرض، ﴿بِهِنَّ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ أي بالماء نبات الأرض؛ فأخرجت ألوانا من النبات، فنبات على هذا ابتداء، وعلى مذهب من لم يقف على ﴿فَاخْتَلَطَ﴾ مرفوع باختلط؛ أي اختلط النبات بالمطر، أي شرب منه فتندى وحسن وأخضر. والاختلاط تداخل الشيء ببعضه في بعض.

قوله تعالى: ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾ من الحبوب والثمار والبقول. ﴿وَالْأَنْعَامُ﴾ من الكلال والتبن والشعير. ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ أي حسنها وزينتها. والزخرف كمال حسن الشيء؛ ومنه قيل للذهب: زخرف. ﴿وَأَزَيَّنْتَ﴾ أي بالحبوب والثمار والأزهار؛ والأصل تزينت أدغمت التاء في الزاي وجيء بألف الوصل؛ لأن الحرف المدغم مقام حرفين الأول منهما ساكن والساكن لا يمكن الابتداء به. وقرأ ابن مسعود وأبي بن كعب ﴿وتزينت﴾ على الأصل. وقرأ الحسن والأعرج وأبو العالية ﴿وَأَزَيَّنْتَ﴾ أي أتت بالزينة عليها، أي الغلة والزرع، وجاء بالفعل على أصله ولو أعله لقال وازانت. وقال عوف بن أبي جميلة الأعرابي: قرأ أشياخنا ﴿وازيانت﴾ وزنه اسودت. وفي رواية المقدمي ﴿وازيانت﴾ والأصل فيه تزيينت، وزنه تقاعست ثم أدغم. وقرأ الشعبي وقتادة ﴿وازيانت﴾ مثل أفعلت. وقرأ عثمان النهدي ﴿وازيينت﴾ مثل أفعلت، وعنه أيضا ﴿وازيانت﴾ مثل أفعلت، وروى عنه ﴿اзиانت﴾ بالهمزة؛ ثلاث قراءات.

قوله تعالى: ﴿وَوَظَرَ أَهْلَهَا﴾ أي أيقن. ﴿أَنَّهُمْ قَدِ دُرُوتَ عَلَيْهَا﴾ أي على حصادها والانتفاع بها؛ أخبر عن الأرض والمعنى النبات إذ كان مفهوما وهو منها. وقيل: رد إلى الغلة، وقيل: إلى الزينة. ﴿أَتَتْهَا أَمْرُنَا﴾ أي عذابنا، أو أمرنا بهلاكها. ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ ظرفان. ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾ مفعولان، أي محصودة

مقطوعة لا شيء فيها. وقال: ﴿حَصِيدًا﴾ ولم يؤنث لأنه فعيل بمعنى مفعول. قال أبو عبيد: الحصيد المستأصل. ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ الْأَمْسِ﴾ أي لم تكن عامرة؛ من غني إذا أقام فيه وعمره. والمغاني في اللغة: المنازل التي يعمرها الناس. وقال قتادة: كأن لم تنعم. قال لييد:

**وغنيت سبتا قبل مجرى داحس لو كان للنفس اللجوج خلود**

وقراءة العامة ﴿تَغْنَبِ﴾ بالتاء لتأنيث الأرض. وقرأ قتادة ﴿يَغْنَبِ﴾ بالياء، يذهب به إلى الزخرف؛ يعني فكما يهلك هذا الزرع هكذا كذلك الدنيا. ﴿نُفِصِلُ الْآيَاتِ﴾ أي نبينها. ﴿لِقَوْمٍ يَنْفَكُونَ﴾ في آيات الله.

**وقال ابن الجوزي (زاد المسير):**

تأويل الآية أن الحياة في الدنيا سبب لاجتماع المال وما يروق من زهرة الدنيا ويعجب حتى إذا استتم ذلك عند صاحبه وظن أنه ممتع بذلك سلب عنه بموته أو بحادثة تهلكه كما أن الماء سبب لالتفاف النبات وكثرته فإذا تزينت به الأرض وظن الناس أنهم مستمتعون بذلك أهلكه الله فعاد ما كان فيها كأن لم يكن.

**وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

ضرب تعالى مثلاً لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها، بالنبات الذي أخرج الله من الأرض بما أنزل من السماء من الماء، مما يأكل الناس من زرع وثمار، على اختلاف أنواعها وأصنافها، وما تأكل الأنعام من أب وقضب وغير ذلك، ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ أي: زينتها الفانية، ﴿وَأَزْيَنْتَ﴾ أي: حسنت بما خرج من ربها من زهور نضرة مختلفة الأشكال والألوان، ﴿وَوَضَعْنَا أَهْلَهَا﴾ الذين زرعوها وغرسوها ﴿أَنَّهُمْ قَدِ رُؤِبَتْ عَلَيْهَا﴾ أي: على جذاذها وحصادها فينبأهم كذلك إذ جاءتها صاعقة، أو ريح بادرة،

فأبيست أوراقها، وأتلفت ثمارها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ أَتَلَّهَا أُمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا ﴾ أي: يبسا بعد الخضرة والنضارة، ﴿ كَانَ لَمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ ﴾ أي: كأنها ما كانت حسناء قبل ذلك.

**وقال قتادة:** ﴿ كَانَ لَمْ تَعْنِ ﴾ كأن لم تنعم.

وهكذا الأمور بعد زوالها كأنها لم تكن؛ ولهذا جاء في الحديث <sup>(١)</sup>: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا، فيغمس في النار غمسة ثم يقال له: هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا. ويؤتى بأشد الناس عذاباً في الدنيا فيغمس في النعيم غمسة، ثم يقال له: هل رأيت بؤساً قط؟ فيقول: لا».

وقال تعالى إخباراً عن المهلكين: ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَنِيْمًا ﴾ <sup>(٩٤)</sup> كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴿ [هود: ٩٤، ٩٥].

**ثم قال تعالى:** ﴿ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ ﴾ أي: نبين الحجج والأدلة، ﴿ لِقَوْمٍ يَنْفَكُونَ ﴾ <sup>(٩٤)</sup> فيعتبرون بهذا المثل في زوال الدنيا من أهلها سريعاً مع اغترارهم بها، وتمكنهم بمواعيدها وتفلتها منهم، فإن من طبعها الهرب ممن طلبها، والطلب لمن هرب منها، وقد ضرب الله مثل الحياة الدنيا بنبات الأرض، في غير ما آية من كتابه العزيز، فقال في سورة الكهف: ﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنِدًا ﴾ <sup>(٤٥)</sup> ﴿ [الكهف: ٤٥]، وكذا في سورة الزمر والحديد يضرب بذلك مثل الحياة الدنيا كماء.

(١) مسلم (٢٨٠٧) من حديث أنس بن مالك قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ثُمَّ يُقَالُ يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ فَيَقُولُ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ. وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ فَيَقُولُ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ».



قال السعدي رحمه الله:

وهذا المثل من أحسن الأمثلة، وهو مطابق لحالة الدنيا، فإن لذاتها وشهواتها وجاهها ونحو ذلك يزهو لصاحبه إن زها وقتاً قصيراً، فإذا استكمل وتم اضمحل، وزال عن صاحبه، أو زال صاحبه عنه، فأصبح صفر اليدين منها، ممتلئ القلب من همها وحزنها وحسرتها.

فذلك ﴿كَلَّمَ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ أي: نبت فيها من كل صنف، وزوج بهيج ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾ كالحبوب والثمار ﴿وَمِمَّا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ كأنواع العشب، والكلاء المختلف الأصناف.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾ أي: تزخرفت في منظرها، واكتست في زينتها، فصارت بهجة للناظرين، ونزهة للمتفرجين، وآية للمتبصرين، فصرت ترى لها منظرًا عجيبًا ما بين أخضر، وأصفر، وأبيض وغيره.

﴿وَوَضَعْنَا أَهْلَهَا أَنَّهُمْ قَدْ دُرُوتْ عَلَيْهَا﴾ أي: حصل معهم طمع، بأن ذلك سيستمر ويدوم، لوقوف إرادتهم عنده، وانتهاء مطالبهم فيه.

فبينما هم في تلك الحالة ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ﴾ أي: كأنها ما كانت فهذه حالة الدنيا، سواء بسواء.

كذلك نُفَصِّلُ الْآيَاتِ ﴿أي: نبينها ونوضحها، بتقريب المعاني إلى الأذهان، وضرب الأمثال﴾ ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢٤) أي: يعملون أفكارهم فيما ينفعهم.

وأما الغافل المعرض، فهذا لا تنفعه الآيات، ولا يزيل عنه الشك البيان.



## قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ٢٥ ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ٢٦ ﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ٢٧ ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ فَرَيْلَنَّا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ ﴾ ٢٨ ﴿ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴾ ٢٩ ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ ٣٠ ﴿

[يونس: ٢٥-٣٠].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿دَارِ السَّلَامِ - وَيَهْدِي - صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ - أَحْسَنُوا - الْحُسْنَى - وَلَا يَزَهُقُ وَجُوهَهُمْ - وَزِيَادَةُ - فَتَرُ - ذَلَّةٌ - كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ - وَزَهَقَتْهُمْ ذَلَّةٌ - عَاصِمٍ - أَغْشِيَتْ - وَجُوهَهُمْ - قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا - تَحْشُرُهُمْ - مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ - فَنَلَنَّا بَيْنَهُمْ لَعَنَاتٍ - تَبْلُوا - مَا أَسْلَفَتْ - مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ - وَضَلَّ عَنْهُمْ - يَفْتَرُونَ ﴾.

ج:

| الكلمة                          | معناها                                                              |
|---------------------------------|---------------------------------------------------------------------|
| (دَارِ السَّلَامِ) ﴿﴾           | دار الأمان والسلامة من الآفات والمنغصات والعيوب والعذاب، وهي الجنة. |
| (وَيَهْدِي) ﴿﴾                  | يوفق لسلوك طريق الحق الذي هو الإسلام.                               |
| (صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) ﴿﴾        | طريق الحق الذي لا اعوجاج فيه.                                       |
| (أَحْسَنُوا) ﴿﴾                 | أسلموا وآمنوا وعملوا الصالحات - الجنة.                              |
| (الْحُسْنَى) ﴿﴾                 | وزيادة على الجنة وهي النظر إلى وجه الله الكريم.                     |
| (وَلَا يَزَهُقُ وَجُوهَهُمْ) ﴿﴾ | لا يعلو وجوههم - لا يغشى وجوههم - لا يُغْطَى وجوههم - لا يلحق.      |
| (وَزِيَادَةُ) ﴿﴾                | غبارٌ وسواد.                                                        |
| (فَتَرُ) ﴿﴾                     | مذلةٌ وهوان وكآبة.                                                  |
| (ذَلَّةٌ) ﴿﴾                    | غائراً لا تناله الأيدي ولا الدلاء.                                  |
| (كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ) ﴿﴾     | عملوا السيئات - أشركوا وارتكبوا الكبائر.                            |

|                                        |                                                                                                   |
|----------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------|
| (وَرَهَقَهُمْ ذَلَّةٌ)                 | تُغْطِي وجوههم الذلة، وهي الذل والعار والهوان.                                                    |
| (عَاصِمٍ)                              | مانع.                                                                                             |
| (أَغْشَيْتَ وَجُوهَهُمْ)               | أَلْبَسْتَ.                                                                                       |
| (قَطَعَا مِنْ أَيْلٍ مُظْلِمًا)        | جمع قطعة من الليل المُظْلِم.                                                                      |
| (نَحْشُرُهُمْ)                         | نَجْمَعُهُمْ ﴿أولهم وآخرهم إنهم وجنهم، والأتباع مع المتبوعين والعباد مع المعبوين من دون الله...﴾. |
| (مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ) | الزموا مكانكم وليلزم شركاؤكم مكانهم، أي: ولتزم الآلهة التي عبدتموها مع الله مكانها.               |
| (فَرَلَيْنَا بَيْنَهُمْ)               | ففرقنا بينهم.                                                                                     |
| (لَغَفْلِينَ)                          | لا ندري عن عبادتكم لنا.                                                                           |
| (تَبْلُوا)                             | تختبر - تعلم - تتفقد.                                                                             |
| (مَا أَسْلَفَتْ)                       | ما عملت في دنياها من خيرٍ أو شرٍّ أو غير ذلك.                                                     |
| (مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ)                 | المعبود الحق الذي لا معبود بحق سواه.                                                              |
| (وَضَلَّ عَنْهُمْ)                     | غاب عنهم وانصرف.                                                                                  |
| (يَفْتَرُونَ)                          | يكذبون - يدعونها آلهة مع الله.                                                                    |



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (٢٥).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم:

أن الله ﷻ، وبعد أن حذر من الدنيا والاغترار بها، وأن ما فيها من النعيم لا يدوم، بل يتحول ويزول، قال تعالى: (وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ)، أي: دار الأمان التي لا زوال لها ولا تحول عنها ولا آفة فيها، وهي الجنة. أما قوله تعالى: (وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (٢٥) أي: ويوفق من يشاء إلى الإسلام، وإلى طاعته ومرضاته.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لعباده: أيها الناس، لا تطلبوا الدنيا وزينتها، فإن مصيرها إلى فناء وزوال، كما مصير النبات الذي ضربه الله لها مثلاً إلى هلاك وبوار، ولكن اطلبوا الآخرة الباقية، ولها فاعملوا، وما عند الله فالتمسوا بطاعته، فإن الله يدعوكم إلى داره، وهي جناته التي أعدّها لأوليائه، تسلموا من الهموم والأحزان فيها، وتأمّنوا من فناء ما فيها من النعيم والكرامة التي أعدّها لمن دخلها، وهو يهدي من يشاء من خلقه فيوفقه لإصابة الطريق المستقيم، وهو الإسلام الذي جعله جل ثناؤه سبباً للوصول إلى رضاه، وطريقاً لمن ركه وسلك فيه إلى جنانه وكرامته.

وقال السعدي رحمه الله:

عم تعالى عباده بالدعوة إلى دار السلام، والحث على ذلك، والترغيب، وخص بالهداية من شاء استخلاصه واصطفاه، فهذا فضله وإحسانه، والله يختص برحمته من يشاء، وذلك عدله وحكمته، وليس لأحد عليه حجة بعد

البيان والرسول، وسمى الله الجنة «دار السلام» لسلامتها من جميع الآفات والنقائص، وذلك لكمال نعيمها وتمامه وبقائه، وحسنه من كل وجه.

### وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ لما ذكر وصف هذه الدار وهي دار الدنيا وصف الآخرة فقال: إن الله لا يدعوكم إلى جمع الدنيا بل يدعوكم إلى الطاعة لتصيروا إلى دار السلام، أي إلى الجنة. قال قتادة والحسن: السلام هو الله، وداره الجنة؛ وسميت الجنة دار السلام لأن من دخلها سلم من الآفات. ومن أسمائه سبحانه «السلام»، وقد بيناه في (الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى). ويأتي في سورة «الحشر» إن شاء الله. وقيل: المعنى والله يدعو إلى دار السلامة. والسلام والسلامة بمعنى كالرضاع والرضاعة.



س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾؟

ج: المراد -والله أعلم-: الذين أسلموا وحسن إسلامهم.

وأيضاً الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

وقيل: الذين شهدوا ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.



## دليل على رؤية المؤمنين ربهم ﷻ يوم القيامة

س: ما المراد بالحسنى؟ وما المراد بالزيادة؟

**ج:** الحسنى هي الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله - تبارك وتعالى - يوم القيامة، هذا هو رأي جمهور العلماء من المفسرين وغيرهم، والله تعالى أعلم. وقد ورد بذلك حديث عن رسول الله ﷺ، وإن كان في سنده اختلاف، وهو حديث أخرجه مسلم من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلي عن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ. فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ». حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ وَزَادَ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) <sup>(١)</sup>.

وقد ورد للحديث طريق آخر ضعيف من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه مرفوعاً، وفي سنده ضعف، وكذا عن أبي موسى مرفوعاً وعن كعب بن عجرة مرفوعاً.

إلا أن أكثر العلماء - كما أسلفت قالوا: إن الزيادة هي النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى.

وقد أورد الطبري آثاراً بذلك منها أثر أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن سعيد بن عمران عن أبي بكر (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) قال: النظر إلى وجه الله.

وهذا ضعيف فسعيد بن عمران مجهول.

(١) مسلم (حديث ١٨١) وقد انتقد على مسلم فقد روي من قول عبد الرحمن بن أبي ليلي موقوفاً عليه (أي: مقطوعاً فعبد الرحمن تابعي). انظر التبع للدارقطني.

وورد هذا الأثر من طريق أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن أبي بكر ودون ذكر سعيد بن عمران، وهذا أراه منقطعاً فإن عامراً لم يدرك أبا بكر وورد من طريق أبي إسحاق عن عامر بن سعد قوله.

ومن طريق أبي إسحاق عن مسلم بن نذير<sup>(١)</sup> عن حذيفة (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) قال: النظر إلى وجه ربهم.

وصح هذا عن عبد الرحمن بن أبي ليلى كذلك وعن الحسن البصري وعن عددٍ كبير من أهل العلم.

**هذا، وقد ذهب بعض العلماء إلى أقوالٍ آخر منها:**

\* **أن الزيادة:** هي التضعيف يعني تضعيف الحسنات فقال: الحسنى، واحدة من الحسنات بواحدة، والزيادة التضعيف إلى تمام العشر أو إلى سبعمائة ضعف.

\* **وقال آخرون: الزيادة:** مغفرة من الله ورضوان.

\* **وقال آخرون: الزيادة:** هي فضل الله الذي تفضل به عليهم في الدنيا.

**قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:**

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تبارك وتعالى وَعَدَ المحسنين من عباده على إحسانهم الحسنى، أن يجزيهم على طاعتهم إِيَّاه الجنة، وأن تبيض وجوههم، ووعدهم مع الحسنى الزيادة عليها. ومن الزيادة على إدخالهم الجنة أن يكرمهم بالنظر إليه، وأن يعطيهم عُرفاً من لآلىء، وأن يزيدهم غفراناً ورضواناً، كل ذلك من زيادات عطاء الله إِيَّاهم على الحسنى التي جعلها الله لأهل جناته. وعمّ ربنا جل ثناؤه بقوله: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾، الزيادات على «الحسنى»، فلم يخصص منها شيئاً دون شيء، وغير مستنكر من فضل

(١) مسلم لم يوثقه كبير مقبر.



الله أن يجمع ذلك لهم، بل ذلك كله مجموع لهم إن شاء الله. فأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يُعَمَّ، كما عمَّ عز ذكره.

**قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

يخبر تعالى أن لمن أحسن العمل في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح أبدله الحسنى في الدار الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠].

وقوله: ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ هي تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وزيادة على ذلك أيضا ويشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القُصُور والحُور والرضا عنهم، وما أخفاه لهم من قرة أعين، وأفضل من ذلك وأعلاه النظر إلى وجهه الكريم، فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه، لا يستحقونها بعملهم، بل بفضل ورحمته.

**والحافظ ابن كثير من قالوا ذلك من الصحابة والتابعين وذكر بعض الأحاديث بذلك، وفي سندها مقال كما أشرت:**

**وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:**

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ أي: للذين أحسنوا في عبادة الخالق، بأن عبدوه على وجه المراقبة والنصيحة في عبوديته، وقاموا بما قدروا عليه منها، وأحسنوا إلى عباد الله بما يقدر عليهم من الإحسان القولي والفعل، من بذل الإحسان المالي، والإحسان البدني، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهلين، ونصيحة المعرضين، وغير ذلك من وجوه البر والإحسان. فهؤلاء الذين أحسنوا، لهم «الحسنى» وهي الجنة الكاملة في حسناتها و«زيادة» وهي النظر إلى وجه الله الكريم، وسماع كلامه، والفوز برضاه والبهجة بقربه، فهذا حصل لهم أعلى ما يتمناه المتمنون، ويسأله السائلون.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَهُقُ وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: ولا يلحق ولا يعلو ولا يغشى وجوههم (قَتَرٌ) غبارٌ وسواد ودخان وخزيٌّ (وَلَا ذِلَّةٌ) ولا مذلة ولا هوان ولا كآبةٌ. فهؤلاء الذين أحسنوا أصحاب الجنة يخلّدون فيها ولا يتحولون عنها.

قال الطبري رحمه الله:

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَلَا يَزَهُقُ وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾، لا يغشى وجوههم كآبة، ولا كسوف، حتى تصير من الحزن كأنما علاها قَتَرٌ. و«القتر» الغبار، وهو جمع «قتر» ومنه قول الشاعر:  
مُتَوَجِّجٌ بِرِدَاءِ الْمُلْكِ يَتَّبَعُهُ مَوْجٌ تَرَى فَوْقَهُ الرَّايَاتِ وَالْقَتَرَ

يعني بـ«القتر» الغبار.

﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾، ولا هوان ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾، يقول: هؤلاء الذين وصفت صفتهم، هم أهل الجنة وسكانها، ومن هو فيها ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، يقول: هم فيها ماكثون أبداً، لا تبديد، فيخافوا زوال نعيمهم، ولا هم بمخرجين فتنغصص عليهم لذتهم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَهُقُ وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ أي: قتام وسواد في عَرَصات المحشر، كما يعتري وجوه الكفرة الفجرة من القُترة والغُبرة، ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ أي: هوان وصغار، أي: لا يحصل لهم إهانة في الباطن، ولا في الظاهر، بل هم كما قال تعالى في حقهم: ﴿فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شُرَٰذِلَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١] أي: نضرة في وجوههم، وسروراً في قلوبهم، جعلنا الله منهم بفضلهم ورحمته، آمين.

## وقال السعدي رحمه الله:

ثم ذكر اندفاع المحذور عنهم فقال: ﴿وَلَا يَرَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذَلَّةٌ﴾ أي: لا ينالهم مكروه، بوجه من الوجوه، لأن المكروه، إذا وقع بالإنسان، تبين ذلك في وجهه، وتغير وتكدر.

وأما هؤلاء - فهم كما قال الله عنهم -: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ ﴿٢٤﴾ [المطففين: ٢٤] ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ الملازمون لها ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ لا يحولون ولا يزولون، ولا يتغيرون.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن عَاصِرٍ كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢٧﴾.

## ج: المعنى - والله تعالى أعلم -:

والذين عملوا السيئات وهي الشرك والكبائر والمعاصي يجازون على السيئات سيئات مثلها كما قال تعالى: (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ﴿١٦٠﴾ [الأنعام: ١٦٠] (وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) أي: وتغشى وجوههم ويغطيها ذل وهوان (مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن عَاصِرٍ) من مانع يمنعهم من عذاب الله ولا من الذل والهوان والخزي والعار كأنما ألبست وجوههم قطعاً من الليل الأسود المظلم، فأصبحت وجوههم سوداء كما قال تعالى: (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) ﴿١٦﴾ [آل عمران: ١٠٦].

أما قوله: (أُولَئِكَ) أي: الذين كسبوا السيئات وماتوا على شركهم وكفرهم وضلالهم (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) ﴿٢٦﴾ لا يخرجون منها ولا يخفف عنهم من عذابها.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

**يقول تعالى ذكره:** والذين عملوا السيئات في الدنيا، فعصوا الله فيها، وكفروا به وبرسوله ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ﴾، من عمله السيئ الذي عمله في الدنيا ﴿بِمِثْلِهَا﴾، من عقاب الله في الآخرة ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾، يقول: وتغشاهم ذلة وهوان، بعقاب الله إياهم ﴿مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ﴾، يقول: ما لهم من الله من مانع يمنعهم، إذا عاقبهم، يحول بينه وبينهم.

**وقال بعد أن أورد وجوهاً في رفع (جَزَاءُ):**

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يكون «الجزاء» مرفوعاً بإضمارٍ، بمعنى: فلهم جزاء سيئة بمثلها، لأن الله قال في الآية التي قبلها: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، فوصف ما أعدَّ لأولياءه، ثم عقب ذلك بالخبر عما أعدَّ الله لأعدائه، فأشبه بالكلام أن يقال: وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة، وإذا وُجِّه ذلك إلى هذا المعنى، كانت الباء صلة للجزاء.

**وقال في تأويل قوله تعالى:** ﴿كَأَنَّمَا أَغْشَيْتَ وَجُوهَهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

**يقول تعالى ذكره:** كأنما ألبست وجوه هؤلاء الذين كسبوا السيئات ﴿قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾، وهي جمع «قطعة».

**وقوله:** ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾، يقول: هؤلاء الذين وصفت لك صفتهم أهل النار الذين هم أهلها ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، يقول: هم فيها ماكثون.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

لما أخبر تعالى عن حال السعداء الذين يُضَاعَفُ لهم الحسنات، ويزدادون على ذلك، عطف بذكر حال الأشقياء، فذكر عدله تعالى فيهم، وأنه

يجازيهم على السيئة بمثلها، لا يزيدهم على ذلك، ﴿وَرَهَقَهُمْ﴾ أي: تعثر بهم وتعلوهم ذلة من معاصيهم وخوفهم منها، كما قال تعالى: ﴿وَرَنَّهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الدُّلَىٰ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [٤٢] ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [٤٣] وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ ﴿[إبراهيم: ٤٢-٤٤]، وقوله ﴿مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ﴾ أي: من مانع ولا واق يقيهم العذاب، كما قال تعالى: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَنِّ الْمَرْءَ ۖ كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ [١١] إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ [١٢] ﴿[القيامة: ١٠-١٢].

وقوله: ﴿كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ إخبار عن سواد وجوههم في الدار الآخرة، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وَجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [١٠٦] وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وَجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [١٠٧] ﴿[آل عمران: ١٠٦، ١٠٧]، وكما قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ [٣٨] ضَاكِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [٣٩] وَوَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ [٤٠] تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [٤١] أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [٤٢] ﴿[عبس: ٣٨-٤٢]. الآية.

### وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ أي عملوا المعاصي. وقيل: الشرك. ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ ﴿جَزَاءُ﴾ مرفوع بالابتداء، وخبره ﴿بِمِثْلِهَا﴾. قال ابن كيسان: الباء زائدة؛ والمعنى جزاء سيئة مثلها. وقيل: الباء مع ما بعدها الخبر، وهي متعلقة بمحذوف قامت مقامه، والمعنى: جزاء سيئة كائن بمثلها؛ كقولك: إنما أنا بك؛ أي وإنما أنا كائن بك. ويجوز أن تتعلق بجزاء، التقدير: جزاء السيئة بمثلها كائن؛ فحذف خبر المبتدأ. ويجوز أن يكون ﴿جَزَاءُ﴾ مرفوعا على تقدير فلهم جزاء سيئة؛ فيكون مثل قوله: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرٍ﴾

[البقرة: ١٨٤] أي فعلية عدة، وشبهه ؛ والباء على هذا التقدير تتعلق بمحذوف، كأنه قال لهم جزاء سيئة ثابت بمثلها، أو تكون مؤكدة أو زائدة.

ومعنى هذه المثلية أن ذلك الجزاء مما يعد مماثلاً لذنوبهم، أي هم غير مظلومين، وفعل الرب جلّت قدرته وتعالى شأنه غير معلل بعلة. ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ أي يغشاهم هوان وخزي. ﴿مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي من عذاب الله. ﴿مِنْ عَاصِرٍ﴾ أي مانع يمنعهم منه.

﴿كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ﴾ أي ألبست. ﴿وُجُوهُهُمْ قَطْعًا﴾ جمع قطعة، وعلى هذا يكون ﴿مُظْلِمًا﴾ حال ﴿مِنَ اللَّيْلِ﴾ أي أغشيت وجوههم قطعاً من الليل في حال ظلمته.

وقال السعدي رحمه الله:

لما ذكر أصحاب الجنة ذكر أصحاب النار، فذكر أن بضاعتهم التي اكتسبوها في الدنيا هي الأعمال السيئة المسخطة لله، من أنواع الكفر والتكذيب، وأصناف المعاصي، فجزاؤهم سيئة مثلها أي: جزاء يسوؤهم بحسب ما عملوا من السيئات على اختلاف أحوالهم.

﴿وَتَرْهَقُهُمْ﴾ أي: تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ﴾ في قلوبهم وخوف من عذاب الله، لا يدفعه عنهم دافع ولا يعصمهم منه عاصم، وتسري تلك الذلة الباطنة إلى ظاهرهم، فتكون سواداً في الوجوه.

﴿كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قَطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٧)

فكم بين الفريقين من الفرق، ويا بعد ما بينهما من التفاوت؟!

﴿وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوَجُوهُ يَوْمَئِذٍ بِآسِرَةٍ ﴿٢٤﴾ تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾

[القيامة: ٢٢-٢٥] ﴿وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ (٢٨) صَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوَجُوهُ يَوْمَئِذٍ غَرَّةٌ ﴿٤٠﴾

تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ [عبس: ٣٨-٤٢].



س: في قوله تعالى: (هُنَالِكَ تَبْلُوْا) قراءتان وضحهما؟ مع بيان معنى كل من القراءتين في قوله تعالى: (تَبْلُوْا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ)؟

ج: القراءة الأولى: (تَبْلُوْا) بالتاء المثناة فوقانية ثم ﴿بالباء﴾ الموحدة التحتانية والقراءة الثانية (تتلوا) بالتاء ثم التاء أي: بتأين. وقد صوّب الطبري رحمه الله تعالى القراءتين.

قلت (مصطفى): أما عن معنى قوله تعالى: (تَبْلُوْا) بالباء: فمعناها تَحْتَبِر أي: تتفقد أعمالها التي عملتها من خيرٍ أو شرٍّ وتتنظر فيها وتعلمها وقيل: تُسَلِّم ما عليها من الحقوق لأصحابها بغير اختيارها. أما عن معنى: ﴿تتلوا﴾ فمعناها، والله أعلم تتبع كل نفس عملها وترتهن به إن كان خيراً فخيرٌ، وإن كان شراً فشرٌ.

وقيل: معناها تقرأ أعمالها كما قال تعالى: ( وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُرْضِهِ ۖ وَنُخْرِجْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنْشُورًا ﴿١٣﴾ ) أَقْرَأَ كُنْبَكَ (الإسراء: ١٣-١٤) والله تعالى أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ( وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا يَبْلُغُنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَفْلَةٍ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوْا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ ).

ج: المعنى - والله أعلم -: واذكر يوم نحشرهم جميعاً، نجمع الخلائق جميعاً أولهم وآخرهم إنسهم وجنهم عابدهم ومعبودهم الذي عبدوه من دون الله، وذلك الجمع يكون يوم القيامة ثم نقول إذا جمعناهم، نقول للذين أشركوا: الزموا مكانكم يا أهل الشرك وليلزم شركاءكم الذين عبدتموهم من

دون الله مكانهم أيضًا، قفوا أنتم وما هم فإنكم ستسألون، ففرقنا بينهم فحينئذ يقول أهل الشرك، إذا سئلوا ماذا كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد هذه الأصنام، هذه الجمادات<sup>(١)</sup> أموالهم كذلك، فمنهم من كان يُعبد عزيزًا، ومنهم من ظلم يعبد المسيح، ومنهم من كان يعبد الملائكة، وقد ذكرت أموال كل هؤلاء في مواطن آخر فتجيب الجمادات، تجيب هذه الأصنام إذ الله ﷻ يُنطقها فتجيب قائلة ما كنتم إيانا تعبدون، أي أنكم ما عبدتمونا ولا شعرنا بعبادتكم لنا فيصّر أهل الشرك على موقفهم فيقولون: بل كنا نعبدكم فتجيب الأصنام والأوثان (ينطقها الله تبكيًا لعبادها) ما كان لنا من سمع نسمع به ولا بصر نبصر به وعقل نعقل به وما شعرنا بعبادتكم لنا وربنا خير شاهد وكفى به شهيدًا بيننا وبينكم أننا ما شعرنا بعبادتكم لنا وما أقررناكم على ذلك، بل ربنا شهيد على أننا كنا غافلين عن عبادتكم لنا وما أحسننا بكم ولا شعرنا بكم.

فحينئذ تختبر كل نفس عملها وتنظر في عملها الذي عملته في الدنيا وتتفقدته فتعلمه وتجازي به وتتبعه وتسلم لعملها كما قال تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا) [الأنعام: ٧٠] أي: أسلموا لكسبهم الذي اكتسبوه فجوزوا به واتبعوه.

**أما قوله تعالى:** ﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمُ الْحَقَّ﴾ أي: ورجعوا يوم القيامة إلى الله متولي أمورهم يحكم فيهم بما يشاء ويقضي بينهم ما يريد فهو المولى الحق، والمعبود الذي ما سواه باطل، وهو المولى الذي يحكم بالعدل والقسط ولا يظلم أحداً، وهو الذي يتولى أهل الصلاح وأهل عبادته فيتغمدهم برحمته، وهو الذي يتولى أمر العباد حقاً.

(١) وهؤلاء طائفة من أهل الشرك الذين كانوا يعبدون الأصنام والأوثان، وإلا فقد ذكر أهل الشرك كل في موطن وذكرته.



أما أهل الشرك فقد غابت عنهم آلهتهم التي عبدوها من دون الله وانصرف عنهم تلك الآلهة التي افتروها وجعلوها بزعمهم شريكة لله ﷻ.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ويوم نجمع الخلق لموقف الحساب جميعاً، ثم نقول حينئذ للذين أشركوا بالله الآلهة والأنداد: ﴿مَكَانَكُمْ﴾، أي: امكثوا مكانكم، وقفوا في موضعكم، أنتم، أيها المشركون، وشركاؤكم الذين كنتم تعبدونهم من دون الله من الآلهة والأوثان، ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾، يقول: ففرقنا بين المشركين بالله وما أشركوه به.

من قولهم: «زِلْتُ الشيء أزيله»، إذا فرقت بينه وبين غيره وأبنته منه. وقال: «فَزَيَّلْنَا» إرادة تكثير الفعل وتكريره، ولم يقل: «فَزَلْنَا بينهم».

ثم قال رحمه الله في قوله تعالى:

﴿وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا عِبْدُونَ﴾ (٢٨)، وذلك حين تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب، لما قيل للمشركين: «اتبعوا ما كنتم تعبدون من دون الله»، ونصبت لهم آلهتهم، قالوا: «كنا نعبد هؤلاء!»، فقالت الآلهة لهم: ﴿مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا عِبْدُونَ﴾ (٢٨).

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ

لَغَافِلِينَ﴾ (٢٩).

ويقول تعالى ذكره، مخبراً عن قيل شركاء المشركين من الآلهة والأوثان لهم يوم القيامة، إذ قال المشركون بالله لها: إياكم كنا نعبد، ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾، أي إنها تقول: حسبنا الله شاهداً بيننا وبينكم، أيها المشركون، فإنه قد علم أننا ما علمنا ما تقولون، ﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ (٢٩)، يقول:

ما كنا عن عبادتكم إيانا دون الله إلا غافلين، لا نشعر به ولا نعلم  
**ثم قال في تأويل قوله تعالى:** ﴿هُنَالِكَ تَبْلَوْا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ  
 الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَقْتَرُونَ﴾ (٣٠).

اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿هُنَالِكَ تَبْلَوْا كُلُّ نَفْسٍ﴾، بالباء، بمعنى: عند  
 ذلك تختبر كل نفس ما قدمت من خير أو شر.  
 وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة وبعض أهل الحجاز: ﴿تَتْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا  
 أَسْلَفَتْ﴾، بالتاء.

واختلف قارئو ذلك كذلك في تأويله.  
 فقال بعضهم: معناه وتأويله: هنالك تتبع كل نفس ما قدمت في الدنيا  
 لذلك اليوم.

وقال بعضهم: بل معناه: يتلو كتاب حسناته وسيئاته. يعني يقرأ، كما قال  
 جل ثناؤه: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ (١٢)، [سورة الإسراء: ١٣].  
**وقال آخرون:** «تتلو» تعين.

**قال الطبري رحمه الله:**

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان، قد قرأ  
 بكل واحدة منهما أئمة من القراء، وهما متقاربتا المعنى. وذلك أن من تبع في  
 الآخرة ما أسلف من العمل في الدنيا، هجم به على مَوْرَدِهِ، فيخبر هنالك ما  
 أسلف من صالح أو سيئ في الدنيا، وإنَّ مَنْ خَبَرَ مِنْ أَسْلَفٍ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَعْمَالِهِ  
 فِي الْآخِرَةِ، فإنما يخبرُ بعد مصيره إلى حيث أحلَّه ما قدم في الدنيا من علمه،  
 فهو في كلتا الحالتين مُتَّبِعٌ ما أسلف من عمله، مختبر له، فبأيتهما قرأ القارئ  
 كما وصفنا، فمصيبُ الصواب في ذلك.

وأما قوله: ﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ﴾، فإنه يقول: ورجع هؤلاء

المشركون يومئذ إلى الله الذي هو ربهم ومالكهم، الحق لا شك فيه، دون ما كانوا يزعمون أنهم أرباب من الآلهة والأنداد، ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٣٠)، يقول: وبطل عنهم ما كانوا يتخَرَّصون من الفرية والكذب على الله بدعواهم أو ثنائهم أنها لله شركاء، وأنها تقرّبهم منه زُلفى.

**وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله:** ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٣٠)، قال: ما كانوا يدعون معه من الأنداد والآلهة، ما كانوا يفترون الآلهة، وذلك أنهم جعلوها أنداداً وآلهة مع الله افتراءً وكذباً.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:**

يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ أي: أهل الأرض كلهم، من إنس وجن وبر وفاجر، كما قال: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (٤٧) ﴿[الكهف: ٤٧]﴾. ثم يقول للذين أشركوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ ﴿أَي: الزموا أنتم وهم مكاناً معيناً، امتازوا فيه عن مقام المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَأَمْتَرُوا يَوْمَئِذَا الْمُمْجِرُونَ﴾ (٥٩) ﴿[يس: ٥٩]﴾، وقال ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِذِ يَنْفَرُوتُ﴾ (١٤) ﴿[الروم: ١٤]﴾، وفي الآية الأخرى: ﴿يَوْمِذٍ يَصْدَعُونَ﴾ (٤٣) ﴿[الروم: ٤٣]﴾ أي: يصيرون صدعين.

**ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:**

قال الله تعالى في هذه الآية الكريمة إخباراً عما يأمر به المشركين وأوثانهم يوم القيامة: ﴿مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ فَرَلْنَاهُمْ﴾ وقال شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِنَانَا تَعْبُدُونَ ﴿(٢٨)﴾ أنكروا عبادتهم، وتبرءوا منهم، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (٨٢) الآية. ﴿[مريم: ٨٢]﴾. وقال: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ (البقرة: ١٦٦)، وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ﴾ (٥) ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ (٦) ﴿[الأحقاف: ٥]﴾. [٦].

وقال في هذه الآية إخبارًا عن قول الشركاء فيما راجعوا فيه عابديهم عند ادعائهم عبادتهم: ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ (٢٩) أي: ما كنا نشعر بها ولا نعلم، وإنما أنتم كنتم تعبدوننا من حيث لا ندري بكم، والله شهيد بيننا وبينكم أنا ما دعوناكم إلى عبادتنا، ولا أمرناكم بها، ولا رضينا منكم بذلك.

وفي هذا تبكيت عظيم للمشركين الذين عبدوا مع الله غيره، ممن لا يسمع ولا يبصر، ولا يغني عنهم شيئًا، ولم يأمرهم بذلك ولا رضي به ولا أراد به، بل تبرأ منهم في وقت أحوج ما يكونون إليه، وقد تركوا عبادة الحي القيوم، السميع البصير، القادر على كل شيء، العليم بكل شيء وقد أرسل رسله وأنزل كتبه، أمرًا بعبادته وحده لا شريك له، ناهيًا عن عبادة ما سواه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال: ﴿وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

والمشركون أنواع وأقسام كثيرون، قد ذكرهم الله في كتابه، وبَيَّن أحوالهم وأقوالهم، ورد عليهم فيما هم فيه أتم رد.

**وقوله:** ﴿هُنَالِكَ تَبْلَوْ كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾ أي: في موقف الحساب يوم القيامة تختبر كل نفس وتعلم ما أسلفت من عملها من خير وشر، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ (١) [الطارق: ٩]، وقال تعالى: ﴿يُبْنَوُا الْإِنْسَنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ (١٣) [القيامة: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ (١٣) أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) [الإسراء: ١٣، ١٤].

وقد قرأ بعضهم: ﴿هُنَالِكَ تَتْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾ وفسرها بعضهم

بالقراءة، وفسرها بعضهم بمعنى تتبع ما قدمته من خير وشر، وفسرها بعضهم بحديث: «تتبع كل أمة ما كانت تعبد، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت» الحديث<sup>(١)</sup>.

**وقوله:** ﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمُ الْحَقَّ﴾ أي: ورجعت الأمور كلها إلى الله الحكم العدل، ففصلها، وأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار. ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: ذهب عن المشركين ﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: ما كانوا يعبدون من دون الله افتراء عليه.

### وقال القرطبي رحمه الله:

﴿وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ﴾ عنى بالشركاء الملائكة. وقيل: الشياطين، وقيل: الأصنام؛ فينطقها الله تعالى فتكون بينهم هذه المحاورة. وذلك أنهم ادعوا على الشياطين الذين أطاعوهم والأصنام التي عبدوها أنهم أمروهم بعبادتهم ويقولون ما عبدناكم حتى أمرتمونا.

قال مجاهد: ينطق الله الأوثان فتقول ما كنا نشعر بأنكم إيانا تعبدون، وما أمرناكم بعبادتنا. وإن حمل الشركاء على الشياطين فالمعنى أنهم يقولون ذلك دهشا، أو يقولون كذبا واحتيالا للخلاص، وقد يجري مثل هذا غدا؛ وإن صارت المعارف ضرورية.

**وقال في قوله تعالى:** ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ ﴿شَهِيدًا﴾ مفعول، أي كفى الله شهيدا، أو تمييز، أي اكتف به شهيدا بيننا وبينكم إن كنا أمرناكم بهذا أو رضينا منكم. ﴿إِنْ كُنَّا﴾ أي ما كنا ﴿عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَفْلِينَ﴾ إلا غافلين لا نسمع ولا نبصر ولا نعقل؛ لأننا كنا جمادا لا روح فينا.

(١) البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

**وقال القرطبي أيضًا:**

فإن قيل: كيف قال: ﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمُ الْحَقَّ﴾ وقد أخبر بأن الكافرين لا مولى لهم. قيل ليس بمولا هم في النصره والمعونة، وهو مولى لهم في الرزق وإدراار النعم.

**وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:**

**يقول تعالى:** ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي: نجمع جميع الخلائق، لميعاد يوم معلوم، ونحضر المشركين، وما كانوا يعبدون من دون الله. ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ﴾ أي: الزموا مكانكم ليقع التحاكم والفصل بينكم وبينهم.

﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ أي: فرقنا بينهم، بالبعد البدني والقلبي، وحصلت بينهم العداوة الشديدة، بعد أن بذلوا لهم في الدنيا خالص المحبة وصفو الوداد، فانقلبت تلك المحبة والولاية بغضًا وعداوة.

وتبرأ شركاؤهم منهم وقالوا: ﴿مَا كُنْتُمْ إِنَّا نَعْبُدُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ فإننا ننزه الله أن يكون له شريك، أو نديد.

﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ ما أمرناكم بها، ولا دعوناكم لذلك، وإنما عبدتم من دعاكم إلى ذلك، وهو الشيطان كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ﴿٦٠﴾ [يس: ٦٠].

**وقال:** ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْوَلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ قالوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِئْسَ مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ [سبا: ٤٠-٤١].

فالملائكة الكرام والأنبياء والأولياء ونحوهم يتبرؤون ممن عبدتهم يوم

القيامة ويتنصلون من دعائهم إياهم إلى عبادتهم وهم الصادقون البارون في ذلك، فحيثئذ يتحسر المشركون حسرة لا يمكن وصفها، ويعلمون مقدار ما قدموا من الأعمال، وما أسلفوا من رديء الخصال، ويتبين لهم يومئذ أنهم كانوا كاذبين، وأنهم مفترون على الله، قد ضلت عبادتهم، واضمحلت معبوداتهم، وتقطعت بهم الأسباب والوسائل.

ولهذا قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ أَي: في ذلك اليوم ﴿تَبْلُؤُا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ أي: تتفقد أعمالها وكسبها، وتتبعه بالجزاء، وتجازي بحسبه، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، وضل عنهم ما كانوا يفترون من قولهم بصحة ما هم عليه من الشرك وأن ما يعبدون من دون الله تنفعهم وتدفع عنهم العذاب.



قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

( قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَنْقَوْنَ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنِّي تُصَرِّفُونَ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا لِلْخَلْقِ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَدْعُوا لِلْخَلْقِ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَإِنِّي تَوَفَّاكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَنَظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾

[يونس: ٣١-٤١].



س: اذكر معنى ما يلي:

﴿تُصْرَفُونَ﴾ - حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ - فَسَقُوا - يَبْدَأُ الْخَلْقَ - يُعِيدُهُ - فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ - لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ - إِلَّا ظَنًّا - يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ - تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ - لَا رَيْبَ فِيهِ - وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ - أَفْتَرْتُمُ - يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ - وَلَكِنْ يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ - لِيَعْمَلَ - بَرِيثُونَ وَمِمَّا أَعْمَلُ ﴿﴾.

ج:

| الكلمة                              | معناها                                                  |
|-------------------------------------|---------------------------------------------------------|
| ﴿تُصْرَفُونَ﴾                       | تتحولون عن الحق إلى الباطل.                             |
| ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾          | تحقق ما يريده الله - تحقق ما كتبه الله وقضاه وتكلم به.  |
| ﴿فَسَقُوا﴾                          | خرجوا عن الطاعة واستمروا على الكفر.                     |
| ﴿يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾                | يخلقه لأول مرة.                                         |
| ﴿يُعِيدُهُ﴾                         | يُعِيدُهُ بعد فنائه كما كان لأول مرة.                   |
| ﴿فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾            | فمن أي وجه تُصرفون عن الحق إلى الباطل.                  |
| ﴿لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ﴾  | لا يهتدي إلا إذا هداه غيره ولا ينتقل إلا إذا نقله غيره. |
| ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾                     | توهمًا - تخرصًا - شكًا.                                 |
| ﴿يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾      | يختلق من عند غير الله.                                  |
| ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ | موافقة للتوراة والإنجيل.                                |
| ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾                  | بيان للكتاب، بيان للحلال والحرام والفرائض والأحكام.     |

|                                     |                                                       |
|-------------------------------------|-------------------------------------------------------|
| (وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ ﴿           | لا شك فيه، ولا ارتياب في كونه نزل من عند الله.        |
| (أَفْتَرَبَهُ ۖ)                    | تقول له من عند نفسه ونسبه إلى الله ﷻ.                 |
| (يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ ۚ)            | يطلعوا على حقيقته.                                    |
| (وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ۚ) | لما يأتيهم الوقت الذي يشاهدون فيه حقيقة ما أخبروا به. |
| (لِي عَمَلِي )                      | لي ثواب عملي.                                         |
| (بَرِيثُونَ مِمَّا أَعْمَلُ)        | لا تتحملون من عملي شيئاً.                             |



## إقرار أهل الشرك بوجود الله ﷻ

س: أهل الشرك كانوا يقرون بوجود الله ﷻ دَلَل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ( قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ) إلى قوله تعالى: ( فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ

).

وقولهم: ( رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ) (ص: ١٦).

وقولهم: ( اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَاهُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ

أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ) (الأنفال: ٣٢).

وقوله تعالى: ( وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ) (الزخرف: ٨٧).

وقوله تعالى: ( وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ

) (الزخرف: ٩).

وقوله تعالى: ( وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا

يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ) (الأعراف: ٢٨).

إلى غير ذلك من الآيات.



س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ

وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدْبِرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا

تَنْقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتُمْ تُصِرُّونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ

كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ ؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم-: قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين

الجاحدين وحادانية الله ﷻ، الذين اتخذوا معه آلهة أخرى وأشركوا بالله ما لم

ينزل به سلطاناً، قل لهؤلاء من يرزقكم من السماء بالغيث الذي يُغيثكم به فتشربون وتسقون أنعامكم وينبت لكم به من الأرض النبات فتحيون به وتأكلون من حبوبه وثماره وترعون أنعامكم وتحلبونها وتذبحونها فتنعمون بذلك، وكذلك ييسر لكم أسباب الرزق في الأرض، وقل لهم كذلك يا رسول الله من عليكم سمعكم وسمع غيركم، ولو شاء الله لذهب به ولأصحبكم، وكذلك من عليك الأبصار، ولو شاء لأضعفها وأعمأها، وكذا من يخرج الحي، النبات من الميت البذور، ويخرج كذلك الأفرخ من البيض والأجنة من المني (الذي يُمنى) والكافر صلب المؤمن، والمؤمن من صلب الكافر، ومن يدبر أمر السموات والأرض ومن فيهن فيمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وكذا من يُدبر أمر الكواكب والنجوم والشمس والقمر، وكل في فلک يسبحون، وكذا من يدبر أمر عموم الخلائق فيحيي ويميت ويعز ويذل، ويكرم ويهين، ويوسع الأرزاق ويقدر، ويذهب بهذا ويأتي بذلك ويشفي ويعافي، ويمرض ويسقم إلى غير ذلك من أمور الخلائق، سل يا رسول الله أهل الشرك من يفعل ذلك، فيسيقولون الله يفعل ذلك لا يفعله أحدٌ سواه، فقل لهم أفلا تتقون الله إذن أفلا تخشون عقابه وقد جعلتم له شريكاً في الملك؟! أفلا تتقون الشرك بالله؟!!!

فذلكم الذي يفعل ذلك كله بإقراركم هو ربكم الحق المعبود بحق، فليس في الأرض ولا في السماء معبودٌ بحق سواه وليس في أي مكان معبودٌ سواه. فماذا بعد هذا البيان الحق إلا الضلال، وماذا بعد عبادة الله وتوحيده إلا الكفر والشرك والعياذ بالله فمن أي وجه تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره، ولمن توحيده ﷻ إلى الشرك به.

ولكن هكذا، وكما ختمنا على قلوب من كانوا قبلهم فماتوا على الكفر،

وقد قضينا عليهم به، فكذا هؤلاء الفساق الخارجون عن الطاعة الخارجون عن توحيد الله إلى الشرك به، فهؤلاء الذين سبقت لهم الشقاوة ستتحقق فيهم كلمة الله التي تكلم بها وقضاها بأنهم لا يؤمنون، ولو جاءتهم كل آية ولو جاءهم كل بيان.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾، يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الأوثان والأصنام ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾، الغيث والقطر، ويطلع لكم شمسها، ويغطش ليلها، ويخرج ضحاها ومن الأرض أقواتكم وغذاءكم الذي ينبت لكم، وثمار أشجارها ﴿أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ يقول: أم من ذا الذي يملك أسماكم وأبصاركم التي تسمعون بها: أن يزيد في قواها، أو يسلبكموها، فيجعلكم صمًا، وأبصاركم التي تبصرون بها: أن يضيئها لكم وينيرها، أو يذهب بنورها، فيجعلكم عميًا لا تبصرون ﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ﴾، يقول: ومن يخرج الشيء الحي من الميت ﴿وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ﴾، يقول: ويخرج الشيء الميت من الحي.

وقد ذكرنا اختلاف المختلفين من أهل التأويل، والصواب من القول عندنا في ذلك بالأدلة الدالة على صحته، في «سورة آل عمران»، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

﴿وَمَنْ يُدْبِرُ الْأَمْرَ﴾، وقل لهم: من يدبر أمر السماء والأرض وما فيهن، وأمركم وأمر الخلق؟ ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾، يقول جل ثناؤه: فسوف يحييوك بأن يقولوا: الذي يفعل ذلك كله الله ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٣١)، يقول: أفلا تخافون عقاب الله على شرككم وادعائكم ربًا غير من هذه الصفة صفته، وعبادتكم

معه من لا يرزقكم شيئاً، ولا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً، ولا يفعل فعلاً؟  
**وقال في تأويل قوله تعالى:** ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ (٣٢).

**يقول تعالى ذكره لخلقهم:** أيها الناس، فهذا الذي يفعل هذه الأفعال، فيرزقكم من السماء والأرض، ويملك السمع والأبصار، ويخرج الحي من الميت والميت من الحي، ويدبر الأمر؛ ﴿اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾، لا شك فيه ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾، يقول: فأى شيء سوى الحق إلا الضلال، وهو الجور عن قصد السبيل؟

يقول: فإذا كان الحق هو ذا، فادعائكم غيره إلهاً ورباً، هو الضلال والذهاب عن الحق لا شك فيه ﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ (٣٢)، يقول: فأى وجه عن الهدى والحق تُصرفون، وسواهما تسلكون، وأنتم مقررون بأن الذي تُصرفون عنه هو الحق؟

**وقال في تأويل قوله تعالى:** ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٣).

**يقول تعالى ذكره:** كما قد صُرف هؤلاء المشركون عن الحق إلى الضلال ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، يقول: وجب عليهم قضاؤه وحكمه في السابق من علمه ﴿عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾، فخرجوا من طاعة ربهم إلى معصيته وكفروا به ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٣)، يقول: لا يصدقون بوحدانية الله ولا بنبوة نبيه ﷺ.

**قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:**

يحتج تعالى على المشركين باعترافهم بوحدانيته وربوبيته على وحدانية الإله فقال: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: من ذا الذي ينزل من السماء ماء المطر، فيشق الأرض شقاً بقدرته ومشيتته، فيخرج منها ﴿جَاءَ﴾ (٢٧) وعنباً وقضباً

﴿٢٨﴾ وَزَيَّنَّا وَنَحْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَّيْنِ عُثْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَكَهَّةً وَأَبَّا ﴿٣١﴾ ﴿[عبس: ٢٧- ٣١]﴾، أإله مع الله؟ فسيقولون: الله، ﴿أَمِنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ ﴿[الملك: ٢١]﴾؟، وكذلك قوله: ﴿أَمِنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾؟ أي: الذي وهبكم هذه القوة السامعة، والقوة الباصرة، ولو شاء لذهب بها ولسلبكم إياها، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿[الملك: ٢٣]﴾، وقال ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَنَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ﴾ ﴿[الأنعام: ٤٦]﴾.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ أي: بقدرته العظيمة، ومنته العزيمة، وقد تقدم ذكر الخلاف في ذلك، وأن الآية عامة في ذلك كله. وقوله: ﴿وَمَنْ يُدْبِرُ الْأَمْرَ﴾ أي: من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، وهو المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ﴿[الرحمن: ٢٩]﴾، فالملك كله العلوي والسفلي، وما فيهما من ملائكة وإنس وجان، فقرون إليه، عبيد له، خاضعون لديه، ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ أي: هم يعلمون ذلك ويعترفون به، ﴿فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِزُ﴾ ﴿[٣١]﴾ أي: أفلا تخافون منه أن تعبدوا معه غيره بآرائكم وجهلكم؟.

**وقوله:** ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنِّي تُصْرِفُونَ﴾ ﴿[٣٢]﴾ أي: فهذا الذي اعترفتم بأنه فاعل ذلك كله هو ربكم وإلهكم الحق الذي يستحق أن يفرد بالعبادة، ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ أي: فكل معبود سواه باطل، لا إله إلا هو، واحد لا شريك له.

﴿فَأَنِّي تُصْرِفُونَ﴾ ﴿[٣٢]﴾ أي: فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة ما سواه، وأنتم تعلمون أنه الرب الذي خلق كل شيء، والمتصرف في كل شيء؟ **وقوله:** ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿[٣٣]﴾ أي: كما

كفر هؤلاء المشركون واستمروا على شركهم وعبادتهم مع الله غيره، مع أنهم يعترفون بأنه الخالق الرازق المتصرف في الملك وحده، الذي بعث رسله بتوحيده؛ فلهذا حقت عليهم كلمة الله أنهم أشقياء من ساكني النار، كقوله: ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٧١) [الزمر: ٧١].

### وقال القرطبي رحمه الله:

المراد بمساق هذا الكلام الرد على المشركين وتقرير الحجة عليهم؛ فمن اعترف منهم فالحجة ظاهرة عليهم، ومن لم يعترف فيقرر عليه أن هذه السموات والأرض لا بد لهما من خالق؛ ولا يتمارى في هذا عاقل. وهذا قريب من مرتبة الضرورة. ﴿مَنْ السَّمَاءُ﴾ أي بالمطر. ﴿وَالْأَرْضُ﴾ بالنبات. ﴿أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ أي من جعلهما وخلقهما لكم. ﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ أي النبات من الأرض، والإنسان من النطفة، والسنبل من الحبة، والطيور من البيض، والمؤمن من الكافر. ﴿وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ أي يقدره ويقضيه. ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ لأنهم كانوا يعتقدون أن الخالق هو الله؛ أو فسيقولون هو الله إن فكروا وأنصفوا ﴿فَقُلْ﴾ لهم يا محمد. ﴿أَفَلَا نُنْقِزُ﴾ (٣١) أي أفلا تخافون عقابه ونقمته في الدنيا والآخرة.

### وقال رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ أي هذا الذي يفعل هذه الأشياء هو ربكم الحق، لا ما أشركتم معه. ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ﴾ ﴿ذَا﴾ صلة أي ما بعد عبادة الإله الحق إذا تركت عبادته إلا الضلال. قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي حكمه وقضائه وعلمه السابق. ﴿عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ أي خرجوا عن الطاعة وكفروا وكذبوا. ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٣) أي لا يصدقون. وفي هذا أوفى دليل على القدرية.



## قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

أي: ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء الذين أشركوا بالله، ما لم ينزل به سلطاناً - محتجاً عليهم بما أقروا به من توحيد الربوبية، على ما أنكروه من توحيد الألوهية - ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ بإنزال الأرزاق من السماء، وإخراج أنواعها من الأرض، وتيسير أسبابها فيها؟ ﴿أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ أي: من هو الذي خلقهما وهو مالكهما؟، وخصهما بالذكر من باب التنبيه على المفضول بالفاضل، ولكمال شرفهما ونفعهما.

﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كإخراج أنواع الأشجار والنبات من الحبوب والنوى، وإخراج المؤمن من الكافر، والطائر من البيضة، ونحو ذلك، ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ عكس هذه المذكورات، ﴿وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ في العالم العلوي والسفلي، وهذا شامل لجميع أنواع التدابير الإلهية، فإنك إذا سألتهم عن ذلك ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ لأنهم يعترفون بجميع ذلك، وأن الله لا شريك له في شيء من المذكورات.

﴿فَقُلْ﴾ لهم إلزاماً بالحجة ﴿أَفَلَا نُنْقِزُ﴾ ﴿الله فتخلصون له العبادة وحده لا شريك له، وتخلعون ما تعبدون من دونه من الأنداد والأوثان. ﴿فَذَلِكُمْ﴾ الذي وصف نفسه بما وصفها به ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ أي: المألوه المعبود المحمود، المربي جميع الخلق بالنعمة وهو: ﴿الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾.

فإنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير لجميع الأشياء، الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يدفع السيئات إلا هو، ذو الأسماء الحسنی والصفات الكاملة العظيمة والجلال والإكرام.

﴿ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ (٢٣) عن عبادة من هذا وصفه، إلى عبادة الذي ليس له من وجوده إلا العدم، ولا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا.

فليس له من الملك مثقال ذرة، ولا شركة له بوجه من الوجوه، ولا يشفع عند الله إلا بإذنه، فتبا لمن أشرك به، وويحاً لمن كفر به، لقد عدموا عقولهم، بعد أن عدموا أديانهم، بل فقدوا دنياهم وأخراهم. ولهذا قال تعالى عنهم: ﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢٣) بعد ما أراهم الله من الآيات البينات والبراهين النيرات، ما فيه عبرة لأولي الأبواب، وموعظة للمتقين وهدى للعالمين.



**س: من طرائق الإقناع أن تقرر الشخص أولاً بأمر فإذا أقر بها ألزمته بما يقتضيه إقراره من الزامات، دَلِّلْ على ذلك.**

**ج: نعم؛** تقرير المخاطب بأصول وقواعد، ثم البناء على هذه الأصول والقواعد بعد إقراره، هي طريقة لها أصولها وأدلتها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأفعال العقلاء:

قال الله سبحانه وتعالى: ( قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِزُكَ ﴾ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ (٨٩) [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

وقال النبي ﷺ للمشركين في بداية دعوته آخذاً منهم الاعتراف والإقرار بصدقه: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ

مُصَدِّقِي؟» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ» <sup>(١)</sup>.

وانظر إلى مقالة الرسول ﷺ للأنصار لما أعطى المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئاً فكأنهم وجدوا (أي: حزنوا) إذ لم يصبهم ما أصاب الناس فخطبهم فقال: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي؟» كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنٌ... «أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ»... الحديث <sup>(٢)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد <sup>(٣)</sup> في «مسنده» من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزَّيْنِ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَرَجَرُوهُ، وَقَالُوا: مَهْ مَهْ! فَقَالَ: «اِذْنُهُ» فَذَنَّا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ» قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِابْنَاتِهِمْ» قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ» قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ» قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ» قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ» فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ.

(١) البخاري (حديث ٤٧٧٠)، ومسلم (حديث ٢٠٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً.

(٢) البخاري (حديث ٤٣٣٠)، ومسلم (حديث ١٠١٦).

(٣) أحمد في «المسند» (٢٥٦/٥) بإسناد صحيح.

وها هو عليه السلام يقرر اليهود <sup>(١)</sup> - قبل إخبارهم بإسلام عبد الله بن سلام - بسيادة عبد الله بن سلام وفضل عبد الله بن سلام:

قال عليه الصلاة والسلام لليهود: «فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ؟»  
 قَالُوا: ذَاكَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا وَأَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا، قَالَ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟»  
 قَالُوا: حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ، قَالَ: «يَا ابْنَ سَلَامٍ اخْرُجْ عَلَيْهِمْ» فَخَرَجَ فَقَالَ:  
 يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ اتَّقُوا اللَّهَ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ،  
 وَأَنَّهُ جَاءَ بِحَقٍّ، فَقَالُوا: كَذَبْتَ فَأَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ.

\* وها هو عروة بن مسعود الثقفي يقول للمشركين قبيل صلح الحديبية قبل أن يشير عليهم بما يراه، وقد كان منهم آنذاك، يقول لهم: أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ؟ قَالُوا: بلى، قال: أَوَلَسْتُمْ بِالْوَلَدِ؟ قَالُوا: بلى، قال: فَهَلْ تَتَهَمُونَنِي؟ قَالُوا: لَا، قال: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عَكَاظٍ فَلَمَّا بَلَغُوا عَلَيَّ جِئْتَكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي؟ قَالُوا: بلى، قال: فَإِنْ هَذَا قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةٌ رَشِدٌ فَاقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِيهِ... الحديث.

فانظر إلى استهلاله للحديث وإلى ذِكْرِ مآثره أمامهم حتى ينفي عن نفسه تهمة الخيانة أو الغش لهم... ثم حثه لهم على قبول خطة الصلح.

فحقاً إنه فقه تعامل وفقه تخاطب مع الناس، يؤتیه الله من يشاء من عباده، فهي طريقة سلكها العقلاء والتمسها الفضلاء للوصول إلى المراد بالتي هي أحسن.



(١) لكن التوفيق من عند الله.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين الجاحدين وحدانية الله، الذين عبدوا مع الله أوثانًا وأصنامًا وآلهة أخرى قل لهم من يخلق الخلق لأول مرة، من الذي خلق السموات والارض، من الذي خلق الخلق كلهم لأول مرة؟ ومن ذا الذي يعيدها مرة أخرى. سلهم هذا السؤال فلن يستطيعوا أن يقولوا الأصنام والأوثان والآلهة، فهم بين أمرين إما أن يسكتوا مقرين أن خالقها لأول مرة هو الله ﷻ وإما أن يقولوا مصرحين بذلك الله خالقها، فعلى أية حال قل لهم الله الذي خلقها أول مرة، وهو ﷻ يعيدها، كما بدأ خلقها وإن أنكرتم البعث فإن الله فاعله فمن أي وجه تصرفون عن الحق إلى الباطل، وعن التوحيد إلى الشرك بالله.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾، يا محمد ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾، يعني من الآلهة والأوثان ﴿مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، يقول: من ينشئ خلق شيء من غير أصل، فيحدث خلقه ابتداءً ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، يقول: ثم يفنيه بعد إنشائه، ثم يعيده كهيئته قبل أن يفنيه، فإنهم لا يقدرّون على دعوى ذلك لها. وفي ذلك الحجة القاطعة والدلالة الواضحة على أنهم في دعواهم أنها أرباب، وهي الله في العبادة شركاء، كاذبون مفترّون.

فقل لهم حينئذ، يا محمد: الله يبدأ الخلق فينشئه من غير شيء، ويحدثه من غير أصل، ثم يفنيه إذا شاء، ثم يعيده إذا أراد كهيئته قبل الفناء ﴿فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾، يقول: فأني وجه عن قصد السبيل وطريق الرشد تُصَرَّفُونَ وتُقلَّبُونَ؟

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا إبطال لدعواهم فيما أشركوا بالله غيره، وعبدوا من الأصنام والأنداد، ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي: من بدأ خلق هذه السموات والأرض ثم ينشئ ما فيهما من الخلائق، ويفرق أجرام السموات والأرض ويبدلها بفناء ما فيهما، ثم يعيد الخلق خلقاً جديداً؟ ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ هو الذي يفعل هذا ويستقل به، وحده لا شريك له، ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ أي: فكيف تصرفون عن طريق الرشd إلى الباطل؟!

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ أي آلهتكم ومعبوداتكم. ﴿مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي قل لهم يا محمد ذلك على جهة التوبيخ والتقرير؛ فإن أجابوك وإلا ف﴿قُلْ اللَّهُ يَكْبِدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ وليس غيره يفعل ذلك. ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ أي فكيف تنقلبون وتنصرفون عن الحق إلى الباطل.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ (تيسير الكريم الرحمن):

يقول تعالى - مبيناً عجز آلهة المشركين، وعدم اتصافها بما يوجب اتخاذها آلهة مع الله - ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ﴾ أي: يبتديه ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ وهذا استفهام بمعنى النفي والتقرير، أي: ما منهم أحد يبدأ الخلق ثم يعيده، وهي أضعف من ذلك وأعجز، ﴿قُلْ اللَّهُ يَكْبِدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ من غير مشارك ولا معاون له على ذلك.

﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ أي: تصرفون، وتنصرفون عن عبادة المنفرد بالابتداء، والإعادة إلى عبادة من لا يخلق شيئاً وهم يخلقون.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين هل من الآلهة التي عبدتموها مع الله من الأصنام والأوثان من يرشد إلى طريق الحق والصواب؟ هل ترشدكم أصنامكم في طريقكم الدنيوي إذا أخطأتموه، وهل ترشدكم إلى طريق الإسلام وتدلّكم عليه وتحذركم من طريق الكفر والعصيان؟؟! هل هذه الآلهة بيدها توفيقكم وسدادكم، أم أن الذي يهديكم هو الله ﷻ، فلن يستطيعوا القول بأن الأصنام تهديهم وترشدهم وتسددهم وتوفقهم.

لن يستطيعوا أن يقولوا ذلك ولا أن يدّعوه! فإذا كان الأمر كذلك فقل لهم: أفمن يهدي إلى الحق أحق أن تتبعوه وتتبعوا قوله وتهتدوا بهديه وتوحدوه ولا تتركوا به شيئاً.

أم أن الذي يتبع من لا يهدي أي: من لا يهتدي ولا يرشد إلا إذا هداه غيره وأرشده.

وعبر عن الأصنام والأوثان هنا كما يعبر عن العقلاء تنزلاً حتى يفهم المشركون، وإلا فالأصنام لا تهتدي وإن هداهما أحد.

وقد قال بعض أهل العلم: إن المعنى أم من لا ينتقل إلى غير ما هو عليه إلا أن ينقله غيره.

هذا، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن الآية عامة لا تتعلق بالأصنام وحدها بل بعموم الآلهة الباطلة المعبودة مع الله ﷻ، فعموم الآلهة الباطلة المعبودة مع الله من إنس وجن وملك وغير ذلك لا تستطيع هداية أحد هداية توفيق، إنما الذي يوفق للحق هو الله سبحانه وتعالى.

هذا، فإذا كان الأمر كذلك، ألا وهو أن الأحق بالاتباع هو الله ﷻ الذي يهدي للحق، أحق أن يُعبد ويوحّد وأن يُتبع ما أنزل على رسوله، وأن الأصنام لا تملك هداية لأحدٍ، ولا تنتقل عن حالها إلا إذا نقلت، ولا ترشد ضالًّا ولا تهدي غويًّا زائغًا، فقل لهؤلاء المشركين فما لكم، وقد علمتم من أولى بالاتباع، تحكمون بهذه الأحكام الجائرة وتشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا؟؟ وتقضوا بأن الله له شريك في الملك، أليس هذا من التضارب ولاتناقض والظلم والافتراء؟؟!

**قال الطبري رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ:** ﴿قُلْ﴾، يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾، الذين تدعون من دون الله، وذلك آلهتهم وأوثانهم، ﴿مَنْ يَهْدِيَ إِلَى الْحَقِّ﴾ يقول: من يرشد ضالًّا من ضلّالته إلى قصد السبيل، ويسدّد جائرًا عن الهدى إلى واضح الطريق المستقيم؟ فإنهم لا يقدرّون أن يدعوا أن آلهتهم وأوثانهم تُرشد ضالًّا أو تهدي جائرًا. وذلك أنهم إن ادّعوا ذلك لها أكذبهم المشاهدة، وأبان عجزها عن ذلك الاختبار بالمعينة. فإذا قالوا «لا» وأقرّوا بذلك، فقل لهم. فالله يهدي الضالَّ عن الهدى إلى الحق ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي﴾ أيها القوم ضالًّا إلى الحق، وجائرًا عن الرشد إلى الرشد ﴿أَحَقُّ أَنْ يُنَبَّعَ﴾، إلى ما يدعو إليه ﴿أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾؟ وأورد بعض وجوه القراءات في قوله: (أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى).

**ثم قال:**

وأولى القراءة في ذلك بالصواب، قراءة من قرأ: ﴿أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي﴾ بفتح الهاء وتشديد الدال، لما وصفنا من العلة لقارئ ذلك كذلك، وأن ذلك لا يدفع صحته ذو علم بكلام العرب، وفيهم المنكر غيره. وأحقُّ الكلام أن يقرأ



بأفصح اللغات التي نزل بها كلام الله.  
فتأويل الكلام إذا: أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع، أم من لا يهدي  
إلى شيء إلا أن يهدي؟  
وكان بعض أهل التأويل يزعم أن معنى ذلك: أم من لا يقدر أن يتنقل عن  
مكانه إلا أن يُنقل..

**ثم قال:**

**وقوله:** ﴿فَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (٣٥)، ألا تعلمون أن من يهدي إلى الحق  
أحق أن يتبع من الذي لا يهدي إلى شيء، إلا أن يهديه إليه هادٍ غيره، فتركوا  
اتباع من لا يهدي إلى شيء وعبادته، وتبعوا من يهديكم في ظلمات البر  
والبحر، وتخلصوا له العبادة فتفردوه بها وحده، دون ما تشركونه فيها من  
آلهتكم وأوثانكم؟

**وقال ابن كثير رحمه الله:**

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ أي: أنتم تعلمون أن  
شركاءكم لا تقدر على هداية ضال، وإنما يهدي الحيارى والضلال، ويقلب  
القلوب من الغي إلى الرشd الله، الذي لا إله إلا هو.  
﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾ أي: أفتتبع العبد  
الذي يهدي إلى الحق ويُبصر بعد العمى، أم الذي لا يهدي إلى شيء إلا أن  
يهدي، لعماء وبكمه؟ كما قال تعالى إخباراً عن إبراهيم أنه قال: ﴿يَتَابَعْتَنِي لِمَ تَعْبُدُ  
مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾ (٤٢) [مريم: ٤٢]، وقال لقومه: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا  
تَنْحِتُونَ﴾ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ [الصافات: ٩٥، ٩٦] إلى غير ذلك من  
الآيات.

**وقوله:** ﴿فَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (٣٥) أي: فما بالكم يُذهب بعقولكم، كيف

سويتهم بين الله وبين خلقه، وعدلتم هذا بهذا، وعبدتم هذا وهذا؟ وهلا أفردتم الرب جل جلاله المالك الحاكم الهادي من الضلالة بالعبادة وحده، وأخلصتم إليه الدعوة والإنابة.

### وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ يقال: هداه للطريق وإلى الطريق بمعنى واحد؛ وقد تقدم. أي هل من شركائكم من يرشد إلى دين الإسلام؛ فإذا قالوا لا ولا بد منه ف ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ ثم قل لهم موبخا ومقررا. ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي﴾ أي يرشد. ﴿إِلَى الْحَقِّ﴾ وهو الله سبحانه وتعالى. ﴿أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (٣٥) يريد الأصنام التي لا تهدي أحدا، ولا تمشي إلا أن تحمل، ولا تنتقل عن مكانها إلا أن تنقل. قال الشاعر:

**للفتى عقل يعيش به حيث تهدي ساقه قدمه**

وقيل: المراد الرؤساء والمضلون الذين لا يرشدون أنفسهم إلى هدى إلا أن يرشدوا.

### ثم قال:

وقال أبو إسحاق: ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ كلام تام، والمعنى: فأى شيء لكم في عبادة الأوثان. ثم قيل لهم: ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أي لأنفسكم وتقضون بهذا الباطل الصراح، تعبدون آلهة لا تغني عن أنفسها شيئا إلا أن يفعل بها، والله يفعل ما يشاء فتتركون عبادته؛ فموضع ﴿كَيْفَ﴾ نصب بـ ﴿تَحْكُمُونَ﴾.

**وقال ابن الجوزي (زاد المسير):** والمراد بقوله: ﴿أَمَّنْ لَا يَهْدِي﴾: الصنم.

﴿إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ﴾ وظاهر الكلام يدل على أن الأصنام إن هديت اهتدت

وليست كذلك لأنها حجارة لا تهتدي إلا أنهم لما اتخذوها آلهة عبر عنها كما يعبر عمن يعقل ووصفت صفة من يعقل وإن لم تكن في الحقيقة كذلك ولهذا المعنى قال في صفتها: ﴿أَمَّنْ﴾ لأنهم جعلوها كمن يعقل ولما أعطاهم حقها في أصل وضعها قال: ﴿يَتَأَبَّتْ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ﴾ [مريم: ٤٢] وقال الفراء: ﴿أَمَّنْ لَا يَهْدَى﴾ أي: أتعبدون ما لا يقدر أن ينتقل من مكانه إلا أن يحول وقد صرف بعضهم الكلام إلى الرؤساء والمضلين والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿فَأَلْكَؤُاْ﴾ قال الزجاج: هو كلام تام، كأنه قيل لهم: أي شيء لكم في عبادة الأوثان؟ ثم قيل لهم: ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أي: على أي حال تحكمون؟ وقال ابن عباس: كيف تقضون لأنفسكم؟ وقال مقاتل: كيف تقضون بالجور؟

### وقال السعدي رحمه الله:

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ بيانه وإرشاده، أو بإلهامه وتوفيقه.  
 ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ وحده ﴿يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ بالأدلة والبراهين، وبالإلهام والتوفيق، والإعانة إلى سلوك أقوم طريق.  
 ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي﴾ أي: لا يهتدي ﴿إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾ لعدم علمه، ولضلاله، وهي شركاؤهم، التي لا تهدي ولا تهتدي إلا أن تهدي ﴿فَأَلْكَؤُاْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (٣٥) أي: أي شيء جعلكم تحكمون هذا الحكم الباطل، بصحة عبادة أحد مع الله، بعد ظهور الحجة والبرهان، أنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده.

فإذا تبين أنه ليس في آلهتهم التي يعبدون مع الله أوصافا معنوية، ولا أوصافا فعلية، تقتضي أن تعبد مع الله، بل هي متصفة بالنقائص الموجبة لبطلان إلهيتها، فلا شيء جعلت مع الله آلهة؟

**فالجواب:** أن هذا من تزيين الشيطان للإنسان، أقبح البهتان، وأضل الضلال، حتى اعتقد ذلك وألفه، وظنه حقاً، وهو لا شيء.



**س: اذكر بعض وجوه القراءات في قوله: (أَمَّنْ لَا يَهْدِي)؟**

**ج: استفاض الطبري في ذلك فقال:**

واختلفت القراء في قراءة ذلك.

فقرأته عامة قراء أهل المدينة: ﴿أَمَّنْ لَا يَهْدِي﴾ بتسكين الهاء، وتشديد الدال، فجمعوا بين ساكنين وكأن الذي دعاهم إلى ذلك أنهم وجَّهوا أصل الكلمة إلى أنه: أم من لا يهتدي، ووجدوه في خطِّ المصحف بغير ما قرءوا، وأن التاء حذفت لما أدغمت في الدال، فأقروا الهاء ساكنة على أصلها الذي كانت عليه، وشدَّدوا الدال طلباً لإدغام التاء فيها، فاجتمع بذلك سكون الهاء والدال. وكذلك فعلوا في قوله: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾، [النساء: ١٥٤]، وفي قوله: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾، [يس: ٤٩].

وقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة والشام والبصرة ﴿يَهْدِي﴾ بفتح الهاء وتشديد الدال. وأمُّوا ما أمَّه المدنيون من الكلمة، غير أنهم نقلوا حركة التاء من «يهتدي»: إلى الهاء الساكنة، فحرَّكوا بحركتها، وأدغموا التاء في الدال فشددوها.

وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة: ﴿يَهْدِي﴾ بفتح الياء، وكسر الهاء، وتشديد الدال، بنحو ما قصده قراء أهل المدينة، غير أنه كسر الهاء لكسرة الدال من «يهتدي»، استثقلاً للفتحة بعدها كسرةً في حرف واحد.

وقرأ ذلك بعدد، عامة قراء الكوفيين ﴿أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي﴾، بتسكين الهاء وتخفيف الدال. وقالوا: إن العرب تقول: «هديت» بمعنى «اهتديت»، قالوا:

فمعنى قوله: ﴿أَمْنَ لَا يَهْدَى﴾: أم من لا يَهْتَدِي إلا أن يهدي.

وصوب الطبري ما ذكرناه عنه آنفاً.

وقال القرطبي رحمه الله:

وفي ﴿يَهْدَى﴾ قراءات ست:

**الأولى:** قرأ أهل المدينة إلا ورشا «يَهْدِي» بفتح الياء وإسكان الهاء وتشديد الدال؛ فجمعوا في قراءتهم بين ساكنين كما فعلوا في قوله: «لا تُعَدُّوا» وفي قوله: «يَخْصُمُونَ». قال النحاس: والجمع بين الساكنين لا يقدر أحد أن ينطق به. قال محمد بن يزيد: لا بد لمن رام مثل هذا أن يحرك حركة خفيفة إلى الكسر، وسيبويه يسمي هذا اختلاس الحركة.

**الثانية:** قرأ أبو عمرو وقالون في رواية بين الفتح والإسكان، على مذهبه في الإخفاء والاختلاس.

**الثالثة:** قرأ ابن عامر وابن كثير وورش وابن محيصن «يَهْدِي» بفتح الياء والهاء وتشديد الدال، قال النحاس: هذه القراءة بينة في العريية، والأصل فيها يهتدى أدغمت التاء في الدال وقلبت حركتها على الهاء.

**الرابعة:** قرأ حفص ويعقوب والأعمش عن أبي بكر مثل قراءة ابن كثير، إلا أنهم كسروا الهاء، قالوا: لأن الجزم إذا اضطر إلى حركته حرك إلى الكسر. قال أبو حاتم: هي لغة سفلى مضر.

**الخامسة:** قرأ أبو بكر عن عاصم يَهْدِي بكسر الياء والهاء وتشديد الدال، كل ذلك لاتباع الكسر كما تقدم في البقرة في ﴿يَخْطَفُ﴾ [البقرة: ٢٠] وقيل: هي لغة من قرأ ﴿نَتَعَيْتُ﴾، و﴿لَنْ تَمَسَّنَا الْنَّكَارُ﴾ ونحوه. وسيبويه لا يجيز «يَهْدِي» ويجيز «تهدي» و«نهدي» و«إهدي» قال: لأن الكسرة في الياء تثقل.

**السادسة:** قرأ حمزة والكسائي وخلف ويحيى بن وثاب والأعمش

﴿يَهْدِي﴾ بفتح الياء وإسكان الهاء وتخفيف الدال ؛ من هدى يهدي . قال النحاس : وهذه القراءة لها وجهان في العربية وإن كانت بعيدة ، وأحد الوجهين أن الكسائي والفراء قالا : ﴿يَهْدِي﴾ بمعنى يهتدي . قال أبو العباس : لا يعرف هذا ، ولكن التقدير أمن لا يهدي غيره ، ثم الكلام ، ثم قال : ﴿إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾ استأنف من الأول ، أي لكنه يحتاج أن يهدي ؛ فهو استثناء منقطع ، كما تقول : فلان لا يسمع غيره إلا أن يسمع ، أي لكنه يحتاج أن يسمع .



س : وضح معنى قوله تعالى : (وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾) ؟

ج : المعنى - والله تعالى أعلم - :

وما يتبع أكثر هؤلاء المشركين عبادة هذه الأصنام والأوثان عن يقين وبرهان ودليل إن يعبدونها بناءً على ظنونٍ وأوهام ، أنها تنفعهم وتكشف الضر عنهم ، وهذا ظنٌ باطلٌ ، ظنٌ لا يقوم على دليل ولا برهان ، وهذا الظن لا يقاوم الحقيقة المبنية على الأدلة والبراهين ، فقد قامت الأدلة والبراهين نقلاً وعقلاً ومن كل طريق على وحدانية الله ﷻ ، وأنه الذي يهدي ويكشف الضر ويوجب المضطر .

أما هذا الظن الباطل الذي ظنوه بآلهتهم فليس بنافعهم وليس بنافع أمام اليقين ، وليس بدافع من عذاب الله شيئاً . والله تعالى أعلم .

قال الطبري رحمه الله :

يقول تعالى ذكره : وما يتبع أكثر هؤلاء المشركين إلا ظناً ، يقول : إلا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته ، بل هم منه في شكٍّ وريبةٍ ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ ، يقول : إن الشك لا يغني من اليقين شيئاً ، ولا يقوم في شيء مقامه ، ولا

ينتفع به حيث يحتاج إلى اليقين ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦)، يقول تعالى ذكره: إن الله ذو علم بما يفعل هؤلاء المشركون، من اتباعهم الظن، وتكذيبهم الحق اليقين، وهو لهم بالمرصاد، حيث لا يُغني عنهم ظنهم من الله شيئاً.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:**

ثم بين تعالى أنهم لا يتبعون في دينهم هذا دليلاً ولا برهاناً، وإنما هو ظن منهم، أي: توهم وتخيل، وذلك لا يغني عنهم شيئاً، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦) تهديد لهم، ووعد شديد؛ لأنه تعالى أخبر أنه سيجازيهم على ذلك أتم الجزاء.

**وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:**

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ يريد الرؤساء منهم؛ أي ما يتبعون إلا حدساً وتخريصاً في أنها آلهة وأنها تشفع، ولا حجة معهم. وأما أتباعهم فيتبعونهم تقليداً. ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ أي من عذاب الله؛ فالحق هو الله. وقيل ﴿الْحَقُّ﴾ هنا اليقين؛ أي ليس الظن كاليقين. وفي هذه الآية دليل على أنه لا يكتفى بالظن في العقائد. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦) من الكفر والتكذيب، خرجت مخرج التهديد.

**وقال ابن الجوزي (زاد المسير):**

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي: كلهم ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ أي ما يستيقنون أنها آلهة بل يظنون شيئاً فيتبعونه ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ أي: ليس هو كاليقين ولا يقوم مقام الحق وقال مقاتل: ظنهم بأنها آلهة لا يدفع عنهم من العذاب شيئاً، وقال غيره: ظنهم أنها تشفع لهم لا يغني عنهم.

**وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:**

ولهذا قال: ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ﴾ الذين يدعون من دون الله شركاء

﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ أي: ما يتبعون في الحقيقة شركاء لله، فإنه ليس لله شريك أصلاً، عقلاً، ولا نقلاً، وإنما يتبعون الظن و ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾. فسموها آلهة، وعبدوها مع الله، ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [النجم: ٢٣].

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ وسيجازيهم على ذلك بالعقوبة البليغة.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٧).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وما كان لأحد من الخلق أن يفترى هذا القرآن من تلقاء نفسه، فلن يستطيع ذلك أحد من الخلق، كما قال تعالى: (قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) (٨٨).

فلن يستطيع أحد أن يأتي بقرآن مثله ولا بسورة مثل سورة، ولا بعشر آيات، ولا بآية واحدة من تلقاء نفسه، ولكن الله ﷻ هو الذي أنزله على رسوله ﷺ، وما كان لرسول الله ﷺ أن يتقوله من عند نفسه، وقد قال تعالى: (وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ) (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) فالقرآن من عند الله ﷻ أنزله على رسوله محمد ﷺ تصديقاً للذي بين يديه، أي: للتوراة والإنجيل اللذين قد تقدماه وأخبرا به وبأنه سينزل فلما كانت التوراة فيها إخباراً بأن القرآن سينزل على رسول الله محمد ﷺ، ولما كان الإنجيل فيه البشارة بذلك أيضاً، فمن ثم كان نزول القرآن على رسول الله ﷺ تصديقاً للتوراة والإنجيل، وإلا فإنه إذا لم ينزل سيكون ثم تكذيب للتوراة والإنجيل لكون الأخبار التي فيها لم تتحقق (وذلك في حال عدم نزول



القرآن).

فهذا وجه لقوله تعالى: ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: أن نزول القرآن نفسه تصديق لما أخبر بنزوله.

\*\*\* وثم وجه ثانٍ في كونه تصديق حاصله أن ما في القرآن الكريم من الأخبار والدلالة على وحدانية الله وذكر الجنة والنار وغير ذلك موافق لما في التوراة والإنجيل غير مخالفٍ لهما، فأخباره وما فيه تصديقٌ لأخبار التوراة والإنجيل وسائر الكتب المتقدمة وما فيها فكلها تدل على وحدانية الله وتأمير عبادة الله وحده لا شريك له، وتحث على مكارم الأخلاق وتذكر بالبعث والحساب والثواب والعقاب وغير ذلك.

فالقرآن تصديقٌ أيضًا للكتب المتقدمة لكون الأخبار متوافقة.

\*\*\* ووجه ثالثٌ ذكره بعض أهل العلم، أن ما فيه من الأخبار موافق لما سيأتي أيضًا فقد أخبر بالجنة والنار والثواب والعقاب وكل ذلك كائن إن شاء الله.

\*\*\* أما قوله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ ففي الكتاب هنا أقوال: أحدها: أن المراد بالكتاب: الأحكام، وقد يأتي الكتاب بهذا المعنى، كقوله تعالى: ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٤] أي: حكم الله عليكم، فعلى ذلك فقوله: ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ أي: تفصيل الأحكام والفرائض التي افترضها الله عليكم، وبيانها مفصلة موضحة مفصلاً كل حكم عن الآخر لإتمام البيان والإيضاح.

**ومن العلماء من قال:** إن ﴿الْكِتَابِ﴾ المراد به الكتب المتقدمة، والكتاب هنا اسم جنس كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ...﴾ [الحديد: ٢٥] فقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي: الكتب، فقوله: ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ أي: بيان أيضًا لما في الكتب المتقدمة

وتوضيح لها.

**والمراد:** التوراة والإنجيل وسائر الكتب أي: أن القرآن ذكرها وذكر بعض ما فيها كما قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ نَفْسَ الْنَفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ...﴾ [المائدة: ٤٤-٤٥] إلى غير ذلك.

**فقوله:** ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ أي: بيان لأحكام الكتب المتقدمة التي غيرت وبُدلت من أهل الزيغ والضلال، والله أعلم.

\* أما قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شك في القرآن ولا ارتياب، في كونه أنزل من عند الله ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ رب السموات والأرض وما بينهما **وبنحو هذا قال أهل العلم.**

**قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:**

**يقول تعالى ذكره:** ما ينبغي لهذا القرآن أن يفترى من دون الله، يقول: ما ينبغي له أن يتخرَّصه أحد من عند غير الله. وذلك نظير قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ [آل عمران: ١٦١]، بمعنى: ما ينبغي لنبي أن يغله أصحابه.

وإنما هذا خبرٌ من الله جل ثناؤه أن، هذا القرآن من عنده، أنزله إلى محمد عبده، وتكذيبٌ منه للمشركين الذين قالوا: «هو شعر وكهانة»، والذين قالوا: «إنما يتعلمه محمد من يحسن الرومي».

**يقول لهم جل ثناؤه:** ما كان هذا القرآن ليختلقه أحدٌ من عند غير الله، لأن ذلك لا يقدر عليه أحدٌ من الخلق ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، أي: يقول تعالى ذكره: ولكنه من عند الله أنزله مصدقاً لما بين يديه، أي لما قبله من الكتب التي أنزلت على أنبياء الله، كالتوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله التي أنزلها على أنبيائه ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾، يقول: وتبيان الكتاب الذي كتبه الله

على أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وفرائضه التي فرضها عليهم في السابق من علمه يقول: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شك فيه أنه تصديق الذي بين يديه من الكتاب وتفصيل الكتاب من عند رب العالمين، لا افتراءً من عند غيره ولا اختلاقاً.

#### وقال ابن كثير رحمه الله:

هذا بيان لإعجاز القرآن، وأنه لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله، ولا بعشر سور، ولا بسورة من مثله، لأنه بفصاحته وبلاغته ووجازته وحلاوته، واشتماله على المعاني العزيزة النافعة في الدنيا والآخرة، لا يكون إلا من عند الله الذي لا يشبهه شيء في ذاته ولا صفاته، ولا في أفعاله وأقواله، فكلامه لا يشبه كلام المخلوقين؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: مثل هذا القرآن لا يكون إلا من عند الله، ولا يشبه هذا كلام البشر، ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: من الكتب المتقدمة، ومهيمنها عليها، ومبينها لما وقع فيها من التحريف والتأويل والتبديل.

**وقوله:** ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: وبيان الأحكام والحلال والحرام، بياناً شافياً كافياً حقاً لا مرية فيه من الله رب العالمين.

#### وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ﴿أَنْ﴾ مع ﴿يُفْتَرَى﴾ مصدر، والمعنى: وما كان هذا القرآن افتراء؛ كما تقول: فلان يحب أن يركب، أي يحب الركوب، قاله الكسائي. وقال الفراء: المعنى وما ينبغي لهذا القرآن أن يفتري؛ كقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ [آل عمران: ١٦١] ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢]. وقيل: ﴿أَنْ﴾ بمعنى اللام، تقديره: وما كان هذا القرآن ليفتري. وقيل: بمعنى لا، أي لا يفتري. وقيل: المعنى ما كان

يتهيأ لأحد أن يأتي بمثل هذا القرآن من عند غير الله ثم ينسبه إلى الله تعالى لإعجازه ؛ لوصفه ومعانيه وتأليفه. ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قال الكسائي والفراء ومحمد بن سعدان: التقدير ولكن كان تصديق ؛ ويجوز عندهم الرفع بمعنى: ولكن هو تصديق. ﴿الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي من التوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب، فإنها قد بشرت به فجاء مصدقا لها في تلك البشارة، وفي الدعاء إلى التوحيد والإيمان بالقيامة. وقيل: المعنى ولكن تصديق النبي بين يدي القرآن وهو محمد ﷺ ؛ لأنهم شاهدوه قبل أن سمعوا منه القرآن. ﴿وَتَقْصِيلَ﴾ بالنصب والرفع على الوجهين المذكورين في تصديق. والتفصيل التبيين، أي يبين ما في كتب الله المتقدمة. والكتاب اسم الجنس. وقيل: أراد بتفصيل الكتاب ما بين في القرآن من الأحكام. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ الهاء عائدة للقرآن، أي لا شك فيه أي في نزول من قبل الله تعالى.

**وقال ابن الجوزي (زاد المسير):**

**قوله تعالى:** ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

**أحدها:** أنه تصديق الكتب المتقدمة قاله ابن عباس فعلى هذا إنما قال ﴿الَّذِي﴾ لأنه يريد الوحي.

**والثاني:** ما بين يديه من البعث والنشور ذكره الزجاج.

**والثالث:** تصديق النبي ﷺ الذي بين يدي القرآن لأنهم شاهدوا النبي ﷺ

وعرفوه قبل سماعهم القرآن ذكره ابن الأنباري.

**قوله تعالى:** ﴿وَتَقْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ أي وبيان الكتاب الذي كتبه الله على أمة

محمد ﷺ الفرائض التي فرضها عليهم.

**قال السعدي رحمه الله:**

يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غير ممكن ولا

متصور، أن يفترى هذا القرآن على الله تعالى، لأنه الكتاب العظيم الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] وهو الكتاب الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وهو كتاب الله الذي تكلم به رب العالمين، فكيف يقدر أحد من الخلق، أن يتكلم بمثله، أو بما يقاربه، والكلام تابع لعظمة المتكلم ووصفه؟!.

فإن كان أحد يماثل الله في عظمته، وأوصاف كماله، أمكن أن يأتي بمثل هذا القرآن، ولو تنزلنا على الفرض والتقدير، فتقوله أحد على رب العالمين، لعاجله بالعقوبة، وبادره بالنكال.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ أُنْزِلَ هَذَا الْكِتَابَ، رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ، وَحُجَّةً عَلَى الْعِبَادِ أَجْمَعِينَ﴾.

أنزله ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من كتب الله السماوية، بأن وافقها، وصدقها بما شهدت به، وبشرت بنزوله، فوقع كما أخبرت.

﴿وَتَقْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ للحلال والحرام، والأحكام الدينية والقدرية، والإخبارات الصادقة.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٧) أي: لا شك ولا مرية فيه بوجه من الوجوه، بل هو الحق اليقين: تنزيل من رب العالمين الذي ربي جميع الخلق بنعمه.

ومن أعظم أنواع تربيته أن أنزل عليهم هذا الكتاب الذي فيه مصالحهم الدينية والدنيوية، المشتمل على مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَآتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ

اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٨) ؟

**ج: المعنى - والله تعالى أعلم :-** أيقول هؤلاء المشركون عن رسول الله ﷺ أنه افترى هذا القرآن من عند نفسه أو أملاه عليه آخرون، وادعى أنه من عند الله ﷻ فقل لهم عند ذلك: أنا عربي وأنتم عرب، ثم إنني لا أقرأ ولا أكتب فام دمتم عرباً كما أنني عربي، فأتوا بسورةٍ مثل سور هذا القرآن، وادعوا من استطعتم من الآلهة التي عبدتموها من دون الله، وادعوا كذلك من استطعتم من الإنس والجن كي يعاونوكم للإتيان بسورةٍ مثل سور هذا القرآن إن كنتم صادقين في قولكم: إنني افتريت هذا القرآن، ولن تستطيعوا أن تفعلوا بحالٍ من الأحوال، وبمثل هذا قال أهل العلم.

**قال الطبري رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره:** أم يقول هؤلاء المشركون: افترى محمد هذا القرآن من نفسه فاختلقه وافتعله؟ قل يا محمد لهم: إن كان كما تقولون إني اختلقته وافتريته، فإنكم مثلي من العرب، ولساني مثل لسانكم، وكلامي مثل كلامكم، فجيئوا بسورةٍ مثل هذا القرآن.

و«الهاء» في قوله ﴿مِثْلِهِ﴾، كناية عن القرآن.

**ثم قال رحمه الله:**

﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، يقول: وادعوا، أيها المشركون على أن يأتوا بسورةٍ مثلها من قدرتم أن تدعوا على ذلك من أوليائكم وشركائكم ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، يقول: من عند غير الله، فأجمعوا على ذلك واجتهدوا، فإنكم لا تستطيعون أن تأتوا بسورةٍ مثله أبداً.

**وقوله:** ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، يقول: إن كنتم صادقين في أن محمداً افتراه، فأتوا بسورةٍ مثله من جميع من يعينكم على الإتيان بها. فإن لم تفعلوا ذلك، فلا شك أنكم كذبةٌ في زعمكم أن محمداً افتراه، لأن محمداً لن يعدو أن يكون

بشرًا مثلكم، فإذا عجز الجميع من الخلق أن يأتوا بسورةٍ مثله، فالواحد منهم عن أن يأتي بجميعه أعجز.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

**وقوله:** ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٨) أي: إن ادعيتهم وافتريتهم وشككتهم في أن هذا من عند الله، وقلتم كذبًا ومينًا: «إن هذا من عند محمد»، فمحمد بشر مثلكم، وقد جاء فيما زعمتم بهذا القرآن، فأتوا أنتم بسورة مثله، أي: من جنس القرآن، واستعينوا على ذلك بكل من قدرتم عليه من إنس وجان.

وهذا هو المقام الثالث في التحدي، فإنه تعالى تحداهم ودعاهم، إن كانوا صادقين في دعواهم، أنه من عند محمد، فلتعارضوه بنظير ما جاء به وحده واستعينوا بمن شئتم وأخبر أنهم لا يقدرُونَ على ذلك، ولا سبيل لهم إليه، فقال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (٨٨) ﴿[الإسراء: ٨٨]، ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه، فقال في أول سورة هود: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٣) ﴿[هود: ١٣]، ثم تنازل إلى سورة، فقال في هذه السورة: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٨) وكذا في سورة البقرة -وهي مدنية- تحداهم بسورة منه، وأخبر أنهم لا يستطيعون ذلك أبدا، فقال: ﴿إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ الآية: [البقرة: ٢٤].

هذا وقد كانت الفصاحة من سجايهم، وأشعارهم ومعلقاتهم إليها المنتهى في هذا الباب، ولكن جاءهم من الله ما لا قبَل لأحد به، ولهذا آمن من آمن منهم بما عرف من بلاغة هذا الكلام وحلاوته، وجزالته وطلاوته، وإفادته

وبراعته، فكانوا أعلم الناس به، وأفهمهم له، وأتبعهم له وأشدّهم له انقيادا، كما عرف السحرة، لعلمهم بفنون السحر، أن هذا الذي فعله موسى، عليه السلام، لا يصدر إلا عن مؤيّد مُسَدّد مرسل من الله، وأن هذا لا يستطيع لبشر إلا بإذن الله. وكذلك عيسى، عليه السلام، بُعث في زمان علماء الطب ومعالجة المرضى، فكان يبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله، ومثل هذا لا مدخل للعلاج والدواء فيه، فعرف من عرف منهم أنه عبد الله ورسوله؛ ولهذا جاء في الصحيح، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا» <sup>(١)</sup>.

#### وقال القرطبي رحمته الله:

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾ أم ههنا في موضع ألف الاستفهام لأنها اتصلت بما قبلها. وقيل: هي أم المنقطعة التي تقدر بمعنى بل والهمزة؛ كقوله تعالى: ﴿الْمَ ۝١ نَزِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢﴾ أمر يقولون افْتَرَيْنَاهُ ﴿[السجدة: ١، ٢، ٣] أي بل يقولون افتراه. وقال أبو عبيدة: أم بمعنى الواو، مجازة: ويقولون افتراه. وقيل: الميم صلة، والتقدير: يقولون افتراه، أي اختلق محمد القرآن من قبل نفسه، فهو استفهام معناه التقرير. ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ ومعنى الكلام الاحتجاج، فإن الآية الأولى دلت على كون القرآن من عند الله؛ لأنه مصدق الذي بين يديه من الكتب وموافق لها من غير أن يتعلم محمد ﷺ عن أحد. وهذه الآية إلزام بأن يأتوا بسورة مثله إن كان مفترى.

#### وقال السعدي رحمته الله (تيسير الكريم الرحمن):

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أي: المكذبون به عنادا وبغيا: ﴿افْتَرَيْنَاهُ﴾ محمد على الله،

(١) البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢-٢٣٩).



واختلقه، ﴿قُلْ﴾ لهم - ملزما لهم بشيء - إن قدروا عليه، أمكن ما ادعوه، وإلا كان قولهم باطلا.

﴿فَأَقْوَ يُسْوَ رَ مِثْلِهِ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يعاونكم على الإتيان بسورة مثله، وهذا محال، ولو كان ممكناً لادعوا قدرتهم على ذلك، ولأتوا بمثله.

ولكن لما بان عجزهم تبين أن ما قالوه باطل، لا حظ له من الحجة.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ (٣٩).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن هؤلاء الكفار في حقيقة أمرهم لا يكذبونك يا رسول الله. من دواخلهم لا يكذبونك، ولكنهم لم يحيطوا علماً بما فيه من الجنة والنار، والثواب والعقاب، فالذي تخبرهم به من أمر البعث والمعاد والثواب والعقاب، والجنة والنار، والصراط والحساب والميزان وغير ذلك، لم يدركه هؤلاء الكفار ولم يحيطوا به علماً.

فمن ثم فهم يكذبون بذلك ويجحدون الآيات بذلك وكذلك جهلوا ما في هذا القرآن من الخير والفضل والنفع ولم يتذوقوا حلاوته لتكذيبهم به.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ معناه: أنه لم يأتهم تحقق ما في هذا القرآن من الوعيد عند تلاوتك لهذا القرآن عليهم، ولم يعاينوا ذلك بأعينهم، لم يعاينوا ما فيه من الوعيد، إذ وقت الوعيد لم يكن جاءهم آنذاك، وسيأتيهم حتماً فكلما كذب هؤلاء، فقد كذب الذين من قبلهم ممن كانوا على شاكلتهم من أهل الشرك، فانظر يا رسول الله، ولينظر هؤلاء وغيرهم عاقبة المكذبين المستهزئين الظالمين الذي سلفوا ومضوا حتى تحدث العبرة ويحدث لهم

الاتعاظ كذلك فالذين من قبلهم تحقق فيهم ما أخبرتهم به أنبياءهم من الهلاك لما استمروا على كفرهم وطغيانهم فليحذر هؤلاء أيضًا إذا استمروا على الكفر أن يتحقق فيهم ما توعدهم الله ﷻ به في كتابه المنزل على رسوله ﷺ.

**وبنحو هذا قال أهل العلم.**

**قال الطبري رحمه الله:**

يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء المشركين يا محمد، تكذيبك ولكن بهم التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه مما أنزل الله عليك في هذا القرآن، من وعيدهم على كفرهم برهم ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾، يقول: ولما يأتهم بعد بيان ما يؤول إليه ذلك الوعيد الذي توعدهم الله في هذا القرآن ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، يقول تعالى ذكره: كما كذب هؤلاء المشركون، يا محمد، بوعيد الله، كذلك كذب الأمم التي خلت قبلهم بوعيد الله إياهم على تكذيبهم رسلهم وكفرهم برهم ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ (٣٩)، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فانظر، يا محمد، كيف كان عاقبة كفر من كفر بالله، ألم نهلك بعضهم بالرجفة، وبعضهم بالخسف وبعضهم بالغرق؟ يقول: فإن عاقبة هؤلاء الذي يكذبونك ويجحدون بآياتي من كفار قومك، كالتى كانت عاقبة من قبلهم من كفره الأمم، إن لم ينيبوا من كفرهم، ويسارعوا إلى التوبة.

**وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:**

وقوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ يقول: بل كذب هؤلاء بالقرآن، ولم يفهموه ولا عرفوه، ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ أي: ولم يحصلوا ما فيه من الهدى ودين الحق إلى حين تكذيبهم به جهلا وسفهاً ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: من الأمم السالفة ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ (٣٩) أي: فانظر كيف أهلكناهم بتكذيبهم رسلنا ظلماً وعلواً، وكفراً وعناداً وجهلاً

فاحذروا أيها المكذبون أن يصيبكم ما أصابهم.

**وقال القرطبي رحمه الله:**

قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ﴾ أي كذبوا بالقرآن وهم جاهلون بمعانيه وتفسيره، وعليهم أن يعلموا ذلك بالسؤال؛ فهذا يدل على أنه يجب أن ينظر في التأويل. وقوله: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ أي ولم يأتهم حقيقة عاقبة التكذيب من نزول العذاب بهم. أو كذبوا بما في القرآن من ذكر البعث والجنة والنار، ولم يأتهم تأويله أي حقيقة ما وعدوا في الكتاب؛ قاله الضحاك. وقيل للحسين بن الفضل: هل تجد في القرآن (من جهل شيئاً عاداه) قال نعم، في موضعين: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ﴾ وقوله: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ ۝١١﴾ [الأحقاف: ١١]. ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يريد الأمم الخالية، أي كذا كانت سبلهم. والكاف في موضع نصب. ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ۝٣٩﴾ أي أخذهم بالهلاك والعذاب.

**وقال ابن الجوزي (زاد المسير):**

قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ﴾ فيه قولان: **أحدهما:** أن المعنى بما لم يحيطوا بعلم ما فيه ذكر الجنة والنار والبعث والجزاء.

**والثاني:** بما لم يحيطوا بعلم التكذيب به لأنهم شاكون فيه.

وفي قوله: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ قولان:

**أحدهما:** تصديق ما وعدوا به من الوعيد والتأويل ما يؤول إليه الأمر.

**والثاني:** ولم يكن معهم علم تأويله قاله الزجاج.

**وقال السعدي رحمه الله:**

والذي حملهم على التكذيب بالقرآن المشتمل على الحق الذي لا حق

فوقه، أنهم لم يحيطوا به علماً.

فلو أحاطوا به علماً وفهموه حق فهمه، لأذعنوا بالتصديق به، وكذلك إلى الآن لم يأتهم تأويله الذي وعدهم أن ينزل بهم العذاب ويحل بهم النكال، وهذا التكذيب الصادر منهم، من جنس تكذيب من قبلهم، ولهذا قال: ﴿كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَنُظِرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٣٩﴾ وهو الهلاك الذي لم يبق منهم أحداً.

فليحذر هؤلاء، أن يستمروا على تكذيبهم، فيحل بهم ما أحل بالأمم المكذبين والقرون المهلكين.

وفي هذا دليل على الثبوت في الأمور، وأنه لا ينبغي للإنسان أن يبادر بقبول شيء أو رده، قبل أن يحيط به علماً.



من جهل شيئاً عاداه

س: من جهل شيئاً عاداه، دُلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعَلَمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ [الأنبياء: ٢٤].

وقوله تعالى في شأن موسى مع الخضر عليه السلام وقول الخضر لموسى: ﴿إِنَّكَ

لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ ﴿٦٨﴾ [الكهف: ٦٧-٦٨].

وتقدم كلام القرطبي وما أورده عن الحسين بن الفضل، وأنه استدل أيضاً

بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ ﴿١١﴾ [الأحقاف: ١١].



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ

أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٤٠﴾.

ج: في هذا أقوال:

**أولها:** ومن أهل الشرك من سيؤمن بهذا القرآن وإن طال تكذيبه، ومنهم

من سيموت على الكفر.

وهذا القول قوي، ووجه قوته أن الآيات التي تقدمته تتحدث عن أهل

الشرك.

**الثاني:** ومن القوم الذين أرسلت إليهم من يؤمن بهذا القرآن ويتبعك وهم

أصحابك الذين آمنوا بك، ومنهم من لا يؤمن بهذا القرآن، وهم أهل الكفر

القائمون على شركهم.

**الثالث:** ومن أهل الكتاب من يؤمن بهذا القرآن، ومنهم من لا يؤمن به.

\* وأظهر الأقوال، والله أعلم، القول الأول.

**أما قوله تعالى:** ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ فيه تهديد لأهل الشر والإفساد في الأرض وتوعد لهم على إفسادهم، وكذا فإنه سبحانه أعلم، بمن يستحق الهداية فيهديه ويتفضل علي بها، وأعلم بمن يستحق الغواية فيغوي، والله تعالى أعلم، وهذه بعض أقوال العلماء في تأويل الآية الكريمة.

#### قال الطبري رحمه الله:

**يقول تعالى ذكره:** ومن قومك، يا محمد، من قریش، من سوف يؤمن به يقول: من سوف يصدق بالقرآن ويقر أنه من عند الله ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ ﴿٤٠﴾ أبداً، يقول: ومنهم من لا يصدق به ولا يقر أبداً ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ يقول: والله أعلم بالمكذبين به منهم، الذين لا يصدقون به أبداً، من كل أحد، لا يخفى عليه، وهو من وراء عقابه. فأما من كتبت له أن يؤمن به منهم، فإني سأتوب عليه.

#### وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ ﴿٤٠﴾ ورَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ أي: ومن هؤلاء الذين بُعث إليهم يا محمد من يؤمن بهذا القرآن، ويتبعك ويتنفع بما أرسلت به، ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ ﴿٤٠﴾ بل يموت على ذلك ويبعث عليه، ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ أي: وهو أعلم بمن يستحق الهداية فيهديه، ومن يستحق الضلالة فيضله، وهو العادل الذي لا يجور، بل يعطي كلا ما يستحقه، تبارك وتعالى وتقدس وتنزه، لا إله إلا هو.

#### وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ ﴿٤٠﴾ قيل: المراد أهل مكة، أي ومنهم من يؤمن به في المستقبل وإن طال تكذيبه؛ لعلمه تعالى السابق فيهم أنهم من السعداء. و﴿مَنْ﴾ رفع بالابتداء والخبر في المجرور. وكذا. ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا

يُؤْمِرُ بِهِ ۖ وَالْمَعْنَى وَمِنْهُمْ مَنْ يَصِرْ عَلَى كُفْرِهِ حَتَّى يَمُوتَ ؛ كَأَبِي طَالِبٍ وَأَبِي لَهَبٍ وَنَحْوَهُمَا . وَقِيلَ : الْمُرَادُ أَهْلَ الْكِتَابِ . وَقِيلَ : هُوَ عَامٌ فِي جَمِيعِ الْكُفَرِ ؛ وَهُوَ الصَّحِيحُ . وَقِيلَ . إِنَّ الضَّمِيرَ فِي «بِهِ» يَرْجِعُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ؛ فَأَعْلَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ إِنَّمَا آخِرُ الْعُقُوبَةِ لِأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ سَيُؤْمِنُ . ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ ٤٠ أي من يصِرْ عَلَى كُفْرِهِ ؛ وَهَذَا تَهْدِيدٌ لَهُمْ .

قال ابن الجوزي ( زاد المسير ) :

قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ﴾ في المشار إليهم قولان :

أحدهما : أنهم اليهود . قاله أبو صالح <sup>(١)</sup> عن ابن عباس .

والثاني : قريش . قاله مقاتل بن سليمان .

وفي هاء به قولان :

أحدهما : أنها ترجع إلى محمد ﷺ ودينه قاله مقاتل .

والثاني : إلى القرآن قاله أبو سليمان الدمشقي .

وهذه الآية تضمنت الإخبار عما سبق في علم الله ، فالمعنى : وَمِنْهُمْ مَنْ سَيُؤْمِنُ بِهِ . وقال الزجاج : منهم من يعلم أنه حق فيصدق به ويعاند فيظهر الكفر . ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ ﴾ أي : يشك ولا يصدق .

وقال السعدي رحمه الله :

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ﴾ أي : بالقرآن وما جاء به ، ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ ﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿ ٤٠ ﴾ وهم الذين لا يؤمنون به على وجه العناد والظلم والفساد ، فسيجازيهم على فسادهم بأشد العذاب .



(١) وفي سندها مقال .

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٤١).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وإن كذبت يا رسول الله هؤلاء المشركون وأقاموا على ضلالهم وغييهم فقل لهم لي عملي وأنا مجزيُّ به، ولكم عملكم وأنتم مجزيُّون به، لا أواخذ بعملكم ولا تؤاخذون بعملي، والله تعالى أعلم. وينحوه قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإن كذبت، يا محمد، هؤلاء المشركون، وردُّوا عليك ما جئتهم به من عند ربك، فقل لهم: أيها القوم، لي ديني وعملي، ولكم دينكم وعملكم، لا يضرني عملكم، ولا يضركم عملي، وإنما يُجازي كل عامل بعمله ﴿أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ﴾، لا تؤاخذون بجريرته ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾، لا أواخذ بجريرة عملكم. وهذا كما قال جل ثناؤه: ﴿قُلْ يَتَّخِذُ الْكَافِرُونَ ١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٣﴾ [الكافرون: ١-٣].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى لنبيه ﷺ: وإن كذبت هؤلاء المشركون، ف تبرأ منهم ومن عملهم، ﴿قُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَّخِذُ الْكَافِرُونَ ١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٥﴾ لكم دينكم ولي دين ﴿١﴾ [سورة الكافرون]. وقال إبراهيم الخليل وأتباعه لقومهم المشركين: ﴿إِنَّا بَرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ﴾ رفع بالابتداء، والمعنى: لي ثواب



عملي في التبليغ والإنذار والطاعة لله تعالى. ﴿وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ أي جزاؤه من الشرك. ﴿أَنْتُمْ بَرِيضُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٤١) مثله ؛ أي لا يؤخذ أحد بذنب الآخر.

**وقال السعدي رحمه الله (تيسير الكريم الرحمن):**

﴿وَلَا يَكْذِبُكَ﴾ فاستمر على دعوتك، وليس عليك من حسابهم من شيء، وما من حسابك عليهم من شيء، لكل عمله. ﴿فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيضُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٤١).

كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦].



**س: هل هذه الآية الكريمة منسوخة: ﴿وَلَا يَكْذِبُكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾**

**وما وجه القائلين بأنها منسوخة.**

**ج: الظاهر - والله تعالى أعلم -:** أنها ليست بمنسوخة، والذين قالوا بالنسخ قال عددٌ منهم إنها منسوخة بآية السيف، وهذا فيه بُعد، وذلك لأنه لا تعارض بينها وبين آية السيف التي هي: ﴿فَإِذَا أَسْلَحَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ...﴾ [التوبة: ٥]. والله تعالى أعلم.

**قال الطبري رحمه الله:**

وقيل: إن هذه الآية منسوخة، نسخها الجهاد والأمر بالقتال.

**وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله:** ﴿وَلَا يَكْذِبُكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ

عَمَلُكُمْ﴾ الآية، قال: أمره بهذا، ثم نسخه وأمره بجهادهم.

**وقال القرطبي رحمه الله:**

وهذه الآية منسوخة بآية السيف؛ في قول مجاهد والكلبي ومقاتل وابن

زيد.

قال ابن الجوزي في زاد المسير:

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ...﴾ الآية. قال أبو صالح عن ابن عباس: نسختها آية السيف؛ وليس هذا بصحيح؛ لأنه لا تنافي بين الآيتين.



### قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ۖ﴾ (٤٢) وَمِنْهُمْ  
مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ۖ﴾ (٤٣) إِنَّ  
اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ۖ﴾ (٤٤) وَيَوْمَ  
يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا  
بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۖ﴾ (٤٥) وَإِنَّمَا نُزِّلْنَاكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نَتُفِقُكَ فَإِلَيْنَا  
مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ۖ﴾ (٤٦) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ  
رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۖ﴾ (٤٧) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ  
إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۖ﴾ (٤٨) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ  
أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَجِرُّونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۖ﴾ (٤٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن  
أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعِجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ۖ﴾ (٥٠) أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ  
عَامِنْتُمْ بِهِ ۖ ءَاَلَكُنَّ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۖ﴾ (٥١) ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا  
عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ۖ﴾ (٥٢) [يونس: ٤٢-٥٢].

س: اذكر معنى ما يلي:

(الْصَّمَّ - تَهْدَى الْعَمَى - يَحْشُرُهُمْ - يَلْبَثُوا - قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ - أُمَّةٌ - وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ - بَيْنَنَا - أَثْمَرٌ - ءَامَنْتُمْ بِهِ - عَذَابَ الْخُلْدِ).

ج:

| الكلمة                           | معناها                                         |
|----------------------------------|------------------------------------------------|
| (الْصَّمَّ) ❖                    | الذين سُلِبَت أَسْمَاعُهُمْ فَلَا يَسْمَعُونَ. |
| (تَهْدَى الْعَمَى) ❖             | توفق من ذهب بصره وبصيرته.                      |
| (يَحْشُرُهُمْ) ❖                 | يجمعهم.                                        |
| (يَلْبَثُوا) ❖                   | يمكنوا.                                        |
| (قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ) ❖ | حُكِمَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ.                   |
| (أُمَّةٌ) ❖                      | جماعة من الناس - قرنٌ من القرون.               |
| (وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) ❖        | لا يتقدمون - لا يموتون قبل آجالهم.             |
| (بَيْنَنَا) ❖                    | وهم نيام.                                      |
| (أَثْمَرٌ) ❖                     | أهنالك - (عند حلول العذاب).                    |
| (ءَامَنْتُمْ بِهِ) ❖             | صدقتم به وأقرتم بوقوعه.                        |
| (عَذَابَ الْخُلْدِ) ❖            | العذاب الدائم الذي لا ينقضي ولا ينتهي.         |



## المهتدي من هداه الله

س: وضح معنى هذه الآيات: (وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٥﴾)؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ومن هؤلاء المشركين من يستمعون إليك، ولكن على ما يبدو والله أعلم، أنهم يستمعون سماع من لا يريد الاهتداء، بل يريد السخرية والاستهزاء، فيستمعون منك كلامك الطيب وما تتلوه عليهم من الذكر الحكيم، وأنت حريص على هدايتهم وتوفيقهم، وحريص كذلك على أن يستفيدوا منك ومن علمك، وحريص على إيمانهم، ولكن أمر الهداية موكول إلى الله سبحانه وتعالى هو الذي يهدي وهو الذي يضل أفأنت تسمع الأصم الذي سلبه الله السمع ولو كان لا يعقل؟! كلاً فإنك لن تستطيع هداية من أغواه الله، ولن تستطيع إسماع من أذهب الله سمعه.

وكذلك فمن هؤلاء المشركين من ينظر إليك، وأنت والله الحمد فيك ما فيك من خصال الخير الطيبة والسمت الحسن والخلق الكريم، فيك وفي سميتك ما يدعو إلى الاهتداء، ولكنهم والله أعلم ينظرون إليك ليس بعين راغب الاهتداء، ولكن بعين السخرية والاستهزاء، ومع ذلك فأنت حريص على هدايتهم وتوفيقهم وإيمانهم ولكن أفأنت تهدي العمي الذين سلبهم الله الأبصار؟! كلا بل المبصر المهتدي من هداه الله ولن يستطيع أن تهدي من أعماه الله، هذا، وما فعل الله ﷻ بهم ما فعل من سلبهم السمع الذي يسمعون به ما ينفعهم ومن سلبهم الأبصار إلا وهم يستحقون ذلك فالله أعلم بعباده ويفعل في خلقه ما يشاء ولا يبخس الناس شيئاً من حقوقهم ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم بتكذيبهم رسول الله وبجحودهم وإنكارهم آيات الله ﷻ هم الذين ينزلون أنفسهم أسوأ المنازل في النار والعياذ بالله، بسب

إعراضهم عن طاعة الله، والإيمان به وبرسوله.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

**يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ:** ومن هؤلاء المشركين من يستمعون إلى قولك: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٤٢﴾، يقول: أفأنت تخلق لهم السمع، ولو كانوا لا سمع لهم يعقلون به، أم أنا؟ وإنما هذا إعلامٌ من الله عباده أن التوفيق للإيمان به بيده لا إلى أحد سواه. يقول لنبيه محمد ﷺ: كما أنك لا تقدر أن تسمع، يا محمد، من سلبته السمع، فكذلك لا تقدر أن تفهم أمري ونهيي قلباً سلبته فهم ذلك، لأنني ختمت عليه أنه لا يؤمن.

**وقال رحمه الله: يقول تعالى ذكره:** ومن هؤلاء المشركين، مشركي قومك، من ينظر إليك، يا محمد، ويرى أعلامك وحُجَجَك على نبوتك، ولكن الله قد سلبه التوفيق فلا يهتدي، ولا تقدر أن تهديه، كما لا تقدر أن تحدث للأعمى بصراً يهتدي به ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْأَعْمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ ﴿٤٣﴾، يقول: أفأنت يا محمد، تحدث هؤلاء الذين ينظرون إليك وإلى أدلتك وحججك، فلا يوفقون للتصديق بك أبصاراً، لو كانوا عُمياً يهتدون بها ويبصرون؟ فكما أنك لا تطيق ذلك ولا تقدر عليه ولا غيرك، ولا يقدر عليه أحدٌ سواي، فكذلك لا تقدر على أن تبصّرهم سبيل الرشاد أنت ولا أحدٌ غيري، لأن ذلك بيدي وإلَيَّ.

وهذا من الله تعالى ذكره تسليّةً لنبيه ﷺ عن جماعةٍ ممن كفر به من قومه وأدبر عنه فكذب، وتعزية له عنهم، وأمرٌ برفع طمعه من إنابتهم إلى الإيمان بالله.

**وقال في تأويل قوله تعالى:** ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ٤٤.

**يقول تعالى ذكره:** إن الله لا يفعل بخلقه ما لا يستحقون منه، لا يعاقبهم إلا بمعصيتهم إياه، ولا يعذبهم إلا بكفرهم به، ﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ﴾، يقول: ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم، باجترامهم ما يورثها غضب الله وسخطه. وإنما هذا إعلام من الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ والمؤمنين به، أنه لم يسلب هؤلاء الذين أخبر جل ثناؤه عنهم أنهم لا يؤمنون بالإيمان ابتداءً منه بغير جرم سلف منهم وإخباراً أنه إنما سلبهم ذلك باستحقاقٍ منهم سلبه، لذنوبٍ اكتسبوها، فحق عليهم قول ربهم، وطبع على قلوبهم.

**وقال ابن كثير رحمه الله:**

وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَعِظُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: يسمعون كلامك الحسن، والقرآن العظيم، والأحاديث الصحيحة الفصيحة النافعة في القلوب والأبدان والأديان، وفي هذا كفاية عظيمة، ولكن ليس ذلك إليك ولا إليهم، فإنك لا تقدر على إسماع الأصم - وهو الأطرش - فكذا لا تقدر على هداية هؤلاء، إلا أن يشاء الله.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ أي: ينظرون إليك وإلى ما أعطاك الله من التؤدة، والسمت الحسن، والخلق العظيم، والدلالة الظاهرة، على نبوءتك لأولي البصائر والنهي، وهؤلاء ينظرون كما ينظر غيرهم، ولا يحصل لهم من الهداية شيء مما يحصل لغيرهم، بل المؤمنون ينظرون إليك بعين الوقار، والكافرون ينظرون إليك بعين الاحتقار، ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا يَخْذُونَكَ إِلَّا هُزُوا أَلَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ ٤١ **إِنْ كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ إِلَهَتِنَا لَوْلَا أَنَّ صَبْرَنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا** ٤٢ ﴿[الفرقان: ٤١، ٤٢].

ثم أخبر تعالى أنه لا يظلم أحدا شيئا، وإن كان قد هدى به من هدى وبصر به من العمى، وفتح به أعينا عميا، وأذانا صما، وقلوبًا غلفا، وأضل به عن الإيمان آخرين، فهو الحاكم المتصرف في ملكه بما يشاء، الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون، لعلمه وحكمته وعدله؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْنَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٤٤) وفي الحديث عن أبي ذر عن النبي ﷺ، فيما يرويه عنه ربه ﷻ: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا» - إلى أن قال في آخره: يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلو من إلا نفسه».

#### وقال ابن الجوزي في زاد المسير:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ لما ذكر الذين سبق القضاء عليهم بالشقاوة، أخبر أن تقدير ذلك عليهم ليس بظلم، لأنه يتصرف في ملكه كيف شاء، وهم إذا كسبوا المعاصي فقد ظلموا أنفسهم بذلك؛ لأن الفعل منسوب إليهم، وإن كان بقضاء الله.

#### قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ يريد بظواهرهم، وقلوبهم لا تعي شيئا مما يقوله من الحق ويتلوه من القرآن؛ ولهذا قال: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٤٢) أي لا تسمع؛ فظاهره الاستفهام ومعناه النفي، وجعلهم كالصم للختم على قلوبهم والطبع عليها، أي لا تقدر على هداية من أصمه الله عن سماع الهدى. وكذا المعنى في: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾ (٤٣) أخبر تعالى أن أحدا لا يؤمن إلا بتوفيقه وهدايته. وهذا وما كان مثله يرد على القدريّة قولهم؛ كما تقدم في غير موضع. وقال:



﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ على معنى ﴿مَنْ﴾ و﴿يَنْظُرُ﴾ على اللفظ؛ والمراد تسليية النبي ﷺ، أي كما لا تقدر أن تسمع من سلب السمع ولا تقدر أن تخلق للأعمى بصرا يهتدي به، فكذلك لا تقدر أن توفق هؤلاء للإيمان وقد حكم الله عليهم ألا يؤمنوا. ومعنى: ﴿يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ أي يديم النظر إليك؛ كما قال: ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩] قيل: إنها نزلت في المستهزئين، والله أعلم.

ولما ذكر أهل الشقاء ذكر أنه لم يظلمهم وأن تقدير الشقاء عليهم وسلب سمع القلب وبصره ليس ظلما منه لأنه تصرف في ملكه بما شاء وهو في جميع أفعاله عادل ﴿وَلَنَكُنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [٤٤] بالكفر والمعصية ومخالفة أمر خالقهم.

#### وقال السعدي رحمه الله:

يخبر تعالى عن بعض المكذبين للرسول، ولما جاء به، ﴿وَأَن﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ ﴿إِلَى النَّبِيِّ ﷺ﴾، وقت قراءته للوحي، لا على وجه الاسترشاد، بل على وجه التفرج والتكذيب وتطلب العثرات، وهذا استماع غير نافع، ولا مُجِدِّ على أهله خيراً، لا جرم انسد عليهم باب التوفيق، وحرموا من فائدة الاستماع، ولهذا قال: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ [٤٤] وهذا الاستفهام، بمعنى النفي المتقرر، أي: لا تسمع الصم الذين لا يستمعون القول ولو جهرت به، وخصوصاً إذا كان عقلهم معدوماً.

فإذا كان من المحال إسماع الأصم الذي لا يعقل للكلام، فهؤلاء المكذبون، كذلك ممتنع إسماعك إياهم، إسماعاً ينتفعون به.

وأما سماع الحجّة، فقد سمعوا ما تقوم عليهم به حجة الله البالغة.

فهذا طريق عظيم من طرق العلم قد انسد عليهم، وهو طريق المسموعات

المتعلقة بالخير.

ثم ذكر انسداد الطريق الثاني، وهو: طريق النظر فقال: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ فلا يفيد نظره إليك، ولا سبر أحوالك شيئاً، فكما أنك لا تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون، فكذلك لا تهدي هؤلاء.

﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ فلا يفيد نظره إليك، ولا سبر أحوالك شيئاً، فكما أنك لا تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون، فكذلك لا تهدي هؤلاء.

فإذا فسدت عقولهم وأسماعهم وأبصارهم التي هي الطرق الموصلة إلى العلم ومعرفة الحقائق، فأين الطريق الموصل لهم إلى الحق؟

**ودل قوله:** ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ الآية، أن النظر إلى حالة النبي ﷺ، وهديه وأخلاقه وأعماله وما يدعو إليه من أعظم الأدلة على صدقه وصحة ما جاء به، وأنه يكفي البصير عن غيره من الأدلة.

**وقوله:** ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ فلا يزيد في سيئاتهم، ولا ينقص من حسناتهم.

﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ يجيئهم الحق فلا يقبلونه، فيعاقبهم الله بعد ذلك بالطبع على قلوبهم، والختم على أسماعهم وأبصارهم.



**س: قوله تعالى: (كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ)، هل هذا اللبث كان في الدنيا أو كان في القبور، وما معنى الآية الكريمة؟**

**ج: قال بعض أهل العلم:**

إن هذا اللبث المراد به مدة مكثهم في الدنيا كما قال تعالى: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلُ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٣]، فحمها البعض أيضاً على مدة بعثهم في الدنيا.

**وقال آخرون من أهل العلم:** إن المراد بهذا اللبث مدة مكثهم في القبور. والله أعلم.

**أما عن معنى الآية الكريمة:** ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (٤٥).

فحاصل معناها، والله أعلم، واذكر يوم يجمعهم الله ﷻ يوم القيامة وكأنهم لم يلبثوا في دنياهم أو في قبورهم إلا ساعة من النهار، كانوا يتعارفون على بعضهم فيها ثم ماتوا، أي: أنهم استقلوا الدنيا نسبة إلى الآخرة، كما في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ رَوَّهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عِشَّةً أَوْ حُكَّامًا﴾ (٤٦) [النازعات: ٤٦].

**أما قوله تعالى:** ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ فقيل: إن هذا التعارف كان في الدنيا، وقيل: يتعارفون بينهم في الآخرة كما قال تعالى: ﴿يَبْصُرُونَهُ يَوْمَذُ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ بِبَنِيهِ﴾ (١١) [المعارج: ١١] ثم بعد تعارفهم ينشغل كل بنفسه.

**أما قوله تعالى:** ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (٤٥) فحاصل معناه: قد خسر الذين كذبوا بالآخرة وبلقاءهم لله وأنكروا البعث والحساب والثواب والعقاب، وما كانوا مهتدين في تكذيبهم هذا بل كانوا ضالين عن طريق الحق والصواب، والله أعلم.

**وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.**

**قال الطبري رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره:** ويوم نحشر هؤلاء المشركين فنجمعهم في موقف الحساب، كأنهم كانوا قبل ذلك لم يلبثوا إلا ساعة من نهار يتعارفون فيما بينهم، ثم انقطعت المعرفة، وانقضت تلك الساعة يقول الله: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (٤٥)، قد غبن الذين جحدوا ثواب الله وعقابه وحظوظهم من الخير وهلكوا ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ يقول: وما كانوا موفقين

لإصابة الرشد مما فعلوا من تكذيبهم بقاء الله، لأنه أكسبهم ذلك ما لا قبل لهم به من عذاب الله.

### وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى مُذَكِّرًا للناس قيام الساعة وحشرهم من أجداثهم إلى عَرَصات القيامة: كأنهم يوم يوافونها لم يلبثوا في الدنيا ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾ كما قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ رَوْنَاهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ ﴿٤٦﴾ [النازعات: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُفْخِ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ ﴿١٠٢﴾ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ [طه: ١٠٢-١٠٤]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ [الروم: ٥٥، ٥٦].

وهذا كله دليل على استقصار الحياة الدنيا في الدار الآخرة كما قال: ﴿قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ [المؤمنون: ١١٢، ١١٣، ١١٤].

وقوله: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يعرف الأبناء الآباء والقربان بعضهم لبعض، كما كانوا في الدنيا، ولكن كل مشغول بنفسه ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ ﴿١٠١﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَلْ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ ﴿١٠٠﴾ يُصْرُوهُمْ يُودُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنِيعِهِ ﴿١١١﴾ وَصَحْبَتِهِ، وَأَخِيهِ ﴿١١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوَبُّهُ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١١٤﴾ [المعارج: ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤].

وقوله: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ كقوله تعالى: ﴿وَبِلْ يَوْمِئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿١٥﴾ [المرسلات: ١٥]. لأنهم خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين. فهذه هي الخسارة العظيمة، ولا خسارة

أعظم من خسارة من فُرق بينه وبين أحبته يوم الحسرة والندامة.

**وقال السعدي رحمه الله:**

يخبر تعالى، عن سرعة انقضاء الدنيا، وأن الله تعالى إذا حشر الناس وجمعهم ليوم لا ريب فيه، كأنهم ما لبثوا إلا ساعة من نهار، وكأنه ما مر عليهم نعيم ولا بؤس، وهم يتعارفون بينهم، كحالهم في الدنيا، ففي هذا اليوم يربح المتقون، ويخسر الذين كذبوا بقاء الله وما كانوا مهتدين إلى الصراط المستقيم والدين القويم، حيث فاتهم النعيم، واستحقوا دخول النار.



**س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُفَيِّنَّكَ فَأَلَيْنَا مَرْجِعَهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾) ؟**

**ج:** هذه الآية الكريمة فيها مواساة لرسول الله ﷺ، وحاصل معناها والله أعلم: وقد نرينك يا رسول الله في دنياك قبل مماتك، قد نرينك في هؤلاء الكفار ما تقرُّ به عينك ويُشفي به صدرك، قد نرينك بعض الذي وعدناهم من العذاب الدنيوي فتراهم يقتلون ويؤسرون ويهلكون، وقد نؤخر ذلك إلى الآخرة، فسواء عذبناهم في الدنيا أو تركنا تعذيبهم فيها فإن مرجعهم ومردهم إلينا يوم القيامة، وهنالك تُجزى كل نفس بما تستحق وبما كانت تسعى، والله سبحانه وتعالى شهيدٌ عليهم في الدنيا وعلى أعمالهم وعلى نواياهم لا يخفى عليه من أمرهم شيءٌ وسيحاسبهم ويجازيهم.

**وبنحو هذا قال أهل العلم.**

**قال الطبري رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره:** وإما نرينك، يا محمد، في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من قومك من العذاب ﴿أَوْ نَتُفَيِّنَّكَ﴾ قبل أن نريك ذلك فيهم ﴿فَأَلَيْنَا

مَرْجِعُهُمْ ﴿١٧٤﴾، يقول: فمصيرهم بكل حال إلينا، ومنقلبهم ﴿١٧٥﴾ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿١٧٦﴾، يقول جل ثناؤه: ثم أنا شاهد على أفعالهم التي كانوا يفعلونها في الدنيا، وأنا عالم بها لا يخفى عليّ شيء منها، وأنا مجازيهم بها عند مصيرهم إليّ ورجعهم، جزاءهم الذي يستحقونه.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:**

**يقول تعالى مخاطباً لرسوله ﷺ:** ﴿وَأَمَّا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ﴾ أي: ننتقم منهم في حياتك لتقر عينك منهم، ﴿أَوْ نُوَفِّيكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ أي: مصيرهم ومتقلبهم، والله شهيد على أفعالهم بعدك.

**وقال ابن الجوزي في زاد المسير:**

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ﴾ قال المفسرون: كانت وقعة بدر مما أراه الله في حياته من عذابهم ﴿أَوْ نُوَفِّيكَ﴾ قبل أن نريك ﴿فَالِإِنَّا مَرْجِعُهُمْ﴾ بعد الموت والمعنى إن لم ننتقم منهم عاجلاً انتقمنا آجلاً. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب، قال الفراء: ثم هاهنا عطف، ولو قيل: معناها: هناك الله شهيد، كان جائزاً. وقال غيره: ﴿ثُمَّ﴾ هاهنا بمعنى الواو. وقرأ ابن أبي عتبة: ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ بفتح الثاء يراد به هنالك الله شهيد.

**وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:**

أي: لا تحزن أيها الرسول على هؤلاء المكذبين، ولا تستعجل لهم، فإنهم لا بد أن يصيبهم الذي نعدهم من العذاب. إما في الدنيا فتراه بعينك، وتقر به نفسك. وإما في الآخرة بعد الوفاة، فإن مرجعهم إلى الله، وسينبئهم بما كانوا يعملون، أحصاه ونسوه، والله على كل شيء شهيد، ففيه الوعيد الشديد لهم،

والتسليية للرسول الذي كذبه قومه وعاندوه.



س: هل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ هل هذا في الدنيا أم في الآخرة؟

ج: لأهل العلم في ذلك وجهان:

أحدهما: أن ذلك في الآخرة، وسيأتي بيان معناه إن شاء الله.

الثاني: أن ذلك في الدنيا، وحاصل معناه أن الله ﷻ ارسل لكل أمة رسولا فإذا جاءها الرسول وكذبتة حكم الله ﷻ بينه وبينهم في الدنيا بالحق، وهم لا يظلمون، فانتقم الله من الظالم وسلّم الله وحفظ أهل التقى والإيمان.

قال القرطبي رحمه الله:

بعد أن أورد نحوًا من الوجه الأول:

ويجوز أن يكون المعنى أنهم لا يعذبون في الدنيا حتى يرسل إليهم؛ فمن آمن فاز ونجا، ومن لم يؤمن هلك وعذب. دليله قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]. والقسط: العدل. ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ [٤٧] أي: لا يعذبون بغير ذنب ولا يؤخذون بغير حجة.



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ) [٤٧].

ج: المعنى - والله أعلم - ولكل أمة من الأمم الماضية رسول أرسلناه إليهم يحذرهم ويذكرهم، وهذا الرسول يشهد عليهم يوم القيامة بما فعلوه، وهنالكَ ينتظرونه كما قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

وهنا قال: ﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿فُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: محكم بينهم بالعدل، وهم لا يبخسون شيئاً من حقوقهم وفي معنى الآية قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ بِالتَّيْنِ وَالشَّهَادَةِ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

**وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.**

**قال الطبري رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره:** ولكل أمة خلت قبلكم، أيها الناس، رسول أرسلته إليهم، كما أرسلت محمداً إليكم، يدعون من أرسلتهم إليهم إلى دين الله وطاعته ﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾، يعني: في الآخرة.

**وقوله:** ﴿فُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾، يقول قضي حينئذ بينهم بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، من جزاء أعمالهم شيئاً، ولكن يجازي المحسن بإحسانه. والمسيء من أهل الإيمان، إما أن يعاقبه الله، وأما أن يعفو عنه، والكافر يخلد في النار. فذلك قضاء الله بينهم بالعدل، وذلك لا شك عدل لا ظلم. حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿فُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾، قال: بالعدل.

**وقال ابن كثير رحمه الله:**

**وقوله:** ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ قال مجاهد: يعني يوم القيامة.

﴿فُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ كما قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالتَّيْنِ وَالشَّهَادَةِ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ [الزمر: ٦٩]، فكل أمة تعرض على الله بحضرة رسولها، وكتاب أعمالها من خير وشر موضوع شاهد عليهم، وحفظتهم من الملائكة شهود أيضاً أمة بعد أمة. وهذه الأمة الشريفة وإن كانت آخر الأمم في الخلق، إلا أنها أول الأمم يوم



القيامة يفصل بينهم، ويقضى لهم، كما جاء في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، المقضى لهم قبل الخلائق» فأتمته إنما حازت قَصَب السبق لشرف رسولها، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٨) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ (٤٩) ؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ويستعجل أهل الكفر يوم القيامة ويستكرونه ويستبعدون وقوعه فيقولون: متى هذا الوعد الذي وعدتمونا أننا سنحاسب فيه ونجازى بأعمالنا ونبعث أحياء بعد موتنا ائتنونا به الآن إن كنتم صادقين في دعواكم، فقل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين المنكرين للبعث والحساب والثواب والعقاب، أنا لا أملك لنفسي كشف ضرر أو جلب نفع لها ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء، فأنا لا أعلم الغيب إلا ما علمني الله وأخبرني الله به وشاء الله لي أن أعلمه، ولكل أمة أجل أجّلها الله ﷻ إليه، فإذا جاء الوقت الذي تنقضي فيه الآجال فلا تستأخر عنه أمة ساعة ولا تتقدمة أمة كذلك.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: ويقول هؤلاء المشركون من قومك، يا محمد ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾، الذي تعدنا أنه يأتينا من عند الله؟ وذلك قيام الساعة ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٨)، أنت ومن تبعك، فيما تعدوننا به من ذلك.

**يقول تعالى ذكره:** ﴿قُلْ يَا مُحَمَّد، لمستعجلك وعيد الله، القائلين لك: متى يأتينا الوعد الذي تعدنا إن كنتم صادقين؟﴾ ﴿لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي﴾، أيها القوم، أي: لا أقدر لها على ضرر ولا نفع في دنيا ولا دين ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾، أن أملكه، فأجلبه إليها بأذنه.

**يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ:** قل لهم: فإذا كنت لا أقدر على ذلك إلا بإذنه، فأنا عن القدرة على الوصول إلى علم الغيب ومعرفة قيام الساعة أعجز واعجز، إلا بمشيئته وإذنه لي في ذلك ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾، يقول: لكل قوم ميقات لا نقضاء مدتهم وأجلهم، فإذا جاء وقت انقضاء أجلهم وفناء أعمارهم ﴿فَلَا يَسْتَخِرُونَ﴾، عنه ﴿سَاعَةً﴾، فيمهلون ويؤخرون، ﴿وَلَا يَسْتَفِيدُونَ﴾ ﴿٤٩﴾، قبل ذلك، لأن الله قضى أن لا يتقدم ذلك قبل الحين الذي قدره وقضاه.

**وقال القرطبي رحمه الله:**

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٤٨﴾.

يريد كفار مكة لفرط إنكارهم واستعجالهم العذاب؛ أي متى العقاب أو متى القيامة التي يعدنا محمد. وقيل: هو عام في كل أمة كذبت رسولها.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ لما استعجلوا النبي ﷺ بالعذاب قال الله له: قل لهم يا محمد لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعاً؛ أي ليس ذلك لي ولا لغيري. ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن أملكه وأقدر عليه، فكيف أقدر أن أملك ما استعجلتم فلا تستعجلوا. ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ أي لهلاكهم وعذابهم وقت معلوم في علمه سبحانه. ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾ أي وقت انقضاء أجلهم. ﴿فَلَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَفِيدُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ أي لا يمكنهم أن يستأخروا ساعة باقين في الدنيا ولا يتقدمون فيؤخرون.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى مخبراً عن كفر هؤلاء المشركين في استعجالهم العذاب وسؤالهم عن وقته قبل التعيين، مما لا فائدة فيه لهم كما قال تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ [الشورى: ١٨] أي: كائنة لا محالة وواقعة، وإن لم يعلموا وقتها عينا، ولهذا أرشد رسوله ﷺ إلى جوابهم فقال: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أي: لا أقول إلا ما علمني، ولا أقدر على شيء مما استأثر به إلا أن يُطلعني عليه، فأنا عبده ورسوله إليكم، وقد أخبرتكم بمجيء الساعة وأنها كائنة، ولم يطلعني على وقتها، ولكن ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ أي: لكل قرن مدة من العمر مقدرة فإذا انقضى أجلهم ﴿فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٤١) كما قال تعالى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١].

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

ولا يستبطنوا العقوبة ويقولوا: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فإن هذا ظلم منهم، حيث طلبوه من النبي ﷺ، فإنه ليس له من الأمر شيء، وإنما عليه البلاغ والبيان للناس. وأما حسابهم وإنزال العذاب عليهم، فمن الله تعالى، ينزله عليهم إذا جاء الأجل الذي أجله فيه، والوقت الذي قدره فيه، الموافق لحكمته الإلهية. فإذا جاء ذلك الوقت لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، فليحذر المكذبون من الاستعجال بالعذاب، فإنهم مستعجلون بعذاب الله الذي إذا نزل لا يرد بأسه عن القوم المجرمين، ولهذا قال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ إلى ﴿تَكْسِبُونَ﴾.



## الإيمان لا ينفع عند حضور الموت

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٌ أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنُمْ بِهِ ءَاكُنْ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾)؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - قل يا رسول الله لهؤلاء الذين يتعجلون نزولا لعذاب عليهم، يا هؤلاء أرايتم إن أتاكم عذاب الله ﴿بَيِّنَاتٌ﴾ وأنتم نائمون ليلاً، أو أتاكم هذا العذاب نهاراً فحل بكم من بلاء الله ما حلّ ونزل بكم من عذاب الله ما نزل ما الذي تستعجلونه آنذاك كأنه استفهام للتوبيخ والمراد: ماذا يستعجلون أتستعجلون شيئاً نافعاً أتستعجلون عذاباً يأتيكم بيّاتاً أو نهاراً؟ فإذا جاءكم العذاب فستصلونه وتذوقونه وتقولون: ليتنا ما استعجلناه ﴿أَتُمْ﴾ فهناك إذا وقع العذاب ﴿ءَامَنُمْ بِهِ﴾ صدقتم ما أخبرناكم به وآمنتم بالله آنذاك، ولكن إيمان غير نافع آنذاك كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرِقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٠﴾ ءَاكُنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١١﴾﴾.

وكما قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴿١٨﴾﴾. [النساء: ١٨].  
وكما قال تعالى: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَتُهَا تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴿١٥٨﴾﴾. [الأنعام: ١٥٨].

فقوله تعالى: ﴿ءَاكُنْ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ أي: الآية صدقتموه وطلبتهم إبعاده عنكم وقد كنتم تستعجلون نزوله!!؟

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ قيل: المعنى، هنالك قيل: للذين أشركوا ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ الذي لا يفارقكم بل أنتم فيه خالدون، وقيل:

لهؤلاء المشركين أيضًا على سبيل التوبيخ، هل تجزون إلا على أعمالكم؟! وهل ظلمناكم شيئًا إنكم لا تجزون إلا بما عملتموه واجترتموه.

**وبنحو هذا قال أهل العلم.**

**قال الطبري رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره:** قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك: أرأيتم إن أتاكم عذاب الله بيّاتًا، يقول: ليلاً أو نهاراً، وجاءت الساعة وقامت القيامة، أتقدرون على دفع ذلك عن أنفسكم؟ يقول الله تعالى ذكره: ماذا يستعجل من نزول العذاب، المجرمون الذين كفروا بالله، وهم الصالون بحرّه دون غيرهم، ثم لا يقدرّون على دفعه عن أنفسهم؟

**وقال في تأويل قوله تعالى:** ﴿أَثَرٌ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنُكُمْ بِهِ ؕ ءَاكُنْ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ

٥١﴾.

**يقول تعالى ذكره:** أهناك إذا وقع عذاب الله بكم أيها المشركون ﴿ءَامَنُكُمْ بِهِ﴾، يقول: صدّقتم به في حال لا ينفعكم فيها التصديق، وقيل لكم حينئذ: آلآن تصدّقون به، وقد كنتم قبل الآن به تستعجلون، وأنتم بنزوله مكذبون؟ فذوقوا الآن ما كنتم به تكذبون.

ومعنى قوله: ﴿أَثَرٌ﴾، في هذا الموضع: أهناك، وليست «ثم» هذه هاهنا التي تأتي بمعنى العطف.

**وقال رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره:** ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، أنفسهم، بكفرهم بالله ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾، تجرّعوا عذاب الله الدائم لكم أبداً، الذي لا فناء له ولا زوال ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ ٥٢، يقول: يقال لهم: فانظروا هل تجزون، أي: هل تشابون ﴿إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ ٥٢، يقول: إلا بما كنتم تعملون في

حياتكم قبل مماتكم من معاصي الله.

**قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

ثم أخبرهم أن عذاب الله سيأتيهم بغتة، فقال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا أَوْ نَهَارًا﴾ أي: ليلاً أو نهاراً، ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٥٠) أَتَمُّ إِذَا مَا وَقَعَ أَمْنُهُ بِهِ؟ يعني: أنهم إذا جاءهم العذاب قالوا: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (١٢) [السجدة: ١٢]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٥) [غافر: ٨٤، ٨٥].

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ أي: يوم القيامة يقال لهم هذا، تبكيًا وتقريعًا، كقوله: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ (١٣) هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ (١٤) أَفَسِحْرَ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا بُصُرُونَ﴾ (١٥) أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٦) [الطور: ١٣-١٦].

**وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:**

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا أَوْ نَهَارًا﴾ ظرفان، وهو جواب لقولهم: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ وتسفيه لآرائهم في استعجالهم العذاب؛ أي إن أتاكم العذاب فما نفعكم فيه، ولا ينفعكم الإيمان حينئذ. ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٥٠) استفهام معناه التهويل والتعظيم؛ أي ما أعظم ما يستعجلون به؛ كما يقال لمن يطلب أمراً يستوخم عاقبته: ماذا تجني على نفسك! والضمير في ﴿مِنْهُ﴾ قيل: يعود على العذاب، وقيل: يعود على الله سبحانه وتعالى.

**قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:**

يقول تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا﴾ وقت نومكم بالليل ﴿أَوْ

نَهَارًا ﴿١٨٣﴾ فِي وَقْتٍ غَفَلْتُمْ ﴿١٨٤﴾ مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٨٥﴾ أَي: أي بشارة استعجلوا بها؟ وأي عقاب ابتدروه؟

﴿١٨٦﴾ أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنْتُمْ بِهِ؟ ﴿١٨٧﴾ فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ الْإِيمَانَ حِينَ حُلُولِ عَذَابِ اللَّهِ، وَيُقَالُ لَهُمْ تَوْبِيخًا وَعِتَابًا فِي تِلْكَ الْحَالِ الَّتِي زَعَمُوا أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ، ﴿١٨٨﴾ ءَأَلَكُنَّ ﴿١٨٩﴾ تَوَّامُونَ فِي حَالِ الشَّدَةِ وَالْمَشَقَّةِ؟ ﴿١٩٠﴾ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٩١﴾ فَإِنْ سَنَ اللَّهُ فِي عِبَادِهِ أَنَّهُ يَعْتَبِهِمْ إِذَا اسْتَعْتَبُوهُ قَبْلَ وَقُوعِ الْعَذَابِ، فَإِذَا وَقَعَ الْعَذَابُ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْ فِرْعَوْنَ، لَمَّا أَدْرَكَهُ الْغُرْقُ ﴿١٩٢﴾ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ وَأَنَّهُ يُقَالُ لَهُ: ﴿١٩٤﴾ ءَأَلَكُنَّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٩٥﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿١٩٦﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ﴿١٩٧﴾ [غافر: ٨٥] وَقَالَ هُنَا: ﴿١٩٨﴾ أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنْتُمْ بِهِ؟ ءَأَلَكُنَّ ﴿١٩٩﴾ تَدْعُونَ الْإِيمَانَ ﴿٢٠٠﴾ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠١﴾ فِهَذَا مَا عَمِلْتَ أَيَّدِيكُمْ، وَهَذَا مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ. ﴿٢٠٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴿٢٠٣﴾ حِينَ يَوْفُونَ أَعْمَالَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿٢٠٤﴾ ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ ﴿٢٠٥﴾ أَي: العذاب الذي تخلدون فيه، وَلَا يَفْتَرُ عَنْكُمْ سَاعَةً. ﴿٢٠٦﴾ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٠٧﴾ مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ وَالْمَعَاصِي.



## قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ وَيَسْتَعِذُّونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾  
﴿ ٥٣ ﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ، وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا  
رَأَوْا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿ ٥٤ ﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ ٥٥ ﴾ هُوَ يُجِيءُ  
وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿ ٥٦ ﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ  
وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿ ٥٧ ﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ  
فِيذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿ ٥٨ ﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ  
مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَلًا قُلْ ءَاللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ  
تَفَرُّوْنَ ﴿ ٥٩ ﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنْ  
أَلَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿ ٦٠ ﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ  
وَمَا تَتَلَوُا مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ  
تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا  
أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿ ٦١ ﴾ [يونس: ٥٣-٦١].



س: وضح معنى ما يلي:

(وَيَسْتَعِظُونَكَ) - (لَافْتَدَتْ بِهِ) - (وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ) - (مَوْعِظَةٌ) - (تَفَرُّوتُ) - (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ) - (تُفَيْضُونَ فِيهِ) - (وَمَا يَعْزُبُ) - (مِثْقَالِ ذَرَّةٍ).

ج:

| الكلمة                     | معناها                                        |
|----------------------------|-----------------------------------------------|
| (وَيَسْتَعِظُونَكَ)        | ويستخبرونك - يسألونك أن تنبئهم.               |
| (لَافْتَدَتْ بِهِ)         | لقدمته فدية كي تسلم من العذاب.                |
| (وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ)  | أضمرُوا الندم في أنفسهم وأخفوه.               |
| (مَوْعِظَةٌ)               | ذكري.                                         |
| (تَفَرُّوتُ)               | تنسبون إليه ما لم يقله.                       |
| (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ) | وما تكون في حالٍ من أحوالك وشأن من شؤونك      |
| (تُفَيْضُونَ فِيهِ)        | تخوضونه - تعملونه - تقولونه.                  |
| (وَمَا يَعْزُبُ)           | وما يذهب وما يخفى.                            |
| (مِثْقَالِ ذَرَّةٍ)        | وزن نملة صغيرة، وقيل: وزن ذرة من ذرات الغبار. |



س: قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَأْذِنُكَ أَحَقُّ هُوَ﴾ إشارة إلى ماذا؟

ج: ذهب كثيرٌ من أهل العلم إلى أنه عائدٌ على البعث وعلى ما يوعدون به من الثواب والعقاب.

وذهبت قلةٌ منهم إلى أنه عائدٌ على القرآن والأظهر الأول، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ أي: وما أنتم بفائدتين، والله أعلم.



المواطن التي أمر النبي ﷺ أن يقسم فيها بالله ﷻ

س: أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يقسم على أن البعث آتٍ، وذلك في ثلاث آيات من كتابه الكريم اذكرها؟

ج: أولاً: هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلُوبُ إِي وَرَبِّ إِنَّهُ لَحَقُّ﴾.

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣].

الثالثة: قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

وإلى هذا أشار الحافظ ابن كثير رحمه الله.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلُوبُ إِي وَرَبِّ إِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -:

ويستخبرونك - يطلبون منك إخبارهم - وهذا من أهل الكفر على سبيل التكذيب والتعنت والعناد والسخرية - يطلبون منك أن تنبأهم أهذا الذي تعدنا به من البعث والحساب والثواب والعقاب، والجنة والنار أحقُّ هذا؟؟؟ سيكون هذا؟؟؟ فقل لهم: إي وربّي، نعم وربّي، احلف لهم بالله ولا تتردد ولا ترتاب، قل: إي وربّي إنه لحقُّ إنه لكائن ولن تعجزوا ربكم إذا أرادكم أو أراد بعثكم وتعذيبكم، لن تعجزوه بهربكم منه، فلن تستطيعوا الهرب، ولن تفوتوه إذا أرادكم، وكذا أفلن يعجز ربّي عن إعادتكُم أحياء بعد موتكم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

**يقول تعالى ذكره:** ويستخبرك هؤلاء المشركون من قومك، يا محمد، فيقولون لك: أحق ما تقول، وما تعدنا به من عذاب الله في الدار الآخرة جزاءً على ما كنا نكسب من معاصي الله في الدنيا؟ قل لهم يا محمد: ﴿إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ﴾، لا شك فيه، وما أنتم بمعجزتي الله إذا أراد ذلك بكم، بهرب، أو امتناع، بل أنتم في قبضته وسلطانه وملكه، إذ أراد فعل ذلك بكم، فاتقوا الله في أنفسكم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

**يقول تعالى:** ويستخبرونك ﴿أَحَقُّ هُوَ﴾ أي: المعاد والقيامة من الأحداث بعد صيرورة الأجسام تراباً. ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: ليس صيرورتكم تراباً بمعجز الله عن إعادتكم كما بدأكم من العدم: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) [يس: ٨٢].

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَيَسْتَفِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ﴾ أي: يستخبرك المكذبون على وجه التعنت والعناد، لا على وجه التبين والرشاد. ﴿أَحَقُّ هُوَ﴾ أي: أصحح حشر العباد، وبعثهم بعد موتهم ليوم المعاد، وجزاء العباد بأعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر؟ ﴿قُلْ﴾ لهم مقسماً على صحته، مستدلاً عليه بالدليل الواضح والبرهان: ﴿إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ﴾ لا مرية فيه ولا شبهة تعتريه. ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ لله أن يبعثكم، فكما ابتدأ خلقكم ولم تكونوا شيئاً، كذلك يعيدكم مرة أخرى ليجازيكم بأعمالكم.

لن يقبل من الكافر فداءً يوم القيامة مهما افتدى

س: وردت عدة آيات تفيد أن الكافر لن تقبل منه فديةً يفتدي بها نفسه يوم

القيامة مهما افتدى اذكر بعض هذه الآيات؟

ج: من هذه الآيات:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَآتَ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ

لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ [المائدة: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا

شَفَعَةٌ ﴿[البقرة: ١٢٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ...﴾.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾.

ج: قيل - المعنى -: وأخفوا الندامة أي: التندم على ما صدر منهم وكان

من كفرهم وضلالهم وتكذيبهم.

أخفوا هذا التندم يوم القيامة في بعض المواطن كما في قولهم: ﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا

كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ [الأنعام: ٢٣].

وقيل: إن كلمة ﴿وَأَسْرُوا﴾ من الأضداد أي: أنها تأتي أحياناً بمعنى (أخفوا)

وأحياناً بمعنى (أظهروا).

وتم أقوال آخر.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ أي أخفوها ؛ يعني رؤساءهم، أي أخفوا

ندامتهم عن اتباعهم. ﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ وهذا قبل الإحراق بالنار، فإذا وقعوا

في النار ألهمتهم النار عن التصنع ؛ بدليل قولهم: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾

[المؤمنون: ١٠٦]. فبين أنهم لا يكتُمون ما بهم. وقيل: ﴿وَأَسْرُوا﴾ أظهرُوا، والكلمة من الأضداد، ويدل عليه أن الآخرة ليست دار تجلد وتصبر. وقيل: وجدوا ألم الحسرة في قلوبهم؛ لأن الندامة لا يمكن إظهارها. قال كثير: **فأسررت الندامة يوم نأدى بسرد جمال غاضرة المنادي**

وذكر المبرد فيه وجهًا ثالثًا: أنه بدت بالندامة أسرة وجوههم، وهي تكاسير الجبهة، واحدها سرار. والندامة: الحسرة لوقوع شيء أو فوت شيء، وأصلها اللزوم؛ ومنه النديم لأنه يلزم المجالس.



س: **وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ. وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾؟**

ج: هذا إخبار عن حال الكافر يوم القيامة، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ﴾ أشركت بالله ﷻ وجحدت آياته وكذبت رسله فظلمت نفسها بذلك وأفقدتها الأمان يوم الوعيد، لو أن لهذا النفس الظالمة كل ما في الأرض وهي تملكه فقدمته يوم القيامة كفدية تفتدي بها نفسها من عذاب الله ما قبل منها هذا.

**أما قوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾** فحاصل معناه - وقد تقدم بتفصيل - أن أهل الكفر، وهم - والله أعلم - المستكبرون منهم - أخفوا التندم في موطن يظنون أن الإخفاء نافعهم وأنكروا أن يكونوا أشركوا بالله في الدنيا، وأخفوا التندم على ما كان منهم في دنياهم أمام أتباعهم، ولكن هذا ما استمر بهم كثيرًا، بل زاح عنهم، وقضى بينهم، بين الرؤساء: رؤساء الضلال، وأتباعهم المستضعفين بالحق وهم لا يبخسون شيئًا من حقوقهم.

**قال الطبري رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره:** ولو أن لكل نفس كفرت بالله و«ظلمها»، في هذا

الموضع، عبادتها غير من يستحق عبادته، وتركها طاعة من يجب عليها طاعته ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾، من قليل أو كثير ﴿لَا تَقْدَرُ عَلَيْهِ﴾، يقول: لا فتدت بذلك كله من عذاب الله إذا عاينته وقوله: ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾، يقول: وأخفت رؤساء هؤلاء المشركين من وضعائهم وسفلتهم الندامة حين أبصروا عذاب الله قد أحاط بهم، وأيقنوا أنه واقع بهم ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾، يقول: وقضى الله يومئذ بين الأتباع والرؤساء منهم بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، وذلك أنه لا يعاقب أحداً منهم إلا بجريرته، ولا يأخذه بذنب أحد، ولا يعذب إلا من قد أعذر إليه في الدنيا وأنذر وتابع عليه الحجج.

وقال ابن كثير رحمه الله:

ثم أخبر تعالى أنه إذا قامت القيامة يود الكافر لو افتدى من عذاب الله بماء الأرض ذهباً، ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ أي: بالحق، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

وقال السعدي رحمه الله:

﴿وَإِذَا كَانَتِ الْقِيَامَةُ﴾ فـ ﴿وَلَوْ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ بالكفر والمعاصي جميع ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ من ذهب وفضة وغيرهما، لتفتدي به من عذاب الله ﴿لَا تَقْدَرُ عَلَيْهِ﴾ ولما نفعها ذلك، وإنما النفع والضرر والثواب والعقاب، على الأعمال الصالحة والسيئة.

﴿وَأَسْرُوا﴾ [أي] الذين ظلموا ﴿النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ ندموا على ما قدموا، ولات حين مناص، ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ أي: العدل التام الذي لا ظلم ولا جور فيه بوجه من الوجوه.



س: وضح معنى قوله تعالى: ( أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ ) ؟

ج: أما قوله تعالى: ﴿ أَلَا ﴾ فهي كلمة تنبيه. وقوله: ﴿ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: هو مالکها سبحانه وتعالى وليس لأحدٍ سواه، فيهما من شيء، وهو سبحانه وتعالى الذي يتصرف فيهما بما يشاء، ووعدده سبحانه وتعالى بالبعث والحساب والثواب والعقاب كائن، وليس بمكذوب ولكن أكثر أهل الشرك هؤلاء جهلةٌ بذلك، جهلةٌ بقدرة الله على البعث وهو سبحانه وتعالى الذي يحيي ويميت وإليه المرجع والمآب.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول جل ذكره: أَلَا إِنَّ كُلَّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَكُلَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، اللَّهُ مَلِكٌ، لَا شَيْءَ فِيهِ لِأَحَدٍ سِوَاهُ. يقول: فليس لهذا الكافر بالله يومئذٍ شيء يملكه فيفتدي به من عذاب ربه، وإنما الأشياء كلها للذي إليه عقابه. ولو كانت له الأشياء التي هي في الأرض ثم افتدى بها، لم يقبل منه بدلا من عذابه، فيصرف بها عنه العذاب، فكيف وهو لا شيء له يفتدي به منه، وقد حَقَّ عليه عذاب الله؟ يقول الله جل ثناؤه: ﴿ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾، يعني أن عذابه الذي أوعده هؤلاء المشركين على كفرهم حَقٌّ، فلا عليهم أن لا يستعجلوا به، فإنه بهم واقع لا شك ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٥٥﴾، يقول: ولكن أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون حقيقة وقوع ذلك بهم، فهم من أجل جهلهم به مكذبون.

ويقول تعالى ذكره: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُحْيِي الْمُمِيتُ، لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ فَعْلٌ مَا أَرَادَ

فعله من إحياء هؤلاء المشركين إذا أراد إحياءهم بعد مماتهم، ولا إماتتهم إذا أراد ذلك، وهم إليه يصيرون بعد مماتهم، فيعانون ما كانوا به مكذبين من



وعيد الله وعقابه.

**وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض، وأنَّ وعده حقٌّ كائن لا محالة، وأنه يحيي ويميت وإليه مرجعهم، وأنه القادر على ذلك، العليم بما تفرَّق من الأجسام وتمزَّق في سائر أقطار الأرض والبحار والقفار.

**وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:**

﴿أَلَا﴾ كلمة تنبيه للسامع تزداد في أول الكلام؛ أي انتبهوا لما أقول لكم: ﴿إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢] فلا مانع يمنعه من إنفاذ ما وعده. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

**وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:**

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يحكم فيهم بحكمه الديني والقدري، وسيحكم فيهم بحكمه الجزائي. ولهذا قال: ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فلذلك لا يستعدون للقاء الله، بل ربما لم يؤمنوا به، وقد تواترت عليه الأدلة القطعية والبراهين النقلية والعقلية. ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي: هو المتصرف بالإحياء والإماتة، وسائر أنواع التدبير، لا شريك له في ذلك. ﴿وَالَّذِينَ تُرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة، فيجازيكم بأعمالكم خيرها وشرها.



س: وضع المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ

رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: يا أيها الناس قد جاءكم ذكرى يُذكركم

بها ربكم ﷻ ويخوِّفكم بها عذابه وعقابه، جاءكم من ربكم ﷻ لم يختلقها رسول الله ﷺ من عند نفسه، بل الله ﷻ أنزلها عليه وأمره بتبليغها لكم، وكذا جاءكم من الله ﷻ ما يشفي به صدوركم من الشك والريب والحيرة والضلال، ألا وهو القرآن، فهو شفاء كما قال تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، وكما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي هَدَىٰ أَمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً...﴾.

**أما قوله تعالى:** ﴿وَهَدَىٰ﴾ أي: ودلالة لمن أراد الوصول إلى مرضاة الله ﷻ وإلى جنته ولمن أراد الاستبصار في حياته كذلك ﴿وَرَحْمَةً﴾ أي: وجاءكم من ربكم ﷻ ﴿وَرَحْمَةً﴾ آيات من الكتاب العزيز إن اتبعتموها يرحمكم الله باتباعها كما قال تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ هذا، وخصَّ المؤمنون بذلك؛ لأنهم هم الذين قبلوا هذا القرآن وعملوا به وصدقوه وأقروا بما فيه وأيقنوا.

**أما قوله تعالى:** ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ قل: يا رسول الله إن الذي ينبغي أن يفرح به حق الفرح هو الإسلام الذي وفق الله إليه المسلمون وهو القرآن الذي أنزله الله ﷻ شفاءً ورحمة، هذا الذي ينبغي أن يفرح به الشخص؛ لأن ذلك هو الذي يجلب للشخص السعادة في الدنيا والآخرة أما غير ذلك من متاع ففانٍ وزائل وذاهب ومُنْتَهَى.

فما منَّ الله به من القرآن والإيمان والإسلام بلا شك أفضل من المتاع الزائل المنتهي والحطام الفاني.

الذي يجمعه الجامعون في دنياكم من مالٍ وجاهٍ وسلفان ومنصب.

**وينحو هذا قال أهل العلم.**

**قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:**

**يقول تعالى ذكره لخلقه:** ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، يعني:

ذكرى تذكركم عقاب الله وتخوفكم وعيده ﴿مَنْ زَيَّكُم﴾، يقول: من عند ربكم، لم يخلقها محمد ﷺ، ولم يفتعلها أحد، فتقولوا: لا نأمن أن تكون لا صحة لها. وإنما يعني بذلك جل ثناؤه القرآن، وهو الموعظة من الله.

**وقوله:** ﴿وَشَفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾، يقول: ودواء لما في الصدور من الجهل، يشفي به الله جهل الجهال، فيبرئ به داءهم، ويهدي به من خلقه من أراد هدايته به ﴿وَهُدًى﴾، يقول: وهو بيان لحلال الله وحرامه، ودليل على طاعته ومعصيته ﴿وَرَحْمَةٌ﴾، يرحم بها من شاء من خلقه، فينقذه به من الضلالة إلى الهدى، وينجيه به من الهلاك والردى. وجعله تبارك وتعالى رحمة للمؤمنين به دون الكافرين به، لأن من كفر به فهو عليه عَمَى، وفي الآخرة جزاؤه على الكفر به الخلود في لظى.

**يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ:** ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المكذبين بك وبما أنزل إليك من عند ربك ﴿يَفْضُلُ اللَّهُ﴾، أيها الناس، الذي تفضل به عليكم، وهو الإسلام، فبينه لكم، ودعاكم إليه ﴿وَبِرَحْمَتِهِ﴾، التي رحمكم بها، فأنزلها إليكم، فعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من كتابه، وبصركم بها معالم دينكم، وذلك القرآن ﴿فَذَلِكَ فَيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ﴿٥٨﴾، يقول: فإن الإسلام الذي دعاهم إليه، والقرآن الذي أنزله عليهم، خير مما يجمعون من حطام الدنيا وأموالها وكنوزها.

**وأورد الطبري بإسناد صحيح عن هلال بن يساف:**

في قوله: ﴿قُلْ يَفْضُلُ اللَّهُ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ قال: فضل الله إلى الإسلام ﴿وَبِرَحْمَتِهِ﴾ القرآن.

**ونحوه بإسناد حسن عن قتادة:**

وأورد عن آخرين القول بأن (فضل الله) هو القرآن ورحمته (الإسلام).

**قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:**

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ يعني قريشا. ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ﴾ أي وعظ. ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني القرآن، فيه مواعظ وحكم. ﴿وَشَفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي من الشك والنفاق والخلاف، والشقاق. ﴿وَهُدًى﴾ أي ورشدا لمن اتبعه. ﴿وَرَحْمَةً﴾ أي نعمة. ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٧) خصهم لأنهم المتفجعون بالإيمان؛ والكل صفات القرآن، والعطف لتأكيد المدح. قال الشاعر:

**إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتبية في المزدحم**

**وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

يقول تعالى ممتنا على خلقه بما أنزل إليهم من القرآن العظيم على رسوله الكريم: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: زاجر عن الفواحش، ﴿وَشَفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي: من الشبه والشكوك، وهو إزالة ما فيها من رجس ودنس، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ أي: محصل لها الهداية والرحمة من الله تعالى. وإنما ذلك للمؤمنين به والمصدقين الموقنين بما فيه، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا الْقُرْآنَ مَاهُ شِفَاءٌ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٨٢) [الإسراء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (٤٤) [فصلت: ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٥٨) أي: بهذا الذي جاءهم من الله من الهدى ودين الحق فليفرحوا، فإنه أولى ما يفرحون به، ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٥٨) أي: من حطام الدنيا وما فيها من الزهرة الفانية الذاهبة لا محالة.

**وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:**

يقول تعالى - مرغبًا للخلق في الإقبال على هذا الكتاب الكريم، بذكر

أوصافه الحسنه الضرورية للعباد فقال: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: تعظكم، وتنذركم عن الأعمال الموجبة لسخط الله، المقتضية لعقابه وتحذركم عنها ببيان آثارها ومفاسدها.

﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ وهو هذا القرآن، شفاء لما في الصدور من أمراض الشهوات الصادة عن الانقياد للشرع وأمراض الشبهات، القاذحة في العلم اليقيني، فإن ما فيه من المواعظ والترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، مما يوجب للعبد الرغبة والرغبة.

وإذا وجدت فيه الرغبة في الخير، والرغبة من الشر، ونمتا على تكرار ما يرد إليها من معاني القرآن، أوجب ذلك تقديم مراد الله على مراد النفس، وصار ما يرضي الله أحب إلى العبد من شهوة نفسه.

وكذلك ما فيه من البراهين والأدلة التي صرفها الله غاية التصريف، وبينها أحسن بيان، مما يزيل الشبه القاذحة في الحق، ويصل به القلب إلى أعلى درجات اليقين.

وإذا صح القلب من مرضه، ورفل بأثواب العافية، تبعته الجوارح كلها، فإنها تصلح بصلاحه، وتفسد بفساده. ﴿وَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ فالهدى هو العلم بالحق والعمل به.

والرحمة هي ما يحصل من الخير والإحسان، والثواب العاجل والآجل، لمن اهتدى به، فالهدى أجل الوسائل، والرحمة أكمل المقاصد والرغائب، ولكن لا يهتدي به، ولا يكون رحمة إلا في حق المؤمنين.

وإذا حصل الهدى، وحلت الرحمة الناشئة عنه، حصلت السعادة والفلاح، والربح والنجاح، والفرح والسرور.

ولذلك أمر تعالى بالفرح بذلك فقال: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾ الذي هو القرآن،

الذي هو أعظم نعمة ومنة، وفضل تفضل الله به على عباده ﴿وَبَرَحْمَتِهِ﴾ الدين والإيمان، وعبادة الله ومحبته ومعرفته. ﴿فَإِذْ لَكَ فَلَاحُ فَرَحًا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من متاع الدنيا ولذاتها.

فنعمة الدين المتصلة بسعادة الدارين، لا نسبة بينها، وبين جميع ما في الدنيا، مما هو مضمحل زائل عن قريب.

وإنما أمر الله تعالى بالفرح بفضله ورحمته، لأن ذلك مما يوجب انبساط النفس ونشاطها، وشكرها لله تعالى، وقوتها، وشدة الرغبة في العلم والإيمان الداعي للازدياد منهما، وهذا فرح محمود، بخلاف الفرح بشهوات الدنيا ولذاتها، أو الفرح بالباطل، فإن هذا مذموم كما قال تعالى عن قوم قارون له: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦].

وكما قال تعالى في الذين فرحوا بما عندهم من الباطل المناقض لما جاءت به الرسل: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣].



س: وضح معنى هذه الآيات: ( قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِثْلَهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا عَلَى اللَّهِ تَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ) ؟

ج: المعنى - والله أعلم - : قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين الذين افتروا على الله الكذب فعمدوا إلى رزق الله الحلال الذي أحله لهم من الأنعام التي أنزلها لهم كما قال: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمِينَةَ أَوْجٍ﴾ وهي الجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة، والجدي والعنز، فجعلوا شيئاً من ذلك حراماً وهي البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وهي - كما تقدم في سورة

الأنعام وغيرها - وهي أي: هذه الأنعام حلالٌ بتحليل الله لها، ولكن أهل الشرك قالوا - على سبيل المثال - إن الناقة إذا ولدت كذا وكذا فتحرم وتكون وقفًا على الآلهة وسدنتها وكذا البقر والضأن والمعز، فيعمدون إلى أذننها فيشقونها بالموسى ويقولون هذه محرمة، ولا يجوز أكلها ولا ركوبها ولا الشرب من لبنها.

وكذا يعمدون إلى الحرث الناتج من الأرض فيجعلون جزءًا منه للآلهة (الأصنام والأوثان وغير ذلك) وجزءًا لله، قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِغْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا...﴾ [الأنعام: ١٣٦] الآيات، فقل: يا رسول الله لهؤلاء الذي حرّموا ما أحلّه الله، وفي ذات الوقت أحلوا ما حرّموا الله فأكلوا الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك من المحرمة، قل لهؤلاء آله أذن لكم بهذا التحليل والتحريم أم أنه افتراء افتريتموه على الله ﷻ ونسبتم إليه ما لم تقله. ثم يقول تعالى: ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أيظنون أن الله يغفر لهم، وقد كذبوا عليه وافتروا عليه، كلا فالكاذب على الله والمفتري على الله يُصلّيه الله سعيّرًا، ويدخله جهنم خالدًا فيها.

**أما قوله تعالى:** ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ بإمهالهم وعدم معاجلتهم بالعقوبة، بل ينذرهم ويحذرهم ويفتح لهم أبواب التوبة ما داموا أحياء قبل الغرغرة، وكذا فهو يُنعم عليهم ويعافيههم ويرزقهم، ولكن أكثر الناس لا يقابلون ذلك بالشكر، بل بالجحود والنكران والكفر والتكذيب. وبمثل الذي ذكرت في تفسير الآيات قال أهل العلم.

**قال الطبري رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ:** ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾

أيها الناس ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾، يقول: ما خلق الله لكم من الرزق فحَوَّلْكموه، وذلك ما تتغذون به من الأطعمة ﴿فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾، يقول: فحللتكم بعض ذلك لأنفسكم، وحرمتم بعضه عليها، وذلك كتحریمهم ما كانوا يحرمونه من حُرُوثهم التي كانوا يجعلونها لأوثانهم، كما وصفهم الله به فقال: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ [سورة الأنعام: ١٣٦].

ومن الأنعام ما كانوا يحرمونه بالتبشير والتسييب ونحو ذلك، مما قدّمناه فيما مضى من كتابنا هذا.

**يقول الله لنبيه محمد ﷺ:** ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ﴾ بأن تحرّموا ما حرّمتم منه ﴿أَمَرَ عَلَى اللَّهِ تَفَتُّوْكَ﴾ ﴿٥٩﴾: أي تقولون الباطل وتكذبون؟  
**وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله:** ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾، الآية، يقول: كل رزق لم أحرم حرمتموه على أنفسكم من نسائكم وأموالكم وأولادكم، الله أذن لكم فيما حرمتم من ذلك، أم على الله تفترون؟

**وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله:** ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾، فقرأ حتى بلغ: ﴿أَمَرَ عَلَى اللَّهِ تَفَتُّوْكَ﴾ ﴿٥٩﴾، وقرأ: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِدُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٩]، وقرأ: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ حتى بلغ: ﴿لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ [الأنعام: ١٣٨] فقال: هذا قوله: جعل لهم رزقا، فجعلوا منه حراما وحلالا وحرّموا بعضه وأحلوا بعضه.

وقرأ: ﴿ثُمَّ نَبِيَّةٌ أَزْوَاجٌ مِنَ الصَّانِ أَثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْرِ أَثْنَيْنِ قُلْ أَلَا تَذَكَّرْنَ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيْنِ أَمَا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَزْهَامُ الْأُنثَيْنِ﴾، أي هذين حرم على هؤلاء الذين



يقولون وأحلّ لهؤلاء، ﴿نَعُوذُ بِكَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٤٣﴾، إلى آخر الآيات،  
[الأنعام: ١٤٤].

وقال رحمه الله:

**يقول تعالى ذكره:** وما ظن هؤلاء الذين يتخرون على الله الكذب فيضيفون إليه تحريم ما لم يحرمه عليهم من الأرزاق والأقوات التي جعلها الله لهم غذاءً، أن الله فاعلٌ بهم يوم القيامة بكذبهم وفريتهم عليه؟ أيحسبون أنه يصفح عنهم ويغفر؟ كلا بل يصليهم سعيّاً خالدين فيها أبداً ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾، يقول: إن الله لذو تفضل على خلقه بتركه معاجلة من افتري عليه الكذب بالعقوبة في الدنيا، وإمهاله إياه إلى وروده عليه في القيامة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿١٠﴾، يقول: ولكن أكثر الناس لا يشكرونه على تفضله عليهم بذلك، وبغيره من سائر نعمه.

وأورد الحافظ ابن كثير رحمه الله ما أخرجه أحمد وغيره بأسانيد صحيحة عن أبي الأحوص - عوف بن مالك - عن أبيه قال:

أتيت رسول الله ﷺ وأنا قشّف الهيئة، فقال: «هل لك مال؟» قال: قلت: نعم. قال: «من أي المال؟» قال: قلت: من كل المال، من الإبل والرقيق والخيل والغنم. فقال: «إذا آتاك مالا فليُر عليك». وقال: «هل تنتج إبل قومك صحاحاً آذانها، فتعمد إلى موسى فتقطع آذانها، فتقول: هذه بحر وتشقها، أو تشق جلودها وتقول: هذه صُرْم، وتحرمها عليك وعلى أهلِكَ؟» قال: نعم. قال: «فإن ما آتاك الله لك حل، وساعد الله أشد من ساعدك، وموسى الله أحد من موساك»<sup>(١)</sup> وذكر تمام الحديث.

(١) المسند (٤٧٣/٣)، وأبو داود (٤٠٦٣)، والترمذي (٣٠٠٧)، والنسائي (١٨٠/٨) وغيرهم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقد أنكر الله تعالى على من حَرَّمَ ما أحل الله، أو أحل ما حرم بمجرد الآراء والأهواء، التي لا مستند لها ولا دليل عليها. ثم توعدهم على ذلك يوم القيامة، فقال: ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: ما ظنهم أن يُصنَعَ بهم يوم مرجعهم إلينا يوم القيامة.

**وقوله:** ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ قال ابن جرير: في تركه معاجلتهم بالعقوبة في الدنيا.

**قلت:** ويحتمل أن يكون المراد لذو فضل على الناس فيما أباح لهم مما خلقه من المنافع في الدنيا، ولم يحرم عليهم إلا ما هو ضار لهم في دنياهم أو دينهم.

﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ بل يحرمون ما أنعم الله به عليهم، ويضيقون على أنفسهم، فيجعلون بعضا حلالا وبعضا حراما. وهذا قد وقع فيه المشركون فيما شرعوه لأنفسهم، وأهل الكتاب فيما ابتدعوه في دينهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

**قوله تعالى:** ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: ما ظنهم أن يُصنَعَ بهم يوم مرجعهم إلينا يوم القيامة. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ أي في التأخير والإمهال. وقيل: أراد أهل مكة حين جعلهم في حرم آمن. ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ﴾ يعني الكفار. ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ لا يوحّدون. ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ لا يوحّدون.



الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء

س: وضح معنى هذه الآية الكريمة: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وما تكون في شأن من شؤونك يا رسول الله، وما عبد الله، وما تتلو من الوحي الذي أنزل عليك من تلاوة، ولا تعملون من عمل أيها العباد أي عمل كان إلا والله سبحانه وتعالى مطلع عليكم عالم بكم وبعملكم وبأحوالكم، عالم بكم في كل وقتٍ وحينٍ. عالم بكم أثناء عملكم الذي تعملونه أيضًا، فقله تعالى: ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي: عند خوضكم في العمل، عند عملكم العمل الذي تعملونه، وعند قولكم القول الذي تقولون ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ﴾ أي: وما يذهب عن ربك عليم شيء، وما يفوته علم شيء ولو كان وزن ذرة، قيل: المراد النملة الصغيرة، وقيل: ذرات الغبار، لا يعزب عن ربنا، لا يخفى عليه ولا يغيب عنه شيءٌ ومن عمل خلقه، ولا من قول خلقه ولا من حركات وسكنات ونيات ولو كان وزن ذرة، ولو عمل هذا العمل في أي مكان في السماء، أو في أي مكان في الأرض، وحتى إن كان هذا العمل أصغر من الذرة أو أكبر منها فعلمه سبحانه وتعالى بالعمل محيط، وكل ذلك مسطرٌ ومكتوب في كتاب مبين للأشياء فطره لها، قيل: ذلك هو اللوح المحفوظ، وقيل: كتاب الأعمال التي عملها الشخص، والأكثر من على الأول والله أعلم.

وينحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَمَا تَكُونُ﴾، يا محمد ﴿فِي شَأْنٍ﴾،

يعني: في عمل من الأعمال ﴿وَمَا تَلَوْا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾، يقول: وما تقرأ من كتاب الله من قرآن ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾، يقول: ولا تعملون من عمل أيها الناس، من خير أو شر ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾، يقول: إلا ونحن شهود لأعمالكم وشئونكم، إذ تعملونها وتأخذون فيها.

**ثم قال رحمه الله:** ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ﴾ يا محمد عمل خلقه ولا يذهب عليه علم شيء حيث كان في أرض أو سماء...

**ثم قال:** وقوله: ﴿مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ يعني: من زنة نملة صغيرة.

**وقال:**

وذلك خبر عن أنه لا يخفى عليه جل جلاله أصغر الأشياء، وإن خف في الوزن كل الخفة، ومقادير ذلك ومبلغه، ولا أكبرها وإن عظم وثقل وزنه، وكم مبلغ ذلك. يقول تعالى ذكره لخلقته: فليكن عملكم أيها الناس فيما يرضي ربكم عنكم، فإننا شهود لأعمالكم، لا يخفى علينا شيء منها، ونحن محصوها ومجازوكم بها.

وقوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾، يقول: وما ذاك كله إلا في كتاب عند الله، ﴿مُتِّينٍ﴾، عن حقيقة خبر الله لمن نظر فيه. أنه لا شيء كان أو يكون إلا وقد أحصاه الله جل ثناؤه فيه، وأنه لا يعزب عن الله علم شيء من خلقه حيث كان من سمائه وأرضه.

**وقال القرطبي رحمه الله:**

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ ﴿مَا﴾ للجحد؛ أي لست في شأن، يعني من عبادة أو غيرها إلا والرب مطلع عليك. والشأن الخطب، والأمر، وجمعه شؤون. قال الأخفش: تقول العرب ما شانت شأنه، أي ما عملت عمله. ﴿وَمَا تَلَوْا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾ قال الفراء والزجاج: الهاء في ﴿مِنْهُ﴾ تعود على الشأن، أي

تحدث شأننا فيتلى من أجله القرآن فيعلم كيف حكمه، أو ينزل فيه قرآن فيتلى. وقال الطبري: ﴿مِنْهُ﴾ أي من كتاب الله تعالى. ﴿مِنْ قُرْآنٍ﴾ أعاد تفخيما؛ كقوله: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠]. ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ يخاطب النبي ﷺ والأمة. وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ خطاب له والمراد هو وأمته؛ وقد يخاطب الرسول والمراد هو وأتباعه. وقيل: المراد كفار قريش. ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ أي: نعلمه؛ ونظيره ﴿مَا يَكْثُرُ مِنْ تَجَوُّيْ ثَلَاثَةَ إِلَّا هُورًا بَعُهُمُ﴾ [المجادلة: ٧] إذ تُفِيضُونَ فِيهِ أي تأخذون فيه، والهاء عائدة على العمل؛ يقال: أفاض فلان في الحديث والعمل إذا اندفع فيه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى نبيه، صلوات الله عليه وسلامه أنه يعلم جميع أحواله وأحوال أمته، وجميع الخلائق في كل ساعة وأن ولحظة، وأنه لا يعزب عن علمه وبصره مثقال ذرة في حقارتها وصغرها في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر منها ولا أكبر إلا في كتاب مبين، كقوله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، فأخبر تعالى أنه يعلم حركة الأشجار وغيرها من الجمادات وكذلك الدواب السارحة في قوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦].

وإذا كان هذا علمه بحركات هذه الأشياء، فكيف بعلمه بحركات المكلفين المأمورين بالعبادة، كما قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الزمر: ٢٧] الَّذِي يَرْبِكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢٨﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ ﴿٢٩﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢١٩]؛ ولهذا قال تعالى:

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي: إذ تأخذون في ذلك الشيء نحن مشاهدون لكم راءون سامعون، ولهذا قال، **عليه السلام** لما سأله جبريل عن الإحسان قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

### وقال السعدي رحمه الله:

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ أي: حال من أحوالك الدينية والدنيوية. ﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾ أي: وما تتلو من القرآن الذي أوحاه الله إليك. ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ صغير أو كبير ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي: وقت شروءكم فيه، واستمراركم على العمل به. فراقبوا الله في أعمالكم، وأدوها على وجه النصيحة، والاجتهاد فيها، وإياكم، وما يكره الله تعالى، فإنه مطلع عليكم، عالم بطواهركم وبواطنكم. ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ﴾ أي: ما يغيب عن علمه، وسمعه، وبصره ومشاهدته ﴿مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٦١) أي: قد أحاط به علمه، وجرى به قلمه. وهاتان المرتبتان من مراتب القضاء والقدر، كثيرًا ما يقرن الله بينهما، وهما: العلم المحيط بجميع الأشياء، وكتابه المحيطة بجميع الحوادث، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٧٠) [الحج: ٧٠].



### قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ لِكَلِمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزَنُونَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ إِلَٰهَ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعْ فِي الدُّنْيَا ثَمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُنْذِرُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(أَوْلِيَاءَ اللَّهِ - يَتَّقُونَ - الْبَشَرَى - لَا بُدَّيْلَ لِكَلِمَتِ اللَّهِ - الْعِزَّة - يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ - يَخْرُصُونَ - سُبْحَنَهُ - سُلْطَانٍ - يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ).

ج:

| الكلمة                             | معناها                                                                                       |
|------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------|
| (أَوْلِيَاءَ اللَّهِ)              | أنصار الله، وأنصار دينه، وهم المؤمنون المتقون المتحابون في الله الذين تذكر رؤياهم بذكر الله. |
| (يَتَّقُونَ)                       | يتقون الشرك والعصيان والكبائر والبدع.                                                        |
| (الْبَشَرَى)                       | ما يبشرون به من الأخبار السارة التي يظهر أثرها على بشرتهم.                                   |
| (لَا بُدَّيْلَ لِكَلِمَتِ اللَّهِ) | لا تغيير لما قضاه الله وكتبه على العباد، وعلى الخلق عموماً.                                  |
| (الْعِزَّة)                        | الغلبة والقوة والقدرة.                                                                       |
| (يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ)     | يعبدون مع الله - يسألون مع الله.                                                             |
| (يَخْرُصُونَ)                      | يتكلمون بالظنون الباطلة والتخرصات الكاذبة.                                                   |
| (سُبْحَنَهُ)                       | تنزهه.                                                                                       |
| (سُلْطَانٍ)                        | حجة.                                                                                         |
| (يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ)        | يكذبون على الله، وينسبون إليه ما لم يقله.                                                    |





س: ما معنى أولياء الله؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم-: (أنصار الله).



صفات أولياء الله ﷺ

س: ما صفات أولياء الله وما أعمالهم؟

ج: في الجملة هم الموصوفون بصفات المتقين في كتاب الله ﷻ وبصفات المؤمنين، العاملون بأعمالهم القائلون بأقوالهم المعتقدون اعتقادهم، وفي الجملة كل مؤمن تقي هو الله ولي.

ثم إن من العلماء من قال:

هم قوم إذا رأهم أحداً ذكر الله ﷻ أي: أن رؤيتهم تُذكر بالله ﷻ لما عليهم من سيما الفضل والصلاح والإيمان والإخبات. وبهذا قال عدد كبير من أهل العلم، وقد ورد بذلك حديث في سنده ضعف.

وقال آخرون: هم المتحابون في الله ﷻ.

هذا، وقد وردت في هذا الباب أحاديث عن رسول الله ﷺ لا يخلو حديث منها من مقال.

منها ما أخرجه الطبري<sup>(١)</sup> وغيره من طريق عمارة بن القعقاع الضبي، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير البجلي، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: إن من عباد الله عبادةً يغبطهم الأنبياء والشهداء! قيل: من هم يا رسول الله؟ فلعنا نحبتهم! قال: هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب، وجوههم

(١) الطبري (١٧٧٢٨)، والنسائي في الكبرى (١١٢٣٦/٦)، والبيهقي في الشعب (٨٩٩٧/٦) وأعله البيهقي وابن كثير بالإرسال كذلك.

من نور، على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس. وقرأ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢).

إلا أن الطبري رحمه الله وغيره أوردته من طريق آخر عن عمارة عن أبي زرعة، عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ: إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله! قالوا: يا رسول الله، أخبرنا من هم وما أعمالهم؟ فإننا نحبههم لذلك! قال: هم قوم تحابُّوا في الله بروح الله، على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس. وقرأ هذه الآية: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢).

كذا أوردته الطبري وغيره، وهذا اختلاف على أبي زرعة مرة عن أبي هريرة، ومرة عن عمر وصوب عدد من العلماء رواية من رواه عن أبي زرعة عن عمر، فإذا كان كذلك فأبو زرعة لم يسمع من عمر، وروايته عنه مرسله.

وهذا أعلمه البيهقي وغيره. والله أعلم.

**وأخرج الطبري<sup>(١)</sup> وأحمد وغيرهما من طريق عبد الحميد بن بهرام قال:**

حدثنا شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم، عن أبي مالك الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي من أفناء الناس ونوازع القبائل، قوم لم تصل بينهم أرحام متقاربة، تحابُّوا في الله، وتصافَّوا في الله، يضع الله لهم يوم القيامة منابر

(١) أحمد (٣٤٣/٥) (٢٣٠١٣)، والطبري في تفسير الآية المذكورة (١٧٧٣٠)، وغيرهما، وسنده فيه

مقال من أجل شهر بن حوشب ففيه مقال. لكن من العلماء من يقوي رواته عبد الحميد بن بهرام

عنه.

من نور، فيجلسهم عليها، يفرع الناس فلا يفرعون، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون».

وتم حديث آخر من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رجل: يا رسول الله، من أولياء الله؟ قال: «الذين إذا رءوا ذكر الله» أخرجه البزار، وقال: وقد روي عن سعيد مرسلاً.

هكذا قال البزار، كما أورده عنه الحافظ ابن كثير، وأخرجه الطبري وغيره من وجوه عن سعيد بن جبير مرسلاً وهو الصواب، فالخبر لا يثبت عن النبي ﷺ. والله أعلم.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الدُّنْيَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾  
**عليهم ولا هم يحزنون ﴿١٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٣﴾**.

ج: المعنى - والله أعلم -: ألا فاعلموا - ألا فاسمعوا إن أولياء الله، أنصاره المؤمنون به المدافعون عن دينه والمستمسكون بشرعه، وهم أهل الإيمان والتقوى فكل مؤمن تقي هو لله ولي، فهؤلاء الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين، وآمنوا بالملائكة والكتاب والنبين وبالقدر خيره وشره، الذين اتقوا الشرك واتقوا مساخط الله ومعاصيه لا خوف عليهم مما هو آت فهم آمنون ولا يحزنون على شيء قد فاتهم من أمر الدنيا.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رحمته الله:

يقول تعالى ذكره: ألا إن أنصار الله لا خوف عليهم في الآخرة من عقاب الله، لأن الله رضي عنهم فآمنهم من عقابه ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا.

و«الأولياء» جمع «ولي»، وهو النصير، وقد بينا ذلك بشواهد.  
واختلف أهل التأويل فيمن يستحق هذا الاسم.  
وأورد **رحمته** أقوالاً للعلماء ذكرت حاصلها فيما تقدم.

### ثم قال الطبري **رحمته**:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: «الولي» - أعني «ولي الله» - هو من كان بالصفة التي وصفه الله بها، وهو الذي آمن واتقى، كما قال الله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (١٢٣).

**وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله:** ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٢٣)، من هم يا رب؟ قال: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (١٢٣)، قال: أبى أن يتقبل الإيمان إلا بالتقوى.

### وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (١٢٣).

يقول تعالى ذكره: الذين صدقوا الله ورسوله، وما جاء به من عند الله، وكانوا يتقون الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه.

وقوله: ﴿الذين آمنوا﴾ من نعت «الأولياء»، ومعنى الكلام: ألا إن أولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

### وقال ابن كثير **رحمته**:

يخبر تعالى أن أولياءه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون، كما فسرهم ربهم، فكل من كان تقياً كان لله ولياً: أنه ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: فيما يستقبلون من أهوال القيامة، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٢٣) على ما وراءهم في الدنيا.  
**وأورد عن عددٍ من السلف:** أولياء الله الذين إذا رءوا ذكر الله.

### وقال السعدي **رحمته**:

يخبر تعالى عن أوليائه وأحبائه، ويذكر أعمالهم وأوصافهم، وثوابهم

فقال: ﴿أَلَا إِنَّكَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلونه مما أمامهم من المخاوف والأحوال.

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما أسلفوا، لأنهم لم يسلفوا إلا صالح الأعمال، وإذا كانوا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ثبت لهم الأمن والسعادة، والخير الكثير الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

ثم ذكر وصفهم فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وصدقوا إيمانهم، باستعمال التقوى، بامتنال الأوامر، واجتناب النواهي.

فكل من كان مؤمناً تقياً كان لله تعالى ولياً، ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾.



## تفسير البشرى في الحياة الدنيا

س: ما المراد بالبشرى في الحياة الدنيا؟ وما المراد بالبشرة في الآخرة؟

ج: أما البشرى في الحياة فمن أقوال العلماء فيها ما يلي:

**القول الأول:** أنها الرؤيا الصالحة يراها العبد المؤمن أو ترى له، وقد وردت بذلك جملة أحاديث عن رسول الله ﷺ في تفسير الآية الكريمة تصح بمجموعها حاصلها أن النبي ﷺ فسّر الآية الكريمة ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: «أنها الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له»<sup>(١)</sup>.

هذا وقد صح عن رسول الله ﷺ أيضاً أنه قال: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات»، قالوا: وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة»<sup>(٢)</sup>.

**القول الثاني:** أنها ثناء الناس الحسن على الرجل الصالح الذي يعمل عملاً صالحاً.

أخرج الإمام أحمد والإمام مسلم في صحيحيهما من حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله؛ الرجل يعمل العمل ويحمده الناس عليه، ويثنون عليه به؟ فقال رسول الله ﷺ: «تلك عاجل بشرى المؤمن»<sup>(٣)</sup>.

**قال الحافظ ابن كثير رحمته الله:**

**وقيل:** المراد بذلك بشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾<sup>(٢٠)</sup> نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ

(١) انظر الأحاديث بذلك عند الطبري في تفسير الآية الكريمة ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وقد أورد عدة أحاديث في ذلك، وانظر أيضاً مسند أحمد (٤٥٢/٦)، وابن أبي شيبة (٢٣١/٧)، وأحمد (٢١٩/٢) وغيرهم كم غفير.

(٢) البخاري (٦٩٩٠).

(٣) أحمد (١٥٦/٥)، ومسلم (٢٦٤٢).

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾  
تُزَلَّاتُ مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢].

وفي حديث البراء: «أن المؤمن إذا حضره الموت، جاءه ملائكة بيض الوجوه، بيض الثياب، فقالوا: اخرجي أيتها الروح الطيبة إلى روح وريحان، ورب غير غضبان. فتخرج من فمه، كما تسيل القطرة من فم السقاء».

**القول الرابع:** أنها البشارات التي بُشِّرَ بها المؤمنون في كتاب رهم ﷺ وفي سنة رسوله ﷺ.

**القول الخامس:** ما يراه العبد من تيسير الله ﷻ له ومن صرف السوء عنه. وكل ذلك داخل في البشر في الدنيا.

\* **أما البشرى في الآخرة:** فهي تبشيرهم بالجنة وخولدهم فيها ومنها تبشير الله ﷻ لهم كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَتُكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿١٢﴾ [الحديد: ١٢].

\* وتبشير الملائكة لهم قال تعالى: ﴿وَنُنَاقِلُهُمُ الْمَلَائِكَةَ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿١٣﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

\* ومنها تبشير ربهم لهم برحمة منه ورضوان كما قال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾ ﴿١١﴾ [التوبة: ٢١].

هذا، وهناك بشارات أخر في القبر لمجيء العمل الصالح في صورة رجل أبيض الوجه أبيض الثياب، طيب الريح، يقول: أنا عمالك الصالح. وغير ذلك من البشارات. والله أعلم.

**قال الطبري رحمه الله بعد أن أورد جملة أقوال في البشرى:**

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن لأوليائه المتقين البشرى في الحياة الدنيا، ومن البشارة في الحياة الدنيا الرؤيا

الصالحة يراها المسلم أو ترى له - ومنها بشرى الملائكة إياه عند خروج نفسه برحمة الله، كما روي عن النبي ﷺ: «أن الملائكة التي تحضره عند خروج نفسه، تقول لنفسه: اخرجي إلى رحمة الله ورضوانه».

ومنها: بشرى الله إياه ما وعده في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من الثواب الجزيل، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الآية، [سورة البقرة: ٢٥].

وكل هذه المعاني من بشرى الله إياه في الحياة الدنيا بشره بها، ولم يخص الله من ذلك معنى دون معنى، فذلك مما عمه جل ثناؤه: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، وأما في الآخرة فالجنة.



س: وضع المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: لهؤلاء المؤمنين المتقين أولياء الله ﷻ، البشرى، ما يبشرون به ويظهر أثره على وجوههم فرحة وسعادة وانشراحاً في الصدور في الدنيا، وهي الرؤيا الصالحة والثناء الحسن وتيسير الأمور وتذليل الصعاب وغير ذلك من طيب الأمور المطمئنة، وكذلك لهم البشرى عند الاحتضار بتبشير الملائكة لهم، وكذلك لهم البشرى في الآخرة يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجرٌ عظيم، وتبشير الملائكة لهم كذلك بالجنات بقولهم هذا يومكم الذي كنتم توعدون. وثم تبشير في القبر كذلك.

أما قوله تعالى ذكره: ﴿لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَتِ اللَّهِ﴾ فمعناها والله أعلم: لا إخلاف لوعده الله، ولا تغيير لما قضاه الله.



## قال الطبري رحمه الله:

**وأما قوله:** ﴿لَا نَبْدِلَ إِكْرَمَتِ اللَّهِ﴾، فإن معناه: إن الله لا خُلفَ لوعده، ولا تغيير لقوله عما قال، ولكنه يُمضي لخلقهِ مواعيده وينجزها لهم.

**وأورد بإسنادٍ صحيحٍ من طريق أيوب، عن نافع قال:** أطال الحجاج الخطبة، فوضع ابن عمر رأسه في حجرٍ، فقال الحجاج: إن ابن الزبير بدل كتاب الله! فقعد ابن عمر فقال: لا تستطيع أنت ذاك ولا ابن الزبير! لا تبديل لكلمات الله! فقال الحجاج: لقد أوتيت علماً إن نفعك! قال أيوب: فلما أقبل عليه في خاصّة نفسه سكّت.

**وقوله:** ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، يقول تعالى ذكره: هذه البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة «وهي الفوز العظيم»، يعني الظفر بالحاجة والطلبة والنجاة من النار.

## وقال ابن كثير رحمه الله:

**وقوله:** ﴿لَا نَبْدِلَ إِكْرَمَتِ اللَّهِ﴾ أي: هذا الوعد لا يبدل ولا يخلف ولا يغير، بل هو مقرر مثبت كائن لا محالة: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.



**س: كيف الجمع بين قوله تعالى:** ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾، وقوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]؟

**ج: الجمع بأن يقال:** إن عزة رسول الله ﷺ وعزة المؤمنين إنما هي من الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) والله تعالى أعلم.

هذا، وتعزز رسول الله ﷺ وتعزز المؤمنين إنما ذلك بالله سبحانه والله أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٥).

ج: المعنى - والله أعلم -: ولا يحزنك قولهم الذي يقولونه ويكذبونك به ويسخرون منك به ويشركون بالله ﷻ، لا يحزنك تكذيبهم لك ولا سخريتهم منك، فإن هـ لن ينفعهم شيئاً ولن يستطيعوا إطفاء نور الله ﷻ فالغلبة كلها لله ﷻ دائماً وأبداً، وله القدرة التامة وإن شاء أهلكهم أهلكهم فهو عليهم قادر، وهو سبحانه وتعالى سميع لأقوالهم عليم بنواياهم وسميع لكل شيء، وعليم بكل شيء، فلات حزن ولا تجزع.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لا يحزنك، يا محمد، قول هؤلاء المشركين في ربهم ما يقولون، وإشراكهم معه الأوثان والأصنام، فإن العزة لله جميعاً، يقول تعالى ذكره: فإن الله هو المنفرد بعزة الدنيا والآخرة، لا شريك له فيها، وهو المنتقم من هؤلاء المشركين القائلين فيه من القول الباطل ما يقولون، فلا ينصرهم عند انتقامه منهم أحد، لأنه لا يعاذه شيء ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ يقول: وهو ذو السمع لما يقولون من الفرية والكذب عليه، وذو علم بما يضمرونه في أنفسهم ويعلنونه، مُحْصَى ذلك عليهم كله، وهو لهم بالمرصاد.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ قول هؤلاء المشركين، واستعن بالله عليهم، وتوكل عليه؛ فإن العزة لله جميعاً، أي: جميعها له ولرسوله وللمؤمنين، ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٥) أي: السميع لأقوال عباده العليم بأحوالهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ أي لا يحزنك افتراءهم وتكذيبهم لك، ثم ابتداء فقال: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾ أي القوة الكاملة والغلبة الشاملة والقدرة التامة لله وحده ؛ فهو ناصرك ومعينك ومانعك. ﴿جَمِيعًا﴾ نصب على الحال، ولا يعارض هذا قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] فإن كل عزة بالله فهي كلها لله ؛ قال الله سبحانه: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [١٨٠] [الصفات: ١٨٠]. ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [١٥] السميع لأقوالهم وأصواتهم، العليم بأعمالهم وأفعالهم وجميع حركاتهم.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

أي: ولا يحزنك قول المكذبين فيك من الأقوال التي يتوصلون بها إلى القدح فيك، وفي دينك فإن أقوالهم لا تعزهم، ولا تضرك شيئًا. ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ يؤتيها من يشاء، ويمنعها ممن يشاء.

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أي: فليطلبها بطاعته، بدليل قوله بعده: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

ومن المعلوم، أنك على طاعة الله، وأن العزة لك ولأتباعك من الله ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله: ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [٦٥] أي: سمعه قد أحاط بجميع الأصوات، فلا يخفى عليه شيء منها.

وعلمه قد أحاط بجميع الظواهر والبواطن، فلا يعزب عنه مثقال ذرة، في السماوات والأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر.

وهو تعالى يسمع قولك، وقول أعدائك فيك، ويعلم ذلك تفصيلا فاكتف بعلم الله وكفايته، فمن يتق الله، فهو حسبه.

س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِن فِي السَّمٰوٰتِ وَمِن فِي الْأَرْضِ مَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ١٦.

ج: المعنى - والله أعلم -: اسمعوا وانتبهوا واعملوا أن الله ﷻ له من في السموات ومن في الارض يقضي فيهما بما يشاء، ويقضي في خلقه بما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، ولا شريك له في إلهيته ولا في ربوبيته ولا في ملكه أما هؤلاء الذين يدعون غير الله ويزعمون أن الآلهة التي يدعونها ويعبدونها شريكة لله فقد زعموا باطلاً وتقولوا كذباً وزوراً، فهذه الآلهة ليست بشريكة لله ﷻ وإن زعم عابدها أنها شريكة لله ﷻ، فهم ما يتبعون إلا ظنوناً وأوهاماً، وما يقولون قولاً له حقيقة إنما يتقولون بالظنون والأوهام والتخرصات الباطلة.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ألا إن لله يا محمد كل من في السموات ومن في الأرض، ملكاً وعبداً، لا مالك لشيء من ذلك سواه. يقول: فكيف يكون إلهاً معبوداً من يعبده هؤلاء المشركون من الأوثان والأصنام، وهي لله ملك، وإنما العبادة للمالك دون المملوك، وللرب دون المربوب؟ ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾، يقول جل ثناؤه: وأي شيء يتبع من يدعو من دون الله - يعني: غير الله وسواه - شركاء. ومعنى الكلام: أي شيء يتبع من يقول لله شركاء في سلطانه وملكه كاذباً، والله المنفرد بملك كل شيء في سماء كان أو أرض؟ ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾، يقول: ما يتبعون في قلوبهم ذلك ودعواهم إلا الظن، يقول: إلا الشك لا اليقين ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ١٦، يقول: وإن

هم إلا يتقُولون الباطل تظَنُّوا وتَخْرُصاً لِلْإِفْكِ، عن غير علمٍ منهم بما يقولون.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

ثم أخبر تعالى أن له ملك السموات والأرض، وأن المشركين يعبدون الأصنام، وهي لا تملك شيئاً، لا ضرراً ولا نفعاً، ولا دليل لهم على عبادتها، بل إنما يتبعون في ذلك ظنونهم وتخارصهم وكذبهم وإفكهم.

**وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:**

**يخبر تعالى:** أن له ما في السموات والأرض، خلقاً وملكاً وعبيداً، يتصرف فيهم بما شاء من أحكامه، فالجميع ممالك لله، مسخرون، مدبرون، لا يستحقون شيئاً من العبادة، وليسوا شركاء لله بوجه الوجوه، ولهذا قال: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ الذي لا يغني من الحق شيئاً ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (١٦) في ذلك، خرص كذب وإفك وبهتان.

فإن كانوا صادقين في أنها شركاء لله، فليظهروا من أوصافها ما تستحق به مثقال ذرة من العبادة، فلن يستطيعوا، فهل منهم أحد يخلق شيئاً أو يرزق، أو يملك شيئاً من المخلوقات، أو يدبر الليل والنهار، الذي جعله الله قياماً للناس؟

**وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:**

قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِنْ لِلَّهِ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي يحكم فيهم بما يريد ويفعل فيهم ما يشاء سبحانه!.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾ ﴿مَا﴾ للنفي، أي لا يتبعون شركاء على الحقيقة، بل يظنون أنها تشفع أو تنفع. وقيل: ﴿مَا﴾ استفهام، أي أي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء تقبيحاً

لفعلهم، ثم أجاب فقال: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (٦٦) أي يحدسون ويكذبون.

**وقال ابن الجوزي رحمه الله (زاد المسير):**

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾ أي: فالذي هم له يفعل فيهم وبهم ما يشاء.  
قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾ أي: ما يتبعون شركاء على الحقيقة لأنهم يعدونها شركاء لله شفعاء لهم وليست على ما يظنون.

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ في ذلك ﴿وَأِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (٦٦) قال ابن عباس: يكذبون وقال ابن قتيبة: يحدسون ويحزرون.



**س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (١٧).**

**ج:** هذا - والله أعلم - بيان لقدرة الله ﷻ فيبين الله قدرته وانفراده بأنه سبحانه جعل الليل سكناً يسكن فيه العباد ويهدئون وينامون فيستريحون كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ (١٧) [النبا: ٩] أي: راحة لكم، وكما قال: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ (١٠) [النبا: ١٠].

وكذا فإنه سبحانه جعل النهار للعباد يبصرون فيه، يبصرون بضياؤه، ومن ثم يسعون للمعاش كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (١١) [النبا: ١١].

إن في ذلك، فيما صنعه الله ﷻ بالليل إذ جعله للسكن، وفي النهار إذا جعله مضيئاً مبصراً للمعاش الناس وقضاء حوائجهم لدلالات على وحدانيته الله وقدرته، ولكنها لقوم يسمعون الآيات سماع اعتبار واتعاظ، وتفكر وتأمل،

ومن ثم اتباع ذلك بالعمل.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رحمه الله:

**يقول تعالى ذكره:** إِنَّ رَبَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ الَّذِي اسْتَوْجِبَ عَلَيْكُمُ الْعِبَادَةَ، هُوَ الرَّبُّ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَفَصَّلَهُ مِنَ النَّهَارِ، لِتَسْكُنُوا فِيهِ مِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ فِي نَهَارِكُمْ مِنَ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ، وَتَهْدُوا فِيهِ مِنَ التَّصَرُّفِ وَالْحَرَكَةِ لِلْمَعَاشِ وَالْعِنَاءِ الَّذِي كُنْتُمْ فِيهِ بِالنَّهَارِ ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾، يقول: جَعَلَ النَّهَارَ مُبْصِرًا، فَأَضَافَ «الْإِبْصَارَ» إِلَى «النَّهَارِ»، وَإِنَّمَا يُبْصَرُ فِيهِ، وَلَيْسَ «النَّهَارُ» مِمَّا يَبْصُرُ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ مَفْهُومًا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَعْنَاهُ، خَاطَبَهُمْ بِمَا فِي لُغَتِهِمْ وَكَلَامِهِمْ.

وذلك كما قال جرير:

**لَقَدْ لُمْتُنَا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فِي السُّرَى وَنِمْتِ، وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمٍ**

فأضاف «النوم» إلى «الليل» ووصفه به، ومعناه نفسه، أنه لم يكن نائمًا فيه هو ولا بغيره.

**يقول تعالى ذكره:** فَعَلَى الَّذِي يَفْعَلُ ذَلِكَ هُوَ رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ، لَا مَالَ يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ وَلَا يَفْعَلُ شَيْئًا.

**وقوله:** ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾، يقول تعالى ذكره: إِنَّ فِي اخْتِلَافِ حَالِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَحَالِ أَهْلِهِمَا فِيهِمَا، دَلَالَةً وَحُجْجًا عَلَى أَنَّ الَّذِي لَهُ الْعِبَادَةُ خَالِصًا بَغَيْرِ شَرِيكَ، هُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَخَالَفَ بَيْنَهُمَا، بِأَنْ جَعَلَ هَذَا لِلْخَلْقِ سَكْنًا، وَهَذَا لَهُمْ مَعَاشًا، دُونَ مَنْ لَا يَخْلُقُ وَلَا يَفْعَلُ شَيْئًا، وَلَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ.

**وقال:** ﴿لَقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾، لأن المراد منه: الَّذِينَ يَسْمَعُونَ هَذِهِ

الحجج ويتفكرون فيها، فيعتبرون بها ويتعظون. ولم يرد به: الذين يسمعون بأذانهم، ثم يعرضون عن عبره وعظاته.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

ثم أخبر أنه الذي جعل لعباده الليل ليسكنوا فيه، أي: يستريحون فيه من نَصَبِهِمْ وكلالِهِمْ وَحَرَكَاتِهِمْ، ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي: مضيئًا لمعاشِهِمْ وسعيِهِمْ، وأسفارِهِمْ ومصالِحِهِمْ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (١٧) أي: يسمعون هذه الحجج والأدلة، فيعتبرون بها، ويستدلون على عظمة خالقها، ومقدرها ومسيرها.

**وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:**

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ في النوم والراحة بسبب الظلمة، التي تغطي وجه الأرض، فلو استمر الضياء، لما قروا، ولما سكنوا. ﴿وَجَعَلَ اللَّهُ﴾ ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي: مضيئًا، يبصر به الخلق، فيتصرفون في معاشِهِمْ، ومصالِحِ دينِهِمْ ودنياهِمْ. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (١٧) عن الله، سمع فهم، وقبول، واسترشاد، لا سمع تعنت وعناد، فإن في ذلك آيات، لقوم يسمعون، يستدلون بها على أنه وحده المعبود وأنه الإله الحق، وأن إلهية ما سواه باطلة، وأنه الرؤوف الرحيم العليم الحكيم.

**وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:**

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ بين أن الواجب عبادة من يقدر على خلق الليل والنهار لا عبادة من لا يقدر على شيء. ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ أي مع أزواجكم وأولادكم ليزول التعب والكلال بكم. والسكون: الهدوء عن الاضطراب.



**قوله تعالى:** ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي مضيئاً لتهتدوا به في حوائجكم. والمبصر: الذي يبصر، والنهار يبصر فيه. وقال: ﴿مُبْصِرًا﴾ تجوزا وتوسعا على عادة العرب في قولهم: «ليل قائم، ونهار صائم». وقال جرير: **لَقَدْ لُمْتُنَا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فِي السَّرَى وَنِمْتِ، وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمٍ**

وقال قطرب: قال أظلم الليل أي صار ذا ظلمة، وأضاء النهار وأبصر أي صار ذا ضياء وبصر.

**قوله تعالى:** ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ أي علامات ودلالات. ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (١٧) أي سماع اعتبار؟

**وقال ابن الجوزي في زاد المسير:**

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (١٧).

**قوله تعالى:** ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ المعنى: إن ربكم الذي يجب أن تعتقدوا ربوبيته، هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه فيزول تعب النهار وكلاله بالسكون في الليل، وجعل النهار مبصراً، أي: مضيئاً تبصرون فيه وإنما أضاف الابصار إليه؛ لأنه قد فهم السامع المقصود إذ النهار لا يبصر وإنما هو ظرف يفعل فيه غيره كقوله: ﴿عِشَّةً رَاضِيَةً﴾ (١١) **[الحاقة: ٢١]**، إنما هي مرضية.

**قوله تعالى:** ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (١٧) سماع اعتبار فيعلمون أنه لا يقدر على ذلك إلا الإله القادر.



س: وضع معنى قوله تعالى: ( قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا أُنْقُلُوْا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِنْكَ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٢٩﴾ مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ يُذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ ).

ج: المعنى - والله أعلم -:

قال المشركون اتخذ الله ولداً يعنون قاتلهم الله أن الملائكة بنات الله، وهذا قول بعض قبائل العرب، ومنسوب إلى قبيلة خزاعة، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمٰنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَكَّابٌ شَهِدُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف: ١٩]

وقال تعالى: ﴿ أَلَكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنثٰى ﴿٢٨﴾ تِلْكَ إِذْ أَسْمَعُ ضِرَازَ ﴿٢٩﴾ [النجم: ٢١-٢٢]. وكذا فإن اليهود قالوا: ﴿ عَزَّزْتُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ والنصارى قالوا: ﴿ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾، فنزه الله ﷻ عن كل ذلك إذ قال سبحانه أي: تنزه هو الغني عن خلقه والغني عن الولد، والغني على كل أحد، فكل ما في السموات وكل ما في الأرض ملك له سبحانه يتصرف فيه كيف يشاء ويقضي به بالذي يريد، وما عندكم أيها الضالون المفترون الزاعمون أنا الله له ولد، ما عندكم من حجة على قولكم الذي قلتموه، وزعمكم الذي زعمتموه أتنقلون على الله بغير الحق، وتقولون عليه بلا علم وبما ليس لكم به عليم، فقل لهم إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفوزون بمطلوبهم ولا ينجو به من مرهوبهم من ينالوا جنة الله ولن يردوا عليها، وكذا لن يسلموا من عذاب الله ومن نعمته وعقابه.

أما الذي هم فيه في الدنيا فمتاع زائل، متاعٌ يتمتعون به في الدنيا ثم إلى الله ﷻ مرجعهم يوم القيامة، ثم يذيقهم الله ﷻ العذاب الشديد بسبب كفرهم

وجحودهم آيات الله، ذلكم الكفر والجحود الذي كان منهم في دنياهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

**يقول تعالى ذكره:** قال هؤلاء المشركون بالله من قومك، يا محمد: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾، وذلك قولهم: «الملائكة بنات الله». يقول الله منزهاً نفسه عما قالوا وافتروا عليه من ذلك: «سبحان الله»، تنزيهاً لله عما قالوا وادَّعوا على ربهم ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ يقول: الله غني عن خلقه جميعاً، فلا حاجة به إلى ولد، لأن الولد إنما يطلبه من يطلبه، ليكون عوناً له في حياته وذكرًا له بعد وفاته، والله عن كل ذلك غني، فلا حاجة به إلى معين يعينه على تدبيره، ولا يبيد فيكون به حاجة إلى خلف بعده ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، يقول تعالى ذكره: لله ما في السموات وما في الأرض ملكاً، والملائكة عباداه وملكه، فكيف يكون عبد الرجل وملكه له ولدًا؟ يقول: أفلا تعقلون أيها القوم خطأ ما تقولون؟ ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا﴾، يقول: ما عندكم أيها القوم، بما تقولون وتدَّعون من أن الملائكة بنات الله، من حجة تحتجون بها - وهي السلطان - أتقولون على الله قولاً لا تعلمون حقيقته وصحته، وتضيفون إليه ما لا يجوز إضافته إليه، جهلاً منكم بما تقولون، بغير حجة ولا برهان؟

**يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ:** ﴿قُلْ يَا مُحَمَّد، لَهُمْ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾، فيقولون عليه الباطل، ويدَّعون له ولدًا ﴿لَا يَفْلَحُونَ﴾ ﴿٦١﴾، يقول: لا يَبْقَوْنَ في الدنيا، ولكن لهم ﴿مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا﴾ يمتعون به، وبلاغ يتبلغون به إلى الأجل الذي كُتِبَ فناؤهم فيه ﴿ثُمَّ إِنَّا مَرْجِعُهُمْ﴾، يقول: ثم إذا انقضى أجلهم الذي كتب لهم، إنا مصيرهم ومنقلبهم ﴿ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ﴾، وذلك إصلاؤهم جهنم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ ﴿٧٠﴾

بالله في الدنيا، فيكذبون رسله، ويجحدون آياته.

**ورفع قوله:** ﴿مَتَّعْ﴾ بمضمرة قبله إما «ذلك»، وإما «هذا».

**وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

**يقول تعالى منكرًا على من ادعى أن له ولدًا:** ﴿سُبْحَنَهُ هُوَ الْعَنِيُّ﴾ أي:

تقدس عن ذلك، هو الغني عن كل ما سواه، وكل شيء فقير إليه، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: فكيف يكون له ولد مما خلق، وكل شيء مملوك له، عبد له؟! ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَنِ بِهَذَا﴾ أي: ليس عندكم دليل على ما تقولونه من الكذب والبهتان! ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٨﴾ إنكار ووعد أكيد، وتهديد شديد، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا ءَاتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

[مريم: ٨٨ - ٩٥].

ثم توعده تعالى الكاذبين عليه المفترين، ممن زعم أنه له ولدا، بأنهم لا يفلحون في الدنيا ولا في الآخرة، فأما في الدنيا فإنهم إذا استدرجهم وأملى لهم متعهم قليلا ثم يضطرهم إلى عذاب غليظ، كما قال ها هنا: ﴿مَتَّعْ فِي الدُّنْيَا﴾ أي: مدة قريبة، ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ﴾ أي: الموضع المؤلم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ أي: بسبب كفرهم وافترائهم وكذبهم على الله، فيما ادعوه من الإفك والزور.

**وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:**

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الدِّينَ يَفْتَرُونُ﴾ أي: يخلقون. ﴿عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا

يُفْلِحُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ أي: لا يفوزون ولا يأمنون؛ وتم الكلام. ﴿مَتَّعْ فِي الدُّنْيَا﴾

أي: ذلك متاع، أو هو متاع في الدنيا؛ قاله الكسائي. وقال الأخفش: لهم متاع في الدنيا. قال أبو إسحاق: ويجوز النصب في غير القرآن على معنى يتمتعون متاعاً. ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ أي: رجوعهم. ﴿ثُمَّ نُنْذِرُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ﴾ أي: الغليظ. ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ أي: بكفرهم.

### وقال السعدي رحمه الله:

يقول تعالى مخبراً عن بهت المشركين لرب العالمين ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ فنزه نفسه عن ذلك بقوله: ﴿سُبْحَنَهُ﴾ أي: تنزه عما يقول الظالمون في نسبة النقائص إليه علواً كبيراً، ثم برهن على ذلك، بعدة براهين: **أحدها:** قوله: ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ أي: الغنى منحصر فيه، وأنواع الغنى مستغرقة فيه، فهو الغني الذي له الغنى التام بكل وجه واعتبار من جميع الوجوه، فإذا كان غنياً من كل وجه، فلا شيء يتخذ الولد؟ الحاجة منه إلى الولد، فهذا مناف لغناه فلا يتخذ أحد ولداً إلا لنقص في غناه.

**البرهان الثاني، قوله:** ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وهذه كلمة جامعة عامة لا يخرج عنها موجود من أهل السماوات والأرض، الجميع مخلوقون عبيد ممالك.

ومن المعلوم أن هذا الوصف العام ينافي أن يكون له منهم ولد، فإن الولد من جنس والده، لا يكون مخلوقاً ولا مملوكاً. فملكيته لما في السماوات والأرض عموماً، تنافي الولادة.

**البرهان الثالث، قوله:** ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا﴾ أي: هل عندكم من حجة وبرهان يدل على أن الله ولداً، فلو كان لهم دليل لأبدوه، فلما تحداهم وعجزهم عن إقامة الدليل، علم بطلان ما قالوه. وأن ذلك قول بلا علم، ولهذا

قال: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٦٨) ﴿فَإِنْ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَحْرَمَاتِ.﴾  
 ﴿قُلْ إِنَّكَ الْدِّينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ أي: لا ينالون مطلوبهم،  
 ولا يحصل لهم مقصودهم، وإنما يتمتعون في كفرهم وكذبهم، في الدنيا، قليلا  
 ثم ينتقلون إلى الله، ويرجعون إليه، فيذيقهم العذاب الشديد بما كانوا  
 يكفرون. ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١١٧) [آل عمران: ١١٧].

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ قال ابن عباس: يعني: أهل مكة  
 جعلوا الملائكة بنات الله.  
 قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيه له عما قالوا ﴿هُوَ الْعَنِيُّ﴾ عن الزوجة  
 والولد ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ﴾ أي: ما عندكم ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي: حجة بما تقولون.  
 قوله تعالى: ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا يبقون في الدنيا.  
 والثاني: لا يسعدون في العاقبة. والثالث: لا يفوزون. قال الزجاج: وهذا وقف  
 التمام. وقوله: ﴿مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا﴾ مرفوع على معنى ذلك متاع في الدنيا.



شيء من ذكر نبي الله نوح ﷺ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَفْقَهُمْ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بَيَانَتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا وَأَعْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْمُذْذِبِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾

[يونس: ٧١-٧٤].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ - نَبَأً - مَقَامِي - وَتَذَكِّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ - تَوَكَّلْتُ - فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ - وَشُرَكَاءَكُمْ - غَمَةً - اقْضُوا إِلَيَّ - وَلَا تُنْظِرُونِ - تَوَلَّيْتُمْ - الْفُلَاكِ - خَلَّيْفَ - الْمُنْذِرِينَ - وَالْبَيِّنَاتِ - نَطْبَعُ﴾.

ج:

| الكلمة                            | معناها                                          |
|-----------------------------------|-------------------------------------------------|
| (وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ) ﴿           | أخبرهم - اقصص عليهم.                            |
| (نَبَأً) ﴿                        | خبر.                                            |
| (مَقَامِي) ﴿                      | إقامتي فيكم ومكثي معكم لدعوتكم إلى الله.        |
| (وَتَذَكِّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ) ﴿ | تخويفي لكم ووعظي لكم بحجج الله وآياته ودلالاته. |
| (تَوَكَّلْتُ) ﴿                   | اعتمدت.                                         |
| (فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ) ﴿       | اعزموا رأيكم - اجمعوا هممكم.                    |
| (وَشُرَكَاءَكُمْ) ﴿               | آلهتكم التي جعلتموها شريكاً لله وعبدتموها.      |
| (غَمَةً) ﴿                        | ملتبساً - مشوشاً عليه - غير واضح.               |
| (اقْضُوا إِلَيَّ) ﴿               | نفذوا في رأيكم وقراركم.                         |
| (وَلَا تُنْظِرُونِ) ﴿             | لا تمهلون - لا تؤخرون.                          |
| (تَوَلَّيْتُمْ) (                 | أعرضتم عن الإيمان.                              |
| (الْفُلَاكِ) (                    | السفينة العظيمة.                                |
| (خَلَّيْفَ) (                     | ناس يأتون من بعد أناسٍ يخلفونهم في أماكنهم.     |



(٢٣٣) أحمر  
أسود

٢٣٣

تفسير سورة يونس

|                   |                                                           |
|-------------------|-----------------------------------------------------------|
| المُذَرِّينَ )    | المُخَوِّفِينَ الَّذِينَ أَنْذَرْتَهُمْ رَسُولَهُمْ.      |
| بِالْبَيِّنَاتِ ) | بِالْحُجَجِ الْوَاضِحَاتِ وَالِدَّلَالَاتِ الظَّاهِرَاتِ. |
| نَطِيعٌ ؕ )       | نَخْتَمُ.                                                 |



## من الأدلة على نبوة النبي محمد ﷺ

س: استدل البعض بقوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ...﴾ على نبوة نبينا محمد ﷺ فما وجه هذه الدلالة؟

ج: وجهها أن النبي ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ومع ذلك أخبرهم بقصة هذا النبي ﷺ، نبي الله نوح مع أنه لم يتعلمها ولم يتعلموها من أحدٍ كذلك.

## قال ابن الجوزي في (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ فيه دليل على نبوته حيث أخبر عن قصص الأنبياء ولم يكن يقرأ الكتب وتحريض على الصبر وموعظة لقومه بذكر قوم نوح وما حل بهم من العقوبة بالكذب.



استحباب التذكير بالقصص القرآني

س: في قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ استحباب التذكير بالقصص القرآني، اذكر مزيداً من الاستدلالات على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

\* قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾.

\* قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الشعراء: ٦٩].

\* وقوله تعالى: ﴿فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

\* وقوله تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

\* وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

\* وقوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ...﴾ [المائدة: ٢٧].

إلى غير ذلك من الآيات.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمُوا إِن كَانَ كِبَرُ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِعَايَةِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -:

واذكر يا رسول الله لقومك ولمن أرسلت إليهم خبر نبي الله نوح عليه السلام، وهو أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، ذكرهم بخبره، وبقوله لقومه يا قوم إن كان كِبَرُ عَلَيْكُمْ شَقٌّ عَلَيْكُمْ وعظم عليكم ﴿مَقَامِي﴾ فيكم إقامة بينكم ومكثي زمناً طويلاً أدعوكم إلى الله وأذكركم ببيات الله فأردتم قتلي أو أردتم إخراجي من بلادكم أو أردتم أن تفعلوا بي أي شيء تريدونه فإني معتمد على الله فهو حسبي وكافيني وحافظي فأجمعوا أمركم، فاعزموا على ما تريدون ولا

يتشتت عليكم أمركم ولا تترددوا في فعل ما تريدونه بي، وكذا ادعوا شركاءكم من الآلهة والأوثان التي عبدتموها مع الله ﷻ ثم لا يكن أمركم ملتبساً عليكم بل ليكن أمركم واضحاً ظاهراً ثم نفذوا فيّ مرادكم إن استطعتم ولا تؤخروني ولا تمهلوني.

**وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.**

**قال الطبري رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ:** ﴿وَأْتْلُ﴾ على هؤلاء المشركين الذي قالوا: ﴿أَتَّخِذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾، من قومك ﴿بَنَاتُوحٍ﴾، يقول: خبر نوح ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمٌ إِنَّكَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي﴾، يقول: إن كان عظم عليكم مقامي بين أظهركم وشق عليكم، ﴿وَتَذَكِّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، يقول، ووعظي إياكم بحجج الله، وتنبهي إياكم على ذلك ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾، يقول: إن كان شق عليكم مقامي بين أظهركم، وتذكيري بآيات الله، فعزمت على قتلي أو طردي من بين أظهركم، فعلى الله اتكالي وبه ثقتي، وهو سَنَدِي وظهري ﴿فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ﴾، يقول: فأعدوا أمركم، واعزموا على ما تنوون عليه في أمري.

يقال منه: «أجمعت على كذا»، بمعنى: عزمت عليه، ومنه قول النبي ﷺ: «من لم يُجمع على الصوم من الليل فلا صوم له»، بمعنى: من لم يعزم، ومنه قول الشاعر:

**يَا أَيَّتُهَا شِعْرِي وَالْمُنَى لَا تَنْفَعُ هَلْ أَغْدُونَ يَوْمًا وَأَمْرِي مُجْمَعُ**

**ثم قال رحمه الله:**

وعني بـ«الشركاء»، آلهتهم وأوثانهم.

**وقوله:** ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾، يقول: ثم لا يكن أمركم عليكم ملتبساً مشكلاً مبهمًا.

من قولهم: «غَمَّ عَلَى النَّاسِ الْهَلَالُ»، وذلك إذا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَتَيَّنَّوْهُ،  
ومنه قول العجاج:

**بَلْ لَوْ شَهِدَتِ النَّاسَ إِذْ تُكْمُوا بِغَمَّةٍ لَوْ لَمْ تَفَرِّجْ غُمُّوا**

وقيل: إن ذلك من «الغم»، لأن الصدر يضيق به، ولا يتبين صاحبه لأمره  
مَصْدَرًا يَصْدُرُّهُ يَتَفَرِّجُ عَلَيْهِ مَا بَقْلَبَهُ، ومنه قول خنساء:

**وَذِي كُرْبِيَّةٍ رَأَى ابْنَ عَمْرِو خِنَافِهِ وَغَمَّتْهُ عَنْ وَجْهِهِ فَتَجَلَّتْ**

وقال:

وأما قوله: ﴿ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ﴾، فإن معناه: ثم امضوا إليَّ ما في أنفسكم  
وافرغوا منه.

واختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى قوله: ﴿ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ﴾.

**فقال بعضهم:** معناه: امضوا إلي، كما يقال: «قد قضى فلان»، يراد: قد  
مات ومَضَى.

**وقال آخرون منهم:** بل معناه: ثم افرغوا إلي، وقالوا: «القضاء»، الفراغ،  
والقضاء من ذلك. قالوا: وكأنَّ «قضى دينه» من ذلك، إنما هو فَرَّغَ مِنْهُ.

وقد حُكِيَ عَنْ بَعْضِ الْقُرَّاءِ أَنَّهُ قَرَأَ ذَلِكَ: ﴿ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ﴾، بِمَعْنَى: تَوَجَّهُوا  
إِلَيَّ حَتَّى تَصِلُوا إِلَيَّ، مِنْ قَوْلِهِمْ: «قَدْ أَفْضَى إِلَيَّ الْوَجَعَ وَشَبَّهَهُ».

وقوله: ﴿وَلَا تُنْظِرُونِ﴾، يقول: وَلَا تَوَخَّرُونِ.

من قول القائل: «أنظرت فلاناً بما لي عليه من الدين».

**قال أبو جعفر:** وإنما هذا خبر من الله تعالى ذكره عن قول نبيه نوح عليه السلام

لقومه: إِنَّهُ بِنُصْرَةِ اللَّهِ لَهُ عَلَيْهِمْ وَاثِقْ، وَمِنْ كَيْدِهِمْ وَبَوَائِقِهِمْ غَيْرُ خَائِفٍ وَإِعْلَامٌ  
مِنْهُمْ أَنَّهُمْ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، يَقُولُ لَهُمْ: أَمْضُوا مَا تَحَدَّثُونَ أَنْفُسَكُمْ بِهِ

فيّ، على عزم منكم صحيح، واستعينوا من شايحكم عليّ بالهتكم التي تدعون من دون الله، ولا تؤخروا ذلك، فإني قد توكلت على الله، وأنا به واثق أنكم لا تضروني إلا أن يشاء ربي.

وهذا وإن كان خبراً من الله تعالى عن نوح، فإنه حث من الله لنبيه محمد ﷺ على التأسي به، وتعريف منه سبيل الرشاد فيما قلّده من الرسالة والبلاغ عنه.

### قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى لنبيه، صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ أي: أخبرهم واقصص عليهم، أي: على كفار مكة الذين يكذبونك ويخالفونك ﴿بَنَاءُ نُوحٍ﴾ أي: خبره مع قومه الذين كذبوه، كيف أهلكهم الله ودّمّرهم بالغرق أجمعين عن آخرهم، ليحذر هؤلاء أن يصيبهم من الهلاك والدمار ما أصاب أولئك. ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَفْقَهُمْ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: عظم عليكم، ﴿مَقَامِي﴾ أي فيكم بين أظهركم، ﴿وَتَذَكَّرِي﴾ إياكم ﴿بِعَايَةِ اللَّهِ﴾ أي: بحججه وبراهينه، ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي: فإني لا أبالى ولا أكف عنكم سواء عظم عليكم أو لا! ﴿فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ أي: فاجتمعوا أنتم وشركاؤكم الذين تدعون من دون الله، من صنم ووثن، ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي: ولا تجعلوا أمركم عليكم ملتبسا، بل افصلوا حالكم معي، فإن كنتم تزعمون أنكم محقون، فاقضوا إلي ولا تنظرون، أي: ولا تؤخروني ساعة واحدة، أي: مهما قدرتم فافعلوا، فإني لا أبالىكم ولا أخاف منكم، لأنكم لستم على شيء، كما قال هود لقومه: ﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (٥٤) من دُونِهِ فَكَيْدُ فِي جَمِيعَةٍ لَّا تُنْظَرُونَ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٦) [هود: ٥٤ -

## قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

**يقول تعالى لنبيه:** واتل على قومك ﴿نَبَأُ نُوحٍ﴾ في دعوته لقومه، حين دعاهم إلى الله مدة طويلة، فمكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، فلم يزداهم دعاؤه إياهم إلا طغيانًا، فتمللوا منه وسئموا، وهو عليه الصلاة والسلام غير متكاسل، ولا متوان في دعوتهم، فقال لهم: ﴿يَقَوْمُ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بِعَائِنِ اللَّهِ﴾ أي: إن كان مقامى عندكم، وتذكيري إياكم ما ينفعكم ﴿بِعَائِنِ اللَّهِ﴾ الأدلة الواضحة البينة، قد شق عليكم وعظم لديكم، وأردتم أن تنالوني بسوء أو تردوا الحق. ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي: اعتمدت على الله، في دفع كل شر يراد بي، وبما أدعو إليه، فهذا جندي، وعدتي. وأنتم، فأتوا بما قدرتم عليه، من أنواع العَدَدَ والعُدَدَ.

﴿فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ﴾ كلكم، بحيث لا يتخلف منكم أحد، ولا تدخروا من مجهودكم شيئًا.

﴿و﴾ أحضروا ﴿وَشُرَكَاءَكُمُ﴾ الذي كنتم تعبدونهم وتوالونهم من دون الله رب العالمين.

﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي: مشتبهًا خفيًا، بل ليكن ذلك ظاهرًا علانية.

﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾ أي: اقضوا علي بالعقوبة والسوء، الذي في إمكانكم، ﴿وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ (٧١) أي: لا تمهلوني ساعة من نهار. فهذا برهان قاطع، وآية عظيمة على صحة رسالته، وصدق ما جاء به، حيث كان وحده لا عشيرة تحميه، ولا جنود تؤويه.

وقد بادأ قومه بتسفيه آرائهم، وفساد دينهم، وعيب آلهتهم. وقد حملوا من بغضه، وعداوته ما هو أعظم من الجبال الرواسي، وهم أهل القدرة والسطوة،

وهو يقول لهم: اجتمعوا أنتم وشركاؤكم ومن استطعتم، وأبدوا كل ما  
تقدرون عليه من الكيد، فأوقعوا بي إن قدرتم على ذلك، فلم يقدرُوا على  
شيء من ذلك.

فعلم أنه الصادق حقًا، وهم الكاذبون فيما يدعون





## شجاعة نبي الله نوح ﷺ واثباته

س: في الآية الكريمة شجاعة نبي الله نوح ﷺ واثباته، وضح ذلك؟

ج: إيضاحه من قوله لقومه: ﴿فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ فلم يُبال بالهتهم ولم يُبال بصنيعهم، بل حسن توكله على الله ﷻ وازداد يقينه واثباته وطلب من قومه اجتماع الرأي وعدم تشتته وفعل ما يريدونه به وعدم إمهاله، ثقةً في الله ﷻ أنه ناصره وحافظه. والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ٧٢.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: فإن أعرضتم عن الإيمان والتصديق وتوحيد الله ﷻ فلست أنا المتسبب في إعراضكم فأنا ما سألتكم أجرًا حتى تعرضوا وتقولوا هذا جاءنا يسألنا أموالنا ويسلبنا إياها، بل أطلب الأجر من الله ﷻ على تبليغي رسالاته إليكم وعلى نصحي لكم، وأدعوكم على أمرٍ أنه مأمور به أدعوكم إلى الإسلام، وأنا مأمور أن أكون من المسلمين فامتثلت ما أمرني الله ﷻ به، ولتمثلوا ما أمركم الله ﷻ به.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل نبيه نوح ﷺ لقومه: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾، أيها القوم، عني بعد دعائي إياكم، وتبليغ رسالة ربي إليكم، مدبرين، فأعرضتم عما دعوتكم إليه من الحق، والإقرار بتوحيد الله، وإخلاص العبادة له، وترك إشراك الآلهة في عبادته، فتضيع منكم وتفريط في واجب حق الله عليكم، لا

بسبب من قبلي، فإني لم أسألكم على ما دعوتكم إليه أجراً، ولا عوضاً أعتاضه منكم بإجابتكم إياي إلى ما دعوتكم إليه من الحق والهدى، ولا طلبت منكم عليه ثواباً ولا جزاء ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ يقول جل ثناؤه: إن جزائي وأجر عملي وثوابه إلا على ربي، لا عليكم، أيها القوم، ولا على غيركم ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، وأمرني ربي أن أكون من المذعنين له بالطاعة، المنقادين لأمره ونهيه، المذللين له، ومن أجل ذلك أدعوكم إليه، وبأمره آمركم بترك عبادة الأوثان.

#### قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: كذبتكم وأدبرتم عن الطاعة، ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: لم أطلب منكم على نصحي إياكم شيئاً، ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: وأنا ممثّل ما أمرت به من الإسلام لله ﷻ، والإسلام هو دين جميع الأنبياء من أولهم إلى آخرهم، وإن تنوعت شرائعهم وتعددت مناهلهم.

#### وقال السعدي رحمه الله:

ولهذا قال: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن ما دعوتكم إليه، فلا موجب لتوليكم، لأنه تبين أنكم لا تولون عن باطل إلى حق، وإنما تولون عن حق قامت الأدلة على صحته، إلى باطل قامت الأدلة على فساده.

ومع هذا ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ على دعوتي، وعلى إجابتكم، فتقولوا: هذا جاءنا لياخذ أموالنا، فتمتنعون لأجل ذلك.

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ أي: لا أريد الثواب والجزاء إلا منه، ﴿وَوَ﴾ أيضاً فإني ما أمرتكم بأمر وأخالفكم إلى ضده، بل ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فأنا أول داخل، وأول فاعل لما أمرتكم به.

الإسلام دين الأنبياء جميعاً

س: الإسلام دين الأنبياء جميعاً دَلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ

﴿آل عمران: ٨٥﴾.

وقوله تعالى في شأن نوح عليه السلام إذ قال: ﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

﴿٧٢﴾.

وأورد الحافظ ابن كثير رحمته الله عدة استدلالات على ذلك فقال: ....

وقال تعالى عن إبراهيم الخليل: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ

﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ

﴿البقرة: ١٣١، ١٣٢﴾، وقال يوسف: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ

تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ

﴿يوسف: ١٠١﴾. وقال موسى: ﴿يَقُومُ إِنَّ كُنْتُمْ ءَامِنُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ

كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ

﴿يونس: ٨٤﴾. وقالت السحرة: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ

﴿الأعراف: ١٢٦﴾. وقالت بلقيس: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ

لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

﴿النمل: ٤٤﴾. وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ

يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا

﴿المائدة: ٤٤﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرِسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ

﴿المائدة: ١١١﴾ وقال خاتم الرسل وسيد البشر: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ

﴿الأنعام: ١٦٢، ١٦٣﴾ أي: من هذه الأمة؛ ولهذا قال في الحديث الثابت عنه<sup>(١)</sup>: «نحن معاشر الأنبياء أولاد علات،

(١) البخاري (٣٤٤٢)، ومسلم (٢٣٦٥).

ديننا واحد» أي: وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن تنوعت شرائعنا، وذلك معنى قوله: «أولاد علات»، وهم: الإخوة من أمهات شتى والأب واحد.



**س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ وَجَعَلْنَاهُمْ خُلَفَاءَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (٧٣).**

**ج: المعنى - والله أعلم -:** فلما دعا نوحٌ ﷺ قومه إلى توحيد الله ﷻ كَذَّبُوهُ وأرادوا قتله وأرادوا به السوء والمكروه فنجيناه ومن معه في السفينة العظيمة التي أمرناه بصناعتها، وأرسلنا الطوفان على قومه فأغرقناهم وأهلكناهم وسلمناه ﷻ ومن معه من المؤمنين به، وجعلناهم خلائف يخلفون من سبقهم ويعمرون الأرض من بعد إهلاكهم، وأعرض الله المكذبين من قوم نوح الذين جحدوا الآيات، فانظر يا رسول الله إلى العاقبة التي عُوِّب بها من أنذرهم نوحٌ ﷻ فكذبوه. فليحذر قومك أن يحل بهم ما حلَّ بالمكذبين من قوم نوح.

**قال الطبري رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره:** فكذب نوحًا قومه فيما أخبرهم به عن الله من الرسالة والوحي - ﴿فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ﴾ ممن حمل معه - ﴿فِي الْفُلِّ﴾، يعني في السفينة ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خُلَفَاءَ﴾، يقول: وجعلنا الذين نجينا مع نوح في السفينة خلائف في الأرض من قومه الذين كذبوه بعد أن ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾، يعني حججنا وأدلتنا على توحيدنا، ورسالة رسولنا نوح.

**يقول الله لنبيه محمد ﷺ:** ﴿فَانْظُرْ﴾، يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ وهم الذين أنذرهم نوحٌ عقاب الله على تكذيبهم إياه وعبادتهم الأصنام. يقول له

جل ثناؤه: انظر ماذا أعقبهم تكذيبهم رسولهم، فإن عاقبة من كذبك من قومك إن تمادوا في كفرهم وطغيانهم على ربهم، نحو الذي كان من عاقبة قوم نوح حين كذبوه.

**يقول جل ثناؤه:** فليحذروا أن يحل بهم مثل الذي حلّ، بهم إن لم يتوبوا.

**وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

وقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ﴾ أي: على دينه ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ وهي: السفينة، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلِيفَ﴾ أي: في الأرض، ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ أي: يا محمد كيف أنجينا المؤمنين، وأهلكنا المكذبين.

**وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:**

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ بعد ما دعاهم ليلاً ونهاراً، سرّاً وجهاراً، فلم يزداهم دعاؤه إلا فراراً، ﴿فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ الذي أمرناه أن يصنعه بأعيننا، وقلنا له إذا فار التنور: ف ﴿أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ﴾ [هود: ٤٠] ففعل ذلك.

فأمر الله السماء أن تمطر بماء منهمر وفجر الأرض عيوناً، فالتقى الماء على أمر قد قدر: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَجٍ وَدُسْرٍ﴾ [القمر: ١٣] تجري بأعيننا، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلِيفَ﴾ في الأرض بعد إهلاك المكذبين.

ثم بارك الله في ذريته، وجعل ذريته، هم الباقين، ونشرهم في أقطار الأرض، ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بعد ذلك البيان، وإقامة البرهان، ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ وهو: الهلاك المخزي، واللعنة المتتابعة عليهم في كل قرن يأتي بعدهم، لا تسمع فيهم إلا لوماً، ولا ترى إلا قدحاً وذمّاً.

فليحذر هؤلاء المكذبون، أن يحل بهم ما حل بأولئك الأقوام المكذبين من الهلاك، والمخزي، والنكال.

س: من هؤلاء الرسل الذين أرسلوا من بعد نوح ﷺ؟

ج: منهم رسل قصصهم الله علينا وذكرهم الله لنا، ومنهم رسل ما ذكرت لنا قصصهم، كما قال تعالى: ﴿مِنْهُمْ مَّنْ قَصَّصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

أما الرسل الذي قصصهم الله علينا فمنهم هود وصالح وإبراهيم ولوط وغيرهم. والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٧٦).

ج: المعنى - والله أعلم -: ثم بعثنا من بوعد نوح ﷺ رسلاً إلى قومهم، فجاءوهم من عند الله بالدلالات الواضحات والمعجزات الظاهرات الباهرات الدالة على نبوتهم، كنافقة صالح ﷺ، فما كانوا ليؤمنوا بما كذب به أسلافهم، بل ساروا على درب أسلافهم المكذبين الجاحدين فكفروا كما كفر أسلافهم وعاندوا كما عاند أسلافهم وكذلك، ولما طبع الله على قلوب أسلافهم ختم عليها فلم يؤمنوا، فكذلك ختم على قلوب هؤلاء المعتدين على حدود الله المتجاوزين لها المرتكبين للكفر والكبائر المتمردين العصاة.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ثم بعثنا من بعد نوح رسلاً إلى قومهم، فأتوهم بينات من الحجج والأدلة على صدقهم، وأنهم لله رسل، وأن ما يدعونهم إليه حق ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾، يقول: فما كانوا ليصدقوا بما جاءتهم به رسلهم بما كذب به قوم نوح ومن قبلهم من الأمم الخالية من قبلهم ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٧٦)، يقول تعالى ذكره: كما طبعنا على قلوب أولئك

فختمنا عليها، فلم يكونوا يقبلون من أنبياء الله نصيحتهم، ولا يستجيبون لدعائهم إياهم إلى ربهم، بما اجترموا من الذنوب واكتسبوا من الآثام كذلك نطبع على قلوب من اعتدى على ربه فتجاوز ما أمره به من توحيده، وخالف ما دعاهم إليه رسلهم من طاعته، عقوبة لهم على معصيتهم ربهم من هؤلاء الآخرين من بعدهم.

### وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى: ثم بعثنا من بعد نوح رسلا إلى قومهم، فجاءوهم بالبينات، أي: بالحجج والأدلة والبراهين على صدق ما جاءوهم به، ﴿فَمَا كَانُوا يَتُوبُونَ﴾ كَذِبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ﴿أَي:﴾ فما كانت الأمم لتؤمن بما جاءتهم به رسلهم، بسبب تكذيبهم إياهم أول ما أرسلوا إليهم، كما قال تعالى: ﴿وَنَقَلُبْ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠].

**وقوله:** ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٧٤) أي: كما طبع الله على قلوب هؤلاء، فما آمنوا بسبب تكذيبهم المتقدم، هكذا يطبع الله على قلوب من أشبههم ممن بعدهم، ويختم على قلوبهم، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم.

**والمراد:** أن الله تعالى أهلك الأمم المكذبة للرسول، وأنجى من آمن بهم، وذلك من بعد نوح، ﷺ، فإن الناس كانوا من قبله من زمان آدم ﷺ على الإسلام، إلى أن أحدث الناس عبادة الأصنام، فبعث الله إليهم نوحا، ﷺ؛ ولهذا يقول له المؤمنون يوم القيامة: «أنت أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عباس: كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على الإسلام.

(١) البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

وقال الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (١٧) [الإسراء: ١٧]، وفي هذا إنذار عظيم لمشركي العرب الذين كذبوا بسيد الرسل وخاتم الأنبياء والمرسلين، فإنه إذا كان قد أصاب من كذب بتلك الرسل ما ذكره الله تعالى من العقاب والنكال، فماذا ظن هؤلاء وقد ارتكبوا أكبر من أولئك؟

وقال السعدي رحمه الله:

أي: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا﴾ من بعد نوح عليه السلام ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ المكذبين، يدعوهم إلى الهدى، ويحذرونهم من أسباب الردى. ﴿فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: كل نبي أيد دعوته، بالآيات الدالة على صحة ما جاء به.

﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني: أن الله تعالى عاقبهم حيث جاءهم الرسول، فبادروا بتكذيبه، طبع الله على قلوبهم، وحال بينهم وبين الإيمان بعد أن كانوا متمكنين منه، كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠].

ولهذا قال هنا: ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٧٤) أي: نختم عليها، فلا يدخلها خير، وما ظلمهم الله، ولكنهم ظلموا أنفسهم بردهم الحق لما جاءهم، وتكذيبهم الأول.





## شيء من قصة موسى عليه السلام

## قال الله تعالى:

( ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لِسِحْرٌ مُمِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا عَزَمًا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمُ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنْتُمْ ءَامِنُونَ بِاللَّهِ فَاعْلَمُوا أَن تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَحْنُ بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ

ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ  
رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ  
﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا  
يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴿يونس: ٧٥-٨٩﴾.

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿وَمَلَأْنَاهُ - يَأْيَيْنَا - مُبِينٌ - وَلَا يُفْلِحُ - لَتَلْفَنَّا - الْكِبْرِيَاءَ - سَيَبْطِلُهُ - وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ - يَكَلِّمُنِيهِ - ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ - وَمَلَأْنَاهُمْ - يَفْنَاهُمْ - لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ - الْمُسْرِفِينَ - تَوَكَّلُوا - فِتْنَةً - تَبَوَّءَ الْقَوْمُ كَمَا - وَاجْعَلُوا يُؤْتِكُمْ فِتْلَةً - لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ - أَطْمَسَ - وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ - سَكِيلٌ﴾.

ج:

| الكلمة                          | معناها                                            |
|---------------------------------|---------------------------------------------------|
| (وَمَلَأْنَاهُ) ﴿﴾              | أشرف قومه.                                        |
| (يَأْيَيْنَا) ﴿﴾                | بحججنا وبراهيننا وأدلتنا.                         |
| (مُبِينٌ) ﴿﴾                    | مظهرٌ - موضحٌ - ظاهرٌ واضحٌ.                      |
| (وَلَا يُفْلِحُ) ﴿﴾             | لا يظفر بمطلوبه ولا ينجو من مرهوبه.               |
| (لَتَلْفَنَّا) ﴿﴾               | لتصرفنا.                                          |
| (الْكِبْرِيَاءَ) ﴿﴾             | العظمة والسلطان والوجاهة والرئاسة.                |
| (سَيَبْطِلُهُ) ﴿﴾               | سيمحوه - سيزيله - سيبيِّن فسادَه.                 |
| (وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ) ﴿﴾ | يظهر الله الحق ويقرره.                            |
| (يَكَلِّمُنِيهِ) ﴿﴾             | بأمره وقدرته وكلماته التي قضاها وتكلم بها من قبل. |
| (ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ) ﴿﴾   | قليل من قومه - شبابٌ من قومه من بني إسرائيل.      |
| (وَمَلَأْنَاهُمْ) ﴿﴾            | أشرف قومهم.                                       |
| (يَفْنَاهُمْ) ﴿﴾                | يصرفهم عن دينهم.                                  |

|                                                 |                                        |
|-------------------------------------------------|----------------------------------------|
| لمستكبر في الأرض مفسدٌ فيها.                    | (لَعَالِ فِي الْأَرْضِ)                |
| المتجاوزين الحد في الذنوب.                      | (الْمُسْرِفِينَ)                       |
| اعتمدوا.                                        | (تَوَكَّلُوا)                          |
| سبيًا لصرف الناس عن دينهم.                      | (فِتْنَةً)                             |
| اتخذنا لقومكما - أنزلنا قومكما - ابنيا لقومكما. | (تَبَوَّءَا الْقَوْمَ كَمَا)           |
| اجعلوا بيوتكم مساجد - صلوا في بيوتكم.           | (وَأَجْعَلُوا<br>بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) |
| أهلكها - أتلفها - حولها إلى حجارة.              | (أَطْمَسَ)                             |
| اجعلها قاسية لا تؤمن.                           | (وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ)          |
| طريق.                                           | (سَبِيلَ)                              |



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ ﴿٧٥﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: ثم بعثنا من بعد الرسل الذين أرسلناهم بعد نوح عليه السلام، أرسلنا بعدهم موسى وهارون ابني عمران عليه السلام إلى فرعون، وهو الطاغية المعروف الذي كان يحكم مصر في ذاك الزمان، وأرسلناهما إلى ملئه أيضاً، وهم أشراف أهل مصر آنذاك، وأيدنا موسى وهارون عليه السلام بآياتنا، بحججنا الدالة على قدرتنا والدالة على وحدانيتنا، والدالة على صدق موسى عليه السلام وصدق أخيه هارون عليه السلام، ومن هذه الآيات وتلك الحجج، الآيات التسع التي قال تعالى في شأنها: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ شُعَاعًا يَئْتِي بَيْنَتَيْ...﴾ [الإسراء: ١٠١] والتي من أعظمها العصا التي تتحول إلى حية تسعى والتي انفلق بها البحر والتي انفجر بها الحجر، واليد التي يدخلها جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء، فاستكبر فرعون والملا من قومه وبطروا الحق وجحدوه ووصفوا موسى عليه السلام بالحجر وتوعدوه وتهددوه بالقتل، وكانوا قبل مجيئه لهم وبعد مجيئه من أهل الأجرام والشر والفساد، الذي يحترمون الجرائم والكبائر والآثام، وازداد جرمهم بتكذيبهم موسى عليه السلام، بل وبتعاليلهم على الله، إذ قال فرعون أنا ربكم الأعلى، وقال: ما علمت لكم من إله غيري.

قال الطبري رحمته الله:

يقول تعالى ذكره: ثم بعثنا من بعد هؤلاء الرسل الذين أرسلناهم من بعد نوح إلى قومهم، موسى وهارون ابني عمران، إلى فرعون مصر وملئه، يعني: وأشراف قومه وسادتهم ﴿بِآيَاتِنَا﴾، يقول: بأدلتنا على حقيقة ما دعوهم إليه من الإذعان لله بالعبودية، والإقرار لهما بالرسالة ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾، يقول: فاستكبروا عن الإقرار بما دعاهم إليه موسى وهارون ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾،

يعني: آثمين برهم، بكفرهم بالله.

وقال الحافظ ابن كثير:

يقول تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا﴾ من بعد تلك الرسل ﴿مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴿أَي: قومه. ﴿يَايُنَا﴾ أَي: حَجَجْنَا وبراھيننا، ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ (٧٥) أَي: استكبروا عن اتباع الحق والانقياد له.



س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (٧٦) قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (٧٧) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٧٨) ﴿.

ج: المعنى - والله أعلم -: فلما جاء فرعون وملاؤه الحق من عندنا، الحجاج الواضحات والدلالات البينات الجليات الظاهرات الباهرات والمعجزات الواضحات الدالات على صدق موسى وهارون عليهما السلام، والتي منها العصا واليد، والتي منها البرهان الساطع الواضح من عند الله، ما كان جواب فرعون وقومه إلا أن قالوا إن هذا الذي جئت به يا موسى سحرٌ موضحٌ ومظهر أنك ساحر، وأيضاً إنه لسحرٌ ظاهر واضح، قال موسى عليه السلام راداً عليهم، أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا؟ والمعنى أتقولون للحق لما جاءكم سحرٌ. أسحرٌ هذه المجزات الواضحات والآيات البينات الظاهرات ألا فاعلموا أنه لا يفلح الساحرون لا يفوزون بمطلوبٍ ولا ينجون من مرهوب، ولا يدركون أمناً ولا أماناً.

فقالوا حينئذٍ متمادين في غيرهم أجئتنا يا موسى بالذي جئتنا به لتصرفنا عن عبادة ما وجدنا آباءنا يعبدونه، وتكون لك ولأخيك هارون العظمة والسلطة والرئاسة والوجاهة والريادة في الأرض، قيل: أرض مصر، وقيل

عمومًا. وعلى كل حال فما نحن لكما بمصدقين ولا بمقربين لكما على صدق ما جئتما به.

**وينحو هذا قال أهل العلم.**

**قال الطبري رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره:** ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾، يعني: فلما جاءهم بيان ما دعاهم إليه موسى وهارون، وذلك الحجج التي جاءهم بها، وهي الحق الذي جاءهم من عند الله ﴿قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (٧٦)، يعنون أنه يبين لمن رآه وعاینه أنه سحر لا حقيقة له ﴿قَالَ مُوسَى﴾، لهم: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾، من عند الله ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾؟.

واختلف أهل العربية في سبب دخول ألف الاستفهام في قوله: ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾؟ فقال بعض نحويي البصرة: أدخلت فيه على الحكاية لقولهم، لأنهم قالوا: ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾؟ فقال: أتقولون: ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾؟

وقال بعض نحويي الكوفة: إنهم قالوا: ﴿هذا سحر﴾، ولم يقولوه بالألف، لأن أكثر ما جاء بغير ألف. قال: فيقال: فلم أدخلت الألف؟ فيقال: قد يجوز أن تكون من قيلهم وهم يعلمون أنه سحر، كما يقول الرجل للجائزة إذا أتته: أحقُّ هذا؟ وقد علم أنه حق. قال: وقد يجوز أن تكون على التعجب منهم: أسحر هذا؟ ما أعظمه!

**قال أبو جعفر:** وأولى ذلك في هذا بالصواب عندي أن يكون المفعول محذوفًا، ويكون قوله: ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾، من قيل موسى، منكرًا على فرعون وملئه قولهم للحق لما جاءهم: ﴿سحر﴾، فيكون تأويل الكلام حينئذ: قال موسى لهم: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ وهي الآيات التي أتاهم بها من عند الله حجة له على صدقه سحرًا، أسحر هذا الحق الذي ترونه؟ فيكون «السحر»

الأول محذوفاً، اكتفاءً بدلالة قول موسى ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾، على أنه مراد في الكلام، كما قال ذو الرمة.

**فَلَمَّا لَبَسْنِ اللَّيْلَ، أَوْ حِينَ نَصَبَتْ لَهُ مِنْ خَدَّيْهَا أَذَانَهَا وَهُوَ جَانِحٌ**

يريد: أو حين أقبل، ثم حذف اكتفاءً بدلالة الكلام عليه، وكما قال جل ثناؤه: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوُوا وَجُوهَكُمْ﴾ [الإسراء: ٧]، والمعنى: بعثناهم ليسوءوا وجوهكم، فترك ذلك اكتفاءً بدلالة الكلام عليه، في أشباه لما ذكرنا كثيرة، يُتعب إحصاؤها.

**وقوله:** ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ (٧٧)، يقول: ولا ينجح الساحرون ولا يبقون.

**وقال في تأويل قوله تعالى:** ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٧٨).

**يقول تعالى ذكره:** قال فرعون وملاؤه لموسى: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا﴾، يقول: لتصرفنا وتلويينا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾، من قبل مجيئك، من الدين.  
**وقال: وقوله:** ﴿وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾، يعني العظمة، وهي «الفعلياء» من «الكبر».

**وقوله:** ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٧٨)، يقول: ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمُ﴾ يا موسى وهارون ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾، يعني بمقرّين بأنكما رسولان أرسلتما إلينا.

**قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:**

كأنهم -قبّحهم الله- أقسموا على ذلك، وهم يعلمون أن ما قالوه كذب وبهتان، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١٤) [النمل: ١٤].

﴿قَالَ﴾ لهم ﴿مُوسَى﴾ منكرًا عليهم: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ (٧٧) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا ﴿أَي: تشيناً﴾ عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴿أَي: الدين



الذي كانوا عليه، ﴿وَتَكُونُ لَكُمْ﴾ أي: لك ولهارون ﴿الْكِبْرِيَاءُ﴾ أي: العظمة والرياسة ﴿فِي الْأَرْضِ وَمَا خُنْ لَكُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ ٧٨.

وكثيراً ما يذكر الله تعالى قصة موسى، ﷺ، مع فرعون في كتابه العزيز؛ لأنها من أعجب القصص، فإن فرعون حذر من موسى كل الحذر، فسخره القدر أن ربّي هذا الذي يُحذّر منه على فراشه ومائدته بمنزلة الولد، ثم ترعرع وعقد الله له سبباً أخرجه من بين أظهرهم، ورزقه النبوة والرسالة والتكليم، وبعثه إليه ليدعوه إلى الله تعالى ليعبده ويرجع إليه، هذا ما كان عليه فرعون من عظمة المملكة والسلطان، فجاءه برسالة الله، وليس له وزير سوى أخيه هارون ﷺ، فتمرد فرعون واستكبر وأخذته الحمية، والنفس الخبيثة الأبية، وقوى رأسه وتولّى بركنه، وادعى ما ليس له، وتجهرم على الله، وعتا وبغى وأهان حزب الإيمان من بني إسرائيل، والله تعالى يحفظ رسوله موسى وأخاه هارون، ويحوظهما، بعنايته، ويحرسهما بعينه التي لا تنام، ولم تزل المحاجة والمجادلة والآيات تقوم على يدي موسى شيئاً بعد شيء، ومرة بعد مرة، مما يبهر العقول ويدهش الأبواب، مما لا يقوم له شيء، ولا يأتي به إلا من هو مؤيد من الله، وما تأتيهم من آية إلا هي أكبر من أختها، وصمم فرعون ومكّوه - قبحهم الله - على التكذيب بذلك كله، والجحد والعناد والمكابرة، حتى أحل الله بهم بأسه الذي لا يرد، وأغرقهم في صبيحة واحدة أجمعين، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٤٥ [الأنعام: ٤٥].

ذكر تعالى قصة السحرة مع موسى، ﷺ، في سورة الأعراف، وقد تقدم الكلام عليها هناك. وفي هذه السورة، وفي سورة طه، وفي الشعراء؛ وذلك أن فرعون - لعنه الله - أراد أن يتهرّج على الناس، ويعارض ما جاء به موسى، ﷺ، من الحق المبين، بزخارف السحرة والمشعبذين، فانعكس عليه النظام،

ولم يحصل له ذلك المرام، وظهرت البراهين الإلهية في ذلك المحفل العام، و ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ۖ قَالَُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٤٧ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ۝٤٨﴾ [الشعراء: ٤٦ - ٤٨] فظن فرعون أن يستنصر بالسحار، على رسول عالم الأسرار، فخاب وخسر الجنة، واستوجب النار.

### قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ يريد فرعون وقومه ﴿قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ۝٧٦﴾ حملوا المعجزات على السحر قال لهم موسى: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا﴾ قيل: في الكلام حذف المعنى: أ تقولون للحق هذا سحر ف أ تقولون إنكار وقولهم محذوف أي هذا سحر ثم استأنف إنكارا آخر من قبله فقال: أسحر هذا فحذف قولهم الأول اكتفاء بالثاني من قولهم منكرا على فرعون وملئه وقال الأخفش: هو من قولهم ودخلت الألف حكاية لقولهم لأنهم قالوا أسحر هذا ف قيل لهم: أ تقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا وروي عن الحسن ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ۝٧٧﴾ أي لا يفلح من أتى به.



س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ۝٧٨﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ۝٨٠﴾ ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ۝٨١﴾ ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ۝٨٢﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - : وقال فرعون للملا من قومه اتوني بكل ساحر له علم وخبرة واسعة بالسحر فاستدعي السحرة فحضروا، وهنالك ساوموا فرعون قائلين - كما في موطن آخر أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبيين قال: نعم وإنكم إذن لمن المقربين، فقالوا لموسى عليه السلام: إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى، فقال لهم موسى عليه السلام بل ألقوا أنتم أولاً، وهنا قال لهم ألقوا أي:

العصى التي تريدون أن تلقونها والحبال التي تريدون إلقاءها وغير ذلك مما تريدون إلقاءه، فألقوا حبالهم وعصيتهم فخيّل لموسى عليه السلام أنه حيات تسعى، فثبته الله عليه السلام لما أوجس في نفسه خيفة موسى، وبشره الله بقوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ [طه: ٦٨]، فها هنا قال لهم موسى عليه السلام: لما ثبته الله عليه السلام، ما جئتم به، أي: ما صنعتموه من إلقاء الحبال والعصي وتحولها في أعين الناس إلى حيات تسعى، هو السحر بعينه وأنتم ما صنعتم إلا انكم سحرتم أعين الناس واسترهبتموهم، وإن الله عليه السلام سيظهر بطلان هذا السحر الذي صنعتموه وسيبين حقيقة الأمر، ولما كنتم قد جئتم للإفساد في الأرض ولسحر أعين الناس ولتخويفهم وجئتم لإبطال حجج الله عليه السلام الدالة على وحدانيته، جئتم لتعافي الأجر على باطلكم جئتم لمناصرة من يقول: أنا ربكم الأعلى، ويقول: يا أيها المלא ما علمت لكم من إله غيري! وأي فساد أعظم من هذا فمن كان هذا عمله وكان هكذا سعيه فإن الله عليه السلام لا يوفقه ولا يبارك في سعيه بل يبطل سعيه ويحبط عمله، وهكذا كل مفسدٍ في الأرض كل عامل فيها بمعصية الله لا يبارك في عمله.

أما الحق وأهله وأهله فإن الله ناصره وناصر أهله، فقوله: ﴿وَيُحْيِي الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ [الشورى: ٢٤] يظهر الله الحق ويعليه بكلماته التي قضاهها وبأوامره التي يأمره بها، وأمره إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، ولو كره ذلك أهل الإجماع فإن أمر الله عليه السلام نافذٌ وواقع وإن رغمت أنوف أهل الإجماع.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمته الله:

يقول تعالى ذكره: وقال فرعون لقومه: اتّوني بكل من يسحر من السحرة، عليم بالسحر، ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ﴾، فرعون قال موسى: ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾،

من حبالكم وعصيكم.

وفي الكلام محذوف قد ترك، وهو: «فأتوه بالسحرة، فلما جاء السحرة»، ولكن اكتفى بدلالة قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ﴾، على ذلك، فترك ذكره. وكذلك بعد قوله: ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ (٨٠)، محذوف أيضاً قد ترك ذكره، وهو: ﴿فَالْقَوْمُ جَاهِلٌ وَعَصِيَهُمْ﴾ [الشعراء: ٤٤]، ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى﴾ [يونس: ٨١]، ولكن اكتفى بدلالة ما ظهر من الكلام عليه، فترك ذكره. ويقول تعالى ذكره: فلما ألقوا ما هم ملقوه، قال لهم موسى: ما جئتم به السحر. واختلفت القراء في قراءة ذلك.

فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ﴾ على وجه الخبر من موسى عن الذي جاءت به سحرة فرعون، أنه سحر. كأن معنى الكلام على تأويلهم: قال موسى: الذي جئتم به أيها السحرة، هو السحر. وقرأ ذلك مجاهد وبعض المدنيين البصريين: ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ﴾ على وجه الاستفهام من موسى إلى السحرة عما جاؤوا به، أسحر هو أم غيره؟ قال أبو جعفر: وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب، قراءة من قرأه على وجه الخبر لا على الاستفهام، لأن موسى صلوات الله وسلامه عليه، لم يكن شاكا فيما جاءت به السحرة أنه سحر لا حقيقة له، فيحتاج إلى استخبار السحرة عنه، أي شيء هو؟

وأخرى أنه صلوات الله عليه قد كان على علم من السحرة، إنما جاء بهم فرعون ليغالبه على ما كان جاءهم به من الحق الذي كان الله آتاه، فلم يكن يذهب عليه أنهم لم يكونوا يصدّقونه في الخبر عما جاءوه به من الباطل، فيستخبرهم أو يستجيز استخبارهم عنه، ولكنه صلوات الله عليه أعلمهم أنه عالم ببطول ما جاؤوا به من ذلك بالحق الذي آتاه، ومبطل كيدهم بحده.

وهذه أولى بصفة رسول الله ﷺ من الأخرى.

فإن قال قائل: فما وجه دخول الألف واللام في «السحر» إن كان الأمر على ما وصفت، وأنت تعلم أن كلام العرب في نظير هذا أن يقولوا: «ما جاءني به عمرو درهم»، والذي أعطاني أخوك دينار»، ولا يكادون أن يقولوا: الذي أعطاني أخوك الدرهم، وما جاءني به عمرو الدينار؟

**قيل له:** بلى، كلام العرب إدخال «الألف واللام» في خبر «ما» و«الذي» إذا كان الخبر عن معهود قد عرفه المخاطب والمخاطب، بل لا يجوز إذا كان ذلك كذلك إلا بالألف واللام، لأن الخبر حينئذ خبرٌ عن شيء بعينه معروف عند الفريقين، وإنما يأتي ذلك بغير «الألف واللام»، إذا كان الخبر عن مجهول غير معهود ولا مقصود قصد شيء بعينه، فحينئذ لا تدخل الألف واللام في الخبر. وخبر موسى كان خبراً عن معروف عنده وعند السحرة، وذلك أنها كانت نسبت ما جاءهم به موسى من الآيات التي جعلها الله علماً له على صدقه ونبوته، إلى أنه سحر، فقال لهم موسى: السحر الذي وصفتم به ما جئكم به من الآيات أيها السحرة، هو الذي جئتم به أنتم، لا ما جئكم به أنا. ثم أخبرهم أن الله سيبيطه. فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيَبِطُكُمْ﴾، يقول: سيذهب به، فذهب به تعالى ذكره، بأن سلط عليه عصا موسى قد حولها ثعباناً يتلقفه، حتى لم يبق منه شيء ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٨١)، يعني: أنه لا يصلح عمل من سعى في أرض الله بما يكرهه، وعمل فيها بمعاصيه.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن موسى أنه قال للسحرة: ﴿وَيَحْقُ اللَّهُ الْحَقَّ﴾، يقول: ويثبت الله الحق الذي جئكم به من عنده، فيعليه على باطلكم، ويصححه ﴿يَكَلِّمُنِي﴾، يعني: بأمره ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٨٢)، يعني الذين اكتسبوا الإثم بربهم، بمعصيتهم إياه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ﴾ (٧٩) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلقُونَ ﴿٨٠﴾؛ وإنما قال لهم ذلك لأنهم اصطفوا - وقد وعدوا من فرعون بالتقريب والعطاء الجزيل - ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا ﴿طه: ٦٥، ٦٦﴾، فأراد موسى أن تكون البداءة منهم، ليرى الناس ما صنعوا، ثم يأتي بالحق بعده فيدمغ باطلهم؛ ولهذا لما ﴿أَلْقُوا سَحَرُوا أَعْيَتْ النَّاسَ وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ (١١٦) ﴿الأعراف: ١١٦﴾، ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَى﴾ (١٧) ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ (١٨) ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِهِ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (٦٩) ﴿طه: ٦٩، ٦٧﴾، فعند ذلك قال موسى لما ألقوا: ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٨١) ﴿وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ يَكَلِّمُنِيهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٨٢).

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

﴿قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ﴾ أي: هذا السحر الحقيقي العظيم، ولكن مع عظمته ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٨١) ﴿فإنهم يريدون بذلك نصر الباطل على الحق، وأي فساد أعظم من هذا؟!﴾ وهكذا كل مفسد عمل عملا واحتال كيذا، أو أتى بمكر، فإن عمله سيُبطل ويضمحل، وإن حصل لعمله روجان في وقت ما، فإن ماله الاضمحلال والمحق.

وأما المصلحون الذين قصدهم بأعمالهم وجه الله تعالى، وهي أعمال ووسائل نافعة، مأمور بها، فإن الله يصلح أعمالهم ويرقيها، وينميها على الدوام، فألقى موسى عصاه، فتلقفت جميع ما صنعوا، فبطل سحرهم، واضمحل باطلهم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَمَا أَمَّنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٨٢).

ج: المعنى - والله أعلم:-

فما اتبع موسى ﷺ وصدقه وأقره على ما جاء به إلا ذرية من قومه، قيل: المراد قليل من قومه، وقيل: شباب من قومه من بني إسرائيل، وثم قول آخر ضعيف، وهو أن المراد بقوله: ﴿مِّن قَوْمِهِ﴾ أي: من قوم فرعون كمؤمن آل فرعون ويسية امرأة فرعون وخازن فرعون، وامرأة خازن فرعون، وهؤلاء وإن كانوا آمنوا إلا أنهم ليسوا المعنيين بقوله: ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾ بل المعنى بها، والله أعلم، قوم موسى ﷺ أما قوله تعالى: ﴿عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ﴾ أي: آمنوا وهم متخوفون من فرعون ﴿وَمَلَئِهِمْ﴾ أي: أشرف قومهم أن يفتنهم، أي: أن هؤلاء القلة الذين آمنوا بموسى ﷺ آمنوا وهم متخوفون أن يعذبهم فرعون، ويُعذبهم أشرف قومهم كي يصرفوهم عن الإيمان بالله وحده لا شريك له. أما قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: مستكبر فيها بغير الحق ساع فيها بالفساد والشر.

﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٨٢) المتجاوزين الحد في الطغيان والكفر والتمرد والعصيان.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فلم يؤمن لموسى، مع ما اتاهم به من الحجج والأدلة ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾ خائفين من فرعون وملئهم.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى الذرية في هذا الموضع.

فقال بعضهم: الذرية في هذا الموضع: القليل.

وقال آخرون: معنى ذلك: فما آمن لموسى إلا ذرية من أرسل إليه موسى من بني إسرائيل لطول الزمان، لأن الآباء ماتوا وبقي الأبناء، ف قيل لهم «ذرية»، لأنهم كانوا ذرية من هلك ممن أرسل إليهم موسى ﷺ.

**وقال آخرون:** بل معنى ذلك: فما آمن لموسى إلا ذرية من قوم فرعون.

**قال الطبري رحمه الله:**

وأولى هذه الأقوال عندي بتأويل الآية، القول الذي ذكرته عن مجاهد، وهو أن «الذرية»، في هذا الموضع أريد بها ذرية من أرسل إليه موسى من بني إسرائيل، فهلكوا قبل أن يقرؤوا بنبوته لطول الزمان، فأدركت ذريتهم، فأمن منهم من ذكر الله، بموسى.

**وإنما قلت:** «هذا القول أولى بالصواب في ذلك»، لأنه لم يجر في هذه الآية ذكرٌ لغير موسى، فلأن تكون «الهاء»، في قوله: «من قومه»، من ذكر موسى لقربها من ذكره، أولى من أن تكون من ذكر فرعون، لبعد ذكره منها، إذ لم يكن بخلاف ذلك دليلٌ، من خبر ولا نظر.

**وبعد، فإن في قوله:** ﴿عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾، الدليل الواضح على أن الهاء في قوله: ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ قَوْمِهِ﴾، من ذكر موسى، لا من ذكر فرعون، لأنها لو كانت من ذكر فرعون لكان الكلام، «على خوف منه»، ولم يكن ﴿عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ﴾.

**وأما قوله:** ﴿عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ﴾، فإنه يعني على حال خوف ممن آمن من ذرية قوم موسى بموسى، فتأويل الكلام: فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه، من بني إسرائيل، وهم خائفون من فرعون وملئهم أن يفتنوه.

**ثم قال رحمه الله:**

**وأما قوله:** ﴿وَمَلَئِهِمْ﴾، فإن «الملاء»: الأشراف. وتأويل الكلام: على



خوف من فرعون ومن أشرافهم.

**ثم قال الطبري رحمه الله:**

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: «الهاء والميم» عائدتان على «الذرية». ووجه معنى الكلام إلى أنه: على خوف من فرعون، وملاً الذرية، لأنه كان في ذرية القرن الذين أرسل إليهم موسى من كان أبوه قبطياً وأمه إسرائيلية. فمن كان كذلك منهم، كان مع فرعون على موسى.

**وقوله:** ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾، يقول: كان إيمان من آمن من ذرية قوم موسى على خوف من فرعون ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ بالعذاب، فيصدّهم عن دينهم، ويحملهم على الرجوع عن إيمانهم والكفر بالله.

**وقال:** ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾، فوحد ولم يقل: «أن يفتنوهم»، لدليل الخبر عن فرعون بذلك: أن قومه كانوا على مثل ما كان عليه، لما قد تقدم من قوله: ﴿عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾.

**وقوله:** ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ﴾، يقول تعالى ذكره: وإن فرعون لجبارٌ مستكبر على الله في أرضه ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٨٢)، وإنه لمن المتجاوزين الحق إلى الباطل، وذلك كفره بالله وتركه الإيمان به، وجحوده وحدانية الله، وادّعاؤه لنفسه الألوهة، وسفكه الدماء بغير حِلِّها.

**وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:**

يخبر تعالى أنه لم يؤمن بموسى، **عليه السلام**، مع ما جاء به من الآيات البينات والحجج القاطعات والبراهين الساطعات، إلا قليل من قوم فرعون، من الذرية - وهم الشباب - على وجل وخوف منه ومن ملكه، أن يردوهم إلى ما كانوا عليه من الكفر؛ لأن فرعون كان جباراً عنيداً مسرفاً في التمرد والعتوّ، وكانت له سَطْوَةٌ ومَهَابَةٌ، تخاف رعيته منه خوفاً شديداً.

واختار ابن جرير قول مجاهد في الذرية: أنها من بني إسرائيل لا من قوم فرعون، لعود الضمير على أقرب المذكورين.

وفي هذا نظر؛ لأنه أراد بالذرية الأحداث والشباب وأنهم من بني إسرائيل، فالمعروف أن بني إسرائيل كلهم آمنوا بموسى، عليه السلام، واستبشروا به، وقد كانوا يعرفون نعتة وصفته والبشارة به من كتبهم المتقدمة، وأن الله تعالى سينقذهم به من أسر فرعون ويظهرهم عليه؛ ولهذا لما بلغ هذا فرعون حذر كل الحذر فلم يُجد عنه شيئاً. ولما جاء موسى آذاهم فرعون أشد الأذى، ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأعراف: ١٢٩]. وإذا تقرر هذا فكيف يكون المراد إلا ذرية من قوم موسى، وهم بنو إسرائيل؟

﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾ أي: وأشراف قومهم أن يفتنهم، ولم يكن في بني إسرائيل من يخاف منه أن يفتن عن الإيمان سوى قارون، فإنه كان من قوم موسى، فبغى عليهم؛ لكنه كان طاوياً إلى فرعون، متصلاً به، متعلقاً بحباله ومن قال: إن الضمير في قوله: ﴿وَمَلَئِهِمْ﴾ عائد إلى فرعون، وعظم الملك من أجل اتباعه أو بحذف «آل» فرعون، وإقامة المضاف إليه مقامه - فقد أبعد، وإن كان ابن جرير قد حكاها عن بعض النحاة. ومما يدل على أنه لم يكن في بني إسرائيل إلا مؤمن.

#### قال السعدي رحمته الله:

﴿فَمَاءٌ آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ﴾ أي: شباب من بني إسرائيل، صبروا على الخوف، لما ثبت في قلوبهم الإيمان. ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ عن دينهم ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: له القهر والغلبة فيها، فحقيق بهم أن يخافوا من بطشته.

﴿ وَ ﴾ خصوصاً ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ كان ﴿ لِمَنِ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ﴿ ٨٣ ﴾ أي: المتجاوزين للحد، في البغي والعدوان.

والحكمة - والله أعلم - بكونه ما آمن لموسى إلا ذرية من قومه، أن الذرية والشباب، أقبل للحق، وأسرع له انقياداً، بخلاف الشيوخ ونحوهم، ممن تربى على الكفر فإنهم - بسبب ما مكث في قلوبهم من العقائد الفاسدة - أبعد من الحق من غيرهم.



س: قوله تعالى: ﴿ عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ ﴾ من المعنيون بقوله: ﴿ وَمَلَئِهِمْ ﴾.

ج: لأهل العلم أقوال في ذلك:

أحدهما: علىة القوم من بني إسرائيل الذين لم يؤمنوا.

الثاني: أن المراد بالملأ علىة قوم مصر من حاشية فرعون وتقدمت أقوال في ذلك.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: ﴿ عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ ﴾ لأنه كان مسلطاً عليهم عاتياً. ﴿ وَمَلَئِهِمْ ﴾ ولم يقل وملئه ؛ وعنه

سته أجوبة:

أحدها: أن فرعون لما كان جباراً أخبر عنه بفعل الجميع.

الثاني: أن فرعون لما ذكر علم أن معه غيره، فعاد الضمير عليه وعليهم ؛ وهذا أحد قولي الفراء.

الثالث: أن تكون الجماعة سميت بفرعون مثل ثمود.

الرابع: أن يكون التقدير: على خوف من آل فرعون ؛ فيكون من باب

حذف المضاف مثل: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾، [يوسف: ٨٢] وهو القول الثاني للفراء. وهذا الجواب على مذهب سيويه والخليل خطأ، لا يجوز عندهما قامت هند، وأنت تريد غلامها.

**الخامس:** مذهب الأخفش سعيد أن يكون الضمير يعود على الذرية، أي ملأ الذرية؛ وهو اختيار الطبري.

**السادس:** أن يكون الضمير يعود على قومه. قال النحاس: وهذا الجواب كأنه أبلغها.



**س: المؤمن لا يحب أن يفتن ولا أن يُفتن به غيره وضح ذلك.**

**ج:** ذلك واضح من أقوال العلماء في الآية الكريمة في إيضاح قول أهل الإيمان إذ قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ فلها معنيان:

**أحدهما:** لا تجعلنا سبباً في فتنة القوم الظالمين، فإنهم إذا انتصروا علينا ظنوا أنهم على الحق فبقوا على كفرهم وتمادوا فيه وانصرفوا عن الإيمان.

**الثاني:** لا تسلطهم علينا فيفتنونا عن ديننا ويصرفوننا عنه ويحملوننا على الكفر.

والله أعلم.



**س: وضح معنى هذه الآيات: ( وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ**

**مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ )؟**

**ج: المعنى - والله أعلم -:** وقال موسى ﷺ لقومه من بني إسرائيل يا قوم

إن كنتم صدقتم بوحدانية الله وقدرته فاعتمدوا عليه وحده واطلبوا من العون

والتجئوا إليه كي يكشف ما بكم من ضرٍّ إن كنتم أسلتم أقررتم بوحدانيته وخضعتهم لأمره واستسلمتم ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ اعتمدنا على الله وسألوا ربهم قائلين يا ربنا سلمنا من الكفار والظالمين واحفظنا من فتنهم لنا ولا تجعلنا سبباً أيضاً في فتنهم، أي: لا تسلطهم علينا فيتصروا علينا فيفتنوا بذلك، وكذا لا تسلطهم أن الإسرائيليين كانوا مستعبدين لدى فرعون وقومه، وكان - كما هو معلوم - بذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم ويستضعف رجالهم. فسألهم الله النجاة من هذا كله.

**وينحو ذلك قال أهل العلم.**

**قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:**

**يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل موسى نبيّه لقومه:** يا قوم إن كنتم أقررتم بوحدانية الله، وصدقتم بربوبيته ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا﴾، يقول: فبه فثقوا، ولأمره فسلموا، فإنه لن يخذل وليّه، ولن يسلم من توكل عليه ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ (٨٤)، يقول: إن كنتم مدعين لله بالطاعة، فعليه توكلوا.

**يقول تعالى ذكره:** فقال قوم يا موسى لموسى: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾، أي به وثقنا، وإليه فوَضْنَا أَمْرَنَا.

**وقوله:** ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٥)، يقول جل ثناؤه مخبراً عن قوم موسى أنهم دعوا ربهم فقالوا: يا ربنا لا تختبر هؤلاء القوم الكافرين، ولا تمتحنهم بنا! يعنون قوم فرعون.

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي سألوه ربهم من إعادته ابتلاء قوم فرعون بهم.

**فقال بعضهم:** سألوه أن لا يظهرهم عليهم، فيظنوا أنهم خيرٌ منهم، وأنهم إنما سُلِّطوا عليهم لكرامتهم عليه وهوان الآخرين.

**وقال آخرون:** بل معنى ذلك: لا تسلطهم علينا فيفتنونا.

**ثم قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:**

**والصواب من القول في ذلك أن يقال:** إن القوم رغبوا إلى الله في أن يُجبرهم من أن يكونوا محنة لقوم فرعون وبلاء، وكلُّ ما كان من أمر كان لهم مصدّة عن اتباع موسى والإقرار به، وبما جاءهم به، فإنه لا شك أنه كان لهم «فتنة»، وكان من أعظم الأمور لهم إبعادًا من الإيمان بالله ورسوله. وكذلك من المصدّة كان لهم عن الإيمان: أن لو كان قوم موسى عاجلتهم من الله محنة في أنفسهم، من بلية تنزل بهم، فاستعاذ القوم بالله من كل معنى يكون صائدًا لقوم فرعون عن الإيمان بالله بأسبابهم.

**ويقول تعالى ذكره (١):** ونجّنا يا ربنا برحمتك، فخلّصنا من أيدي القوم الكافرين، قوم فرعون، لأنهم كان يستعبدونهم ويستعملونهم في الأشياء القذرة من خدمتهم.

**وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

يقول تعالى مخبرا عن موسى أنه قال لبني إسرائيل: ﴿يَقُومُ إِنَّ كُنتُمْ ءَامِنُكُمْ بِاللّٰهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ﴾ (٨٤) أي: فإن الله كاف من توكل عليه، ﴿أَلَيْسَ اللّٰهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

وكثيرا ما يقرن الله بين العباداة والتوكل، كما في قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَابُهُ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك: ٢٩]، ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ (١) [المزمل: ٩]، وأمر الله تعالى المؤمنين أن يقولوا في كل صلواتهم مرات متعددة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيْزُ﴾ (٥) [الفاتحة: ٥].

(١) يعني في ذكر قولهم.

وقد امتثل بنو إسرائيل ذلك، فقالوا: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ٨٥ أي: لا تظفرهم بنا، وتسلطهم علينا، فيظنوا أنهم إنما سلطوا لأنهم على الحق ونحن على الباطل، فيفتنوا بذلك. هكذا روي عن أبي مجلز، وأبي الضحى.

وقال ابن أبي نجيح وغيره واحد، عن مجاهد: لا تعذبنا بأيدي قوم فرعون، ولا بعذاب من عندك، فيقول قوم فرعون: لو كانوا على حق ما عذبوا، ولا سلطنا عليهم، فيفتنوا بنا.

وقال عبد الرزاق: أنبأنا ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ٨٥ لا تسلطهم علينا، فيفتنونا. ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ﴾ أي: خلصنا برحمة منك وإحسان، ﴿مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ٨٦ أي: الذين كفروا الحق وستره، ونحن قد آمنا بك وتوكلنا علي.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمَكُمَا بَيْوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٨٧.

ج: المعنى - والله أعلم -: وأوحينا إلى موسى عليه السلام وإلى أخيه هارون عليه السلام أن اتخذا، ابنيا واشترى لقومكما من بني إسرائيل، بيوتنا مستقرة واجعلوا بيوتكم قبلة، قيل: أمروا أن يصلوا في البيوت لما كان فرعون يؤذيهم إذا ذهبوا إلى المساجد فلما خافون رخص لهم في الصلاة في البيت.

وقيل: اجعلوا بيوتكم قبل بعض.

وقيل: أمروا بالإكثار من الصلاة دفعًا للمصائب.

قال ابن كثير رحمه الله:

وكان هذا - والله أعلم - لما اشتد بهم البلاء من قبل فرعون وقومه،

وضيقوا عليهم، أمروا بكثرة الصلاة، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ١٥٦]. وفي الحديث: كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى. أخرجه أبو داود. ولهذا قال تعالى في هذه الآية: ﴿وَأَجْعَلُوا يُوتَكُمْ قِيلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٨٧ أي: بالثواب والنصر القريب.

**أما قوله تعالى:** ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: حافظوا عليها في أوقاتها وبأركانها، وبشر المؤمنين بأن لهم الحسنی، لهم الجنة والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة.

**وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.**

**قال الطبري رحمه الله:**

يقول تعالى ذكره: وأوحينا إلى موسى وأخيه أن اتخذوا لقومكما بمصر بيوتاً. يقال منه: «تبوأ فلان لنفسه بيتاً»، إذا اتخذ. وكذلك تبوأ مصحفاً، إذا اتخذ، «وبوأته أنا بيتاً»: إذا اتخذته له.

﴿وَأَجْعَلُوا يُوتَكُمْ قِيلَةً﴾، يقول: واجعلوا بيوتكم مساجد تصلون فيها. واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَأَجْعَلُوا يُوتَكُمْ قِيلَةً﴾. فقال بعضهم بنحو الذي قلنا فيه.

**وقال آخرون:** معنى ذلك: واجعلوا مساجدكم قبل الكعبة.

**وقال آخرون:** معنى ذلك: واجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضاً.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، يقول تعالى ذكره: وأدوا الصلاة المفروضة بحدودها في أوقاتها.

**وقوله:** ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٨٧، يقول جل ثناؤه لنبیه علیه الصلاة والسلام: وبشر مقيمي الصلاة المطيعي الله، يا محمد، المؤمنين بالثواب الجزيل منه.



## قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ قال أكثر المفسرين: كان بنو إسرائيل لا يصلون إلا في مساجدهم وكنائسهم وكانت ظاهرة، فلما أرسل موسى أمر فرعون بمساجد بني إسرائيل فخربت كلها ومنعوا من الصلاة؛ فأوحى الله إلى موسى وهارون أن اتخذوا لبني إسرائيل بيوتا بمصر، أي مساجد، ولم يرد المنازل المسكونة. هذا قول إبراهيم وابن زيد والربيع وأبي مالك وابن عباس وغيرهم. وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير أن المعنى: واجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضا. والقول الأول أصح؛ أي اجعلوا مساجدكم إلى القبلة؛ قيل: بيت المقدس، وهي قبلة اليهود إلى اليوم؛ قال ابن بحر. وقيل الكعبة. عن ابن عباس قال: وكانت الكعبة قبلة موسى ومن معه، وهذا يدل على أن القبلة في الصلاة كانت شرعا لموسى عليه السلام، ولم تخل الصلاة عن شرط الطهارة وستر العورة واستقبال القبلة؛ فإن ذلك أبلغ في التكليف وأوفر للعبادة. وقيل: المراد صلوا في بيوتكم سرا لتأمنوا؛ وذلك حين أخافهم فرعون فأمروا بالصبر واتخاذ المساجد في البيوت، والإقدام على الصلاة، والدعاء إلى أن ينجز الله وعده، وهو المراد بقوله: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا﴾ [الأعراف: ١٢٨] الآية. وكان من دينهم أنهم لا يصلون إلا في البيع والكنائس ما داموا على أمن، فإذا خافوا فقد أذن لهم أن يصلوا في بيوتهم. قال ابن العربي: والأول أظهر القولين؛ لأن الثاني دعوى.

**قلت:** قوله: «دعوى» صحيح؛ فإن في الصحيح قوله عليه السلام: «جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا» وهذا مما خص به دون الأنبياء؛ فنحن بحمد الله نصلي في المساجد والبيوت، وحيث أدركتنا الصلاة.



س: يجوز الدعاء على الكفار إذا تمادوا في كفرهم وأصروا عليه وظلموا العباد، دَلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قول موسى عليه السلام: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٨٨).

وقول نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (٦١) [نوح: ٢٦].

وقول النبي ﷺ: «اللهم عليك الملاء من قريش...» والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٨٨) قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨٩).

ج: هذا - والله أعلم -: دعاء نبي الله موسى عليه السلام بعد أن رأى من فرعون وآل فرعون ما رأى من الجحود والتكذيب والعناد، ندى موسى عليه السلام قائلاً: ﴿رَبَّنَا﴾ أي: يا ربنا ﴿إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: وسعت عليهم في الدنيا توسعة كبيرة، فعندهم من الذهب وسائر الحلي ما قد رزقتهم إياه يتزينون به ويتحلون به وكذا آتيتهم أفخر المراكب وأحسن البيوت، وأجمل الثياب، وكذا آتيتهم من صنوف المال أصنافاً واسعة من ذهب وفضة وغير ذلك، ومن الحاشية والحرث وغير ذلك ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنْ سَبِيلِكَ﴾ أي: يا ربنا ما استفادوا من هذه النعم والأرزاق التي رزقتهم إياها هداية وتقى وصلاً بل تمادوا في كفرهم وأضلوا الناس عن طريقك المستقيم، فصرفوا الناس عن سلوك طريقك الموصل إلى مرضاتك وجناتك.

**وقيل:** المعنى يا ربنا إنك أعطيتهم ما أعطيتهم فتنة لهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ ﴿٢٧٥﴾ فظنوا أنهم على حق بتوسعة الله عليهم، فيا رب ها هم قد فتنوا وصرفوا عن الحق فانتقم منهم وثمَّ وجوه أخر، والوجه الأول أراه أقوى، والله أعلم.

ثم إن نبي الله موسى عليه السلام لما رأى تماديهم على الكفر دعا عليهم قائلاً: ربنا اطمس على أموالهم، قيل امحها فطمست معالم الأموال والعُمَلات، وقيل: تحولت إلى حجارة وكذا تحول سكرهم إلى حجارة، وقيل المعنى: معنى ﴿أُطْمِسْ﴾ أي: أهلكها ودمرها يا رب.

**أما قوله:** ﴿وَأَشَدُّ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: اطبع عليها واجعلها قاسية لا تؤمن حتى يأتيها العذاب، وقيل: المراد به الغرق. والله أعلم.

فأجاب الله تعالى دعاء موسى عليه السلام، ودعاء هارون عليه السلام، فيبدو أنه كان يدعو هو الآخر ومن ثمَّ قال تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا﴾.

**وقال بعض أهل العلم:** إن موسى عليه السلام كان يدعو وهارون عليه السلام كان يؤمن أي يقول آمين، ومن ثمَّ قال تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا﴾.

**أما قوله:** ﴿فَأَسْتَقِيمَا﴾ أي: على ما أمر كما الله به.

﴿وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٧٦﴾ أي: ولا تسلكوا طريق أهل الجهل ومكة العلم بالله تعالى وشرائعه وأحكامه.

**قال الطبري رحمته الله:**

**يقول تعالى ذكره:** وقال موسى يا ربنا إنك أعطيت فرعون وكبراء قومه وأشرافهم - وهم «الملا» - ﴿زِينَةً﴾، من متاع الدنيا وأثاثها ﴿وَأَمْوَالاً﴾ من أعيان الذهب والفضة ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾، يقول موسى لربه: ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم من ذلك ليضلُّوا عن سبيلك.

واختلفت القراء في قراءة ذلك.

**فقرأه بعضهم:** ﴿لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾، بمعنى: ليضلوا الناس، عن سبيلك، ويصدّوهم عن دينك.

**وقرأ ذلك آخرون:** ﴿لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾، بمعنى: ليضلوا هم عن سبيلك، فيجوروا عن طريق الهدى.

فإن قال قائل: أفكان الله جل ثناؤه، أعطى فرعون وقومه، ما أعطاهم من زينة الدنيا وأموالها، ليضلوا الناس عن دينه -أو ليضلوا هم عنه؟- فإن كان لذلك أعطاهم ذلك، فقد كان منهم ما أعطاهم لذلك، فلا عتب عليهم في ذلك؟

**قيل:** إن معنى ذلك بخلاف ما توهمت.

وقد اختلف أهل العلم بالعربية في معنى هذه «اللام» التي في قوله: ﴿لِيُضِلُّوا﴾.

فقال بعض نحويي البصرة: معنى ذلك: ربنا فضّلوا عن سبيلك، كما قال: ﴿فَالنَّقْطَةُ إِذْ أَلْفِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾، [الفصل: ٨]، أي فكان لهم وهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوًا وحزنًا، وإنما التقطوه فكان لهم. قال: فهذه «اللام» تجيء في هذا المعنى.

وقال بعض نحويي الكوفة: هذه «اللام»، «لام كي» - ومعنى الكلام: ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم، كي يضلوا - ثم دعا عليهم.

وقال آخر: هذه اللامات في قوله: ﴿لِيُضِلُّوا﴾ و﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾، وما أشبهها بتأويل الخفض: آتيتهم ما آتيتهم لضلالهم - والتقطوه لكونه - لأنه قد آلت الحالة إلى ذلك. والعرب تجعل «لام كي»، في معنى «لام الخفض»، و«لام الخفض» في معنى «لام كي»، لتقارب المعنى، قال الله تعالى: ﴿

سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِنُعْرِضُوا عَنْهُمْ ﴿٩٥﴾ [التوبة: ٩٥] أي لإعراضكم، ولم يحلفوا لإعراضهم، وقال الشاعر:

**سَمَوْتُ وَلَمْ تَكُنْ أَهْلًا لِنَسْمُو وَلَكِنَّ الْمَضَيِّعَ قَدْ يُصَابُ**

قال: وإنما يقال: «وما كنت أهلاً للفعل»، ولا يقال «لتفعل» إلا قليلاً. قال: وهذا منه.

**قال أبو جعفر:** والصواب من القول في ذلك عندي أنها «لام كي» - ومعنى الكلام: ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم من زينة الحياة الدنيا والأموال لتفتنهم فيه، ويضلوا عن سبيلك عبادك، عقوبة منك. وهذا كما قال جل ثناؤه: ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴿[الجن: ١٦-١٧]﴾.

**وقوله:** ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾، هذا دعاء من موسى، دعا الله على فرعون وملئه أن يغير أموالهم عن هيئتها، ويبدلها إلى غير الحال التي هي بها، وذلك نحو قوله: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾، [النساء: ٤٧]. يعني به: من قبل أن نغيرها عن هيئتها التي هي بها.

**وأورد الطبري** آثاراً عن التابعين مفادها أن أموالهم تحولت إلى حجارة، وكذا زرعهم.

**وقال الطبري:** وقال آخرون: بل معنى ذلك أهلكها.

**وقال في تفسير قوله:** ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ قال: واطبع عليها حتى لا تليق ولا تنشرح بالإيمان.

**وقال في قوله:** ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿٨٨﴾ معناه: فلا يصدقوا بتوحيد الله ويقرؤا بوحدانيته حتى يروا العذاب الموجه.

**ثم قال:** وأما قوله: ﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿٨٨﴾ كان يقول معناه حتى يروا الغرق.

**وقال في تأويل قوله تعالى:** ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٨٩).

**قال أبو جعفر:** وهذا خبر من الله عن إجابته لموسى عليه السلام وهارون دعاءهما على فرعون وأشراف قومه وأموالهم. يقول جل ثناؤه: ﴿قَالَ﴾ الله لهما: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا﴾، في فرعون وملئه وأموالهم.

**فإن قال قائل:** وكيف نسبت «الإجابة» إلى اثنين و«الدعاء»، إنما كان من واحد؟

**قيل:** إن الداعي وإن كان واحداً، فإن الثاني كان مؤمناً، وهو هارون، فلذلك نسبت الإجابة إليهما، لأن المؤمن داع. وكذلك قال أهل التأويل.

**وأما قوله:** ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾، فإنه أمر من الله تعالى لموسى وهارون بالاستقامة والثبات على أمرهما، من دعاء فرعون وقومه إلى الإجابة إلى توحيد الله وطاعته، إلى أن يأتيهم عقاب الله الذي أخبرهما أنه أجابهما فيه.

**وقوله:** ﴿وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٨٩)، يقول: ولا تسلكان طريق الذين يجهلون حقيقة وعدي، فتستعجلان قضائي، فإن وعدي لا خلف له، وإن وعيدي نازل بفرعون وعذابي واقع به وبقومه.

**قال ابن كثير رحمه الله:**

هذا إخبار من الله تعالى عما دعا به موسى عليه السلام، على فرعون وملئه، لما أبوا قبول الحق واستمروا على ضلالهم وكفرهم معاندين جاحدين، ظلما وعلاوا وتكبراً وعتوا، قال: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً﴾ أي: من أثاث الدنيا ومتاعها، ﴿وَأَمْوَالاً﴾ أي: جزيلة كثيرة، ﴿فِي﴾ هذه ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوْا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ -بفتح الياء- أي: أعطيتهم ذلك وأنت تعلم أنهم لا يؤمنون بما أرسلتني به إليهم استدراجاً منك لهم، كما قال تعالى: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه:]

١٣١]، وقرأ آخرون: ﴿لِيُضِلُّوْا﴾ بضم الياء، أي: ليفتنن بما أعطيتهم من شئت من خلقك، ليظن من أغويته أنك إنما أعطيت هؤلاء هذا لحبك إياهم واعتنائك بهم.

وأورد أقوالاً في تفسير قوله: ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ﴾ مفادها أهلكها فأهلكها وحولها إلى حجارة وقال:

وقوله: ﴿وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ قال ابن عباس: أي اطبع عليها، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم.

وهذه الدعوة كانت من موسى، عليه السلام، غضباً لله ولدينه على فرعون وملئه، الذين تبين له أنه لا خير فيهم، ولا يجيء منهم شيء كما دعا نوح، عليه السلام، فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْنِي يَظْلُمُونَ عَبْدَكَ وَلَا يَلِدُونَ إِلَّا فَاكِراً كَقَارًا (٢٧) [نوح: ٢٦، ٢٧]؛ ولهذا استجاب الله تعالى لموسى، عليه السلام، فيهم هذه الدعوة، التي آمَنَ عليها أخوه هارون، فقال تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا﴾.

قال أبو العالية، وأبو صالح، وعكرمة، ومحمد بن كعب القرظي، والربيع بن أنس: دعا موسى وأَمَنَ هارون، أي: قد أجبنكما فيما سألتما من تدمير آل فرعون.

وقد يحتج بهذه الآية من يقول: «إن تأمين المأموم على قراءة الفاتحة ينزل منزلة قراءتها؛ لأن موسى دعا وهارون آمن».

وقال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا﴾ أي: كما أجيبَت دعوتكما فاستقيما على أمري.

قال ابن جرير، عن ابن عباس: ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ فامضيا لأمري، وهي الاستقامة.

**قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ (تيسير الكريم الرحمن):**

فلما رأى موسى، القسوة والإعراض من فرعون وملئه، دعا عليهم وأمن هارون على دعائه، فقال:

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً ﴾ يتزينون بها من أنواع الحلي والثياب، والبيوت المزخرفة، والمراكب الفاخرة، والخدام، ﴿ وَأَمْوَالًا ﴾ عظيمة ﴿ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ﴾ أي: إن أموالهم لم يستعينوا بها إلا على الإضلال في سبيلك، فيضلون ويضلون.

﴿ رَبَّنَا أَطْمَسَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ ﴾ أي: أتلفها عليهم: إما بالهلاك، وإما بجعلها حجارة، غير منتفع بها.

﴿ وَأَشَدُّدَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ أي: قسها ﴿ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾.

قال ذلك، غضباً عليهم، حيث تجرؤوا على محارم الله، وأفسدوا عباد الله، وصدوا عن سبيله، ولكمال معرفته بربه بأن الله سيعاقبهم على ما فعلوا، بإغلاق باب الإيمان عليهم.



**س: اذكر مزيداً من الأقوال في قوله موسى رَحِمَهُ اللهُ: ﴿ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ﴾.**

**ج: من الأقوال في ذلك أن اللام لام العقابة:**

أن فكانت العقابة أنهم أضلوا عن سبيلك.

**الثاني: أن المعنى إنك يا رب ما أعطيتهم الذي أعطيتهم لإضلال الناس**

ولكنهم أضلوهم يا رب فانتقم منهم.

**وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:**

قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ﴾ اختلف في هذه اللام، وأصح ما قيل

فيها - وهو قول الخليل وسيبويه - أنها لام العقابة والصيرورة؛ وفي الخبر «إن



لله تعالى ملكا ينادي كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب». أي لما كان عاقبة أمرهم إلى الضلال صار كأنه أعطاهم ليضلوا. وقيل: هي لام كي أي أعطيتهم لكي يضلوا ويبطروا ويتكبروا. وقيل: هي لام أجل، أي أعطيتهم لأجل إعراضهم عنك فلم يخافوا أن تعرض عنهم. وزعم قوم أن المعنى: أعطيتهم ذلك لئلا يضلوا، فحذفت لا كما قال **عَلَيْكَ**: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ **[النساء: ١٧٦]**. والمعنى: لأن لا تضلوا. قال النحاس: ظاهر هذا الجواب حسن، إلا أن العرب لا تحذف «لا» إلا مع أن؛ فموه صاحب هذا الجواب بقوله **عَلَيْكَ**: ﴿أَنْ تَضِلُّوا﴾. وقيل: اللام للدعاء، أي ابتلهم بالضلال عن سبيلك؛ لأن بعده: ﴿أَطْمَسَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشَدُّ﴾. وقيل: الفعل معنى المصدر أي إضلالهم كقوله **عَلَيْكَ** ﴿لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ **[التوبة: ٩٥]** قرأ الكوفيون: ﴿لِيُضِلُّوا﴾ بضم الياء من الإضلال، وفتحها الباقون.



## قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ وَجَوَّزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا ۖ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ ءَبْنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَأَكْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾

[يونس: ٩٠-٩٥].

س: اذكر معنى ما يلي:

(وَجَوَّزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ - فَاتَّبَعَهُمْ - بَغْيًا - وَعَدَوًّا - أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ - الْمُسْلِمِينَ -  
آيَةً - لَنَفِلُوتَ - بَوَّانًا - مُبَوَّأً صِدْقٍ - الْمُتَمَتِّينَ ) .

ج:

| الكلمة                                       | معناها                                      |
|----------------------------------------------|---------------------------------------------|
| (وَجَوَّزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ) | جعلناهم يجتازون البحر ويمرون آمنين مطمئنين. |
| (فَاتَّبَعَهُمْ)                             | فتبعهم.                                     |
| (بَغْيًا)                                    | ظُلْمًا.                                    |
| (وَعَدَوًّا)                                 | اعتداءً.                                    |
| (أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ)                       | أحاط به الماء وتيقن من الغرق.               |
| (الْمُسْلِمِينَ)                             | المستسلمين الخاضعين.                        |
| (آيَةً)                                      | دلالة وعلامة (على وحدانية الله وقدرته).     |
| (لَنَفِلُوتَ)                                | لمعرضون.                                    |
| (بَوَّانًا)                                  | أنزلنا.                                     |
| (مُبَوَّأً صِدْقٍ)                           | منزلًا مباركًا محمودًا.                     |
| (الْمُتَمَتِّينَ)                            | الشاكين المرتابين.                          |



س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ وَجَنُوزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْفَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ١٠ ءَالْفَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿ ١١ ﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ يَدْنِكَ لِيَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَنُغْفِلُوتَ ﴾ ١٢ ؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم: ومكنا بني إسرائيل من تجاوز البحر والمرور به والانهاء منه فتبعهم فرعون وجنوده ظلمًا وتعديًا، وقيل ظلمًا وجريًا وقتًا ومتابعةً لموسى عليه السلام حتى إذا توسط فرعون البحر، وكان يبسا التمس البحر ثانية على فرعون ومن معه حتى إذا أيقن فرعون أنه هالك وأن الماء محيط به من كل جانب، وأيقن بالغرق قال: صدقت، بالذي صدقت به بنو إسرائيل من توحيد الله ﷻ ونبوة موسى وهارون عليه السلام وأنا من المستسلمين الخاضعين لأمر الله ﷻ. فقيل له: الآن آمنت، وقد عصيت في هذا من قبل وكذبت وكنت من المفسدين في الأرض، وقد قيل إن قائل ذلك هو الله ﷻ، وقيل إنه جبريل عليه السلام، وثم أقوال أخر هذا، ولما كان هناك من تشكك من الإسرائيليين في هلاك فرعون وغرته، وكذا فقد كانت هنالك بقايا من آل فرعون بمصر لم يختر جوامعه، وهؤلاء وأولئك كلاهما لم يوقن بموت فرعون وإغراقه وإهلاكه طرحه الله ﷻ على البر، كما قال: ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ يَدْنِكَ لِيَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً ﴾ أي: فالיום نلقيك على نجوة من الأرض كي يراك الناس وأنت ميت قد أهلكك الله فيتعظون بك ويعتبرون بهلاكك، وإن كان كثيرون من الناس عن آيات الله المعرضون غير ملتفتين لها، ولا منتفعين بها.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وقطعنا ببني إسرائيل البحر حتى جاوزوه ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ

فِرْعَوْنُ ﴿١٠﴾، يقول: فَتَبِعَهُمْ فِرْعَوْنُ ﴿١١﴾ وَجُنُودُهُ ﴿١٢﴾.

﴿بَغْيًا﴾ على موسى وهارون ومن معهما من قومهما من بني إسرائيل  
﴿وَعَدُوًّا﴾، يقول: واعتداء عليهم.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾ يقول: حتى إذا أحاط به الغرق، وفي الكلام  
متروك، قد ترك ذكره لدلالة ما ظهر من الكلام عليه، وذلك: ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ  
وَجُنُودُهُ، بَغْيًا وَعَدُوًّا﴾ فغرقناه ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾.

وقوله: ﴿قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿١٠﴾،  
يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل فرعون حين أشفى على الغرق، وأيقن  
بالهلكة: ﴿ءَامَنْتُ﴾، يقول: أقررت، ﴿أَنَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَءِيلَ﴾.

يقول تعالى ذكره، معرّفاً فرعون قبح صنيعه أيام حياته وإساءته إلى نفسه  
أيام صحته، بتماديته في طغيانه، ومعصيته ربه، حين فزع إليه في حال حلول  
سخطه به ونزول عقابه، مستجيراً به من عذابه الواقع به، لما ناداه وقد علت  
أمواج البحر، وغشيته كرب الموت: ﴿ءَامَنْتُ أَنَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا  
مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿١٠﴾ له، المنقادين بالذلة له، المعترفين بالعبودية الآن تقرُّ الله  
بالعبودية، وتستسلم له بالذلة، وتخلص له الألوهة، وقد عصيته قبل نزول  
نقمته بك، فأسخطته على نفسك، وكنت من المفسدين في الأرض، الصادّين  
عن سبيله؟ فهلا وأنت في مهل، وباب التوبة لك منفتح، أقررت بما أنت به  
الآن مقرٌّ؟

**ويقول تعالى ذكره لفرعون:** اليوم نجعلك على نجوة من الأرض بيدك،  
ينظر إليك هالكاً من كذب بهلاكك، ﴿لَتَكُونَنَّ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً﴾، يقول: لمن  
بعدك من الناس عبرة يعتبرون بك، فينزعرون عن معصية الله، والكفر به  
والسعي في أرضه بالفساد.

و«النجوة»، الموضع المرتفع على ما حوله من الأرض.

**وقوله:** ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَفُلُونَ﴾ (١٢)، يقول تعالى ذكره: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا﴾، يعني: عن حججنا وأدلتنا على أن العبادة والألوهة لنا خالصة ﴿لَغَفُلُونَ﴾ (١٢)، يقول: لساهاون، لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها.

**وقال رحمه الله:**

**فإن قال قائل:** وما وجه قوله: ﴿يَدْنِكَ﴾؟ وهل يجوز أن ينجيه بغير بدنه، فيحتاج الكلام إلى أن يقال فيه ﴿يَدْنِكَ﴾؟

**قيل:** كان جائزاً أن ينجيه بهيئته حياً كما دخل البحر. فلما كان جائزاً ذلك قيل: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدْنِكَ﴾، ليعلم أنه ينجيه بالبدن بغير روح، ولكن ميئاً. وأخرجه الطبري بسند صحيح عن أبي السليل، عن قيس بن عباد، قال: - وكان من أكثر الناس - أو: أحدث الناس - عن بني إسرائيل، قال: فحدثنا أن أول جنود فرعون لما انتهى إلى البحر، هابت الخيل اللهب؛ قال: ومثل لحصان منها فرس وديق، فوجد ريحها - أحسبها أنا قال: - فانسَلَّ، فاتبعه. قال: فلما تتأَمَّ آخر جنود فرعون في البحر، وخرج آخر بني إسرائيل، أمر البحر فانطبق عليهم، فقالت بنو إسرائيل: ما مات فرعون وما كان ليموت أبداً، فسمع الله تكذيبهم نبيه، قال: فرمى به على الساحل، كأنه ثور أحمر يتراءاه بنو إسرائيل.

**وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:**

قال الله تعالى في جواب فرعون حين قال ما قال: ﴿ءَأَتَيْنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ أي: أهذا الوقت تقول، وقد عصيت الله قبل هذا فيما بينك وبينه؟ ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١١) أي: في الأرض الذين أضلوا الناس، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَكُونُونَ إِلَى الْتَارِ وَيَوْمَ الْفَيْكَةِ لَا يَنْصُرُونَ﴾ (٤١) [القصص: ٤١].

وهذا الذي حكى الله تعالى عن فرعون من قوله هذا في حاله ذاك من أسرار الغيب التي أعلم الله بها رسوله ﷺ.

**وقوله:** ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً﴾ قال ابن عباس وغيره من السلف: إن بعض بني إسرائيل شكوا في موت فرعون، فأمر الله تعالى البحر أن يلقيه بجسده بلا روح، وعليه درعه المعروفة به على نجوة من الأرض وهو المكان المرتفع، ليتحققوا موته وهلاكه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ أي: نرفعك على نشز من الأرض، ﴿بِبَدَنِكَ﴾ قال مجاهد: بجسدك. وقال الحسن: بجسم لا روح فيه. وقال عبد الله بن شداد: سويا صحيحا، أي: لم يتمزق ليتحققوه ويعرفوه. وقال أبو صخر: بدرعك وكل هذه الأقوال لا منافاة بينها، كما تقدم، والله أعلم.

**وقوله:** ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً﴾ أي: لتكون لبني إسرائيل دليلا على موتك وهلاكك، وأن الله هو القادر الذي ناصية كل دابة بيده، وأنه لا يقوم لغضبه شيء؛ ولهذا قرأ بعض السلف: (لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ) أي: لا يتعظون بها، ولا يعتبرون بها.

**وقال القرطبي رحمه الله:**

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي من الموحدين المستسلمين بالانقياد والطاعة.

الآية: ٩١ ﴿إِنَّا كُنَّا وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

قيل: هو من قول الله تعالى. وميل: هو من قول جبريل. وقيل: ميكائيل، صلوات الله عليهما، أو غيرهما من الملائكة له صلوات الله عليهم. وقيل: هو من قول فرعون في نفسه، ولم يكن ثم قول اللسان بل وقع ذلك في قلبه فقال في نفسه ما قال: حيث لم تنفعه الندامة؛ ونظيره. ﴿إِنَّمَا نَطْعُكُمْ لَوْجِ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩]

أثنى عليهم الرب بما في ضميرهم لا أنهم قالوا ذلك بلفظهم، والكلام الحقيقي كلام القلب.

قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ أي نلقيك على نجوة من الأرض. وذلك أن بني إسرائيل لم يصدقوا أن فرعون غرق، وقالوا: هو أعظم شأننا من ذلك، فألقاه الله على نجوة من الأرض، أي مكان مرتفع من البحر حتى شاهدوه قال أوس بن حجر يصف مطرا:

**فمن بعفوته كمن بنجوته والمستكن كمن يمشي بقرواح**

قوله تعالى: ﴿لَتَكُونَنَّ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ أي لبني إسرائيل وللمن بقي من قوم فرعون ممن لم يدركه الغرق ولم ينته إليه هذا الخبر. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَفُلُونَ﴾ أي معرضون عن تأمل آياتنا والتفكر فيها.

**وقال ابن الجوزي في زاد المسير:**

**وفي سبب إخراجه من البحر بعد غرقه ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** أن موسى وأصحابه لما خرجوا، قال من بقي في المدائن من قوم فرعون: ما أغرق فرعون، ولكنه هو وأصحابه يتصيدون في جزائر البحر، فأوحى الله إلى البحر أن اللفظ فرعون عرياناً، فكانت نجاة عبدة، وأوحى الله تعالى إلى البحر: أن اللفظ ما فيك، فلفظهم البحر بالساحل، ولم يكن يلفظ غريقاً، فصار لا يقبل غريقاً إلى يوم القيامة، رواه الضحاك عن ابن عباس.

**والثاني:** أن أصحاب موسى قالوا: إنا نخاف أن يكون فرعون ما غرق، ولا نؤمن بهلاكه، فدعا موسى ﷺ ربه، فأخرجه حتى أيقنوا بهلاكه، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وإلى نحوه ذهب قيس بن عباد، وعبد الله بن شداد، والسدي، ومقاتل. وقال السدي: لما قال بنو إسرائيل: لم يغرق فرعون، دعا موسى، فخرج فرعون في ستمائة ألف وعشرين ألفاً عليهم الحديد، فأخذته بنو



إسرائيل يمثلون به. وذكر غيره أنه إنما أخرج من البحر وحده دون أصحابه. وقال ابن جريج: كذب بعض بني إسرائيل بغرقه، فرمى به البحر على ساحل البحر حتى رآه بنو إسرائيل قُصِيرًا أحمر كأنه ثور. وقال أبو سليمان: عرفه بنو إسرائيل بدرع كانت له من لؤلؤ لم يكن لأحد مثلها. فأما وجهه فقد غيَّره سخط الله تعالى.

**والثالث:** أنه كان يدَّعي أنه ربُّ، وكان يعبدُه قوم، فبيَّن الله تعالى أمره، فأغرقه وأصحابه، ثم أخرجهم من بينهم، قاله الزجاج. وفي قوله: ﴿يَدْنِكَ﴾ أربعة أقوال:

**أحدها:** بجسدك من غير روح، قاله مجاهد. وذكر البدن دليل على عدم الروح.

**والثاني:** بدرعك، قاله أبو صخر. وقد ذكرنا أنه كانت له درع من لؤلؤ، وقيل: من ذهب، فعُرف بدرعه.

**والثالث:** نلقيك عريانًا، قاله الزجاج.

**والرابع:** ننجيكَ وحدك، قاله ابن قتيبة.

وفي قوله: ﴿لَتَكُونَنَّ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ ثلاثة أقوال:

**أحدها:** لتكون لمن بعدك في النكال آية لثلاث يقولوا مثل مقاتلك، فإنك لو كنت إلهًا ما غرقت، قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال أبو عبيدة: «خلفك» بمعنى بعدك، والآية: العلامة.

**والثاني:** لتكون لبني إسرائيل آية، قاله السدي.

**والثالث:** لمن تخلف من قومه، لأنهم أنكروا غرقه على ما ذكرنا في أول الآية، فخرج في معنى الآية قولان:

**أحدهما:** عبرة للناس.

**والثاني:** علامة تدل على غرقه. وقال الزجاج: الآية أنه كان يدّعي أنه ربُّ، فبان أمره، وأخرج من بين أصحابه لما غرقوا. وقرأ ابن السميّع، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء ﴿لَمَنْ خَلَقَكَ﴾ بالقاف.



**س:** هل ثبت أن جبريل عليه السلام كان يدس في فم فرعون الطين مخافة أن تدركه الرحمة بقوله: لا إله إلا الله؟

**ج:** ورد هذا من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تصح بمجموعها لكنها أعلت بالوقف على ابن عباس<sup>(١)</sup>، وقد روى أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي سندها مقالاً أيضاً. وعلى كلِّ فإن صححها بالمجموع مصحح فله وجه والله تعالى أعلم.



**س:** ما اليوم الذي أهلك الله فيه فرعون؟

**ج:** كان هذا يوم عاشوراء.

أخرج البخاري<sup>(٢)</sup> ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تصوم عاشوراء، فقال: «ما هذا اليوم الذي تصومونه؟» فقالوا: هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «أنتم أحق بموسى منهم، فصوموا».



(١) انظر الطبري (١٧٨٧٢) فما بعده، ومسنّد أحمد (٣٠٩/١)، (٢٤٥)، وعبد بن حميد (٦٦٤)،

والترمذي (٣١٠٦)، والطيالسي (٢٦١٨).

(٢) البخاري (٤٦٨٠)، ومسلم (١١٣٠).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبَازِلَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْوَعْدُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿١٣﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: ولقد أنزلنا بني إسرائيل منازل محمودة مباركة كثيرة خيراتها، وكثيرة زروها، قيل: إنها مصر، وقيل: الشام، ومنها الأردن وفلسطين، وقيل: إن المراد بني إسرائيل الذين كانوا في زمن رسول الله ﷺ وهم بنو قريظة وبنو النضير.

والظاهر الأول، أي: أنها مصر، وذلك؛ لأن فرعون كان بمصر، وقد أغرقه الله ﷻ وقال تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [الدخان: ٢٥-٢٨]، وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الشعراء: ٥٩].

ولا يمنع أيضاً أن يكون الله ﷻ أنزلناهم منازل مباركة طيبة أخرى كالشام وغيرها، والله أعلم.

ثم إن الله ﷻ رزقهم مع هذه المنازل الطيبة الثمرات الطيبة والمطاعم الطيبة فساروا على نهج واحد على ما هم عليه ولكن لما جاءهم المعلوم لديهم والموصوف عندهم، وهو النبي محمد ﷺ وما معه من القرآن الذي أنزله الله عليه حدث بينهم اختلاف فمنهم من آمن وصدق، ومنهم من تولى واستغنى ثم أخبر الله ﷻ أنه يقضي بينهم يوم القيامة، فيما كانوا يختلفون فيه في دنياهم ويجازي كلًا بما يستحق.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ولقد أنزلنا بني إسرائيل منازل صدق.

قيل: عني بذلك الشام وبيت المقدس.

**وقيل:** عُنِيَ به الشَّام ومصر. وقوله: ﴿وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، يقول: ورزقنا بني إسرائيل من حلال الرزق وهو ﴿الطيب﴾.

**وقوله:** ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾، يقول جل ثناؤه: فما اختلف هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بني إسرائيل، حتى جاءهم ما كانوا به عالمين. وذلك أنهم كانوا قبل أن يبعث محمد النبي ﷺ مجمعين على نبوة محمد والإقرار به وبمبعثه، غير مختلفين فيه بالنعته الذي كانوا يجدونه مكتوباً عندهم، فلما جاءهم ما عرفوا كفر به بعضهم وآمن به بعضهم، والمؤمنون به منهم كانوا عدداً قليلاً. فذلك قوله: فما اختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذي كانوا يعلمونه نبياً لله فوضع ﴿الْعِلْمُ﴾ مكان ﴿المعلوم﴾. وكان بعضهم يتأول ﴿الْعِلْمُ﴾ ههنا، كتاب الله ووحيه.

**وأورد بسند صحيح عن ابن زيد في قوله:** ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾، قال: ﴿الْعِلْمُ﴾، كتاب الله الذي أنزله، وأمره الذي أمرهم به، وهل اختلفوا حتى جاءهم العلم بغياً بينهم؟ أهل هذه الأهواء، هل اقتتلوا إلا على البغي قال: و«البغي» وجهان: وجه النفاسة في الدنيا ومن اقتتل عليها من أهلها، وبغى في «العلم»، يرى هذا جاهلاً مخطئاً، ويرى نفسه مصيباً عالماً، فيبغى بإصابته وعلمه على هذا المخطئ.

**قال الطبري:**

**وقوله:** ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١٣)، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إن ربك، يا محمد، يقضي بين المختلفين من بني إسرائيل فيك يوم القيامة، فيما كانوا فيه من أمري في الدنيا يختلفون، بأن يدخل المكذبين بك منهم النار، والمؤمنين بك منهم الجنة، فذلك قضاؤه يومئذ فيما كانوا فيه يختلفون من أمر محمد ﷺ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يخبر تعالى عما أنعم به على بني إسرائيل من النعم الدينية والدنيوية ﴿مُبَوَّاهٌ صَدَقَ﴾ قيل: هو بلاد مصر والشام، مما يلي بيت المقدس ونواحيه، فإن الله تعالى لما أهلك فرعون وجنوده استقرت يد الدولة الموسوية على بلاد مصر بكمالها، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَوْثَرْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧] وقال في الآية الأخرى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء: ٥٧-٥٩] ولكن استمروا مع موسى، طالبين إلى بلاد بيت المقدس وهي بلاد الخليل رَحِمَهُ اللهُ فاستمر موسى بمن معه طالبا بيت المقدس وكان فيه قوم من العمالقة، فنكل بنو إسرائيل عن قتال العمالقة فشردهم الله تعالى في التيه أربعين سنة، ومات فيه هارون، ثم موسى، رَحِمَهُ اللهُ، وخرجوا بعدهما مع يوشع بن نون، ففتح الله عليهم بيت المقدس، واستقرت أيديهم عليها إلى أن أخذها منهم بختنصر حينما من الدهر، ثم عادت إليهم، ثم أخذها ملوك اليونان، وكانت تحت أحكامهم مدة طويلة، وبعث الله عيسى ابن مريم، رَحِمَهُ اللهُ، في تلك المدة، فاستعانت اليهود - قبحهم الله - على معاداة عيسى، رَحِمَهُ اللهُ، بملوك اليونان، وكانت تحت أحكامهم، ووشوا عندهم، وأوحوا إليهم أن هذا يفسد عليكم الرعايا فبعثوا من يقبض عليه، فرفعه الله إليه، وشبه لهم بعض الحوارين بمشيئة الله وقدره فأخذوه فصلبوه، واعتقدوا أنه هو، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧] بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا [النساء: ١٥٨، ١٥٧] ثم بعد المسيح، رَحِمَهُ اللهُ، بنحو من ثلثمائة سنة، دخل قسطنطين أحد ملوك اليونان - في دين النصرانية، وكان فيلسوفا قبل

ذلك. فدخل في دين النصارى قيل: تقية، وقيل: حيلة ليفسده، فوضعت له الأساقفة منهم قوانين وشريعة وبدعاً أحدثوها، فبنى لهم الكنائس والبيع الكبار والصغار، والصوامع والهيكل، والمعابد، والقلايات. وانتشر دين النصرانية في ذلك الزمان، واشتهر على ما فيه من تبديل وتغيير وتحريف، ووضع وكذب، ومخالفة لدين المسيح. ولم يبق على دين المسيح على الحقيقة منهم إلا القليل من الرهبان، فاتخذوا لهم الصوامع في البراري والمهامه والقفار، واستحوذت يدُ النصارى على مملكة الشام والجزيرة وبلاد الروم، وبنى هذا الملك المذكور مدينة قسطنطينية، والقمامة، وبيت لحم، وكنائس بلاد بيت المقدس، ومدن حوران كُبرى وغيرها من البلدان بناءات هائلة محكمة، وعبدوا الصليب من حينئذ، وصلوا إلى الشرق، وصوروا الكنائس، وأحلوا لحم الخنزير، وغير ذلك مما أحدثوه من الفروع في دينهم والأصول، ووضعوا له الأمانة الحقيرة، التي يسمونها الكبيرة، وصنفوا له القوانين، وبسط هذا يطول.

والغرض أن يدهم لم تزل على هذه البلاد إلى أن انتزعها منهم الصحابة، رضي الله عنهم، وكان فتح بيت المقدس على يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والله الحمد والمنة.

**وقوله:** ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي: الحلال، من الرزق الطيب النافع المستطاب طبعاً وشرعاً.

**وقوله:** ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ أي: ما اختلفوا في شيء من المسائل إلا من بعد ما جاءهم العلم، أي: ولم يكن لهم أن يختلفوا، وقد بين الله لهم وأزال عنهم اللبس. وقد ورد في الحديث: «أن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة، وأن النصارى اختلفوا على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه

الأمّة على ثلاث وسبعين فرقة، منها واحدة في الجنة، وثلثان وسبعون في النار». قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي».

**وقال القرطبي رحمه الله:**

**قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مُبَوَّأً صَدَقَ﴾ أي منزل صدق محمود مختار، يعني مصر. وقيل: الأردن وفلسطين. وقال الضحاك: هي مصر والشام. ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي من الثمار وغيرها. وقال ابن عباس: يعني قريظة والنضير وأهل عصر النبي ﷺ من بني إسرائيل؛ فإنهم كانوا يؤمنون بمحمد ﷺ وينتظرون خروجه، ثم لما خرج حسدوه؛ ولهذا قال: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ أي في أمر محمد ﷺ. ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ أي القرآن، ومحمد ﷺ. والعلم بمعنى المعلوم؛ لأنهم كانوا يعلمونه قبل خروجه؛ قال ابن جرير الطبري: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ أي يحكم بينهم ويفصل. ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١٣) في الدنيا، فيثيب الطائع ويعاقب العاصي.



**س: هل كان رسول الله ﷺ شاكاً حتى يُقال له: (فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ)؟**

**ج:** لم يكن النبي ﷺ شاكاً بحالٍ من الأحوال ولكن هذا مزيدٌ من الثبوت له وقذف الطمأنينة في قلبه، وكذا توجيه لأمته وإرشاد لهم.

**وقد طرح الطبري نحو هذا السؤال وأجاب عليه فقال:**

فإن قال قائل: أو كان رسول الله ﷺ في شكٍّ من خبر الله أنه حقٌّ يقين، حتى قيل له: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قِبَلِكَ﴾؟ قيل: لا وكذلك قال جماعة من أهل العلم.

**وأورد بأسانيد صحيحة عن سعيد بن جبير في قوله:** ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا

إِلَيْكَ﴾، فقال: لم يشك النبي ﷺ ولم يسأل.

وأورد نحوه عن الحسن قال: لم يشك النبي ﷺ ولم يسأل.  
وأورد بسند حسن عن قتادة مرسلًا قال: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال: لا أشك ولا أسأل.

### ثم قال الطبري رحمه الله:

فإن قال: فما وجه مخرج هذا الكلام، إذن، إن كان الأمر على ما وصفت؟  
قيل: قد بينا في غير موضع من كتابنا هذا، استجازه العرب قول القائل منهم لمملوكه: «إن كنت مملوكي فانتبه إلى أمري» والعبد المأمور بذلك لا يشك سيده القائل له ذلك أنه عبده. كذلك قول الرجل منهم لابنه: «إن كنت ابني فبرني»، وهو لا يشك في ابنه أنه ابنه، وأن ذلك من كلامهم صحيح مستفيض فيهم، وذكرنا ذلك بشواهد، وأن منه قول الله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ﴾، [المائدة: ١١٦]، وقد علم جل ثناؤه أن عيسى لم يقل ذلك. وهذا من ذلك، لم يكن ﷺ شاكًا في حقيقة خبر الله وصحته، والله تعالى ذكره بذلك من أمره كان عالمًا، ولكنه جل ثناؤه خاطبه خطاب قومه بعضهم بعضًا، إذ كان القرآن بلسانهم نزل.

### وقال الطبري أيضًا:

ولو قال قائل: إن هذه الآية خوطب بها النبي ﷺ، والمراد بها بعض من لم يكن صحت، بصيرته بنبوته ﷺ، ممن كان قد أظهر الإيمان بلسانه، تنبيهًا له على موضع تعرف حقيقة أمره الذي يزيل اللبس عن قلبه، كما قال جل ثناؤه: ﴿يٰأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١﴾، [الأحزاب: ١]، كان قولًا غير مدفوعٍ صحته.

### وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ الخطاب للنبي ﷺ والمراد غيره،



أي لست في شك ولكن غيرك شك. قال أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد: سمعت الإمامين ثعلبا والمبرد يقولان: معنى ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ﴾ أي قل يا محمد للكافر فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك ﴿فَسَلِّ إِلَيْهِمْ بَرَكَاتَهُمْ﴾ أي يا عابد الوثن إن كنت في شك من القرآن فأسأل من أسلم من اليهود، يعني عبدالله بن سلام وأمثاله ؛ لأن عبدة الأوثان كانوا يقرون لليهود أنهم أعلم منهم من أجل أنهم أصحاب كتاب ؛ فدعاهم الرسول ﷺ إلى أن يسألوا من يقرون بأنهم أعلم منهم، هل يبعث الله برسول من بعد موسى. وقال القتيبي: هذا خطاب لمن كان لا يقطع بتكذيب محمد ولا بتصديقه ﷺ، بل كان في شك. وقيل: المراد بالخطاب النبي ﷺ لا غيره، والمعنى: لو كنت يلحقك الشك فيه فيما أخبرناك به فسألت أهل الكتاب لأزالوا عنك الشك.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسَلِّ إِلَيْهِمْ بَرَكَاتَهُمْ﴾  
 ﴿الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: فإن كنت يا رسول الله في شك من القرآن، وأنا أنزلناه عليك من عندنا فأسأل أهل الكتابيين اليهود أهل التوراة والنصارى أهل الإنجيل، فإن ما أنزلناه إليك موصوف عندهم وأنت كذلك موصوف عندهم، فتأكد أن الحق قد جاءك من ربك، لم يأتك به شيطان وليست الآيات بوساوس ولا هواجس، فلا تكونن من المتشككين المرتابين.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فإن كنت يا محمد في شك من حقيقة ما اخترناك فأنزلنا إليك، من أن بني إسرائيل لم يختلفوا في نبوتك قبل أن تبعث

رسولا إلى خلقه، لأنهم يجدونك عندهم مكتوبًا، ويعرفونك بالصفة التي أنت بها موصوف في كتابهم في التوراة والإنجيل ﴿فَسَلِّ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾، من أهل التوراة والإنجيل، كعبد الله بن سلام ونحوه، من أهل الصدق والإيمان بك منهم، دون أهل الكذب والكفر بك منهم.

**ثم قال:**

**وأما قوله:** ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ الآية، فهو خبرٌ من الله مبتدأ.

**يقول تعالى ذكره:** أقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبر بأنك لله رسولٌ، وأن هؤلاء اليهود والنصارى يعلمون صحة ذلك، ويجدون نعتك عندهم في كتبهم، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَكِبِينَ﴾، يقول: فلا تكونن من الشاكين في صحة ذلك وحقيقته.

**وقال ابن كثير رحمه الله:**

وهذا فيه تثبيت للأمة، وإعلام لهم أن صفة نبهم ﷺ موجودة في الكتب المتقدمة التي بأيدي أهل الكتاب، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٧]. ثم مع هذا العلم يعرفونه من كتبهم كما يعرفون أبناءهم، يلبسون ذلك ويحرفونه ويبدلونه، ولا يؤمنون به مع قيام الحجة عليهم.



**س: كيف يؤمر رسول الله ﷺ بسؤال أهل الكتاب، وكثيرٌ منهم مكذبون، بل وأكثرهم الفاسقون؟**

**ج: المراد - والله أعلم -:** سؤال العدول منهم الذين آمنوا وصدقوا كعبد الله بن سلام ونحوه.

وقد استفاض السعدي في الإجابة على هذا السؤال فقال:

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ هل هو صحيح أم

غير صحيح؟

﴿فَسَلِّ إِلَيْنَا يَوْمَ يُقْرَأُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي: أسأل أهل الكتب المنصفين، والعلماء الراشخين، فإنهم سيقرون لك بصدق ما أخبرت به، وموافقته لما معهم، فإن قيل: إن كثيرًا من أهل الكتاب، من اليهود والنصارى، بل ربما كان أكثرهم ومعظمهم كذبوا رسول الله وعاندوه، وردوا عليه دعوته. والله تعالى أمر رسوله أن يستشهد بهم، وجعل شهادتهم حجة لما جاء به، وبرهانًا على صدقه، فكيف يكون ذلك؟

فالجواب عن هذا، من عدة أوجه:

**منها:** أن الشهادة إذا أضيفت إلى طائفة، أو أهل مذهب، أو بلد ونحوهم، فإنها إنما تتناول العدول الصادقين منهم. وأما من عداهم، فلو كانوا أكثر من غيرهم فلا عبرة فيهم، لأن الشهادة مبنية على العدالة والصدق، وقد حصل ذلك بإيمان كثير من أبحارهم الربانيين، كـ «عبد الله بن سلام» وأصحابه وكثير ممن أسلم في وقت النبي ﷺ، وخلفائه، ومن بعده و«كعب الأبحار» وغيرهما. **ومنها:** أن شهادة أهل الكتاب للرسول ﷺ مبنية على كتابهم التوراة الذي ينتسبون إليه.

فإذا كان موجودًا في التوراة، ما يوافق القرآن ويصدق، ويشهد له بالصحة، فلو اتفقوا من أولهم لآخرهم على إنكار ذلك، لم يقدح بما جاء به الرسول. **ومنها:** أن الله تعالى أمر رسوله أن يستشهد بأهل الكتاب على صحة ما جاءه، وأظهر ذلك وأعلنه على رءوس الأشهاد.

ومن المعلوم أن كثيرًا منهم من أحرص الناس على إبطال دعوة الرسول محمد ﷺ، فلو كان عندهم ما يرد ما ذكره الله، لأبدوه وأظهروه وبينوه، فلما لم يكن شيء من ذلك، كان عدم رد المعادي، وإقرار المستجيب من أدل الأدلة على صحة هذا القرآن وصدقه.

**ومنها:** أنه ليس أكثر أهل الكتاب، رد دعوة الرسول، بل أكثرهم استجاب لها، وانقاد طوعًا واختيارًا، فإن الرسول بعث وأكثر أهل الأرض المتدينين أهل كتاب.

فلم يمكث دينه مدة غير كثيرة، حتى انقاد للإسلام أكثر أهل الشام، ومصر، والعراق، وما جاورها من البلدان التي هي مقر دين أهل الكتاب، ولم يبق إلا أهل الرياسات الذين آثروا رياستهم على الحق، ومن تبعهم من العوام الجهلة، ومن تدين بدينهم اسمًا لا معنى، كالإفرنج الذين حقيقة أمرهم دهرية منحلون عن جميع أديان الرسل، وإنما انتسبوا للدين المسيحي، ترويجًا لملكهم، وتمويهاً لباطلهم، كما يعرف ذلك من عرف أحوالهم البيئة الظاهرة.



**س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١٥).**

**ج:** هذا - والله أعلم - نهى بعد نهى النبي ﷺ عن أن يكون من الممترين، نهى عن التشكك والارتياب، وأتمته له تبع، وكذا نهى عن التكيب بآيات الله، فإنه إن كان من المكذبين لآيات الله كان، والعياذ بالله من أهل الخسران يوم القيامة، خسران ليس بعده خسران، وليس فوقه خسران.

**قال الطبري رحمه الله:**

ويقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولا تكونن يا محمد، من الذين كذبوا

بحجج الله وأدلته، فتكون ممن غُبن حظه، وباع رحمة الله ورضاه، بسخطه وعقابه.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ وحاصل هذا أن الله نهى عن شيئين: الشك في هذا القرآن والامتراء فيه. وأشد من ذلك، التكذيب به، وهو آيات الله البينات التي لا تقبل التكذيب بوجه، ورتب على هذا الخسار، وهو عدم الربح أصلاً وذلك بفوات الثواب في الدنيا والآخرة، وحصول العقاب في الدنيا والآخرة، والنهي عن الشيء أمر بضده، فيكون أمراً بالتصديق التام بالقرآن، وطمأنينة القلب إليه، والإقبال عليه، علماً وعملاً.

فبذلك يكون العبد من الرابحين الذين أدركوا أجل المطالب، وأفضل الرغائب، وأتم المناقب، وانتفى عنهم الخسار.



## قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۖ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَةً ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ۖ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۖ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمَرَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَعْمَلُ الرَّجْسُ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۖ ﴿١٠٠﴾ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ۖ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ۖ ﴿١٠٣﴾﴾ [يونس: ٩٦-١٠٣].

س: اذكر معنى ما يلي:

(حَقَّتْ - كَلِمَتُ رَبِّكَ - عَذَابُ الْآخِرَةِ - وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ - تُكْرِهُهُ النَّاسُ - الرِّجْسُ -  
وَالنُّذُرُ - أَيَّامُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ - حَقًّا عَلَيْنَا).

ج:

| الكلمة                                         | معناها                                                                                              |
|------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------|
| (حَقَّتْ) ❖                                    | وجب عليهم - تحققت فيهم.                                                                             |
| (كَلِمَتُ رَبِّكَ) ❖                           | قضى الله في شأنهم بأنهم سيموتون على الكفر                                                           |
| (عَذَابُ الْآخِرَةِ) ❖                         | ما تكلم الله به وقضاه وأمر به أن يكون، وقد قضى في حق الكفار أنهم سيموتون على الكفر.                 |
| (وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) ❖               | العذاب المخزي المهين المذل.                                                                         |
| (تُكْرِهُهُ النَّاسُ) ❖                        | تركناهم يتمتعون في الدنيا بالعام والشراب والملاذ حتى تنقضي آجالهم..                                 |
| (الرِّجْسُ) ❖                                  | تُجبر الناس.                                                                                        |
| (وَالنُّذُرُ) ❖                                | العذاب - العقاب - اللعن.                                                                            |
| (أَيَّامُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ) ❖ | الرسول - صور الإنذار عمومًا.                                                                        |
| (عَلَيْنَا) ❖                                  | الأيام التي حلت فيها العقوبات - أيام العقوبات التي حلت بالذين مضوا من قبلهم (الأمم التي سلفت ومضت). |
|                                                | واجبًا علينا (أوجب الله على نفسه وجعله حقًا لأهل الإيمان).                                          |

من كتبت عليه الشقاوة فلم يهتدي

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۗ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم: إن الذين وجبت عليهم كلمة الله بأنهم سيموتون على الكفر وسيعذبون ويستحقون اللعنة لن يؤمنوا ولو جاءتهم كل الآيات والمعجزات حتى يروا العذاب أمام أعينهم فحينئذ قد يؤمنوا ولكن لا ينفعهم ذلك الإيمان كما حدث لفرعون لعنه الله.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: إن الذين وجبت عليهم يا محمد ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، هي لعنته إياهم بقوله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، [هود: ١٨]، فثبتت عليهم. يقال منه: «حق على فلان كذا يحق عليه»، إذا ثبت ذلك عليه ووجب. وقوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ۖ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ ﴿﴾، يقول: لا يصدقون بحجج الله، ولا يقرؤون بوحدانية ربهم، ولا بأنك لله رسول ﴿﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ ﴿﴾، وموعظة وعبرة، فعاينوها، حتى يعاينوا العذاب الأليم، كما لم يؤمن فرعون وملؤه، إذ حَقَّتْ عليهم كلمة ربك حتى عاينوا العذاب الأليم، فحينئذ قال: ﴿ءَاْمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاْمَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَءِيلَ﴾، [يونس: ٩٠]، حين لم ينفعه قبله، فذلك هؤلاء الذين حقت عليهم كلمة ربك من قومك من عبدة الأوثان وغيرهم، لا يؤمنون بك فيتبعونك، إلا في الحين الذي لا ينفعهم إيمانهم.

وقال ابن كثير رحمه الله:

ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۗ﴾ أي: لا يؤمنون إيماناً ينفعهم، بل حين لا ينفع نفساً إيمانها؛ ولهذا لما دعا موسى، عليه السلام، على فرعون وملئه قال: ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۗ﴾



[يونس: ٨٨]، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيَّةَ وَلَكَّمْهُمُ الْمُؤَنِّ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١].

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: وجبت ﴿عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: قوله. وبماذا حقت الكلمة عليهم، فيه أربعة أقوال:  
أحدهما: باللعنة.

والثاني: بنزول العذاب.

والثالث: بالسَّخَط.

والرابع: بالنقمة.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾ قال الأخفش: إنما أنت فعل «كل» لأنه أضافه إلى «آية» وهي مؤنثة.

وقال السعدي (تيسير الكريم الرحمن):

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: إنهم من الضالين الغاوين أهل النار، لا بد أن يصيروا إلى ما قدره الله وقضاه، فلا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية، فلا تزيدهم الآيات إلا طغيانا، وغيا إلى غيهم. وما ظلمهم الله، ولكن ظلموا أنفسهم بردهم للحق، لما جاءهم أول مرة، فعاقبهم الله، بأن طبع على قلوبهم وأسماعهم، وأبصارهم، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، الذي وعدوا به. فحينئذ يعلمون حق اليقين، أن ما هم عليه هو الضلال، وأن ما جاءتهم به الرسل هو الحق. ولكن في وقت لا يجدي عليهم إيمانهم شيئا، فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم، ولا هم يستعتبون، وأما الآيات فإنها تنفع من له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

الآيات لا تنفع من كتبت عليهم الشقاوة

س: الآيات (المعجزات) لا تنفع من كتبت عليه الشقاوة دَلِّل على ذلك:

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

\* قوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ مُسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ [الحجر: ١٤، ١٥].

\* وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَءَاثِنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا...﴾ [الإسراء: ٥٩].

\* وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿١٧﴾.

\* وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. إلى غير ذلك.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَتَنْفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمُ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (٩٨).

ج: أما قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا﴾ ففيه وجهان للعلماء:

**أحدهما:** أن معناها (فلم) فيكون المعنى فلم تكن هناك قرية كافرة ءَامَنَتْ لما رأت العذاب فانتفعت بإيمانهم وكشف عنهم ربهم العذاب، كما قال تعالى: ﴿يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: العذاب المخزي المُهين المُذل في الحياة الدنيا، ومتعناهم إلى حين، وهو انقضاء آجالهم.

وبمزيد من الإيضاح لهذا الوجه أقول إن فرعون مثلاً لما آمن عند معاينة الموت وإحاطة أسبابه به ورأى الغرق لا محالة تلفظ بقوله: ﴿ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ﴾ بَوًّا إِسْرَؤِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ فلم ينتفع بهذا الإيمان الذي كان

منه عند إحاطة الموت به وعند غرقه.  
وهكذا سائر الأمم المعذبة التي أهلكها الله لم تنتفع بإيمانها عند معابيتها  
العذاب لكن قوم يونس راوا العذاب وكان سيحلُّ بهم استغفروا وآمنوا  
فانتفعوا بذلك فكشف عنهم العذاب.  
أي أن الأمم المعذبة التي رات العذاب لكن قوم يونس استثناهم الله ﷻ  
من ذلك فكشف عنهم العذاب لما آمنوا.

**الوجه الثاني:** أن المعنى فهلا كانت قرية آمنت لما جاءها المرسلون  
فكانت حينئذٍ تنتفع بالإيمان وكلن ما حدث هذا، وما هنالك قرية آمنت  
فانتفعت بالإيمان، لكن قوم يونس آمنوا لما خرج نبيهم من عندهم مغاضباً  
وأيقنوا أن العذاب واقع بهم آمنوا كلهم أجمعون فكشف الله عنهم العذاب  
ومتعوا في الحياة الدنيا إلى الوقت الذي تنقضي فيه آجالهم التي كتبها الله لهم.

**فتلخيص القول في الوجهين على النحو التالي:**

**الأول:** فما كانت هنالك قرية رات العذاب مقبلاً عليها فآمنت وتابت  
فنفعتها ذلك الإيمان وتلك التوبة، فالإيمان والتوبة في هذا الوقت لا ينفعان،  
إلا قوم يونس استثنوا من هذا فنفعهم الإيمان.

**الثاني:** فهلا كانت هناك قرية آمنت فانتفعت بإيمانها بتصديقها الرسل،  
ولكن قوم يونس آمنوا فانتفعوا.

هذا، والمراد والله أعلم القرية بكاملها.

والله تعالى أعلى وأعلم.

**ثم هذه أقوال بعض العلماء.**

**قال الطبري رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره:** فهلا كانت قرية آمنت؟ وهي كذلك فيما ذكر في قراءة أبي.

**ومعنى الكلام:** فما كانت قرية آمنت عند معايتها العذاب، ونزول سخط الله بها، بعصيانها ربها واستحقاقها عقابه، فنفعها إيمانها ذلك في ذلك الوقت، كما لم ينفع فرعون إيمانه حين أدركه الغرق بعد تماديه في غيّه، واستحقاقه سخط الله بمعصيته - إلا قوم يونس، فإنهم نفعهم إيمانهم بعد نزول العقوبة وحلول السخط بهم.

فاستثنى الله قوم يونس من أهل القرى الذين لم ينفعهم إيمانهم بعد نزول العذاب بساحتهم، وأخرجهم منهم، وأخبر خلقه أنه نفعهم أيمانهم خاصة من بين سائر الأمم غيرهم.

**وأورد بإسناد حسن: عن قتادة قوله:** ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ ١٨، يقول: لم يكن هذا في الأمم قبلهم لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين حضرها العذاب، فتركت، إلا قوم يونس، لما فقدوا نبيهم وظنوا أن العذاب قد دنا منهم، قذف الله في قلوبهم التوبة، ولبسوا المسوح، وفرقوا بين كل بهيمة وولدها، ثم عَجُّوا إلى الله أربعين ليلة. فلما عرف الله الصدق من قلوبهم، والتوبة والندامة على ما مضى منهم، كشف الله عنهم العذاب بعد أن تدلّى عليهم. قال: وذكر لنا أن قوم يونس كانوا בניنوى أرض الموصلي.

**وقال الطبري رحمه الله:**

**وقوله:** ﴿لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، يقول: لما صدّقوا رسولهم، وأقروا بما جاءهم به بعد ما أظلمهم العذاب وغشيه أمر الله ونزل بهم البلاء كشفنا عنهم عذاب الهوان والذلّ في حياتهم الدنيا ﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾،

يقول: وأخرنا في آجالهم ولم نعاجلهم بالعقوبة، وتركناهم في الدنيا يستمتعون فيها بآجالهم إلى حين مماتهم، ووقت فناء أعمارهم التي قَضِيَتْ فَنَاءَهَا.

**قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

**يقول تعالى:** فهلا كانت قرية آمنت بكمالها من الأمم السالفة الذين بعثنا إليهم الرسل، بل ما أرسلنا من قبلك يا محمد من رسول إلا كذبه قومه، أو أكثرهم كما قال تعالى: ﴿يَحْسِرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [يس: ٣٠]، ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ﴾ [الذاريات: ٥٢]، ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣] وفي الحديث الصحيح: «عرض علي الأنبياء، فجعل النبي يمر ومعه الفئام من الناس، والنبي معه الرجل والنبي معه الرجلان، والنبي ليس معه أحد»<sup>(١)</sup> ثم ذكر كثرة أتباع موسى، عليه السلام، ثم ذكر كثرة أمته، صلوات الله وسلامه عليه، كثرة سدت الخافقين الشرقي والغربي.

والغرض أنه لم توجد قرية آمنت بكمالها بنبيهم ممن سلف من القرى، إلا قوم يونس، وهم أهل نينوى، وما كان إيمانهم إلا خوفا من وصول العذاب الذي أنذرهم به رسولهم، بعد ما عاينوا أسبابه، وخرج رسولهم من بين أظهرهم، فعندها جأروا إلى الله واستغاثوا به، وتضرعوا لديه. واستكانوا وأحضروا أطفالهم ودوابهم ومواشيهم، وسألوا الله تعالى أن يرفع عنهم العذاب الذي أنذرهم به نبيهم. فعندها رحمهم الله، وكشف عنهم العذاب وأخروا، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَظَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [١٨].

(١) انظر لفظه عند البخاري (٣٤١٠)، ومسلم (٣٧٤) (٢٢٠).

واختلف المفسرون: هل كُشف عنهم العذاب الأخروي مع الدنيوي؟ أو إنما كُشف عنهم في الدنيا فقط؟ على قولين، أحدهما: إنما كان ذلك في الحياة الدنيا، كما هو مقيد في هذه الآية. والقول الثاني فيهما لقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ (١٤٧) ﴿فَأَمَّنُوا فَمَرَّعْتَهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ (١٤٨) [الصفات: ١٤٧، ١٤٨] فأطلق عليهم الإيمان، والإيمان منقذ من العذاب الأخروي، وهذا هو الظاهر، والله أعلم.

### وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ من قرى المكذبين ﴿ءَامَنَتْ﴾ حين رأت العذاب ﴿فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا﴾ أي: لم يكن منهم أحد انتفع بإيمانه، حين رأى العذاب، كما قال تعالى عن فرعون ما تقدم قريبا، لما قال: ﴿ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٩٠) ﴿فَقِيلَ لَهُ﴾ ﴿ءَأَكْفَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٩١).

وكما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ، وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ، مُشْرِكِينَ﴾ (٨٤) ﴿فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ [غافر: ٨٤-٨٥].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (٩١) ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

والحكمة في هذا ظاهرة فإن الإيمان الاضطراري ليس بإيمان حقيقة ولو صرف عنه العذاب والأمر الذي اضطره إلى الإيمان لرجع إلى الكفران.

**وقوله:** ﴿إِلَّا قَوْمٌ يُوَسُّوْنَ لِمَآ ءَامَنُوا﴾ بعدما رأوا العذاب ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (٩٨) فهم مستثنون من العموم السابق.

ولا بد لذلك من حكمة لعالم الغيب والشهادة لم تصل إلينا ولم تدركها

أفهامنا.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٣٩] إلى قوله ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [١٤٧] ﴿فَأَمْنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [١٤٨] [الصافات: ١٤٧-١٤٨]، ولعل الحكمة في ذلك أن غيرهم من المهلكين لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه.

وأما قوم يونس فإن الله علم أن إيمانهم سيستمر بل قد استمر فعلا وثبتوا عليه والله أعلم.



س: هل قوم يونس رأوا العذاب فعلاً أم رأوا علاماته ومن ثم بادروا بالإيمان؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أنهم رأوا العذاب أمامهم.

الثاني: رأوا علامات وأمارات تدل على أن العذاب سيحل بهم.

قال القرطبي رحمه الله:

وقال الطبري: خص قوم يونس من بين سائر الأمم بأن تيب عليهم بعد معاناة العذاب؛ وذكر ذلك عن جماعة من المفسرين. وقال الزجاج: إنهم لم يقع بهم العذاب، وإنما رأوا العلامة التي تدل على العذاب، ولو رأوا عين العذاب لما نفعهم الإيمان.

قلت: قول الزجاج حسن؛ فإن المعاناة التي لا تنفع التوبة معها هي التلبس بالعذاب كقصة فرعون، ولهذا جاء بقصة قوم يونس على أثر قصة فرعون لأنه آمن حين رأى العذاب فلم ينفعه ذلك، وقوم يونس تابوا قبل ذلك. ويعضد هذا قوله ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر». والغرغرة

الحشرة، وذلك هو حال التلبس بالموت، وأما قبل ذلك فلا. والله أعلم.

... ثم قال ﷻ:

ويكون معنى ﴿كُشِفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي العذاب الذي وعدهم به يونس أنه ينزل بهم، لا أنهم رأوه عياناً ولا مخيلة؛ وعلى هذا لا إشكال ولا تعارض ولا خصوص، والله أعلم. وبالجمله فكان أهل نينوى في سابق العلم من السعداء.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾ أي: أهل قرية. وفي «لولا» قولان: أحدهما: أنها بمعنى: لم تكن قرية آمنت ﴿فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا﴾ أي: قبل منها ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾، قاله ابن عباس. وقال قتادة: لم يكن هذا لأمة آمنت عند نزول العذاب، إلا لقوم يونس.

والثاني: أنها بمعنى: فهلاً، قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج. قال الزجاج: والمعنى: فهلاً كانت قرية آمنت في وقت نفعها إيمانها، إلا قوم يونس؟ و«إلا» هاهنا استثناء ليس من الأول، كأنه قال: لكن قوم يونس.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١﴾ وَمَا كُنْتَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾. ﴿١٠﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: أنك يا رسول الله لا تستطيع إجبار أحدٍ على الإيمان، ولن تستطيع توفيق أحدٍ لذلك ولا إكراهه على ذلك بل هذا الأمر أمر إيمان القلوب موكل إلى الله ﷻ، لا يملكه إلا هو، ولو شاء الله ﷻ لأمن من في الأرض كلهم جميعاً، ولن تستطيع ولو حرصت هداية من أغواه الله، قال



تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

وفي معنى الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥] وقوله

تعالى: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢].

كذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص:

٥٦].

وما كان لأي نفس أن تؤمن إلا إذا وفقها الله ﷻ لذلك وأذن بذلك،  
ويجعل ربنا عذابه وغضبه وعقابه وسخطه ولعنته على الذين لا يعقلون عن  
الله أمره، ولا يتبعون رسله ولا يصدقون بوحدانيته، فهؤلاء يجعل الله الرجس  
عليهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكر لنبيه: ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾، يا محمد، ﴿رَبُّكَ لَأَمَنَّكَ فِي الْأَرْضِ  
كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾، بك، فصدّقوك أنك لي رسول، وأن ما جئتهم به وما تدعوهم  
إليه من توحيد الله وإخلاص العبودية له، حق، ولكن لا يشاء ذلك، لأنه قد  
سبق من قضاء الله قبل أن يبعثك رسولا أنه لا يؤمن بك، ولا يتبعك فيصدقوك  
بما بعثك الله به من الهدى والنور، إلا من سبقت له السعادة في الكتاب الأول  
قبل أن تخلق السموات والأرض وما فيهن، وهؤلاء الذين عجبوا من صدق  
إيحائنا إليك هذا القرآن لتنذر به من أمرتك بإنذاره، ممّن قد سبق له عندي  
أنهم لا يؤمنون بك في الكتاب السابق.

فإن قال قائل: فما وجه قوله: ﴿لَأَمَنَّكَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾، ف«الكل»

يدل على «الجميع»، و«الجميع» على «الكل»، فما وجه تكرار ذلك، وكل  
واحدة منهما تغني عن الأخرى؟

قيل: قد اختلف أهل العربية في ذلك:

فقال بعض نحويي أهل البصرة: جاء بقوله «جميعاً» في هذا الموضع توكيداً، كما قال: ﴿لَا تَنْخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾، [النحل: ٥١]، ففي قوله: «إلهين» دليل على «الاثنتين».

وقال غيره: جاء بقوله «جميعاً» بعد «كلهم»، لأن «جميعاً» لا تقع إلا توكيداً، و«كلهم» يقع توكيداً واسماً، فلذلك جاء بـ «جميعاً» بعد «كلهم». قال: ولو قيل إنه جمع بينهما ليعلم أن معناهما واحد، لجاز ههنا. قال: وكذلك: ﴿إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾، العدد كله يفسر به، فيقال: «رأيت قوماً أربعة». إلى آخر ما قال رحمه الله.

**وقوله:** ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (١١)، يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: إنه لن يصدقك يا محمد، ولن يتبعك ويقرّ بما جئت به إلا من شاء ربك أن يصدقك، لا بإكراهك إياه، ولا بحرصك على ذلك ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (١١) لك، مصدقين على ما جئتهم به من عند ربك؟ يقول له جل ثناؤه: فاصدّع بما تؤمر، وأعرض عن المشركين الذين حقّت عليهم كلمة ربك أنهم لا يؤمنون.

**وقال رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره لنبيه:** وما كان لنفس خلقتها من سبيل إلى تصديقك، يا محمد، إلا بأن أذن لها في ذلك، فلا تجهدنّ نفسك في طلب هداها، وبلغها وعيد الله، وعرفها ما أمرك ربك بتعريفها، ثم خلّها، فإن هداها بيد خالقها.

**وأما قوله:** ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٠)، فإنه يقول تعالى ذكره: إن الله يهدي من يشاء من خلقه للإيمان بك يا محمد، ويأذن له في

تصديقك فيصدقك ويتبعك، ويقرّ بما جئت به من عند ربك، ﴿وَيَجْعَلُ  
الرَّجْسَ﴾، وهو العذاب، وغضب الله ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ١٠٠، يعني الذين  
لا يعقلون عن الله حججه ومواعظه وآياته التي دلّ بها جل ثناؤه على نبوة  
محمد ﷺ، وحقيقة ما دعاهم إليه من توحيد الله، وخلع الأنداد والأوثان.

### وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾ - يا محمد - لأذن لأهل الأرض كلهم في  
الإيمان بما جئتهم به، فأمنوا كلهم، ولكن له حكمة فيما يفعله تعالى كما قال  
تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْلِفِينَ﴾ ١١٨ ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ  
وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ١١٩ ﴿هود: ١١٨،  
١١٩﴾، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِئِسَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَن لَوْ يَشَاءَ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾  
[الرعد: ٣١]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾ أي: تلزمهم وتلجئهم  
﴿حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ١١٩ أي: ليس ذلك عليك ولا إليك، بل [إلى] الله  
﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ [فاطر: ٨]، ﴿لَيْسَ  
عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، ﴿لَعَلَّكَ بَئِيعَ نَفْسِكَ إِلَّا  
يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَن أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، ﴿فَإِنَّمَا  
عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ ٤٠ [الرعد: ٤٠]، ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ ١١٩ لَسْتَ عَلَيْهِمْ  
بِمُصْطَرٍ ٢٢ [الغاشية: ٢١، ٢٢] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله  
تعالى هو الفعال لما يريد، الهادي من يشاء، المضل لمن يشاء، لعلمه  
وحكمته وعدله؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمَرَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ  
الرَّجْسَ﴾ وهو الخبال والضلال، ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ١٠٠ أي: حجج الله  
وأدلته، وهو العادل في كل ذلك، في هداية من هدى، وإضلال من ضل.

### قال ابن الجوزي في زاد المسير:

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمَرَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فيه ستة أقوال:  
**أحدها:** بقضاء الله وقدره.

**والثاني:** بأمر الله، رُوي عن ابن عباس.

**والثالث:** بمشيئة الله، قاله عطاء.

**والرابع:** إلا أن يأذن الله في ذلك، قاله مقاتل.

**والخامس:** بعلم الله.

**والسادس:** بتوفيق الله، ذكرهما الزجاج، وابن الأنباري.

**وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:**

**يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ:** ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾  
بأن يلهمهم الإيمان، ويوزع قلوبهم للتقوى، فقد رتبته صالحة لذلك، ولكنه  
اقتضت حكمته أن كان بعضهم مؤمنين، وبعضهم كافرين.  
﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (١١) أي: لا تقدر على ذلك، وليس  
في إمكانك، ولا قدرة لغير الله على شيء من ذلك.  
﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمَرَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: بإرادته ومشيئته، وإذنه القدري  
الشرعي، فمن كان من الخلق قابلاً لذلك، يزكو عنده الإيمان، وفقه وهداه.  
﴿وَيَجْعَلُ الْيَقِينَ﴾ أي: الشر والضلال ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٠) عن  
الله أو امره ونواهيته، ولا يلقوا بالاً لنصائحه ومواعظه.



**س: لماذا انتفع قوم يونس بالتوبة عند معاينة العذاب دون غيرهم؟**

**ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:**

**أحدها:** أن الله ﷻ اختصهم بذلك لعلمه بهم.

**الثاني:** أنهم آمنوا قبل حلول العذاب، وذلك أنهم آمنوا عندما رأوا أسباب

العذاب قادمة.

قال ابن الجوزي في زاد المسير:

فإن قيل: كيف كشف العذاب عن قوم يونس بعد إتيانه إليهم، ولم يكشف عن فرعون حين آمن؟

فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أن ذلك كان خاصاً لهم كما ذكرنا في أول الآية.

والثاني: أن فرعون باشره العذاب، وهؤلاء دنا منهم ولم يباشرهم، فكانوا كالمريض يخاف الموت ويرجو العافية، فأما الذي يعاين، فلا توبة له ذكره الزجاج.

والثالث: أن الله تعالى علم منهم صدق النيات، بخلاف من تقدمهم من الهالكين، ذكره ابن الأنباري.



س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠١) ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ رَبِّ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾ (١٠٢) ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٠٣).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: انظروا يا عباد الله ماذا في السموات والأرض من الآيات الدالة على قدرة الله ﷻ ووحدانيته، انظروا إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت، انظروا كذلك في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء، انظروا إلى الشمس والقمر والنجوم والبحار والجبال وسائر المخلوقات تستدلوا بذلك على وحدانية الله ﷻ، ولكن الذي يستدل

من كان له قلب يعقل به، ومن كتبت له الهداية أما من كتبت عليه الشقاوة والغواية فمهما أتته من آيات وحجج وبينات فكل ذلك لن يؤثر فيه ولن يتسبب في هدايته لأن الله أغواه.

**فقوله تعالى:** ﴿وَمَا تُغْنِ الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ﴾ أي: وماذا تجدي المعجزات، وماذا يُجدي المرسلون المنذرون وماذا تجدي كافة النذر مع القوم الذين كتبت عليهم الغواية، إنهم لا ينتفعون بآية ولا يتذكرون بنذير فماذا عساهم أن يطلبوا كي يؤمنوا؟! ماذا ينتظرون كي يؤمنوا هل ينتظرون إلا مثل الأيام التي حلت فيها المصائب والنقم بالأمم التي مضت من قبلهم؟! فقل لهؤلاء المكذبين الذين يكذبون بالقرآن ويكذبون بالنقم انتظروا ونحن معكم ننتظر حتى يأتي ما وعد الله به فسيأتيكم نحو ما جاء الأمم من قبلكم وسيحل بكم من عذاب الله ونكاله مثل ما حلّ بالأمم السابقة فإذا جاء هذا العذاب، وحلّ هذا النكال نجينا رسلنا والذين آمنوا كما أنجينا رسلنا من قبل، وأنجينا أهل الإيمان، ننجي رسول الله ﷺ وأهل الإيمان، وهذا الحق الذي قال الله ﷻ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾ أي: لأهل الإيمان أن ننجيهم، هو سبحانه بفضلهم وكرمه أوجبه على نفسه، كذا قال فريق من أهل العلم.

**وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.**

**قال الطبري رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره:** قل، يا محمد، لهؤلاء المشركين من قومك، السائلين الآيات على صحة ما تدعوهم إليه من توحيد الله وخلع الأنداد والأوثان: انظروا، أيها القوم، ماذا في السموات من الآيات الدالة على حقيقة ما أدعوكم إليه من توحيد الله، من شمسها وقمرها، واختلاف ليلها ونهارها، ونزول الغيث بأرزاق العباد من سحابها وفي الأرض من جبالها، وتصدعها بنباتها،

وأقوات أهلها، وسائر صنوف عجائبها، فإن في ذلك لكم إن عقلتم وتدبرتم موعظة ومعتبراً، ودلالة على أن ذلك من فعل من لا يجوز أن يكون له في ملكه شريك، ولا له على تدبيره وحفظه ظهير يُغنيكم عما سواه من الآيات.

**يقول الله جل ثناؤه:** ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠)، يقول جل ثناؤه: وما تغني الحجج والبر والرسائل المنذرة عبادة الله عقابه، عن قوم قد سبق لهم من الله الشقاء، وقضى لهم في أم الكتاب أنهم من أهل النار، لا يؤمنون بشيء من ذلك ولا يصدقون به. ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (١٧)؟

ويقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، محذراً مشركي قومه من حلول عاجل نقمه بساحتهم نحو الذي حلّ بنظرائهم من قبلهم من سائر الأمم الخالية من قبلهم، السالكة في تكذيب رسل الله وجحود توحيد ربهم سبيلهم: فهل ينتظر، يا محمد، هؤلاء المشركون من قومك المكذبون بما جئتهم به من عند الله، إلا يوماً يعاينون فيه من عذاب الله مثل أيام أسلافهم الذي كانوا على مثل الذي هم عليه من الشرك والتكذيب، الذين مضوا قبلهم فخلّوا من قوم نوح وعاد واثمود؟ قل لهم، يا محمد، إن كانوا ذلك ينتظرون: فانتظروا عقاب الله إياكم، ونزول سخطه بكم، إني من المنتظرين هلاككم وبواركم بالعقوبة التي تحل بكم من الله.

**ويقول تعالى ذكره:** قل، يا محمد، لهؤلاء المشركين من قومك: انتظروا مثل أيام الذين خلوا من قبلكم من الأمم السالفة الذين هلكوا بعذاب الله، فإن ذلك إذا جاء لم يهلك به سواهم، ومن كان على مثل الذي هم عليه من تكذيبك، ثم ننجي هناك رسولنا محمداً ﷺ ومن آمن به وصدقه واتبعه على دينه، كما فعلنا قبل ذلك برسلنا الذين أهلكنا أممهم، فأنجيناهم ومن آمن به

معهم من عذابنا حين حقّ على أممهم ، ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٣) ، يقول: كما فعلنا بالماضين من رسلنا فأنجيناهم والمؤمنين معها وأهلكنا أممها، كذلك نفعل بك، يا محمد، وبالمؤمنين، فننجيك وننجي المؤمنين بك، حقاً علينا غير شك.

### قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يرشدُ تعالى عباده إلى التفكير في آلائه وما خلق في السموات والأرض من الآيات الباهرة لذوي الأبواب، مما في السموات من كواكب نيرات، ثوابت وسيارات، والشمس والقمر، والليل والنهار، واختلافهما، وإيلاج أحدهما في الآخر، حتى يطول هذا ويقصر هذا، ثم يقصر هذا ويطول هذا، وارتفاع السماء واتساعها، وحسنها وزينتها، وما أنزل الله منها من مطر فأحيا به الأرض بعد موتها، وأخرج فيها من أفانين الثمار والزرورع والأزاهير، وصنوف النبات، وما ذراً فيها من دوابّ مختلفة الأشكال والألوان والمنافع، وما فيها من جبال وسهول وقفار وعمران وخراب. وما في البحر من العجائب والأمواج، وهو مع هذا مسخر مدلل للسالكين، يحمل سفنهم، ويجري بها برفق بتسخير القدير له، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

**وقوله:** ﴿وَمَا تُغْنِ الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠) ﴿أَي: وأي شيء تُجدي الآيات السماوية والأرضية، والرسائل بآياتها وحججها وبراهينها الدالة على صدقها، عن قوم لا يؤمنون، كما قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (١٧).

**وقوله:** ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: فهل ينتظر هؤلاء المكذبون لك يا محمد من النعمة والعذاب إلا مثل أيام الله في الذين خلوا من قبلهم من الأمم المكذبة لرسولهم، ﴿قُلْ فَأَنْظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ



الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نَحْنُ رُسُلْنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿١٠٣﴾ أي: ونهلك المكذبين بالرسول، ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٠٣﴾ أي حقًا: أوجه تعالى على نفسه الكريمة: كقوله: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢] كما جاء في الصحيحين، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي».



## قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِن الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

[يونس: ١٠٤-١٠٩]

(٣٢٣) أحمر  
أسود

٣٢٣

تفسير سورة يونس

س: وضع معنى ما يلي:

(يَتَوَفَّنَكُمُ - أَفَمَوْجْهَكَ - حَنِيفًا - وَلَا تَدْعُ - الظَّالِمِينَ - يَمَسْسُكَ - يَضُرُّ - الْحَقُّ -  
يُوكِّلُ - يَحْكُمُ اللَّهُ).

ج:

| الكلمة             | معناها                                                 |
|--------------------|--------------------------------------------------------|
| (يَتَوَفَّنَكُمُ)  | يميتكم عند استيفاءكم الأجل.<br>يميتكم عند حلول آجالكم. |
| (أَفَمَوْجْهَكَ)   | ابتغي بعملك وجه الله، وليكن عملك وفق شريعة الله.       |
| (حَنِيفًا)         | مائلًا عن الشرك إلى التوحيد.                           |
| (وَلَا تَدْعُ)     | ولا تعبد - ولا تسال.                                   |
| (الظَّالِمِينَ)    | المشركين.                                              |
| (يَمَسْسُكَ)       | يصبك.                                                  |
| (يَضُرُّ)          | مرض - قلة مال - ابتلاء بمكروه.                         |
| (الْحَقُّ)         | القرآن - الرسول عليه الصلاة والسلام.                   |
| (يُوكِّلُ)         | بموكل بهدايتهم وهداية التوفيق.                         |
| (يَحْكُمُ اللَّهُ) | يقضي الله.                                             |



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّنَا وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم-: قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين يا أيها الناس، يا أهل الشرك، إن كنتم في شكٍّ من ديني الذي أنا عليه، وهو عبادتي ربي ﷻ وعدم الإشراف به فلا ينبغي أن تشكوا فيه، ولا تطمعوا في رجوعي عنه فإنني لا أعبد أصنامكم وأوثانكم التي تدعونها من دون الله، والتي لا تنفع ولا تضر ولا تملك لنفسها شيئاً فضلاً عن كونها لا تملك شيئاً غيرها، وسأستمر في عبادة ربي ﷻ موحداً غير مشرك، سأستمر في عبادة الله الذي يحيي ويميت، ويتوفاكم عند انقضاء آجالكم، وأمرني ربي أن أكون من أهل الإيمان به وبأنه واحد لا شريك له وبالتصديق بكل ما قاله ربي.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل، يا محمد، لهؤلاء المشركين من قومك الذين عجبوا أن أوحيت إليك: إن كنتم في شك، أيها الناس، من ديني الذي أدعوكم إليه، فلم تعلموا أنه حق من عند الله: فإنني لا أعبد الذين تعبدون من دون الله من الآلهة والأوثان التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عني شيئاً، فتشكوا في صحته.

وهذا تعريض ولحن من الكلام لطيف.

وإنما معنى الكلام: إن كنتم في شك من ديني، فلا ينبغي لكم أن تشكوا فيه، وإنما ينبغي لكم أن تشكوا في الذي أنتم عليه من عبادة الأصنام التي لا تعقل شيئاً ولا تضر ولا تنفع. فأما ديني فلا ينبغي لكم أن تشكوا فيه، لأنني أعبد الله الذي يقبض الخلق فيميتهم إذ شاء، وينفعهم ويضرهم إن شاء. وذلك أن

عبادة من كان كذلك لا يستنكرها ذو فطرة صحيحة. وأما عبادة الأوثان فينكرها كل ذي لب وعقل صحيح.

**وقوله:** ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّنَا﴾، يقول: ولكن أعبد الله الذي يقبض أرواحكم فيميتكم عند آجالكم ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠٤)، يقول: وهو الذي أمرني أن أكون من المصدقين بما جاءني من عنده.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:**

**يقول تعالى لرسوله محمد، صلوات الله وسلامه عليه:** قل: يا أيها الناس، إن كنتم في شك من صحة ما جئتكم من الدين الحنيف، الذي أوحاه الله إلي، فهذا أنا لا أعبد الذين تعبدون من دون الله، ولكن أعبد الله وحده لا شريك له، وهو الذي يتوفاكم كما أحياكم، ثم إليه مرجعكم؛ فإن كانت آلهتكم التي تدعون من دون الله حقاً، فأنا لا أعبدها فادعوها فلتضرني، فإنها لا تضر ولا تنفع، وإنما الذي بيده الضر والنفع هو الله وحده لا شريك له، وأمرت أن أكون من المؤمنين.



**س: وضح معنى قوله تعالى:** ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٥) **ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين** (١٠٦).

**ج: هذا - والله أعلم -:** مفاده أن الله ﷻ أمر نبيه محمداً ﷺ أن يقيم وجهه للدين حنيفاً، وأن يعمل ويخلص في عمله لله، ويعبد الله ويجتهد مخلصاً في ذلك لله موحداً له مائلاً عن الشرك إلى التوحيد، ونهى أن يكون من المشركين فقال الله له ولا تكونن من المشركين الذين يعبدون مع الله آلهة أخرى.

وكذا نهى رسول الله ﷺ عن دعاء أحد سوى الله والدعاء هنا يتضمن العبادة والسؤال فلا يعبد مع الله غيره، ولا يدعو من دون الله سواه، فإنه إن دعا

أحدًا مع الله فلن ينفعه هذا المدعو من دون الله ولن يضره كذلك بشيء،  
وفضلاً عن ذلك فإنه بدعاء غير الله وبعبادة غير الله سيدخل في عداد الظالمين  
المركين الكافرين.

**قال الطبري رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره:** ﴿وَأْمُرْ أَتَى أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٠٤﴾، و﴿وَأَنْ أَقِمَّ ۝١٠٥﴾ و﴿أَنْ﴾  
الثانية عطفٌ على «أَنْ» الأولى.

**ويعني بقوله:** ﴿أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾، أقم نفسك على دين الإسلام، ﴿حَنِيفًا﴾  
مستقيماً عليه، غير معوج عنه إلى يهودية ولا نصرانية، ولا عبادة وثن، ﴿وَلَا  
تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١٠٥﴾، يقول: ولا تكونن ممن يشرك في عبادة ربه الآلهة  
والأنداد، فتكون من الهالكين.

**وقال في تأويل قوله تعالى:** ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ  
إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ۝١٠٦﴾.

**يقول تعالى ذكره:** ولا تدع، يا محمد، من دون معبودك وخالقك شيئاً لا  
ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يضررك في دين ولا دنيا، يعني بذلك الآلهة  
والأصنام. يقول: لا تعبدوها راجياً نفعها أو خائفاً ضررها، فإنها لا تنفع ولا  
تضر، «فإن فعلت»، ذلك، فدعوتها من دون الله، ﴿فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ۝١٠٦﴾،  
يقول: من المشركين بالله، الظالمي أنفسهم.

**وقال ابن كثير رحمه الله:**

**وقوله:** ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: أخلص  
العبادة لله وحده حنيفاً، أي: منحرفاً عن الشرك؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ  
الْمُشْرِكِينَ ۝١٠٥﴾ وهو معطوف على قوله: ﴿وَأْمُرْ أَتَى أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٠٤﴾.



الذي يكشف الضر ويجيب المضطر هو الله

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١٠٧).

ج: هذا - والله أعلم -: إخبار وتذكير في نفس الوقت والمعنى، وإن يصبك الله ﷻ بضرٍّ، بأي نوعٍ من أنواع الضرِّ كان، فلن يستطيع أحد أن يكشفه عنك سواء سبحانه وتعالى هو الذي يكشفه عنك سواء سبحانه وتعالى هو الذي يكشفه عنك سواء سبحانه وتعالى هو الذي يكشفه عنك فلم تلجأ إلى عبادة غيره وإلى سؤال أحدٍ سواء لكشف الضرِّ عنك، وكذا إن يردك الله بخيرٍ فلن يستطيع أحد أن يرد هذا الخير عنك، ولن يستطيع أن يمنع هذا الفضل منك، فربك ﷻ الذي يصيب بالخير وبالضر من يشاء من عباده، وهو الغفور لذنوب عباده فإنهم إذا استغفروه غفر الله، وإذا تابوا إليه تاب عليهم الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، ورحمته في الآخرة خاصة بأهل الإيمان. قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (٤٣) [الأحزاب: ٤٣].

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه: وإن يصبك الله، يا محمد، بشدة أو بلاء، فلا كاشف لذلك إلا ربك الذي أصابك به، دون ما يعبد هؤلاء المشركون من الآلهة والأنداد ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾، يقول: وإن يردك ربك برخاء أو نعمة وعافية وسرور ﴿فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾، يقول: فلا يقدر أحد أن يحول بينك وبين ذلك، ولا يردك عنه ولا يحرمك؛ لأنه الذي بيده السراء والضراء، دون الآلهة والأوثان، ودون ما سواه ﴿يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، يقول: يصيب ربك، يا محمد بالرخاء والبلاء والسراء والضراء، من يشاء ويريد ﴿مَنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ﴾، لذنوب من تاب وأناب من عباده من كفره وشركه إلى الإيمان به وطاعته

﴿الرَّحِيمُ ١٠٧﴾ ﴿بِمَنْ آمَنَ بِهِ مِنْهُمْ وَأَطَاعَهُ، أَنْ يَعَذِّبَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ١٠٧﴾ أي: لمن تاب إليه وتوكل عليه، ولو من أيّ ذنب كان، حتى من الشرك به، فإنه يتوب عليه.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

هذا من أعظم الأدلة على أن الله وحده المستحق للعبادة، فإنه النافع الضار، المعطي المانع، الذي إذا مس بضر، كفقر ومرض، ونحوها ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ لأن الخلق، لو اجتمعوا على أن ينفعوا بشيء، لم ينفعوا إلا بما كتبه الله، ولو اجتمعوا على أن يضرّوا أحدا، لم يقدروا على شيء من ضرره، إذا لم يردّه الله، ولهذا قال: ﴿وَلَا يُرْذِكُ بَخِيرٌ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ أي: لا يقدر أحد من الخلق، أن يرد فضله وإحسانه، كما قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾

﴿يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ أي: يختص برحمته من شاء من خلقه، والله ذو الفضل العظيم، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ لجميع الزلات، الذي يوفق عبده لأسباب مغفرته، ثم إذا فعلها العبد، غفر الله ذنوبه، كبارها، وصغارها.

﴿الرَّحِيمُ ١٠٧﴾ الذي وسعت رحمته كل شيء، ووصل جوده إلى جميع الموجودات، بحيث لا تستغنى عن إحسانه، طرفة عين، فإذا عرف العبد بالدليل القاطع، أن الله، هو المنفرد بالنعمة، وكشف النقم، وإعطاء الحسنات، وكشف السيئات والكربات، وأن أحدا من الخلق، ليس بيده من هذا شيء إلا ما أجراه الله على يده، جزم بأن الله هو الحق، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل.





س: وضح معنى قوله تعالى: ( قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ) (١٠٨) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ) (١٠٩) .

ج: المعنى - والله أعلم -: قل يا رسول الله: يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم وهو القرآن الذي أنزله الله ﷻ على نبيه محمد ﷺ، فهو الحق، وقد جاء من عند الله، لا من عند أحد سواه، فمن اهتدى بما في هذا القرآن واتبع ما فيه فإنما يهتدي لنفسه، ثواب اهتدائه عائدٌ عليه كما في الحديث القدسي: «يا عبادي إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني»، وكذا من ضل فإنم ضلاله على نفسه، ولن يضل الله شيئاً، وفي الحديث القدسي: «لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً».

هذا، وقوله: ( وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ) (١٠٨) أي: ولست موكلاً بتوفيقكم إنما التوفيق من الله، وبالله، ولست بمجبركم على الهداية، ولا بمسلطٍ على قلوبكم كي تؤمنوا. ثم يأمر الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ بالصبر واتباع ما يوحى إليه حتى يقضى الله نبيه وبين أعدائه، وذلك قد يكون في الدنيا، وقد يؤجل هذا القضاء للآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ (٤٠) [الرعد: ٤٠] ويذكر الله سبحانه بأنه جل وعلا خير الحاكمين خبرٌ من أعطى كل ذي حق حقه، وخير من انتصر للمظلوم من ظالمه، وخير من قضى بين العباد وحكم

وينحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾، يا محمد، للناس: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ

قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴿١٠٧﴾، يعني: كتاب الله، فيه بيان كل ما بالناس إليه حاجة من أمر دينهم، ﴿فَمَنْ أَهْتَدَى﴾، يقول: فمن استقام فسلك سبيل الحق، وصدق بما جاء من عند الله من البيان، ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾، يقول: وإنما يستقيم على الهدى، ويسلك قصد السبيل لنفسه، فإياها يبغي الخير بفعله ذلك لا غيرها، ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾، يقول: ومن اعوج عن الحق الذي أتاه من عند الله، وخالف دينه، وما بعث به محمداً والكتاب الذي أنزله عليه، ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ﴾، يقول: فإن ضلّاه ذلك إنما يجني به على نفسه لا على غيرها، لأنه لا يؤخذ بذلك غيرها، ولا يورد بضلاله ذلك المهالك سوى نفسه. ولا تزر وزارة وزر أخرى، ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ (١٠٨)، يقول: وما أنا عليكم بمسلط على تقويمكم، إنما أمركم إلى الله، وهو الذي يقوم من شاء منكم، وإنما أنا رسول مبلّغ أبلغكم ما أرسلت به إليكم.

**ويقول تعالى ذكره:** واتبع، يا محمد وحي الله الذي يوحيه إليك، وتنزله الذي ينزله عليك، فاعمل به، واصبر على ما أصابك في الله من مشركي قومك من الأذى والمكارة، وعلى ما نالك منهم، حتى يقضي الله فيهم وفيك أمره بفعل فاصل ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (١٠٩)، يقول: وهو خير القاضين وأعدل الفاصلين. فحكم جل ثناؤه بينه وبينهم يوم بدر، وقتلهم بالسيف، وأمر نبيه ﷺ فيمن بقي منهم أن يسلك بهم سبيل من أهلك منهم، أو يتوبوا ويُنْبِئُوا إلى طاعته.

### وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى أمرا لرسوله، صلوات الله وسلامه عليه، أن يخبر الناس أن الذي جاءهم به من عند الله هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك، فمن اهتدى به واتبعه فإنما يعود نفع ذلك الاتباع على نفسه، ومن ضل عنه فإنما يرجع

وبال ذلك عليه ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ ١٠٨ ﴿أَي: وما أنا موكل بكم حتى تكونوا مؤمنين به، وإنما أنا نذير لكم، والهداية على الله تعالى. وقوله: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ﴾ أي: تمسك بما أنزل الله عليك وأوحاه واصبر على مخالفة من خالفك من الناس، ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ أي: يفتح بينك وبينهم، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ ١٠٩ ﴿أَي: خير الفاتحين بعدله وحكمته.



س: هل قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ منسوخ؟

ج: قال ذلك بعض العلماء إنها منسوخة بآية السيف والظاهر عدم النسخ.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ أي: في منعكم من اعتقاد الباطل، والمعنى: لست بحفيظ عليكم من الهلاك كما يحفظ الوكيل المتاع من الهلاك. قال ابن عباس: وهذه منسوخة بآية القتال، والتي بعدها أيضًا، وهي قوله: ﴿وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ لأن الله تعالى حكم بقتل المشركين، والجزية على أهل الكتاب، والصحيح: أنه ليس هاهنا نسخ. أما الآية الأولى، فقد ذكرنا الكلام عليها في نظيرتها في (الأنعام: ١٠٧). وأما الثانية، فقد ذكرنا نظيرتها في سورة (البقرة: ١٠٩) قوله: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾.

ونقل الطبري بسند صحيح عن ابن زيد قال: نسختها آية السيف.

وكذا قال غير واحد من العلماء.





تفسير سورة هود

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

﴿الرَّكَنُ أَحْكَمْتُ آيَتُهُ ثُمَّ فَضَّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ ۝١﴾ أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ  
إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢﴾ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مِّنْعًا حَسَنًا  
إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ  
كَبِيرٍ ۝٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ  
لَيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ  
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٥﴾

[هود: ١-٥].

س: اذكر معنى ما يلي:

(أُحْكِمَتْ - فَضِّلَتْ - لَدُنْ - يُمْنِعُكُمْ مِّنَّا حَسَنًا - أَجَلٍ مُّسَمًّى - كُلُّ ذِي فَضْلٍ - يَنْتَوْنَ صُدُورُهُمْ - لَيْسَتْ خَفُوفًا مِنْهُ - يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ).

ج:

| الكلمة                         | معناها                                                                                                                                                         |
|--------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| (أُحْكِمَتْ)                   | بَيَّنَّتِ الْأَوَامِرَ وَالنَّوَاهِيَ وَالْحَالَاتِ وَالْحُرَامَ.<br>أَتَقَنَّتْ - حَفِظَتْ مِنَ الْبَاطِلِ.                                                  |
| (فَضِّلَتْ)                    | بَيَّنَّتِ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ.<br>بَيَّنَّتِ الْحَالَاتِ وَالْحُرَامَ كَذَلِكَ - أُنْزِلَتْ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ.                                        |
| (لَدُنْ)                       | عِنْدَ.                                                                                                                                                        |
| (يُمْنِعُكُمْ مِّنَّا حَسَنًا) | يَرْزُقُكُمْ رِزْقًا حَسَنًا وَيُعَافِيكُمْ وَيَحْفَظُكُمْ.                                                                                                    |
| (أَجَلٍ مُّسَمًّى)             | وَقْتُ مُّحَدَّدٍ (انْتِهَاءُ أَجَالِكُمْ).                                                                                                                    |
| (كُلُّ ذِي فَضْلٍ)             | كُلُّ مُحْسِنٍ وَكُلُّ عَامِلٍ لِلصَّالِحَاتِ.                                                                                                                 |
| (يَنْتَوْنَ صُدُورُهُمْ)       | يَخْفِي أَحَدُهُمْ لِيَخْتَفِيَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ. يَنْحِنِي وَيَسْتَرُ<br>كَيْلَا يَرَاهُ اللَّهُ (بِظَنِّهِ وَزَعَمِهِ) يَضْمُرُونَ مَا فِي أَنْفُسِهِمْ. |
| (لَيْسَتْ خَفُوفًا مِنْهُ)     | كَيْ لَا يَرَاهُمْ.                                                                                                                                            |
| (يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ)    | يَتَعَطَّوْنَ بِثِيَابِهِمْ.                                                                                                                                   |



س: ما مدى صحة هذا الحديث الذي فيه أن أبا بكر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ ما شريك؟ قال: شيتني هود وأخواتها، وفي رواية: «شيتني هود، والواقعة، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت»؟

ج: هذا الحديث <sup>(١)</sup> رواه عددٌ من أهل العلم من طرق عن النبي ﷺ، وكل طريقه ضعيفة، ولا يخلو طريق منها من مقال. وإن كان بعض أهل العلم قد صححها بمجموع طرقها إلا أنني لا أنشط لتصحيحها فأراها ضعيفة والله أعلم.



س: ما المراد بالإحكام والتفصيل في قوله تعالى: ﴿كَتَبَ أَهْكَمَّ أَيُّنُّهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ؟﴾

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن قوله: ﴿أَهْكَمَّ﴾ بالأوامر والنواهي، وقوله: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ ثم يُنّت بالثواب والعقاب.

الثاني: أن قوله تعالى: ﴿أَهْكَمَّ﴾ أتقنت وأصلحت فلا يتسرب إليها خلل ولا يعترئها نقص ولا يأتيها الباطل.

وقوله: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ بيان الحلال والحرام، والثواب والعقاب، وميّز بعضها عن بعض.

الثالث: أن معنى قوله تعالى: ﴿أَهْكَمَّ﴾ جُمعت وأجملت (معانيها) ثم فُصِّلَتْ يُنّت ووضحت بعد إجمالٍ.

(١) وانظر بعض مصادره في الترمذي (٣٢٩٣)، وأبي يعلى (١٠٧)، والحاكم في المستدرک (٤٧٦/٢)، ومعجم الطبراني (١٠٠٩٢) وغيرها.

**الرابع:** أن ﴿أُحْكِمَتْ﴾ لم ينسخها كتاب آخر، (إنما آيات القرآن ينسخ بعضها بعضاً).

**وقوله:** ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ أي: نزلت شيئاً بعد شيء.

**الخامس:** أن قوله: ﴿أُحْكِمَتْ﴾ المراد به أتقنت وحُسِّنت ففيها إعجاز النظم والبلاغة ﴿فُصِّلَتْ﴾ بينت. وهذا راجع إلى بعض ما تقدم.

**وهناك أقوالٌ آخر في كونها فصّلت:**

**منها:** فصلت بجميع ما يُحتاج إليه من الدلالة على التوحيد، وتثبيت نبوة الأنبياء وإقامة الشرائع. والله أعلم.





## دفع إشكالٍ وجمع بين آيات

س: قال تعالى في شأن آيات الكتاب العزيز: ﴿كَتَبْنَا نُوحًا مِّنْ ذِكْرِهِ﴾ فدل ذلك على أنها كلها محكمة، وقال في آية أخرى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكِمُكَ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧] فأفادت هذه الآية أن بعض الآيات محكمات فما وجه الجمع؟

ج: الجمع - والله تعالى أعلم - أن الأحكام في قوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا نُوحًا مِّنْ ذِكْرِهِ﴾ غير الأحكام في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكِمُكَ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾.

فالأحكام الأول: المراد به - على قولٍ من الأقوال - حفظ القرآن من الخلل وحفظه من الشيطان وإتقانه وجزالة ألفاظه وحسن عباراته.

أما الأحكام الثاني، فالمراد به: وضوح معنى بعض الآيات حتى إن العالم وغير العالم يوف معناها، والمتشابهات يعلم معناها - بإذن الله - أهل العلم. والله أعلم.



س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿الرَّكَتِبُ أُحْكِمَتْ أَيْنُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (١) ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَيَسِّرُ﴾ (٢) ﴿وَأَن تَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مِّنْعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ (٣) ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤).

ج: أما قوله: ﴿الرَّكَتِبُ﴾ فأحرف مقطعة بُدئت بها بعض سور الكتاب العزيز، والله أعلم بمعناها، والظاهر - كما أسلفت من قبل - أنها سيقَّت للتحدي والإعجاز، ووجه ذلك أنها أحرف تعرفونها ولا تستطيعوا أن تأتوا منها بسورة ولا بآية، والله أعلم.

أما قوله: ﴿كَتَبْنَا﴾ فالمراد به القرآن، والله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿أَحْكَمْتَ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ فقد تقدم القول فيها بما حاصله أن العلماء لهم في ذلك أقوال:

**منها:** أن الحلال والحرام والأمر والنهي بُيِّنَ فيها، ثم بُيِّنَ ثواب ذلك وعقابه، أي: ثواب من امتثل الأمر، وعقاب من اقترب النهي، ومنها: أجملت آياته ثم وضحت وأظهرت، ومنها: أتقنت آياته وحفظت من الخلل، وحفظت من أي نقص ثم بينت الأحكام، والحلال والحرام، والأمر والنهي، وقد تقدمت سائر المعاني في هذا.

**أما قوله تعالى:** ﴿مِن لَّدُنَّ﴾ من عند ﴿حَكِيمٍ﴾ بتدبير الأمور والأشياء وتقديرها ﴿خَيْرٍ﴾ ١ ﴿بَخْلَقَهُ وَبَشَوْنَهُمْ وَبِمَا يُصْلِحُهُمْ، وَكَانَ مِمَّا فِي هَذَا الْكِتَابِ الْعَزِيزِ الَّذِي أَحْكَمْتَ آيَاتِهِ ثُمَّ فَصَّلْتَ،﴾ ٢ ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ أن تعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، ولا تعبدوا مع إلهاً آخر ﴿إِنِّي لَكُرْمَةٌ نَذِيرٌ﴾ مخوِّف ومُذَكِّر ﴿وَبَشِيرٌ﴾ ٣ ﴿لَمَنْ أَطَاعَ بِفَسِيحِ الْجَنَانِ وَإِحْلَالَ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَكَانَ مِمَّا فِي هَذَا الْكِتَابِ الْعَزِيزِ كَذَلِكَ الْأَمْرُ بِالْإِسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ﴾ ٤ ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ﴾ اطلبوا من الله أن يغفر لكم سالف ذنوبكم ﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ ثم ارجعوا إليه بعد ابتعادكم عنه واسلكوا طريقه الموصل إلى جنته ومرضاته، ومن العلماء من قال إن قوله: ﴿ثُمَّ﴾ بمعنى (و)، ثم إن الله ﴿عَلَّمَ﴾ بين ثمرة التوبة والاستغفار فقال: ﴿يُمْنُكُمْ مِّنَّا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: يمتنعكم في دنياكم بالعافية في الأبدان والسعة في الأرزاق وهدوء البال والراحة إلى وقت انقضاء أعماركم فتعيشون آمنين مطمئنين وتحبون حياة طيبة إلى أجل مسمى إلى أن تموتوا على خير.

**أما قوله تعالى:** ﴿وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ أي: ويتفضل ربنا على أهل الطاعة والفضل، يتفضل عليهم يوم القيامة بجميل الثواب على صالح

الأعمال التي عملوها في دنياهم ويثيبهم عليها خير إثابة ويجازيهم عليها أحسن جزاء، هذا، وقد أعاد بعض العلماء الغير في قوله: ﴿فَضَّلَهُ﴾ إلى الله ﷻ أي أن الله يجازي من فضله الذين أحسنوا في الدنيا وكان من أهل الفضل فيها. **أما قوله تعالى:** ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ أي: إن تعرضوا عن طاعة الله وتصروا على الكفر الذي أنتم فيه وتنصرفوا عن الإيمان فإني أخشى عليكم من العذاب الذي يلحق بكم إن أقمتكم على كفركم، وأي عذاب؟؟ إنه عذاب يوم كبير، وهو يوم القيامة، يوم طويل والعذاب فيه شديد. ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ مردكم إليه ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومن قدرته إحياءكم بعد إماتتكم وجمعكم ليوم القيامة.

**وبنحو هذا قال العلماء.**

**قال الطبري رحمه الله:**

**وقوله:** ﴿كُتِبَ أَحْكَمَتْ أَيْنُهُ﴾، يعني: هذا الكتاب الذي أنزله الله على نبيه محمد ﷺ، وهو القرآن.

**وأما قوله:** ﴿كُتِبَ أَحْكَمَتْ أَيْنُهُ، ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: تأويله: أحكمت آياته بالأمر والنهي، ثم فصلت بالثواب والعقاب.

**وقال آخرون:** معنى ذلك: ﴿أَحْكَمَتْ أَيْنُهُ﴾ من الباطل، ثم فصلت، فبين منها الحلال والحرام.

**وأورد بما يصح عن قتادة قوله:** ﴿كُتِبَ أَحْكَمَتْ أَيْنُهُ، ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾، قال: أحكمها الله من الباطل، ثم فصلها، بينها.

**ثم قال الطبري رحمه الله:**

وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: أحكم الله آياته من

الدَّخَلَ والخَلَلَ والباطل، ثم فصلها بالأمر والنهي.  
وذلك أن «إحكام الشيء» إصلاحه وإتقانه و«إحكام آيات القرآن»،  
إحكامها من خلل يكون فيها، أو باطل يقدر ذو زيغ أن يطعن فيها من قبله.  
وأما «تفصيل آياته» فإنه تمييز بعضها من بعض، بالبيان عما فيها من حلال  
وحرام، وأمر ونهي.

**وكان بعض المفسرين يفسر قوله:** ﴿فَصَلَّتْ﴾، بمعنى: فسّرت، وذلك نحو  
الذي قلنا فيه من القول.

**وأما قوله:** ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾، فإن معناه: ﴿حَكِيمٍ﴾ بتدبير الأشياء  
وتقديرها، خبير بما تؤول إليه عواقبها.

**وقال في تأويل قوله تعالى:** ﴿الَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾.

**يقول تعالى ذكره:** ثم فصلت بأن لا تعبدوا إلا الله وحده لا شريك له،  
وتخلعوا الآلهة والأنداد. ثم قال تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل، يا محمد،  
للناس ﴿إِنِّي لَكُم﴾، من عند الله ﴿نَذِيرٌ﴾ ينذركم عقابه على معاصيه وعبادة  
الأصنام ﴿وَبَشِيرٌ﴾، يبشركم بالجزيل من الثواب على طاعته وإخلاص العبادة  
والألوهة له.

**يقول تعالى ذكره:** ثم فصلت آياته، بأن لا تعبدوا إلا الله، وبأن استغفروا  
ربكم. ويعني بقوله: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمُ﴾، وأن اعملوا أيها الناس من الأعمال  
ما يرضي ربكم عنكم، فيستر عليكم عظيم ذنوبكم التي ركبتموها بعبادتكم  
الأوثان والأصنام، وإشراككم الآلهة والأنداد في عبادته.

**وقوله:** ﴿ثُمَّ تَوُوبُوا إِلَيْهِ﴾، يقول: ثم ارجعوا إلى ربكم بإخلاص العبادة له  
دون ما سواه من سائر ما تعبدون من دونه بعد خلعكم الأنداد وبراءتكم من  
عبادتها.

**ولذلك قيل:** ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾، ولم يقل: ﴿تُوبُوا إِلَيْهِ﴾، لأن «التوبة» معناها الرجوع إلى العمل بطاعة الله، والاستغفار: استغفار من الشرك الذي كانوا عليه مقيمين، والعمل لله لا يكون عملاً له إلا بعد ترك الشرك به، فأما الشرك فإن عمله لا يكون إلا للشيطان، فلذلك أمرهم تعالى ذكره بالتوبة إليه بعد الاستغفار من الشرك، لأن أهل الشرك كانوا يرون أنهم يطيعون الله بكثير من أفعالهم، وهم على شركهم مقيمون.

**وقوله:** ﴿يُمْنَعُكُمْ مِّنَّا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، يقول تعالى ذكره للمشركين الذين خاطبهم بهذه الآيات: استغفروا ربكم ثم توبوا إليه، فإنكم إذا فعلتم ذلك بسط عليكم من الدنيا ورزقكم من زينتها، وأنسأ لكم في آجالكم إلى الوقت الذي قضى فيه عليكم الموت.

**وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله:** ﴿يُمْنَعُكُمْ مِّنَّا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، فأنتم في ذلك المتاع، فخذوا بطاعة الله ومعرفة حقه، فإن الله منعم يحب الشاكرين، وأهل الشكر في مزيد من الله، وذلك قضاؤه الذي قضى.

**وقوله:** ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، يعني الموت.

**وأما قوله:** ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾، فإنه يعني: يثيب كل من تفضل بفضله ماله أو قوته أو معروفه على غيره محتسباً بذلك، مريداً به وجه الله، أجزل ثوابه وفضله في الآخرة.

**وقوله:** ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾، يقول تعالى ذكره: وإن أعرضوا عما دعوتهم إليه، من إخلاص العبادة لله، وترك عبادة الآلهة، وامتنعوا من الاستغفار لله والتوبة إليه، فأدبروا مؤلّين عن ذلك، ﴿فَإِنِّي﴾، أيها القوم، ﴿أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾، شأنه عظيم هو له، وذلك يوم تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون.

**وقال جل ثناؤه:** ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ ٢، ولكنه مما قد تقدمه قول، والعرب إذا قدمت قبل الكلام قولاً خاطبت، ثم عادت إلى الخبر عن الغائب، ثم رجعت بعد إلى الخطاب، وقد بينا ذلك في غير موضع، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

**وقال في تأويل قوله تعالى:** ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٤.

**يقول تعالى ذكره:** ﴿إِلَى اللَّهِ﴾، أيها القوم، مآبكم ومصيركم، فاحذروا عقابه إن توليتم عما أدعوكم إليه من التوبة إليه من عبادتكم الآلهة والأصنام، فإنه مخلصكم نار جهنم إن هلكتم على شرككم قبل التوبة إليه، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، يقول: وهو على إحيائكم بعد مماتكم، وعقابكم على إشراككم به الأوثان وغير ذلك مما أراد بكم وبغيركم قادر.

**وقال ابن كثير رحمه الله:**

**وأما قوله:** ﴿أَحْكَمْتَ أَيْتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ أي: هي محكمة في لفظها، مفصلة في معناها، فهو كامل صورة ومعنى. هذا معنى ما روي عن مجاهد، وفتادة، واختاره ابن جرير.

**وقوله:** ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ ١ أي: من عند الله الحكيم في أقواله، وأحكامه، الخبير بعواقب الأمور.

﴿الْأَتَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ أي: نزل هذا القرآن المحكم المفصل لعبادة الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ ٢٥ [الأنبياء: ٢٥]، قال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

**وقوله:** ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ ٢ أي: إني لكم نذير من العذاب إن خالفتموه، وبشير بالثواب إن أطعتموه، كما جاء في الحديث الصحيح: أن

رسول الله ﷺ صعد الصفا، فدعا بطون قريش الأقرب ثم الأقرب، فاجتمعوا، فقال: «يا معشر قريش، أرايتم لو أخبرتكم أن خيلا تصبحكم، أستم مصدقي؟» فقالوا: ما جربنا عليك كذبا. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»<sup>(١)</sup>.

**وقوله:** ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُغْفِرْ لَهُمْ مَنَّا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ أي: وأمركم بالاستغفار من الذنوب السالفة والتوبة منها إلى الله ﷻ فيما تستقبلونه، وأن تستمروا على ذلك، ﴿يُمَنِّعْكُمْ مِّنَّا حَسَنًا﴾ أي: في الدنيا ﴿إِلَّا أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ أي: في الدار الآخرة، قاله قتادة، كقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، وقد جاء في الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال لسعد: «وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله، إلا أجرت بها، حتى ما تجعل في في امرأتك»<sup>(٢)</sup>.

**ثم قال ابن كثير رحمه الله:**

**وقوله:** ﴿وَأَن تَوَلَّوْا فإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ هذا تهديد شديد لمن تولى عن أوامر الله تعالى، وكذب رسله، فإن العذاب يناله يوم معاده لا محالة، ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي: معادكم يوم القيامة، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: وهو القادر على ما يشاء من إحسانه إلى أوليائه، وانتقامه من أعدائه، وإعادة الخلائق يوم القيامة، وهذا مقام الترهيب، كما أن الأول مقام ترغيب.

وأحسن ما قيل في معنى ﴿أُحْكِمْتَ آيَاتَهُ﴾ قول قتادة؛ أي جعلت محكمة كلها لا خلل فيها ولا باطل. والإحكام منع القول من الفساد، أي نظمت نظاما محكما لا يلحقها تناقض ولا خلل. وقال ابن عباس: أي لم ينسخها كتاب،

(١) البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨) بنحوه.

(٢) البخاري (١٢٩٥)، ومسلم (١٦٢٨).

بخلاف التوراة والإنجيل. وعلى هذا فالمعنى ؛ أحكم بعض آياته بأن جعل ناسخا غير منسوخ. وقد تقدم القول فيه. وقد يقع اسم الجنس على النوع ؛ فيقال: أكلت طعام زيد ؛ أي بعض طعامه. وقال الحسن وأبو العالية: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَتُهُ﴾ بالأمر والنهي. ﴿ثُمَّ فَصَّلَتْ﴾ بالوعد والوعيد والثواب والعقاب. وقال قتادة: أحكمها الله من الباطل، ثم فصلها بالحلال والحرام. مجاهد: أحكمت جملة، ثم بينت بذكر آية آية بجميع ما يحتاج إليه من الدليل على التوحيد والنبوة والبعث وغيرها. وقيل: جمعت في اللوح المحفوظ، ثم فصلت في التنزيل. وقيل: «فصلت» أنزلت نجما نجما للتدبر.

**وقال:**

**قوله تعالى:** ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ عطف على الأول. ﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ أي ارجعوا إليه بالطاعة والعبادة. قال الفراء: «ثم» هنا بمعنى الواو ؛ أي وتوبوا إليه ؛ لأن الاستغفار هو التوبة، والتوبة هي الاستغفار. وقيل: استغفروه من سالف ذنوبكم، وتوبوا إليه من المستأنف متى وقعت منكم.

**ثم قال أيضًا:**

﴿يُمْنِعْكُمْ مِّنَّا حَسَنًا﴾ هذه ثمرة الاستغفار والتوبة، أي يمتعكم بالمنافع ثم سعة الرزق ورغد العيش، ولا يستأصلكم بالعذاب كما فعل بمن أهلك قبلكم. وقيل: يمتعكم يعمركم ؛ وأصل الإمتاع الإطالة، ومنه أمتع الله بك ومتع. وقال سهل بن عبد الله: المتاع الحسن ترك الخلق والإقبال على الحق. وقيل: هو القناعة بالموجود، وترك الحزن على المفقود. ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قيل: هو الموت. وقيل: القيامة. وقيل: دخول الجنة. والمتاع الحسن على هذا وقاية كل مكروه وأمر مخوف، مما يكون في القبر وغيره من أهوال القيامة وكرهها ؛ والأول أظهر ؛ لقوله في هذه السورة: ﴿وَيَقَوْمٍ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا



إِلَيْهِ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدُّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴿٥٢﴾ [هود: ٥٢] وهذا ينتقطع  
بالموت وهو الأجل المسمى. والله أعلم.



## الاستغفار سبب لسعة الأرزاق

س: الاستغفار والعمل الصالح من أسباب سعة الرزق دَلَّ على ذلك.

ج: أورد الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ جُمْلَةً مِنَ الْأَدْلَةِ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمِيعْكُمْ...﴾:

هذه الآية الكريمة تدل على أن الاستغفار والتوبة إلى الله تعالى من الذنوب سبب لأن يمتع الله من فعل ذلك متاعاً حسناً إلى أجل مسمى. لأنه رتب ذلك على الاستغفار والتوبة ترتيب الجزاء على شرطه.

والظاهر أن المراد بالمتاع الحسن. سعة الرزق، ورغد العيش، والعافية في الدنيا، وأن المراد بالأجل المسمى الموت، ويدل لذلك قوله تعالى في هذه السورة الكريمة عن نبيه هود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿يَنْقُومِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢] وقوله تعالى عن نوح: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝١١ وَيُمِدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا ۝١٢﴾ [نوح: ١٠-١٢] وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] الآية. وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] الآية. وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦] وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣] إلى غير ذلك من الآيات.



س: ما سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا جِدْنَ يَسْتَفْشُونَ نِيَابَهُمْ يَعْلَمُونَ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾؟

ج: أخرج البخاري من طريق مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادِ بْنِ جَعْفَرٍ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقْرَأُ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ﴾ قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْهَا فَقَالَ: أَنَاسٌ كَانُوا يَسْتَحْيُونَ أَنْ يَتَخَلَّوْا فَيَقْضُوا إِلَى السَّمَاءِ، وَأَنْ يُجَامِعُوا نِسَاءَهُمْ فَيَقْضُوا إِلَى السَّمَاءِ فَنَزَلَ ذَلِكَ فِيهِمْ<sup>(١)</sup>.



(١) البخاري (٤٦٨٢، ٤٦٨١).

علم الله ﷻ بأحوال بني آدم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُبْسِرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ ذَاتُ الصُّدُورِ ۝﴾.

ج: أما قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ﴾ فمن العلماء من قال إنها في المنافقين وضعفاء الإيمان، ومنهم من قال: إنها في شأن المؤمنين عموماً.

أما قوله: ﴿يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ﴾ فلاهل العلم فيها أقوال:

أحدها: يغطون وجوههم ويشنون ظهورهم.

الثاني: أنهم يضمرون ما في صدورهم ويخفونه.

الثالث: أنهم يعرضون وينصرفون وينحرفون عن الحق.

الرابع: أنهم كانوا يفعلون ذلك عند مناجاة بعضهم لبعض يشنون صدورهم

ليحدث بعضهم بعضاً.

أما قوله تعالى: ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ ففيها وجهان للعلماء:

أحدهما: ليستخفوا من الله ﷻ بزعمهم.

الثاني: ليستخفوا من رسول الله ﷺ.

أما عن المعنى الإجمالي للآية الكريمة، ففيه من الوجوه ما يلي:

الأول: إذا نزلنا الآية الكريمة على أهل النفاق، فالمعنى: ألا فاعلموا إن

أهل النفاق كان بعضهم إذا مرّ برَسُولِ اللَّهِ ﷺ غطّى وجهه وثنى ظهره حتى لا

يرى النبي ﷺ ولا يراه النبي ﷺ، وقد أخرج الطبري بإسنادٍ صحيح عن عبد

الله بن شداد في قوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾

قال: كان أحدهم إذا مرّ برَسُولِ اللَّهِ ﷺ قال بثوبه على وجهه، وثنى ظهره.

فأخبر الله سبحانه وتعالى أنهم يعلم أحوالهم وإن تغطوا بثيابهم، وكذا فإنه

يعلم ما يسرون وما يعلنون.

**الوجه الثاني:** أن أهل النفاق كانوا يضمرون شرورًا في أنفسهم ويخفون حقدهم وكراهيتهم لرسول الله ﷺ، وكذا يخفون شكوكهم وارتياهم في صدورهم ولا يفضحون بذلك، فقال تعالى: ﴿حِينَ يَسْتَعْشُونَ نِيَابَهُمْ﴾ يخفون ما في أنفسهم ﴿يَعْلَمُ مَا يُسْرُوكَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

**الوجه الثالث:** قول من قال إن هذا في أهل الإيمان، وحاصله أن أهل الإيمان بلغ بهم الحياء من الله وشدة المراقبة له أنهم كانوا يستحيون أن يفضوا بفروجهم حياءًا من الله، فكان أحدهم يبالي في الاستتار عند الجماع أو عند قضاء الحاجة مبالغةً قد تخرج عن حد الاعتیاد، فخفف عنهم الأمر، وقال تعالى: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَعْشُونَ نِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسْرُوكَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بالأمور الملاصقة للصدور والمخفية في الصدور والله أعلم.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رحمه الله:

**اختلفت القراء في قراءة قوله:** ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ﴾، فقرأته عامة الأمصار: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ﴾، على تقدير «يفعلون» من «ثبت»، و«الصدور» منصوبة.

**واختلف قارئو ذلك كذلك في تأويله.**

**فقال بعضهم:** ذلك كان من فعل بعض المنافقين، كان إذا مرّ برسول الله ﷺ غطّى وجهه وثنى ظهره.

**وقال آخرون:** بل كانوا يفعلون ذلك جهلا منهم بالله وظنًا أن الله يخفى عليه ما تضره صدورهم إذا فعلوا ذلك.

**وقال آخرون:** إنما كانوا يفعلون ذلك لئلا يسمعوا كتاب الله.

**وأورد بإسناد حسن عن قتادة:** ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ﴾ الآية، قال: كانوا يحنون صدورهم لكيلا يسمعوا كتاب الله، قال تعالى: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ وذلك أخفى ما يكون ابن آدم، إذا حنى صدره واستغشى بثوبه، وأضمر همّه في نفسه، فإن الله لا يخفى ذلك عليه.

**وقال آخرون:** إنما هذا إخبار من الله نبيه ﷺ عن المنافقين الذين كانوا يضمرون له العداوة والبغضاء، ويبدون له المحبة والمودة، أنهم معه وعلى دينه. يقول جل ثناؤه: ألا إنهم يطوون صدورهم على الكفر ليستخفوا من الله، ثم أخبر جل ثناؤه أنه لا يخفى عليه سرائرهم وعلاانيتهم.

**وقال آخرون:** كانوا يفعلون ذلك إذا ناجى بعضهم بعضاً. فأولى التأويلات بتأويل ذلك، تأويل من قال: إنهم كانوا يفعلون ذلك جهلاً منهم بالله أنه يخفى عليه ما تضره نفوسهم، أو تناجوه بينهم.

**وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بالآية، لأن قوله:** ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾، بمعنى: ليستخفوا من الله، وأن الهاء في قوله، ﴿مِنْهُ﴾، عائدة على اسم الله، ولم يجز لمحمدٍ ذكر قبل، فيجعل من ذكره ﷺ وهي في سياق الخبر عن الله. فإذا كان ذلك كذلك، كانت بأن تكون من ذكر الله أولى. وإذا صحّ أن ذلك كذلك، كان معلوماً أنهم لم يحدثوا أنفسهم أنهم يستخفون من الله، إلا بجهلهم به. فأخبرهم جل ثناؤه أنه لا يخفى عليه سرّ أمورهم وعلايتها على أي حال كانوا، تغشوا بالثياب، أو أظهروا بالبراز، فقال: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾، يعني: يتغشون ثيابهم، يتغطونها ويلبسون.

يقال منه: «استغشى ثوبه وتغشاه»، قال الله: ﴿وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ [نوح: ٧]،

وقالت الخنساء:

**أَرَعَى النُّجُومَ وَمَا كُفِّتُ رِعْيَتَهَا وَتَارَةً أَتَغَشَّى فُضْلَ أَطْمَارِي**

﴿يَعْلَمُ مَا تُرُوتُ﴾، يقول جل ثناؤه: يعلم ما يسر هؤلاء الجهلة برهم، الظانون أن الله يخفى عليه ما أضمرته صدورهم إذا حنوها على ما فيها، وثنوها، وما تناجوه بينهم فأخفوه ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾، سواء عنده سرائر عباده وعلايتهم ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، يقول تعالى ذكره: إن الله ذو علم بكل ما أخفته صدور خلقه، من إيمان وكفر، وحق وباطل، وخير وشر، وما تستجته مما لم تُجته بعد.

#### قال الطبري رحمه الله:

فاحذروا أن يطلع عليكم ربكم وأنتم مضمرون في صدوركم الشك في شيء من توحيده أو أمره أو نهيهِ، أو فيما ألزمكم الإيمان به والتصديق، فتهلكوا باعتقادكم ذلك.

#### وقال الشنقيطي رحمه الله (الأضواء):

يبين تعالى في هذه الآية الكريمة. أنه لا يخفى عليه شيء، وأن السر كالعلانية عنده، فهو عالم بما تنطوي عليه الضمائر وما يعلن وما يسرن والآيات المبينة لهذا كثيرة جداً كقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْثُوسًا بِهِ فَنَسُوهُ﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ [ق: ١٦] وقوله جل وعلا: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥] وقوله: ﴿فَلَنَقْصَنَّ عَنْهُمْ بَعْدَ مَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ ﴿٧﴾ [الأعراف: ٧]، وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [يونس: ٦١] الآية. وزلا تقلب ورقة من المصحف الكريم إلا وجدت فيها آية بهذا المعنى.



## قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ ۚ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۚ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ ۚ لَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ۚ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ ۚ



س: اذكر معنى ما يلي:

(دَابَّةٌ - مُسَنَّفَرًا - وَمُسْتَوْدَعًا - كِتَابٍ مُبِينٍ - لِيَبْلُوكُمْ - أُمَّةٌ مَّعْدُودَةٌ - مَا يَحْجِسُهُ - مَصْرُوفًا - وَحَاقَ بِهِمْ - رَحْمَةً - نَزَعْنَاهَا مِنْهُ - لَيْثُوسٌ - كَفُورٌ - نَعْمَاءٌ بَعْدَ ضَرَاءٍ - السَّيِّئَاتِ - فَخُورٌ - وَكَيْلٌ).

ج:

| الكلمة                 | معناها                                                                            |
|------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------|
| (دَابَّةٌ)             | كل ما يدب على الأرض.                                                              |
| (مُسَنَّفَرًا)         | المكان الذي تستقر فيه (قيل: الأرحام، وقيل: المييت ليلاً أو نهاراً، وقيل: القبر).  |
| (وَمُسْتَوْدَعًا)      | المكان الذي تصير إليه، قيل: القبر، وقيل: الموت، وقيل: الجنة والنار، وقيل غير ذلك. |
| (كِتَابٍ مُبِينٍ)      | كتاب موضح مظهر (اللوحة المحفوظ).                                                  |
| (لِيَبْلُوكُمْ)        | ليختبركم.                                                                         |
| (أُمَّةٌ مَّعْدُودَةٌ) | أجل مسمى، وزمن مُحدد، ووقت معلوم.                                                 |
| (مَا يَحْجِسُهُ)       | ما يؤخره - ما يمنعه (ما يمنع العذاب).                                             |
| (مَصْرُوفًا)           | منصرفاً - مدفوعاً.                                                                |
| (وَحَاقَ بِهِمْ)       | نزل بهم - حلَّ بهم.                                                               |
| (رَحْمَةً)             | نعمة من نعم الدنيا.                                                               |
| (نَزَعْنَاهَا مِنْهُ)  | سلبناها منه.                                                                      |
| (لَيْثُوسٌ)            | يأس شديد اليأس من رحمة الله.                                                      |

|                            |                                                                                   |
|----------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------|
| ﴿كُفُورٌ﴾                  | جحود لنعم الله السابقة                                                            |
| ﴿نَعْمَاءٌ بَعْدَ ضَرَاءٍ﴾ | نعمة من نعم الدنيا، غنى بعد فقر، عافية بعد سقم،<br>سراء بعد ضراء....              |
| (السَّيِّئَاتُ)            | السوء والمكروه، ما يسيء الشخص من فقر ومرض<br>وذل وهزيمة وغير ذلك، فتفتخر على غيره |
| (فَخُورٌ)                  | مفتخر على غيره.                                                                   |
| (وَكَيْلٌ)                 | حفيظ - شاهد                                                                       |



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرُّهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٦).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -:

وما هنالك من دابة في الأرض إلا ومن الله ﷻ رزقها فكل رزق يُساق إليها إنما هو من الله سبحانه، وهو ﷻ يعلم مستقرها الذي تستقر منه، ومستودعها الذي تصير إليه، كل ذلك في اللوح المحفوظ، ثم إن من العلماء من قال إن قوله: ﴿وَمَا مِنْ﴾ أي: من زائدة، والمعنى، وما دابة...

وقيل في المستقر والمستودع جملة أقوال:

أحدها: أن المستقر الرحم والمستودع الأرض.

الثاني: أن المستقر الذي تستقر فيه عند نومها ليلاً أو نهاراً والمستودع هو القبر.

الثالث: أن المستقر ما تكون فيه في دنياها والمستودع القبر، وقيل: المستقر القبر والمستودع الجنة والنار.

الرابع: أن المستقر الدنيا والمستودع الجنة أو النار.

قال الطبري رحمه الله:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾، وما تدب دابة في الأرض.

و«الدابة» «الفاعلة»، من دب فهو يدب، وهو داب، وهي دابة.

﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾، يقول: إلا ومن الله رزقها الذي يصل إليها، هو به متكفل، وذلك قوتها وغذاؤها وما به عيشها.

وقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرُّهَا﴾، حيث تستقر فيه، وذلك مأواها الذي تأوي إليه ليلاً أو نهاراً ﴿وَمُسْتَوْدَعُهَا﴾ الموضع الذي يودعها، إما بموتها، فيه، أو دفنها.

**وقال آخرون:** ﴿مُسْنَقِرَهَا﴾، في الرحم ، ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾، في الصلب.

**وقال آخرون: «المستقر» في الرحم ، و«المستودع»، حيث تموت.**

**وقال آخرون:** ﴿مُسْفَرَهَا﴾، أيام حياتها، ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾، حيث تموت فيه.

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه فيه، لأن الله جل ثناؤه أخبر أن ما رزقت الدواب من رزق فمنه، فأولى أن يتبع ذلك أن يعلم مثواها ومستقرها دون الخبر عن علمه بما تضمنته الأصلاب والأرحام.

**ويعني بقوله:** ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ﴾، مبين، عدد كل دابة، ومبلغ أرزاقها، وقدر قرارها في مستقرها، ومدة لبثها في مستودعها. كل ذلك في كتاب عند الله مثبت مكتوب، ﴿مُتَيْنٍ﴾، يبين لمن قرأه أن ذلك مثبت مكتوب قبل أن يخلقها ويوجدها. وهذا إخبارٌ من الله جل ثناؤه الذين كانوا يشنون صدورهم ليستخفوا منه، أنه قد علم الأشياء كلها، وأثبتها في كتاب عنده قبل أن يخلقها ويوجدها، يقول لهم تعالى ذكره: فمن كان قد علم ذلك منهم قبل أن يوجد هم، فكيف يخفى عليه ما تنطوي عليه نفوسهم إذا ثنوا به صدورهم، واستغشوا عليه ثيابهم؟

**وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

أخبر تعالى أنه متكفل بأرزاق المخلوقات، من سائر دواب الأرض، صغيرها وكبيرها، بحريها، وبريها، وأنه ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ أي: يعلم أين مُنتهى سيرها في الأرض، وأين تأوى إليه من وكرها، وهو مستودعها.

ثم قال:

وَأَنْ جَمِيعَ ذَلِكَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابٍ عِنْدَ اللَّهِ مُبِينٍ عَنْ جَمِيعِ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِمَّنْ دَاخِلَةٌ فِي الْأَرْضِ وَالطَّيْرِ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيُعَلِّمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ رَوَقَةٍ إِلَّا أَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتٍ الْأَرْضِ وَلَا

رَطَبٍ وَلَا يَاقُوسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال القرطبي رحمه الله:

**قوله تعالى:** ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ أي من الأرض حيث تأوي إليه. ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ أي الموضع الذي تموت فيه فتدفن؛ قاله مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال الربيع بن أنس: ﴿مُسْتَقَرَّهَا﴾ أيام حياتها. ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ حيث تموت وحيث تبعث. وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: ﴿مُسْتَقَرَّهَا﴾ في الرحم «ومستودعها» في الصلب. وقيل: ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ في الجنة أو النار. «ومستودعها» في القبر؛ يدل عليه قوله تعالى في وصف أهل الجنة وأهل النار: ﴿حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٧٦] ﴿سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦]. ﴿كُلُّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ أي في اللوح المحفوظ.

وقال السعدي رحمه الله:

أي: جميع ما دب على وجه الأرض، من آدمي، أو حيوان بري أو بحري، فالله تعالى قد تكفل بأرزاقهم وأقواتهم، فزرعها على الله. ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ أي: يعلم مستقر هذه الدواب، وهو: المكان الذي تقيم فيه وتستقر فيه، وتأوي إليه، ومستودعها: المكان الذي تنتقل إليه في ذهابها ومجيئها، وعوارض أحوالها. ﴿كُلُّ﴾ من تفاصيل أحوالها ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ أي: في اللوح المحفوظ المحتوي على جميع الحوادث الواقعة، والتي تقع في السماوات والأرض. الجميع قد أحاط بها علم الله، وجرى بها قلمه، ونفذت فيها مشيئته، ووسعها رزقه، فلتطمئن القلوب إلى كفاية من تكفل بأرزاقها، وأحاط علما بذواتها، وصفاتها.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: والله هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام، وكذا خلق ما فيهن في هذه الأيام الستة أيضًا، كما قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، وقوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ﴾ أي: قبل خلق السموات والأرض ﴿عَلَى الْمَاءِ﴾، وقد قال ذلك النبي ﷺ أيضًا - كما سيأتي في الأحاديث بذلك.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ولم يخلقهن عبثًا ولا باطلاً، وقد قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ إنما خلقها الله ﷻ لحكمة يعلمها الله.

ومنها: ابتلاء العباد أيهم أحسنُ عملًا.

وحسن العمل يتأتى بالاتباع للكتاب والسنة وبإخلاص النية لله ﷻ، ولئن قلت يا رسول الله لأهل الشرك هؤلاء: إنكم مبعوثون من بعد الموت، وذلك يوم القيامة، للحساب والثواب والعقاب، ليقولن الذين كفروا ما هذا إلا سحرٌ مظهرٌ لمن تأمله أنه سحرٌ، وقيل: المعنى ما هذا إلا سحر واضحٌ وظاهرٌ.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: الله الذي إليه مرجعكم أيها الناس جميعًا، ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، يقول: أفيعجز من خلق ذلك من غير شيء أن يعيدكم أحياء بعد أن يميتكم؟

وقيل: إن الله تعالى ذكره خلق السموات والأرض وما فيهن في الأيام

الستة، فاجتزئ في هذا الموضع بذكر خلق السموات والأرض، من ذكر خلق ما فيهن.

**وقوله:** ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، يقول: وكان عرشه على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض وما فيهن.

وأورد حديث عمران بن حصين رضي الله عنه في هذا الصدد وسيأتي إن شاء الله.

**ثم قال الطبري:**

**وقوله:** ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، يقول تعالى ذكره: وهو الذي خلق السموات والأرض أيها الناس، وخلقكم في ستة أيام، ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾، يقول: ليختبركم، ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، يقول: أيكم أحسن له طاعة.

**وقوله:** ﴿وَلَيْتَ قُلْتِ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولئن قلت لهؤلاء المشركين من قومك: إنكم مبعوثون أحياء من بعد مماتكم! فتلوت عليهم بذلك تنزيلي ووحىي ﴿لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾، أي: ما هذا الذي تتلوه علينا مما تقول، إلا سحر لسامعه، مبينٌ لسامعه عن حقيقته أنه سحر.

وهذا على تأويل من قرأ ذلك: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (٧).

**وقال ابن كثير رحمه الله:**

يخبر تعالى عن قدرته على كل شيء، وأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام، وأن عرشه كان على الماء قبل ذلك، كما قال الإمام أحمد:

حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن جامع بن شداد، عن صفوان بن مُحَرَّر، عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقبلوا البشرى يا بني تميم». قالوا: قد بشرتنا فأعطنا. قال: «اقبلوا البشرى يا أهل اليمن». قالوا: قد قبلنا، فأخبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان؟ قال: «كان الله قبل كل شيء، وكان

عرشه على الماء، وكتب في اللوح المحفوظ ذكر كل شيء<sup>(١)</sup>. قال: فأتاني آت فقال: يا عمران، انحلت ناقتك من عقالها. قال: فخرجت في إثرها، فلا أدري ما كان بعدي.

وهذا الحديث مخرج في صحيح البخاري ومسلم بألفاظ كثيرة؛ فمنها: قالوا: جئناك نسألك عن أول هذا الأمر فقال: «كان الله ولم يكن شيء قبله» - وفي رواية: «غيره»<sup>(٢)</sup> - وفي رواية: «معه»<sup>(٣)</sup> - وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، ثم خلق السموات والأرض.

وفي صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قَدَّرَ مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء».

**وقال البخاري في تفسير هذه الآية<sup>(٤)</sup>:** حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله ﷻ: أنفق أنفق عليك». وقال: «يد الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار» وقال: «أفرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يَغْضُ ما في يده، وكان عرشه على الماء، وبيده الميزان يخفض ويرفع».

**وقوله تعالى:** ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيَكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: خلق السموات والأرض لنفع عباده الذين خلقهم ليعبدوه وحده لا شريك له، ولم يخلق ذلك عبثاً، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكُمْ الَّذِي كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٤٣١)، والبخاري بنحوه (٣١٩٠)، والبخاري (٧٤١٨).

(٢) البخاري (٣١٩١).

(٣) لم أقف عليها في البخاري.

(٤) البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣).



مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴿[ص: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١١٥﴾ فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴿[المؤمنون: ١١٥، ١١٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿[الذاريات: ٥٦].

**وقوله:** ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾ أي: ليختبركم ﴿أَيْتُكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ولم يقل: أكثر عملاً بل ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ولا يكون العمل حسناً حتى يكون خالصاً لله ﷻ، على شريعة رسول الله ﷺ. فمتى فقد العمل واحداً من هذين الشرطين بطل وحبط.

**وقوله:** ﴿وَلَيْنَ قُلْتِ إِنَّكُمْ مَّبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٧﴾ يقول تعالى: ولئن أخبرت يا محمد هؤلاء المشركين أن الله سيبعثهم بعد مماتهم كما بدأهم، مع أنهم يعلمون أن الله تعالى هو الذي خلق السموات والأرض، كما قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ ﴿[الزخرف: ٨٧]، ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ ﴿[العنكبوت: ٦١]، وهم مع هذا ينكرون البعث والمعاد يوم القيامة، الذي هو بالنسبة إلى القدرة أهون من البداءة، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ ﴿[الروم: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَفَافٍ وَاحِدَةٍ﴾ ﴿[لقمان: ٢٨] وقولهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٧﴾ أي: يقولون كفرا وعناداً ما نصدقك على وقوع البعث، وما يذكر ذلك إلا من سحرته، فهو يتبعك على ما تقول.



## بعض معاني كلمة الأمة

س: اذكر بعض المعاني التي تطلق عليها كلمة الأمة.

ج: من هذه المعاني ما يلي:

الجماعة من الناس: ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُوتُ﴾ [القصص: ٢٣]. وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ [يونس: ٤٧].

البرهة من الزمن (المدة الزمنية): ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥]. وقوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ آخَرًا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ أي: إلى أجل محددٍ مُسمى.

الإمام المقتدى به: ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠]. الدين والملة: ومنه قولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

وأيضاً على قول لبعض المفسرين، قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢].

قيل في تفسيرها: إن هذه ملتكم ملةً واحدة.

هذا، وقد تطلق الأمة على جماعة الناس الذين أرسل إليهم رسولٌ مؤمنهم وكافرهم فيطلق عليها حينئذٍ أمة الدعوة كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، كما قال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»<sup>(١)</sup>.

أما المستجيبون للرسول فيقال عنهم أمة الإجابة كما في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

(١) مسلم (٢٤٠) (١٥٣).

والمراد الذين اتبعوا رسول الله ﷺ مؤمنين.  
هذا، وللأمة معانٍ آخر أشار إليها القرطبي رَحِمَهُ اللهُ وغيره من أهل العلم  
فراجعها إن شئت.  
جُلُّها يرجع إلى ما قد تقدم والله أعلم.



## استعجال الكفار نزول العذاب عليهم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَخْرَنَاهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۚ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٨) .

ج: المعنى - والله أعلم - : ولئن أخرنا عن هؤلاء المشركين المكذبين المعاندين العذاب إلى وقت محددٍ حددناه وأجل مسمى سميناه ليقولن على سبيل التكذيب والاستنكار والاستهزاء ﴿مَا يَحْبِسُهُ ۚ﴾، ما الذي يؤخر هذا العذاب انت به إن كنت من الصادقين، فقال تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ أي: العذاب، ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ لئن يستطيع أحد أن يصرفه عنهم ولا أن يحوله عنهم ولا أن يمنعهم من حلوله بهم، كما قال تعالى: ﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۝٢﴾ [المعارج: ١-٢]، أما قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ نزل بهم وحلَّ بهم ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ جزاء استهزائهم وتكذيبهم.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: ولئن أخرنا عن هؤلاء المشركين من قومك، يا محمد، العذاب فلم نعجله لهم، وأنسأنا في آجالهم ﴿إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾، ووقت محدود وسنين معلومة.

وأصل «الأمة» ما قد بينا فيما مضى من كتابنا هذا، أنها الجماعة من الناس تجتمع على مذهب ودين، ثم تستعمل في معان كثيرة ترجع إلى معنى الأصل الذي ذكرت. وإنما قيل للسنين «المعدودة» والحين، في هذا الموضع ونحوه: أمة، لأن فيها تكون الأمة.

وإنما معنى الكلام: ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى مجيء أمة وانقراض أخرى قبلها.

**وقوله:** ﴿لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾، يقول: ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ هؤلاء المشركون ﴿مَا يَحْبِسُهُ﴾؟ أي شيء يمنعه من تعجيل العذاب الذي يتوعدنا به؟ تكذيباً منهم به، وظناً منهم أن ذلك إنما آخر عنهم لكذب المتوعد.

وقوله: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾، يقول تعالى ذكره تحقيقاً لوعيده وتصحيحاً لخبره: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ العذاب الذي يكذبون به ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾، يقول: ليس يصرفه عنهم صارف، ولا يدفعه عنهم دافع، ولكنه يحل بهم فيهلكهم ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٨)، يقول: ونزل بهم وأصابهم الذي كانوا به يسخرون من عذاب الله. وكان استهزاؤهم به الذي ذكره الله، قيلهم قبل نزوله ﴿ما يحبسه﴾، و«هلا تأتينا»؟

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:**

**وقوله:** ﴿وَلَيْنَ أَخْرَنَاهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾ يقول تعالى: ولئن أخرنا العذاب والمؤاخذه عن هؤلاء المشركين إلى أجل محدود وأمد محصور، وأوعدناهم به إلى مدة مضروبة، ليقولن تكذيباً واستعجالاً ﴿مَا يَحْبِسُهُ﴾ أي: يؤخر هذا العذاب عنا، فإن سجاياهم قد ألفت التكذيب والشك، فلم يبق لهم محيص عنه ولا محيد.

**وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:**

﴿وَلَيْنَ أَخْرَنَاهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ أي: إلى وقت مقدر فتباطأوه، لقالوا من جهلهم وظلمهم ﴿مَا يَحْبِسُهُ﴾ ومضمون هذا تكذيبهم به، فإنهم يستدلون بعدم وقوعه بهم عاجلاً على كذب الرسول المخبر بوقوع العذاب، فما أبعد هذا الاستدلال!!

﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ العذاب ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ فيتمكنون من النظر في أمرهم.

﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ أي: نزل ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿٨﴾ من العذاب، حيث  
تهانوا به، حتى جزموا بكذب من جاء به.



## أحوال الإنسان أمام الابتلاءات

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذْقَنَ الْإِنْسَانَ مِمَّا رَحِمَهُ ثُمَّ نَزَعْنَهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَتُوسُّ كَفُورٌ ۝٩ وَلَيْنَ أَذْقَنَهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرْبٍ مَسْتَه لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١١﴾.

ج: هذا - والله تعالى أعلم -:

بيان لحال الإنسان - إلا من رحم الله - وما هو عليه يقول تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذْقَنَ الْإِنْسَانَ مِمَّا رَحِمَهُ﴾ سعة في المال والرزق والأهل والولد والصحة والعافية والأمن والأمان والنصر والظفر وغير ذلك من النعم التي ينعم الله بها على عباده في الدنيا، ثم سلبناها منه فمرض أو خسر أو مات له ميت أو دارت عليه دائرة، أو قل رزقه لأي سبب كان ﴿إِنَّهُ لَيَتُوسُّ كَفُورٌ﴾ إذا به يائس من رحمة الله يظن أن لا انكشاف لها ولا زوال، وأنها محيطة به وملازمة له لن تزول، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ خَاسِرٌ ۝١٨﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝١٩ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢٠﴾ [المعارج: ١٩-٢٢].

ثم إن هذا الإنسان الذي سلبت منه النعم، يجحد ما سبق من نعم الله عليه ولا يذكرها، فهذا قوله: ﴿كَفُورٌ﴾ أي: جحود للنعم السابقة، ولا يذكر أن الذي أنعم عليه هو الله، وأن الذي سلب منه تلك النعم هو الله.

وهذا الإنسان من حاله أيضًا ما بينه الله إذ قال: ﴿وَلَيْنَ أَذْقَنَهُ نِعْمَاءَ﴾ سعة في الرزق وعافية في النفس والمال والأهل والولد، والجاه والسلطان وغير ذلك من النعم بعد الضر الذي أصابه ﴿ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾ أي: انصرف السوء والمكروه عني ولن يعود إلى سوء ولا مكروه أبدًا، فيفرح ويسعد ويطغى على العباد ويفخر عليهم، هذا حال الإنسان في غالب الأحوال وحال أكثر الناس إلا من رحم الله.

لكن الذين صبروا على قضاء الله وقدره، إن كان خيراً حمدوا الله وشركوه، وإن كان شراً صبروا على قضاء الله وبلائه، واتبعوا كل ذلك بصالح الأعمال الموافقة لكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، هؤلاء لهم مغفرةٌ لذنوبهم بسبب صبرهم وإيمانهم، ولهم أجرٌ كبيرٌ مُدخر لهم عند الله ﷻ، وهذه الآيات كقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣. والله أعلم.

**وينحو ما ذكر قال أهل العلم.**

**قال الطبري رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره:** ولئن أذقنا الإنسان منا رخاء وسعةً في الرزق والعيش، فبسطنا عليه من الدنيا وهي «الرحمة» التي ذكرها تعالى ذكره في هذا الموضع ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ﴾، يقول: ثم سلبناه ذلك، فأصابته مصائب أجاحتها فذهبت به ﴿إِنَّهُ لَيَبْغُؤُكَ كُفُورٌ﴾، يقول: يظل قنطاً من رحمة الله، آيساً من الخير. **وقوله:** «يئوس»، «فعول»، من قول القائل: «يئس فلان من كذا، فهو يئوس»، إذا كان ذلك صفة له.

**وقوله:** ﴿كُفُورٌ﴾، يقول: هو كفور لمن أنعم عليه، قليل الشكر لربه المتفضل عليه، بما كان وهب له من نعمته.

**وقال رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره:** ولئن نحن بسطنا للإنسان في دنياه، ورزقناه رخاءاً في عيشه، ووسعنا عليه في رزقه، وذلك هي النعم التي قال الله جل ثناؤه: ﴿وَلَكِنْ أَذَقْنَاهُ نِعَمَاءً﴾ وقوله: ﴿بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ﴾، يقول: بعد ضيق من العيش كان فيه، وعسرة كان يعالجها ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾، يقول تعالى ذكره: ليقولن عند ذلك: ذهب الضيق والعسرة عني، وزالت الشدائد والمكاره ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ



فَخُورٌ ﴿١٠﴾، يقول تعالى ذكره: إن الإنسان لفرح بالنعمة التي يعطاها مسرور بها ﴿فَخُورٌ﴾، يقول: ذو فخر بما نال من السعة في الدنيا، وما بسط له فيها من العيش، وينسى صُروفها، ونكد العَوَاصِص فيها، ويدع طلب النعيم الذي يبقى، والسرور الذي يدوم فلا يزول.

### وقال رحمه الله:

ثم استثنى جل ثناؤه من الإنسان الذي وصفه بهاتين الصفتين: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. وإنما جاز استثنائهم منه لأن «الإنسان» بمعنى الجنس ومعنى الجمع. وهو كقوله: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِيرٌ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾، [العصر: ١-٣].

**فقال تعالى ذكره:** ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فإنهم إن تأتهم شدة من الدنيا وعسرة فيها، لم يثنهم ذلك عن طاعة الله، ولكنهم صبروا لأمره وقضائه. فإن نالوا فيها رخاء وسعة، شكروه وأدّوا حقوقه بما آتاهم منها. يقول الله: ﴿وَلِيكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ يغفرها لهم، ولا يفضحهم بها في معادهم، ﴿وَأَجْرٌ كَثِيرٌ﴾، يقول: ولهم من الله مع مغفرة ذنوبهم، ثوابٌ على أعمالهم الصالحة التي عملوها في دار الدنيا، جزيل، وجزاء عظيم.

### وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالى عن الإنسان وما فيه من الصفات الذميمة، إلا من رحم الله من عباده المؤمنين، فإنه إذا أصابته شدة بعد نعمة، حصل له يأس وقنوط من الخير بالنسبة إلى المستقبل، وكفر وجحود لماضي الحال، كأنه لم ير خيرا، ولم يرج بعد ذلك فرجا. وهكذا إن أصابته نعمة بعد نقمة ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾ أي: يقول: ما بقي ينالني بعد هذا ضيم ولا سوء، ﴿إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ﴾ ﴿١٠﴾ أي: فرح بما في يده، بطر فخور على غيره. قال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ

صَبْرُوا ﴿١﴾ أي: في الشدائد والمكاره، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ﴿٢﴾ أي: في الرخاء والعافية، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ ﴿٣﴾ أي: بما يصيبهم من الضراء، ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿٤﴾ بما أسلفوه في زمن الرخاء، كما جاء في الحديث: «والذي نفسي بيده، لا يصيب المؤمن همٌّ ولا غمٌّ، ولا نصَبٌ ولا وَصَبٌ، ولا حَزَنٌ حتى الشوكة يشاكها، إلا كفرَ اللهُ عنه بها من خطاياها»، وفي الصحيحين: «والذي نفسي بيده، لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له، إن أصابته سراء فشكر كان خيرا له، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرا له، وليس ذلك لأحد غير المؤمن» وهكذا قال الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خُسْرٌ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [سورة العصر]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلُقٌ هَلُوعٌ ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [المعارج: ١٩-٢٢].

### وقال السعدي رحمه الله:

يخبر تعالى عن طبيعة الإنسان، أنه جاهل ظالم بأن الله إذا أذاقه منه رحمة كالصحة والرزق، والأولاد، ونحو ذلك، ثم نزعها منه، فإنه يستسلم لليأس، وينقاد للقنوط، فلا يرجو ثواب الله، ولا يخطر بباله أن الله سيردها أو مثلها، أو خيرا منها عليه.

وأنه إذا أذاقه رحمة من بعد ضراء مسته، أنه يفرح ويبطر، ويظن أنه سيدوم له ذلك الخير، ويقول: ﴿ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ ﴿١٠﴾ أي: فرح بما أوتي مما يوافق هوى نفسه، فخور بنعم الله على عباد الله، وذلك يحمله على الأشر والبطر والإعجاب بالنفس، والتكبر على الخلق، واحتقارهم وازدراءهم، وأي عيب أشد من هذا؟!!

وهذه طبيعة الإنسان من حيث هو، إلا من وفقه الله وأخرجه من هذا الخلق الذميم إلى ضده، وهم الذين صبروا أنفسهم عند الضراء فلم ييأسوا،

وعند السراء فلم يبطروا، وعملوا الصالحات من واجبات ومستحبات.  
﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم، يزول بها عنهم كل محذور. ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾  
﴿١١﴾ وهو: الفوز بجنات النعيم، التي فيها ما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين.



س: ما هذا البعض الذي أشير إليه بقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ﴾  
﴿إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾؟

ج: ذكر بعض العلماء أنه سب آلهة المشركين وبيان بطلان عبادتها، وذكر  
آخرون إنه كل ما يضايق المشركين ذكره، والله أعلم.



## تصبير النبي ﷺ وتنبيته

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتْرٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ ١٣ .

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - : فلعلك يا رسول الله تفكر في ترك تبليغ المشركين بعض ما يوحى إليك ربك ولعل صدرك أن يتضايق بذلك لما تلاقيه منهم من تكذيب وعناد وسخرية واستهزاء وما تجده من قولهم لولان أنزل عليه كثر أو جاء معه ملك يؤيده ويخبر أنه رسول من عند الله. فلا ينبغي لك يا رسول الله ولا يليق بك أن تترك شيئاً مما أوحينا إليك من أجل قولهم، وما عليك أن يؤمنوا أو يكفروا إنما أنت نذير تنذرهم وتخوفهم، والله ﷻ على كل شيء حفيظ، وشهيد هو الحفيظ لأعمالهم، والشهيد على أقوالهم، وإليه المرجع في هدايتهم وتوفيقهم، والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فلعلك يا محمد، تارك بعض ما يوحى إليك ربك أن تبلغه من أمرك بتبليغه ذلك، وضائق بما يوحى إليك صدرك فلا تبلغه إياهم، مخافة ﴿ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتْرٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ﴾ ، له مصدق بأنه لله رسول ! يقول تعالى ذكره: فبلغهم ما أوحيته إليك، فإنك إنما أنت نذير تنذرهم عقابي، وتحذرهم بأسى على كفرهم بي، وإنما الآيات التي يسألونها عندي وفي سلطاني، أنزلها إذا شئت، وليس عليك، إلا البلاغ والإنذار ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ ، يقول: والله القيم بكل شيء ويده تدبيره، فانفذ لما أمرتك به، ولا تمنعك مسألتهم إياك الآيات، من تبليغهم وحيي والنفوذ لأمرى.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى مسلماً لرسوله الله ﷺ، عما كان يتعنت به المشركون، فيما كانوا يقولونه عن الرسول - كما أخبر تعالى عنهم -: ﴿وَقَالُوا مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ۝٧﴾ أو يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ۝٨﴾ [الفرقان: ٧، ٨]. فأمر الله تعالى رسوله، صلوات الله تعالى وسلامه عليه، وأرشده إلى ألا يضيق بذلك منهم صدره، ولا يهيدنه ذلك ولا يُشِينه عن دعائهم إلى الله ﷻ آناء الليل وأطراف النهار، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَّمْنَاكَ بِضِيقِ صَدْرِكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝١٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ۝١٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ۝ [الحجر: ٩٧-٩٩]، وقال هاهنا: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُ بَعْضِ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا ۝١٩﴾ أي: لقولهم ذلك، فإنما أنت نذير، ولك أسوة بإخوانك من الرسل قبلك، فإنهم كذبوا وأوذوا فصبروا حتى أتاهم نصر الله ﷻ.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُ بَعْضِ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ أي فلعلك لعظيم ما تراه منهم من الكفر والتكذيب تتوهم أنهم يزيلونك عن بعض ما أنت عليه. وقيل: إنهم لما قالوا: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ هم أن يدع سب آلهتهم فنزلت هذه الآية؛ فالكلام معناه الاستفهام؛ أي هل أنت تارك ما فيه سب آلهتهم كما سألوك؟ وتأكد عليه الأمر في الإِبلاغ؛ كقوله: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۝ [المائدة: ٦٧]﴾. وقيل: معنى الكلام النفسي مع استبعاد؛ أي لا يكون منك ذلك، بل تبلغهم كل ما أنزل إليك؛ وذلك أن مشركي مكة قالوا للنبي ﷺ لو أتيتنا بكتاب ليس فيه سب آلهتنا لاتبعناك، فهم النبي ﷺ أن يدع سب آلهتهم؛ فنزلت.

قوله تعالى: ﴿وَصَاحِقٌ بِهٖ صَدْرُكَ﴾ عطف على «تارك» و«صدرك» مرفوع به، والهاء في «به» تعود على «ما» أو على بعض، أو على التبليغ، أو التكذيب. وقال: «صائق» ولم يقل ضيق ليشاكل «تارك» الذي قبله؛ ولأن الصائق عارض، والضيق ألزم منه. ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ في موضع نصب؛ أي كراهية أن يقولوا، أو لئلا يقولوا كقوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦] أي: لئلا تضلوا. أو لأن يقولوا. ﴿لَوْلَا﴾ أي هلا ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ كُتْرًا أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ يصدقه؛ قاله عبدالله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي؛ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ فقال الله تعالى: يا محمد إنما عليك أن تنذرهم، لا بأن تأتيهم بما يقترحونه من الآيات. ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٣) أي حافظ وشهيد.

#### وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ (تيسير الكريم الرحمن):

يقول تعالى - مسلماً لنبهه محمد ﷺ، عن تكذيب المكذبين -: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَصَاحِقٌ بِهٖ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كُتْرًا﴾ أي: لا ينبغي هذا لمثلك، أن قولهم يؤثر فيك، ويصدقك عما أنت عليه، فتترك بعض ما يوحى إليك، ويضيق صدرك لتعنتهم بقولهم: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كُتْرًا أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ فإن هذا القول ناشئ من تعنت، وظلم، وعناد، وضلال، وجهل بمواقع الحجج والأدلة، فامض على أمرك، ولا تصدك هذه الأقوال الركيكة التي لا تصدر إلا من سفيه ولا يضيق لذلك صدرك.

فهل أوردوا عليك حجة لا تستطيع حلها؟ أم قدحوا ببعض ما جئت به قدحاً، يؤثر فيه وينقص قدره، فيضيق صدرك لذلك؟! أم عليك حسابهم، ومطالب بهدايتهم جبراً؟ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ فهو الوكيل عليهم، يحفظ أعمالهم، ويجازيهم بها أتم الجزاء.



### قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَبِينَةٍ مِنَ رَبِّهِ وَبِتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ الْأَحْزَابِ فَأَلْهَارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ

الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ  
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ \* مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ  
كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْرَىٰ وَالْبَصِيرَ وَالسَّمِيعَ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ \*

[هود: ١٣-٢٤].



س: اذكر معنى ما يلي:

(أَفْتَرَاهُ - مُفْتَرِيَتٍ - مِّنْ دُونِ اللَّهِ - نُوفٍ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ - لَا يَبْخُسُونَ - وَحِيطٌ - وَبَطِلٌ -  
يَبْنِي - شَاهِدٌ مِّنْهُ - إِمَامًا وَرَحْمَةً - يَكْفُرُ بِهِ - الْأَخْرَابُ - مَرْيَمُ - الْأَشْهَادُ - لَعْنَةُ اللَّهِ -  
يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ - وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا - مُّعْجِزَاتٍ فِي الْأَرْضِ - أَوْلِيَاءَ - وَضَلَّ عَنْهُمْ -  
يَفْتَرُونَ - لَا جَرَمَ - وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ - وَالْأَصْوِرَ ۖ).

ج:

| الكلمة                             | معناها                                                                                                                 |
|------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| (أَفْتَرَاهُ)                      | قاله من عند نفسه ونسبه إلى الله (نسبه إلى الله كذبًا وزورًا).                                                          |
| (مُفْتَرِيَتٍ ۖ)                   | مختلقات من عند أنفسكم.                                                                                                 |
| (مِّنْ دُونِ اللَّهِ ۖ)            | مع الله - سوى الله ﷻ.                                                                                                  |
| (نُوفٍ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ ۖ) | نعطيهم جزاء أعمالهم كاملاً مستوفى.                                                                                     |
| (لَا يَبْخُسُونَ ۖ)                | لا ينقصون شيئاً من أجور أعمالهم.                                                                                       |
| (وَحِيطٌ ۖ)                        | ذهب ثوابها.                                                                                                            |
| (وَبَطِلٌ ۖ)                       | ضائع مضمحل.                                                                                                            |
| (يَبْنِي ۖ)                        | بصيرة - علم - قرآن - فطرة صحيحة.                                                                                       |
| (شَاهِدٌ مِّنْهُ ۖ)                | من يشهد له من نفسه، قيل: هو لسان النبي ﷺ، وقيل: رجل من أهل بيته وهو عليّ، وقيل: هو النبي ﷺ على نفسه، وقيل: هو جبريل ﷺ. |

|                                    |                                                                                                                                          |
|------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| (إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴿             | إِمَامًا يُؤْتَم بِهِ، وَرَحْمَةً سَبَبٌ فِي رَحْمَةِ الْعِبَادِ الْمُتَّبِعِينَ لِمَا فِيهِ.                                            |
| (يَكْفُرُ بِهِ، ﴿                  | يَجْحَدُهُ وَيُنْكِرُهُ.                                                                                                                 |
| (الْأَحْزَابِ ﴿                    | الْمُتَحْزِبُونَ عَلَى الْكُفْرِ (مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ أَوْ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ تَحْزُبُ عَلَى الْكُفْرِ).    |
| (مُرِيَفٍ ﴿                        | شَكٍّ.                                                                                                                                   |
| (الْأَشْهَدُ ﴿                     | الشُّهُودُ (مَلَائِكَةٌ وَأَنْبِيَاءٌ وَمُؤْمِنُونَ وَمِنْهُمْ أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ ﷺ).                                                     |
| (لَعْنَةُ اللَّهِ ﴿                | سَخَطُ اللَّهِ وَطَرْدُهُ وَإِبْعَادُهُ عَنِ الْخَيْرِ.                                                                                  |
| (يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿ | يَمْنَعُونَ النَّاسَ مِنْ دُخُولِ الْإِسْلَامِ وَسُلُوكِ طَرِيقِ الْإِيمَانِ.                                                            |
| (وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴿          | يُرِيدُونَ الطَّرِيقَ طَرَفًا مَعْوَجَةً لَا تُوَصِّلُ إِلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ ﷻ بَلْ تُوَصِّلُ إِلَى الْجَحِيمِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ. |
| (مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ﴿       | فَائِتِينَ هَارِبِينَ مِنَ اللَّهِ فَيَعْجِزُ عَنْ إِدْرَاكِكُمْ كَلَّا فَلَنْ يَعْجِزَ عَنْ إِدْرَاكِكُمْ.                              |
| (أَوْلِيَاءَ ﴿                     | أَنْصَارَ.                                                                                                                               |
| (وَضَلَّ عَنْهُمْ )                | غَابَ عَنْهُمْ، وَذَهَبَ عَنْهُمْ.                                                                                                       |
| (يَفْتَرُونَ )                     | يَدْعُونَ أَنَّهَا شَرِيكَةٌ لِلَّهِ ﷻ.                                                                                                  |
| (لَا جَرَمَ )                      | حَقًّا - لَا بَدَ.                                                                                                                       |
| (وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ )   | رَجَعُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ وَأَنَابُوا إِلَيْهِ وَخَشَعُوا وَخَضَعُوا.                                                                    |
| (وَالْأَصَمِّ )                    | الَّذِي لَا يَسْمَعُ.                                                                                                                    |

## عجز الكفار عن الإتيان بمثل هذا القرآن

س: وضح معنى ما يلي: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ فَإِلَّا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ .

ج: المعنى - والله أعلم -: أيقولون افتري رسول الله ﷺ هذا القرآن من عند نفسه؟؟ وهذا سؤال توبيخ لهؤلاء القائلين بأنه صلوات الله وسلامه عليه، افتري هذا القرآن من عند نفسه ولم ينزله عليه ربّه ﷻ فقل يا رسول الله إن كنت قد افتريته فأنتم عربٌ ولسانكم عربيٌّ مثلث ومثل لساني فأتوا بعشر سور مفتریات من عند أنفسكم إن اتوا بها تشابه هذا القرآن كما تظنون أني صنعت ذلك، وإن لم تستطيعوا الإتيان بعشر سور مثله فادعوا أيضًا من استطعتم كي يساعدونكم على الإتيان بعشر سور مثله، ادعوا آلہتكم، ادعوا أصنامكم وأوثانكم لمساعدتكم للإتيان بعشر سور مثله، ولن تستطيعوا، ولن يستطيعوا هم الآخرون فعل ذلك، ادعوا من عبدتموهم مع الله، وادعوا من جعلتموهم لله شركاء كي يأتوا بعشر سور مثله إن كنتم صادقين في قولكم أنني افتريت هذا القرآن، فإن لم يستجيبوا لكم يا أهل الإسلام، إن لم يستجيبوا لك يا رسول الله ويأتي بعشر سور مثله فاثبتوا على ما أنتم عليه فإن الذي أنزله هو الله، وأنزل بعلم الله واعلموا أنه لا إله إلا الله فهل أنتم مستسلمون خاضعون طائعون منقادون؟

وهل أنتم يا أهل الشرك تاركوا دينكم وداخلون في دين الإسلام.

وينحو هذا ال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: كفاك حجةً على حقيقة ما أتيتهم به،

ودلالةً على صحة نبوتك، هذا القرآن، من سائر الآيات غيره، إذ كانت الآيات إنما تكون لمن أعطيها دلالة على صدقه، لعجز جميع الخلق عن أن يأتوا بمثلها. وهذا القرآن، جميع الخلق عَجَزَةٌ عن أن يأتوا بمثله، فان هم قالوا: «افتريته»، أي: اختلقته وتكذَّبته.

ودلّ على أن معنى الكلام ما ذكرنا، قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾ إلى آخر الآية. ويعني تعالى ذكره بقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾، أي: أيقولون افتراه؟ وقد دللنا على سبب إدخال العرب «أم» في مثل هذا الموضع.

فقل لهم: يأتوا بعشر سور مثل هذا القرآن ﴿مُفْتَرِيَاتٍ﴾، يعني مفتعلات مختلقات، إن كان ما أتيتكم به من هذا القرآن مفترىً، وليس بآية معجزة كسائر ما سُئِلْتَهُ من الآيات، كالكنز الذي قلت: هَلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ؟ أو الملك الذي قلت: هَلَا جَاءَ مَعَهُ نَذِيرًا لَهُ مُصَدِّقًا! فإنكم قومي، وأنتم من أهل لساني، وأنا رجل منكم، ومحال أن أقدر أخلق وحدي مائة سورة وأربع عشرة سورة، ولا تقدروا بأجمعكم أن تفتروا وتختلقوا عشر سور مثلها، ولا سيما إذا استعنتم في ذلك بمن شئتم من الخلق.

**يقول جل ثناؤه: قل لهم:** وادعوا من استطعتم أن تدعوهم من دون الله، يعني سوى الله، لا فترا ذلك واختلاقه من الآلهة، فإن أنتم لم تقدروا على أن تفتروا عشر سور مثله، فقد تبين لكم أنكم كذبة في قولكم: ﴿افْتَرَيْنَاهُ﴾، وصحّت عندكم حقيقة ما أتيتكم به أنه من عند الله. ولم يكن لكم أن تتخيروا الآيات على ربكم، وقد جاءكم من الحجة على حقيقة ما تكذبون به أنه من عند الله، مثل الذي تسألون من الحجة وترغبون أنكم تصدّقون بمجيئها.

**وقوله:** ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٣)، لقوله: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾، وإنما هو: قل: فأتوا بعشر سور مثله مفتریات، إن كنتم صادقين أن هذا القرآن افتراه

محمد ، وادعوا من استطعتم من دون الله على ذلك، من الآلهة والأنداد.  
**يقول تعالى ذكره لنبيه:** قل يا محمد لهؤلاء المشركين: فإن لم يستجب لكم من تدعون من دون الله إلى أن يأتوا بعشر سور مثل هذا القرآن مفتريات، ولم تطيقوا أنتم وهم أن تأتوا بذلك، فاعلموا وأيقنوا أنه إنما أنزل من السماء على محمد ﷺ بعلم الله وإذنه، وأن محمداً لم يفتره، ولا يقدر أن يفتره ﴿وَأَن لَّآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، يقول: وأيقنوا أيضاً أن لا معبود يستحق الألوهة على الخلق إلا الله الذي له الخلق والأمر، فاخلعوا الأنداد والآلهة، وأفردوا له العبادة.

وقد قيل: إن قوله: ﴿فَإِلَّا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ خطاب من الله لنبيه، كأنه قال: فإن لم يستجب لك هؤلاء الكفار، يا محمد، ﴿فَاعْلَمُوا﴾، أيها المشركون، ﴿أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾، وذلك تأويل بعيد من المفهوم.

**وقوله:** ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾، يقول: فهل أنتم مذعنون لله بالطاعة، ومخلصون له العبادة، بعد ثبوت الحجة عليكم؟

**وقيل:** ﴿فَإِلَّا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾، والخطاب في أول الكلام قد جرى لواحد، وذلك قوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا﴾، ولم يقل: «فإن لم يستجيبوا لك» على نحو ما قد بينا قبل في خطاب رئيس القوم وصاحب أمرهم، أن العرب تخرج خطابه أحيانا مخرج خطاب الجمع، إذا كان خطابه خطاباً لأتباعه وجنده، وأحيانا مخرج خطاب الواحد، إذا كان في نفسه واحداً.

**وقال ابن كثير رحمه الله:**

ثم بين تعالى إعجاز القرآن، وأنه لا يستطيع البشر الإتيان بمثله، ولا بعشر سور من مثله، ولا بسورة من مثله؛ لأن كلام الرب لا يشبهه كلام المخلوقين، كما أن صفاته لا تشبه صفات المحدثات، وذاته لا يشبهها شيء، تعالى وتقدس وتنزه، لا إله إلا هو ولا رب سواه.

ثم قال تعالى: ﴿فَإِلَّا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أي: فإن لم يأتوا بمعارضة ما دعوتهم إليه، فاعلموا أنهم عاجزون عن ذلك، وأن هذا الكلام منزل من عند الله، متضمن علمه وأمره ونهيه، ﴿وَأَن لَّآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ .

### وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَإِلَّا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ «فإن لم يستجيبوا لكم» أي في المعارضة ولم تتهيا لهم فقد قامت عليهم الحجة؛ إذ هم اللسن البلغاء، وأصحاب الألسن الفصحاء. ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ واعلموا صدق محمد ﷺ، «و» اعلموا ﴿وَأَن لَّآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ استفهام معناه الأمر. وقد تقدم القول في معنى هذه الآية، وأن القرآن معجز في مقدمة الكتاب. والحمد لله. وقال: ﴿قُلْ فَأْتُوا﴾ وبعده. ﴿فَإِلَّا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ ولم يقل لك؛ فقليل: هو على تحويل المخاطبة من الأفراد، إلى الجمع تعظيما وتفخيما؛ وقد يخاطب الرئيس بما يخاطب به الجماعة. وقيل: الضمير في «لكم» وفي ﴿فَاعْلَمُوا﴾ للجميع، أي فليعلم للجميع ﴿أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾؛ قاله مجاهد. وقيل: الضمير في ﴿لَكُمْ﴾ وفي ﴿فَاعْلَمُوا﴾ للمشركون؛ والمعنى: فإن لم يستجب لكم من تدعونه إلى المعاونة؛ ولا تهيات لكم المعارضة ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾. وقيل: الضمير في ﴿لَكُمْ﴾ للنبي ﷺ وللمؤمنين، وفي «فاعلموا» للمشركون.

### وقال السعدي رحمه الله:

أي: إن كان قد افتراه، فإنه لا فرق بينكم وبينه في الفصاحة والبلاغة، وأنتم الأعداء حقا، الحريصون بغاية ما يمكنكم على إبطال دعوته، فإن كنتم صادقين، فأتوا بعشر سور مثله مفريات.

﴿فَإِلَّا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ على شيء من ذلكم ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ من عند الله لقيام الدليل والمقتضي، وانتفاء المعارض.

﴿وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: واعلموا أنه لا إله إلا هو أي: هو وحده المستحق للألوهية والعبادة، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أي: منقادون لألوهيته، مستسلمون لعبوديته، وفي هذه الآيات إرشاد إلى أنه لا ينبغي للداعي إلى الله أن يصده اعتراض المعترضين، ولا قدح القادحين.

خصوصاً إذا كان القدح لا مستند له، ولا يقدر فيما دعا إليه، وأنه لا يضيق صدره، بل يطمئن بذلك، ماضياً على أمره، مقبلاً على شأنه، وأنه لا يجب إجابة اقتراحات المقترحين للأدلة التي يختارونها. بل يكفي إقامة الدليل السالم عن المعارض، على جميع المسائل والمطالب. وفيها أن هذا القرآن، معجز بنفسه، لا يقدر أحد من البشر أن يأتي بمثله، ولا بعشر سور من مثله، بل ولا بسورة من مثله، لأن الأعداء البلغاء الفصحاء، تحداهم الله بذلك، فلم يعارضوه، لعلمهم أنهم لا قدرة فيهم على ذلك.

**وفيها:** أن مما يطلب فيه العلم، ولا يكفي غلبة الظن، علم القرآن، وعلم التوحيد، لقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

#### قال ابن الجوزي في زاد المسير:

**قوله تعالى:** ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ «أم» بمعنى «بل»، و«افتراه» أتى به من قبل نفسه. ﴿قُلْ فَاتَوَّأ﴾ أنتم في معارضي ﴿بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ في البلاغة ﴿مُفْتَرَيْنِ﴾ بزعمكم ودعواكم ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ إلى المعاونة على المعارضة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم: «افتراه».

﴿فَكَلِّمُوا الَّتِي تَقُولُونَ﴾ أي: يجيبوكم إلى المعارضة. فقد قامت الحجة عليهم لكم.

**فإن قيل:** كيف وحّد القول في قوله: ﴿قُلْ فَاتَوَّأ﴾ ثم جمع في قوله: ﴿فَكَلِّمُوا الَّتِي تَقُولُونَ﴾؟ فعنه جوابان:

**أحدهما:** أن الخطاب للنبي ﷺ وحده في الموضوعين، فيكون الخطاب له بقوله «لكم» تعظيماً، لأن خطاب الواحد بلفظ الجميع تعظيم، هذا قول المفسرين.

**والثاني:** أنه وحّد في الأول لخطاب النبي ﷺ. وجمع في الثاني لمخاطبة النبي ﷺ وأصحابه، قاله ابن الأنباري.

**قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ فيه قولان:**

**أحدهما:** أنزله وهو عالم بإنزاله، وعالم بأنه حق من عنده.

**والثاني:** أنزله بما أخبر فيه من الغيب، ودلّ على ما سيكون وما سلف، ذكرهما الزجاج.

**قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي:** واعلموا ذلك. ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

استفهام بمعنى الأمر. وفيمن خوطب به قولان:

**أحدهما:** أهل مكة، ومعنى إسلامهم: إخلاصهم لله العباد، قاله أبو صالح

عن ابن عباس.

**والثاني:** أنهم أصحاب رسول الله ﷺ، قاله مجاهد.





دفع إشكال

س: هل كل من يريد الحياة الدنيا وزينتها يعطاها، لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (١٥) ؟

ج: ليس كل مريدٍ للدنيا يعطاها، بل الآية هذه مطلقة، وقُيِّدَت بمشيئة الله، كما قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ، فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ .

وينحو هذا قال العلماء.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

ذهب أكثر العلماء إلى أن هذه الآية مطلقة ؛ وكذلك الآية التي في «الشورى» ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ [الشورى: ٢٠] الآية. وكذلك ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٤٥] قيدها وفسرها التي في «سبحان» ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ، فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨] إلى قوله: ﴿مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠] فأخبر سبحانه أن العبد ينوي ويريد والله سبحانه يحكم ما يريد، وروى الضحاك عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا «في قوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أنها منسوخة بقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾ [الإسراء: ١٨]. والصحيح ما ذكرناه ؛ وأنه من باب الإطلاق والتقييد ؛ ومثله قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] فهذا ظاهره خبر عن إجابة كل داع دائما على كل حال، وليس كذلك ؛ لقوله تعالى: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ﴾ [الأنعام: ٤١] والنسخ في الأخبار لا يجوز ؛ لاستحالة تبدل الواجبات العقلية، ولا استحالة الكذب على الله تعالى فأما الأخبار عن الأحكام الشرعية فيجوز نسخها على خلاف فيه، على ما هو مذكور في الأصول.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦) .

ج: المعنى - والله تعالى أعلم-: من كان يريد بأعماله الصالحة التي يعملها في الدنيا ثوابًا في الدنيا، ولا يرجو لها ثوابًا في الآخرة، إما لكونه يكفر بالآخرة، وإما لكونه ضعيف اليقين، وإما لكونه مرئياً وإما لغير ذلك، فإذا كان يريد بعمله الثواب في الدنيا ولا يريد ثواب الآخرة يُعطى أجره مقابل حسناته في دنياه - إذا شاء الله ذلك - فيُعطى الأجر في الدنيا كاملاً مستوفياً، ولا ينقص من ثواب عمله في الدنيا شيئاً، فهؤلاء هم الذين لم يعد لهم نصيب من الحسنات في الآخرة لكونهم ما ابتغوا بذلك وجه الله، ولا أرادوا ثوابه الأخروي، فليس لهم في الآخرة إلا النار، وحبطت أعمالهم التي عملوها في الدنيا فلم يعد لها ثواب في الآخرة واضمحلت أعمالهم وضاعت.

وهذه الآيات قد تنزل على أهل الرياء، كالثلاثة الذين تُسعر بهم النار أول من تسعر، من تكلم ليقال عالم، وقرئ ليقال قارئ، ومن جاهد ليقال جريء، ومن تصدق ليقال: محسن.

وقد تنزل أيضاً على أهل الكفر الذين لا يرجون بعثاً ولا حياة ولا نشوراً. وقد تنزل على اليهود والنصارى كذلك. وقد تنزل على كل ما ذكروا وغير ما ذكروا فهي عامة وبالتعميم قال الأكثرون.

وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: من كان يريد بعمله الحياة الدنيا، وإياها وزينتها يطلب

به، نوفي إليهم أجور أعمالهم فيها وثوابها ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ يقول: وهم في الدنيا، ﴿لَا يُخْسُونَ﴾، يقول: لا ينقصون أجرها، ولكنهم يوفونه فيها.

**وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله:** ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ﴾، أي: لا يظلمون. يقول: من كانت الدنيا همه وسدمه <sup>(١)</sup> وطلبته ونيتته، جازاه الله بحسناته في الدنيا، ثم يفضي إلى الآخرة، وليس له حسنة يعطى بها جزاء. وأما المؤمن، فيجازى بحسناته في الدنيا، ويثاب عليها في الآخرة ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ﴾ أي: في الآخرة لا يظلمون.

**وإسناد صحيح عن الحسن قال:** ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾، قال: طيباتهم. **وقال في تأويل قوله تعالى:** ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطَلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ <sup>(١٦)</sup>.

**يقول تعالى ذكره:** هؤلاء الذين ذكرت أنا نوفيهم أجور أعمالهم في الدنيا ﴿لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾، يصلونها ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾، يقول: وذهب ما عملوا في الدنيا، ﴿وَبِطَلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، لأنهم كانوا يعملون لغير الله، فأبطله الله وأحبط عامله أجره.

**وقال السعدي رحمه الله:**

**يقول تعالى:** ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ أي: كل إرادته مقصورة على الحياة الدنيا، وعلى زينتها من النساء والبنين، والقناطير المقنطرة، من الذهب، والفضة، والخيول المسومة، والأنعام والحرث. قد صرف رغبته وسعيه وعمله في هذه الأشياء، ولم يجعل لدار القرار من إرادته شيئا، فهذا لا يكون إلا كافرا، لأنه لو كان مؤمنا، لكان ما معه من الإيمان يمنعه أن تكون جميع إرادته للدار الدنيا، بل نفس إيمانه وما تيسر له من الأعمال أثر من آثار

(١) أي: ولوعه بها.

إرادته الدار الآخرة.

ولكن هذا الشقي، الذي كأنه خلق للدنيا وحدها ﴿نُوفٍ إِلَيْهِمْ أَعْمَلُهُمْ فِيهَا﴾<sup>(١)</sup> أي: نعطيهم ما قسم لهم في أم الكتاب من ثواب الدنيا. ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخُسُونَ﴾ أي: لا ينقصون شيئاً مما قدر لهم، ولكن هذا منتهى نعيمهم.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا الْكَارُ﴾ خالدين فيها أبداً، لا يفتر عنهم العذاب، وقد حرموا جزيل الثواب. ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ أي: في الدنيا، أي: بطل واضمحل ما عملوه مما يكيدون به الحق وأهله، وما عملوه من أعمال الخير التي لا أساس لها، ولا وجود لشرطها، وهو الإيمان.



**س: ما المراد بقوله: ﴿مَنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتْنٍ﴾؟**

**ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:**

**أحدها: بصيرة،** قد استبصر في دينه وبَيَّنَّ له دينه، بَيَّنَّ الله له، وبَصَّرَه الله به.

**الثاني: الفطرة الصحيحة** التي فطره الله عليها كما قال تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ

لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

وكما قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو

ينصرانه أو يمجسانه...»<sup>(١)</sup>.

**الثالث: أن البينة هي القرآن.**

**الرابع: أن البينة هي الدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات.**



س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَيَتْلُوهُ﴾؟

ج: من العلماء من قال: ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ يقرؤه.  
ومنهم من قال: ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ يتبعه.



س: ما المراد بالشاهد في قوله تعالى: ﴿شَاهِدٌ مِنْهُ﴾؟

ج: لأهل العلم في الشاهد أقوال:

أحدها: أن الشاهد هو محمد ﷺ.

الثاني: أن الشاهد لسانه ﷺ.

الثالث: أن الشاهد جبريل عليه السلام.

الرابع: أن الشاهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

الخامس: أن الشاهد هو القرآن والوحي.

السادس: أن الشاهد الإنجيل يتلو القرآن بالتصديق وإن كان نزل قبله؛ لأن

النبي ﷺ بشرت به النبوة.

وتم أقوال أخر.



س: قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ من قبل ماذا؟

ج: أيضاً للعلماء فيها أقوال:

أحدها: ومن قبل القرآن.

الثاني: ومن قبل الإنجيل.

الثالث: ومن قبل النبي ﷺ.



س: ما المراد بكتاب موسى ﷺ؟

ج: هو التوراة.



س: ما المراد ب﴿أُولَئِكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾؟

ج: ثم أقوال أحدها أنهم المؤمنون برسول الله محمد ﷺ، أصحابه وغيرهم.

ومنها: أصحاب موسى ﷺ.

ومنها: أهل الحق من أصحاب موسى وعيسى ومحمد عليهم صلوات الله وسلامه.



س: ما المراد بقوله: ﴿بِهِ﴾ في قوله: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾؟

ج: المراد بذلك فيه أقوال:

أحدها: القرآن.

الثاني: النبي عليه الصلاة والسلام.

الثالث: وفيه بُعد وهو التوراة. والله أعلم.



المعنيون بالأحزاب

س: ما المراد بالأحزاب في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ، مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾؟

ج: لأهل العلم فيها أقوال:

أحدها: المتحزبون على الكفر عمومًا.

الثاني: أحزاب اليهود والنصارى.

الثالث: كفار قريش.



## تحذير الخلق من الكفر بالله ﷻ

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتْنٍ مِّن رَّبِّهِ، وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ، مِنَ الْأَحْزَابِ قَالَتَارُ مَوْعِدُهُ، فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾.

ج: بناءً على ما تقدم من تفسير لبعض المفردات، أقول وبالله تعالى التوفيق هناك أكثر من وجه في تفسير الآية الكريمة:

**الأول:** أفمن كان على علم وبصيرة يستبين بهما الحق من الباطل، والصواب من الخطأ ويميز ويفرق بين هذا وذاك فيتبع الحق والصواب ويترك الخطأ والباطل.

وإضافة إلى ما عنده من علم بكتاب الله ﷻ الذي أنزله الله عليه وإضافة إلى الفهم الصحيح (البصيرة) فإنه يتلو بلسانه نفسه القرآن الذي أوحاه الله إليه وتلاه أيضاً عليه جبريل ﷺ، ومن قبله التوراة التي أنزلت على موسى ﷺ يُهتدى بها ويؤتم بها، (يأتم بها من كانوا أتباعاً لموسى ويهتدون بها) ويُرحم بها من اتبعها، ففي هذه التوراة مبشرات أيضاً بمخرج النبي ﷺ وبمعته وفيها أيضاً وصفه ونعته، فتوالت القرائن الدالة على أن رسول الله ﷺ على الحق، تلك القرائن التي هي العلم والبصيرة وكتاب الله المنزل، وكونه صلوات الله وسلامه عليه يتلوه بنفسه، ليس بنقل أحد له ولا بلغة غير لغته إنما نزل عليه وتلاه، وإضافة إلى ذلك بشرت به التوراة أفمن كان هذا حاله علم وبصيرة ووحى وتلاوة للوحي المنزل، وبشارة الكتب السابقة به وتصديقها أفمن كان هكذا كمن هو في الظالمات؟! كمن هو متبع لهواه!! كمن هو مهتمٌ بدنيته مقبلٌ عليها؟! كلا فلا يستويان.



هذا هو الوجه الأول في تفسير صدر الآية الكريمة:

**\* أما الوجه الثاني:** في تأويلها - والله أعلم - فحاصله أفمن كان على الفطرة الصحيحة السليمة، (الإسلام) التي فطره الله عليها، ولم تتلوث فطرته ولم يهود ولم ينصر ولم يمجس، ففطرته بحمد الله سليمة على الإسلام، وجاءه من ربه ما يوافق هذه الفطرة السليمة الصحيحة (فطرة الإسلام) جاءه القرآن من عند الله، تلاه عليه جبريل عليه السلام، وتلاه رسول الله أيضًا بلسانه، وصدق به من أهل بيته من صدق كعلي رضي الله عنه فتبعه على الإيمان، ومن قبل هذا كله كتاب موسى (التوراة) الذي أنزل إمامًا ورحمةً بشر بخروجه ومبعثه وصدقه كذلك، فأولئك المؤمنون بموسى والمصدقون به يؤمنون أيضًا برسول الله صلى الله عليه وسلم ويصدقونه أفمن كان هذا شأنه على فطرة صحيحة وأتاه ما يوافقها، وهو القرآن المتلو المنزل، وسبقته مبشرة به التوراة ومصدقة له وأتباعها يؤمنون به ويصدقونه، أفمن كان هكذا كمن هو في الظلمات غارق، وفي الحيرة والشك متردد، وكمن هو منكبٌ على الدنيا غارق في شهواتها كلاً ثم كلاً فاثبت يا رسول الله فإنك على الحق، والقرآن الذي أنزل عليك إنما أنزله الله عليك، فمن يكفر بالقرآن ويجحد نبوتك من أحزاب المشركين ومن أحزاب اليهود والنصارى، ومن غيرهم من الأحزاب المتحيزة على الكفر فالنار موعده. فلا تكن في شك مما أنت عليه بتكذيبهم لك، بل اثبت على ما أنت عليه فإنه الحق من ربك تبارك وتعالى، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (١٣) ﴿يوسف: ١٠٣﴾، وكما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (٨) ﴿الشعراء: ٨﴾، وكما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (الأنعام: ١١٦)، وكما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الصافات: ٧١)، وكما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ

عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴿سبأ: ١٣﴾، وكما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِلَٰهِي ظَنَّهُ، فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿سبأ: ٢٠﴾ ﴿سبأ: ٢٠﴾، هذا، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي ولا بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار»<sup>(١)</sup>.

فهذا الحديث في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ، مِنَ الْأَخْرَابِ، فَلَنَنَارُهُ مَوْعِدُهُ﴾ ﴿سبأ: ٢٠﴾ وفيهما الدلالة على عموم رسالة النبي محمد ﷺ والله أعلم.



(١) أخرجه مسلم (بنحوه، وقد تقدم).

### فضيحة الكفار يوم القيامة

س: تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١٨) في حديث  
أذكره؟

ج: هذا فيما أخرجه البخاري ومسلم من طريق صفوان بن مُحَرِّزٍ قَالَ: كُنْتُ أَخِذًا بِيَدِ ابْنِ عُمَرَ إِذْ عَرَضَ لَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، وَيَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ، وَيَقَرُّهُ بِذُنُوبِهِ، وَيَقُولُ لَهُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ. ثُمَّ يُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَـ: ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١٨)» (١).



س: من المعنيون بالأشهاد في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنهم الأنبياء والمرسلون كما قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (٤١) ﴿النساء: ٤١﴾.

الثاني: أنهم الملائكة كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ (١٠) ﴿كِرَامًا كَانِينَ﴾ (١١) ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (١٢) ﴿الانفطار: ١٠-١٢﴾.

الثالث: أنهم أمة محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ ﴿الحج: ٧٨﴾.

(١) البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨)، وأحمد (٧٤/٢) واللفظ لأحمد.

**الرابع:** أنهم العلماء الذين شهدوا بوحدانية الله، إذ الله قال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ٨].

**الخامس:** أنهم مؤمنوا الإنس والجن عموماً وكل هؤلاء يشهدون فالملائكة يشهدون والأنبياء والمرسلون كذلك يشهدون وأمة محمد ﷺ تشهد وأهل العلم كذلك يشهدون، وكذا سائر أهل الإيمان والإنس والجن، بل وكذا أعضاء بني آدم تشهد عليهم وجلودهم كذلك. والله أعلم.



### تبرؤ الآلهة من معبوديهم

س: كل معبود غير الله يتولى عن أصحابه يوم القيامة ويكفر بعبادته ويضل عنه ويخذله، دَلَّ على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٣٠).

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ (٨١) ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (٨٢) [مريم: ٨١-٨٢].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ (البقرة: ١٦٦).

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ (١٧) ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانِ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ...﴾ [الفرقان: ١٧-١٨].

وقد تقدمت أدلة كثيرة في هذا - والله أعلم.



س: لماذا يضاعف لهم العذاب؟

ج: يضاعف لهم العذاب لكونهم كفروا، واضافوا إلى كفرهم أنهم صدوا الناس عن الإيمان، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

وق قال رسول الله ﷺ: «من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه من غير أن ينقص ذلك من آثامهم شيئاً».



تفسير قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾؟

ج: ذكر العلماء في معناها أقوال:

أحدها: أن معناها حقاً.

الثاني: أن معناها لا محالة - لا بد.

أحدها: أن معناها لا كسب (أي: لم يكتسبوا خيراً).

وبشيء من التفصيل، ولكونها تكرر في كتاب الله، قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

﴿لَا جَرَمَ﴾ للعلماء فيها أقوال؛ فقال الخليل وسيبويه: ﴿لَا جَرَمَ﴾ بمعنى حق، ف «لا» و «جرم» عندهما كلمة واحدة، و «أن» عندهما في موضع رفع؛ وهذا قول الفراء ومحمد بن يزيد؛ حكاه النحاس. قال المهدوي: وعن الخليل أيضاً أن معناها لا بد ولا محالة، وهو قول الفراء أيضاً؛ ذكره الثعلبي. وقال الزجاج: «لا» ها هنا نفي وهو رد لقولهم: إن الأصنام تنفعهم؛ كأن المعنى لا ينفعهم ذلك، وجرم بمعنى كسب؛ أي كسب ذلك الفعل لهم الخسران، وفاعل كسب مضمَر، و «أن» منصوبة بجرم، كما تقول كسب جفاؤك زيذا غضبه عليك؛ وقال الشاعر:

**نصبنا رأسه في جذع نخل بما جرمت يده وما اعتدينا**

أي بما كسبت. وقال الكسائي: معنى ﴿لَا جَرَمَ﴾ لا صد ولا منع عن أنهم. وقيل: المعنى لا قطع قاطع، فحذف الفاعل حين كثر استعماله؛ والجرم القطع؛ وقد جرم النخل واجترمه أي صرمه فهو جارم، وقوم وجرم وجرام وهذا زمن الجرام والجرام، وجرمت صوف الشاة أي جززته، وقد جرمت منه أي أخذت منه؛ مثل جلمت الشيء جلماً أي قطعت، وجلمت الجزور أجلمها جلماً إذا أخذت ما على عظامها من اللحم، وأخذت الشيء بجلمته - ساكنة اللام - إذا أخذته أجمع، وهذه جملة الجزور - بالتحريك - أي لحمها

أجمع ؛ قاله الجوهري. قال النحاس: وزعم الكسائي أن فيها أربع لغات: لا جرم، ولا عن ذا جرم ؛ ولا أن ذا جرم، قال: وناس من فزارة يقولون: لا جرأنهم بغير ميم. وحكى الفراء فيه لغتين آخرين قال: بنو عامر يقولون لا ذا جرم، قال: وناس من العرب. يقولون: لا جرم بضم الجيم.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى في هذه الآيات: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخَسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - : ليس هناك أحدٌ اظلم لنفسه وأشد بخسًا لها وأشد إهانة لها من شخص افترى على الله كذبًا، فتقول على الله ما لم يقله، وقال إن الله حرم كذا وأحل كذا، ولم يكن حرمه ولا أحله، وكذا من كذب على الله وزعم أن له شريكًا في الملك فبعد مع الله غيره، وكذا من كذب على الله وادعى له الصاحبة والولد إلى غير ذلك من صور الافتراء والكذب على الله، فلا أحد أظلم من فاعل هذا، فأولئك الظلمة المفترون على الله الكذب يعرضون على ربهم يوم القيامة وتعرض أعمالهم على ربهم وكذا أقوالهم وافتراءتهم على الله فيراها ربهم ويحاسبهم عليهم وتشهد عليهم الأَشْهَاد من الملائكة والنبين والمؤمنون من أمة محمد ﷺ بل والجوارح تشهد وغيرهم من الشهود، فلك هؤلاء يشهدون على أهل الافتراء على الله وعلى أهل الكذب على الله فيقولون هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، فيفتضح أمر الكذبة

على الله ويفتضح أمر المفترين على الله على رؤوس الأشهاد، ﴿وَقُولُ  
الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١٨)، يدعون  
على المفترين باللعن والطرود والإبعاد من رحمة الله، ويدعون عليهم بإحلال  
سخط الله وعذابه عليهم.

هذا، ومن أهل العلم من قال إن قائل: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١٨) ﴿  
إخباراً من الله ﷻ بما سيحلُّ بالظالمين من إحلال السخط عليهم، ومن  
طردهم وإبعادهم من رحمته، إبعاد هؤلاء لظالمين الذين ضحَّوا إلى ظلمهم  
وشركهم وكفرهم ضحوا عظاماً آخر، وهي صدُّ غيرهم عن الإيمان، ومنع  
غيرهم من الإيمان، فجمعوا بين كونهم كفرة ظلمةً مفترين على الله، جمعوا  
مع ذلك صدَّ الناس عن الخير وإضلال الناس عن الحق ومنع الناس من  
الإيمان، وأرادوها في الدنيا طرقاً منحرفةً معوجةً تصرف الناس عن طريق  
الإسلام وطريق التوحيد الذي يوصل إلى جنة الله ومرضاته فحادوا بالناس  
عن طريق الحق والصواب وتسببوا في كفرهم وضلالهم، وكانوا بالآخرة  
جاحدين وكانوا للآخرة والبعث والثواب والعقاب منكبين ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا  
مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ لن يعجزوا ربهم ﷻ ولن يهربوا منه ولن يفوتوه، وما كان  
لهم من أنصار ينصرونهم من دون الله، ولا يتولونهم ولا يدفعون عنهم  
العذاب، فهؤلاء يضاعف لهم العذاب لكفرهم ولصددهم غيرهم عن الإيمان،  
ما كانوا يستطيعون السمع الذي ينتفعون به للختم الذي ختم الله به على  
أسماعهم لرفضهم الحق ولإعراضهم عنه كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْصَرُوا  
صَرْفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ﴾ [التوبة: ١٢٧]، وكما قال: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:  
٥]، وكما قال: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف:



وما كانوا يبصرون بصراً ينفعهم لأن الله جعل على أبصارهم غشاوة. أولئك الذين ضيعوا أنفسهم وأنزلوها أسوأ المنازل أنزلوها الجحيم والعياذ بالله، ولم يجدوا هنالك الآلهة التي عبدوها من دون الله، لقد هربت منهم تلك الآلهة الباطلة وتبرات منهم تلك الآلهة المفتراة، فحقاً إنهم في الآخرة هم أخسر الناس وأشدّهم ضياعاً. فآية خسارة أعظم من خسارة النفس بإنزالها أسوأ المنازل في الجحيم، وبضياع جنات النعيم منهم وفقدانهم إياه وحرمانهم منها.

**وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.**

**قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:**

**يقول تعالى ذكره:** وأي الناس أشدّ تعذيباً ممن اختلق على الله كذباً فكذب عليه؟ ﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ يعرضون يوم القيامة على ربهم، فيسألهم عما كانوا في دار الدنيا يعملون. **وقوله:** ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾، يعني الملائكة والأنبياء الذين شهدوهم وحفظوا عليهم ما كانوا يعملون، وهم جمع «شاهد» مثل «الأصحاب» الذي هو جمع «صاحب» ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾، يقول: شهد هؤلاء الأَشهاد في الآخرة على هؤلاء المفترين على الله في الدنيا، فيقولون: هؤلاء الذين كذبوا في الدنيا على ربهم، يقول الله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١٨)، يقول: ألا غضب الله على المعتدين الذين كفروا برّبهم.

**وقال في تأويل قوله تعالى:** ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (١٩).

**يقول تعالى ذكره:** ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدّون الناس، عن الإيمان به، والإقرار له بالعبودية، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأنداد، من

مشركي قريش، وهم الذين كانوا يفتنون عن الإسلام من دخل فيه. ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾، يقول: ويلتمسون سبيل الله، وهو الإسلام الذي دعا الناس إليه محمد، يقول: زيغًا وميلاً عن الاستقامة. ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (١٩)، يقول: وهم بالبعث بعد الممات مع صدهم عن سبيل الله وبغيهم إياها عوجًا ﴿كَافِرُونَ﴾ يقول: هم جاحدون ذلك منكرون.

**ويعني جل ذكره بقوله:** ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾، هؤلاء الذين وصف جل ثناؤه أنهم يصدّون عن سبيل الله، يقول جل ثناؤه: إنهم لم يكونوا بالذي يُعْجِزُونَ رَبَّهُمْ بهربهم منه في الأرض إذا أراد عقابهم والانتقام منهم، ولكنهم في قبضته وملكه، لا يمتنعون منه إذا أرادهم ولا يفوتونه هربًا إذا طلبهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾، يقول: ولم يكن لهؤلاء المشركين إذا أراد عقابهم من دون الله أنصارٌ ينصرونهم من الله، ويحولون بينهم وبينه إذا هو عذبهم، وقد كانت لهم في الدنيا منعة يمتنعون بها ممن أرادهم من الناس بسوء، وقوله: ﴿يُضَعِّفْ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾، يقول تعالى ذكره: يزداد في عذابهم، فيجعل لهم مكان الواحد اثنان.

**وقوله:** ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾، فإنه اختلف في تأويله. **فقال بعضهم:** ذلك وصف الله به هؤلاء المشركين أنه قد ختم على سمعهم وأبصارهم، وأنهم لا يسمعون الحق، ولا يبصرون حجج الله، سماعٌ منتفع، ولا إبصارٌ مهتدٍ.

**وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله:** ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾، صم عن الحق فما يسمعون، بكم فما ينطقون به، عمي فلا يبصرونه، ولا ينتفعون به.

**وقال آخرون:** إنما عنى بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾، آلهة

الذين يصدون عن سبيل الله. وقالوا: معنى الكلام: أولئك وآلهتهم، لم يكونوا معجزين في الأرض ﴿يُضَعِّفُ لَهُمُ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ يعني الآلهة، أنها لم يكن لها سمع ولا بصر. وهذا قول روي عن ابن عباس من وجه كرهت ذكره لضعف سنده.

**وقال آخرون:** معنى ذلك: يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَلَا يَسْمَعُونَهُ، وبما كانوا يبصرون ولا يتأملون حجج الله بأعينهم فيعتبروا بها. قالوا: و«الباء» كان ينبغي لها أن تدخل، لأنه قد قال: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]، بكذبهم، في غير موضع من التنزيل أدخلت فيه «الباء»، وسقوطها جائز في الكلام كقولك في الكلام: «لأجزيك ما علمت، وبما علمت»، وهذا قول قاله بعض أهل العربية.

**قال أبو جعفر:** والصواب من القول في ذلك عندنا، ما قاله ابن عباس وقتادة، من أن الله وصفهم تعالى ذكره بأنهم لا يستطيعون أن يسمعوا الحق سماع متففع، ولا يبصرونه إبصار مهتد، لاشتغالهم بالكفر الذي كانوا عليه مقيمين، عن استعمال جوارحهم في طاعة الله، وقد كانت لهم أسماع وأبصار. **وقال في تأويل قوله تعالى:** ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

**قال أبو جعفر:** يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه صفتهم، هم الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾، وبطل كذبهم وإفكهم وفريتهم على الله، بادعائهم له شركاء، فسلك ما كانوا يدعونه إلها من دون الله غير مسلكهم، وأخذ طريقاً غير طريقهم، فضل عنهم، لأنه سلك بهم إلى جهنم، وصارت آلتهم عدماً لا شيء، لأنها كانت في الدنيا حجارة أو خشباً أو نحاساً، أو كان لله ولياً، فسلك به إلى الجنة، وذلك أيضاً

غير مسلكتهم، وذلك أيضًا ضلالٌ عنهم.

**وقال في تأويل قوله تعالى:** ﴿لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسِرُونَ﴾ ﴿٣٢﴾.

**يقول تعالى ذكره:** حقًا أن هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم في الدنيا وفي الآخرة هم الأخسرون الذين قد باعوا منازلهم من الجنان بمنازل أهل الجنة من النار؛ وذلك هو الخسران المبين.

وقد بينا فيما مضى أن معنى قولهم: «جَرَمْتُ»، كسبت الذنب و«جرمته»، وأن العرب كثر استعمالها إياه في مواضع الأيمان، وفي مواضع «لا بد» كقولهم: «لا جرم أنك ذاهب»، بمعنى: «لا بد»، حتى استعملوا ذلك في مواضع التحقيق، فقالوا: «لا جَرَمَ لتقومن»، بمعنى: «حقًا لتقومن». فمعنى الكلام: لا منع عن أنهم، ولا صد عن أنهم.

**وقال ابن كثير رحمه الله:**

**وقوله:** ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي يردُّون الناس عن اتباع الحق وسلوك طريق الهدى الموصلة إلى الله ﷻ ويجنبونهم الجنة، ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: ويريدون أن يكون طريقهم عوجا غير معتدلة، ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ أي: جاحدون بها مكذبون بوقوعها وكونها.

﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ﴾ أي: بل كانوا تحت قهره وغلبيه، وفي قبضته وسلطانه، وهو قادر على الانتقام منهم في الدار الدنيا قبل الآخرة، ولكن ﴿يُؤَخِّرُهُمْ لِیَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ ﴿٤٢﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وفي الصحيحين: «إن الله ليُملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته»<sup>(١)</sup>؛ ولهذا قال تعالى: ﴿يُضَاعَفْ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ أي: يضاعف عليهم العذاب، وذلك لأن الله تعالى جعل لهم سمعا وأبصارا

(١) البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

وأفئدة، فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء، بل كانوا ضُمًّا عن سماع الحق، غُمًّا عن اتباعه، كما أخبر تعالى عنهم حين دخولهم النار: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (١٠) ﴿الملك: ١٠﴾، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ (٨٨) ﴿النحل: ٨٨﴾؛ ولهذا يعذبون على كل أمر تركوه، وعلى كل نهي ارتكبوه؛ ولهذا كان أصحَّ الأقوال أنهم مكلفون بفروع الشرائع أمرها ونهيها بالنسبة إلى الدار الآخرة.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (١١) ﴿آي: خسرُوا أنفسهم لأنهم دخلوا ناراً حامية، فهم معذبون فيها لا يُقْتَرَّ عنهم من عذابها طرفة عين، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ (٩٧) ﴿الإسراء: ٩٧﴾.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: ذهب عنهم ﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من دون الله من الأنداد والأصنام، فلم تُجد عنهم شيئاً، بل ضررتهم كل الضرر، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ (٦) ﴿الأحقاف: ٦﴾، وقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ (٨١) ﴿مريم: ٨١، ٨٢﴾، وقال الخليل لقومه: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَنًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَلَيَعْلَبُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمُ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٢٥) ﴿العنكبوت: ٢٥﴾، وقال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ (٣٦) ﴿البقرة: ١٦٦﴾؛ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على خسرتهم ودمارهم؛ ولهذا

قال: ﴿لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسَرُونَ﴾ (٢٢) ﴿يخبر تعالى عن حالهم أنهم أخسر الناس صفقة في الدار الآخرة؛ لأنهم استبدلوا بالدركات عن الدرجات،

واعتاضوا عن نعيم الجنان بحميم آن، وعن شرب الرحيق المختوم، بسُموم وحميم، وظلٍّ من يحموم، وعن الحور العين بطعام من غُسلين، وعن القصور العالية بالهاوية، وعن قرب الرحمن، ورؤيته بغضب الديان وعقوبته، فلا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون.

### وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

يخبر تعالى أنه لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ويدخل في هذا كل من كذب على الله، بنسبة الشريك له، أو وصفه بما لا يليق بجلاله، أو الإخبار عنه، بما لم يقل، أو ادعاء النبوة، أو غير ذلك من الكذب على الله، فهؤلاء أعظم الناس ظلما ﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ ليجازيهم بظلمهم، فعندما يحكم عليهم بالعقاب الشديد ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ﴾ أي: الذين شهدوا عليهم بافترائهم وكذبهم: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١٨) أي: لعنة لا تنقطع، لأن ظلمهم صار وصفا لهم ملازما، لا يقبل التخفيف.

ثم وصف ظلمهم فقال: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فصدوا بأنفسهم عن سبيل الله، وهي سبيل الرسل، التي دعوا الناس إليها، وصدوا غيرهم عنها، فصاروا أئمة يدعون إلى النار.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ حيث فوتوها أعظم الثواب واستحقوا أشد العذاب ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (١٩) أي اضمحل دينهم الذي يدعون إليه ويحسنونه ولم تغن عنهم آلهتهم التي يعبدون من دون الله لما جاء أمر ربك.

﴿لَا جَرَمَ﴾ أي حقا وصدقا ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخَسَرُونَ﴾ (٢٠) حصر الخسار فيهم بل جعل لهم منه أشده لشدة حسرتهم وحرمانهم وما يعانون من المشقة والعذاب نستجير بالله من حالهم.

ولما ذكر حال الأشقياء ذكر أوصاف السعداء وما لهم عند الله من الثواب.

**قال الشنقيطي رحمه الله:**

قوله تعالى: ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ ﴿٢٠﴾.

في هذه الآية الكريمة للعلماء أوجه، بعضها يشهد له القرآن:

**الأول:** وهو اختيار ابن جرير الطبري في تفسيره، ونقله عن ابن عباس وقتادة -: أن معنى ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ ﴾ الآية - أنهم لا يستطيعون أن يسمعوا لحق سماع منتفع، ولا أن يبصروه إبصار مهتد، لاشتغالهم بالكفر الذي كانوا عليه مقيمين عن استعمال جوارحهم في طاعة الله تعالى: وقد كانت لهم أسماع وأبصار.

ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَابْصَرًا وَأَفْشَدَ فَمَا آغَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْعَدْتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ [الأحقاف: ٢٦] الآية.

**الثاني:** وهو أظهرها عندي -: أن عدم الاستطاعة المذكورة في الآية إنما هو للختم الذي ختم الله على قلوبهم وأسماعهم، والغشاوة التي جعل على أبصارهم.

ويشهد لهذا القول قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غِشَاوَةً ﴾ [البقرة: ٧]، وقوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [الكهف: ٥٧] ونحو ذلك من الآيات.

وذلل الختم والأكنة على القلوب جزاء من الله تعالى لهم على مبادرتهم إلى الكر وتكذيب الرسل باختيارهم ومشيتهم كما دلت عليه آيات كثيرة كقوله: ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ [النساء: ١٥٥] وقوله: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف: ٥] وقوله: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة: ١٠] الآية. وقوله: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾ [التوبة: ١٢٥]

الآية وقوله ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠] الآية - إلى غير ذلك من الآيات.

**الثالث:** أن المعنى ما كانوا يستطيعون السمع أي لشدة كراهيتهم لكلام الرسل على عادة الرسل على عادة العرب في قولهم: لا أستطيع أن اسمع كذا إذا كان شديد الكراهية والبغض له ويشهد لهذا القول قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نُنَادِيَهُمْ عَلَيْهِمْ أَإِنْتُمْ لَا تَعْرِفُونَ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرُ يَكَادُرُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ [الحج: ٧٢] وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ [فصلت: ٢٦] الآية وقوله: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعًا إِذَا أَنِيتُهُمْ﴾ [نوح: ٧] الآية.

**الرابع:** أن « ما » مصدرية ظرفية، أي يضاعف لهم العذاب مدة كونهم يستطيعون أن يسمعوا ويبصروا، أي يضاعف لهم العذاب دائماً

**الخامس:** « ما » مصدرية في محل نصب بنزع الخافض، أي يضاعف لهم العذاب بسبب كونهم يستطيعون السمع والإبصار في دار الدنيا، وتركوا الحق مع أنهم يستطيعون إدراكه باسماهم وأبصارهم. وقد قدمنا في سورة النساء قول الأخفش الأصغر: بأن النصب بنزع الخافض مقيس مطلقاً عند أمن اللبس.

**السادس:** أن قوله: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ من صفة الأصنام التي اتخذوها أولياء من دون الله، فيكون متصلاً بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ [هود: ٢٠] وتكون جملة ﴿يُضَعَّفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ اعتراضية. وتقرير المعنى على هذا القول: وما كان لهم من دون الله من أولياء ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون، أي الأصنام التي اتخذوها أولياء من دون الله. وما لا يسمع ولا يبصر لا يصح أن يكون ولياً لآخر.



ويشهد لمعنى هذا القول قوله تعالى في الأعراف ﴿أَلْهَمَّ أَرْجُلٌ يَمْسُونَ بِهَا أَمَ هُمْ أَيْدٍ يَبِطْشُونَ بِهَا أَمَ لَهُمُ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٥] الآية، ونحوها من الآيات.

وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك: أن الآية الكريمة قد تكون فيها أقوال، وكلها يشهد به قرآن فنذكر الجميع، والعلم عند الله تعالى.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [٢٢] ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِينَ مَثَلًا أَفَلَا نَذَكَّرُونَ﴾ [٢٤]؟

ج: هذا - والله تعالى أعلم - وبعد أن بُيِّنَ حال الأشقياء من أهل الظلم والمصير الذي هم إليه صائرون بُيِّنَ أيضًا مصير أهل الإيمان والعلم الصالح فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ صدقوا بقلوبهم وعملوا بجوارحهم وخضعوا لربهم ﷻ وخشعوا له وامتثلوا أمره وأنابوا إليه أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون، ماكتون فيها لا يخرجون منها ولا يتحولون عنها.

ثم إن الله ﷻ ضرب مثلاً لأهل الكفر من أهل الإيمان فقال تعالى مثل الفريقين (أهل الكفر مع أهل الإيمان) كالأعمى والصم فالكافر أعمى وأصم عن سماع الحق ورؤيته فهذا مثل الكافر أعم وأصم، والمؤمن بصير بالحق سامع له عامل به، فهل يستوي من يسمع ويبصر مع من هو أعمى وأصم أفلا تتعظون وتعتبرون يا من ابتعدتم عن طريق الله ﷻ وكفرتم به وأعرضتم عنه.

وينحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

**يقول تعالى ذكره:** إن الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا في الدنيا بطاعة الله، ﴿وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾.

واختلف أهل التأويل في معنى «الإخبات».

**فقال بعضهم:** معنى ذلك: وأنابوا إلى ربهم.

**وقال آخرون:** معنى ذلك: وخافوا.

**وقال آخرون:** معناه: اطمأنوا.

**وقال آخرون:** معنى ذلك: خشعوا.

**قال أبو جعفر:** وهذه الأقوال متقاربة المعاني، وإن اختلفت ألفاظها، لأن الإنابة إلى الله من خوف الله، ومن الخشوع والتواضع لله بالطاعة، والطمأنينة إليه من الخشوع له، غير أن نفس «الإخبات»، عند العرب: الخشوع والتواضع.

**وقال:** ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، ومعناه: وأخبتوا لربهم. وذلك أن العرب تضع «اللام» موضع «إلى» و«إلى» موضع «اللام» كثيراً، كما قال تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾، [الزلزلة: ٥] بمعنى: أوحى إليها. وقد يجوز أن يكون قيل ذلك كذلك، لأنهم وصفوا بأنهم عمدوا بإخباتهم إلى الله.

**وقوله:** ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٣)، يقول: هؤلاء الذين هذه صفتهم، هم سكان الجنة الذين لا يخرجون عنها ولا يموتون فيها، ولكنهم فيها لا بثون إلى غير نهاية.

**وقال في تأويل قوله تعالى:** ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِينَ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٢٤).

**قال أبو جعفر:** يقول تعالى ذكره: مثل فريق الكفر والإيمان كمثال الأعمى الذي لا يرى بعينه شيئاً، والأصم الذي لا يسمع شيئاً، فكذلك فريق الكفر لا

يبصر الحق فيتبعه ويعمل به، لشغله بكفره بالله، وغلبة خذلان الله عليه، لا يسمع داعي الله إلى الرشاد، فيجيبه إلى الهدى فيهتدي به، فهو مقيم في ضلالته، يتردد في حيرته. والسميع والبصير فذلك فريق الإيمان، أبصر حجج الله، وأقر بما دلت عليه من توحيد الله، والبراءة من الآلهة والأنداد، ونبوة الأنبياء ﷺ، وسمع داعي الله فأجابه وعمل بطاعة الله.

**وأورد بإسناد حسن عن قتادة:** ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾، الآية، هذا مثل ضرب به الله للكافر والمؤمن، فأما الكافر فصم عن الحق، فلا يسمعه، وعمي عنه فلا يبصره. وأما المؤمن فسمع الحق فانتفع به، وأبصره فوعاه وحفظه وعمل به

يقول تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾، يقول: هل يستوي هذان الفريقان على اختلاف حالتيهما في أنفسهما عندكم أيها الناس؟ فإنهما لا يستويان عندكم، فكذلك حال الكافر والمؤمن لا يستويان عند الله، ﴿أَفَلَا نَذَكَّرُونَ﴾ (٢٤)، يقول جل ثناؤه: أفلا تعتبرون أيها الناس وتذكرون، فتعلموا حقيقة اختلاف أمريهما، فتزجروا عما أنتم عليه من الضلال إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان؟

فالأعمى والأصم، والبصير والسميع، في اللفظ أربعة، وفي المعنى اثنان. ولذلك قيل: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾.

وقيل: (كالأعمى والأصم)، والمعنى: كالأعمى والأصم، وكذلك قيل (والبصير والسميع)، والمعنى: البصير والسميع، كقول القائل: «قام الظريف والعاقل»، وهو ينعت بذلك شخصًا واحدًا.

**قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:**

لما ذكر تعالى حال الأشقياء ثنى بذكر السعداء، وهم الذين آمنوا وعملوا

الصالحات، فأمنت قلوبهم وعملت جوارحهم الأعمال الصالحة قولاً وفعلًا من الإتيان بالطاعات وترك المنكرات، وبهذا ورثوا الجنات، المشتمة على الغرف العاليات، والسرر المصفوفات، والقطوف الدانيات، والفرش المرتفعات، والحسان الخيرات، والفواكه المتنوعات، والمآكل المشتهايات والمشارب المستلذات، والنظر إلى خالق الأرض والسماوات، وهم في ذلك خالدون، لا يموتون ولا يهرمون ولا يمرضون، وينامون ولا يتغطّون، ولا يبصقون ولا يتمخطون، إن هو إلا رَشْحٌ مسك يعرقون.

ثم ضرب الله تعالى مثل الكافرين والمؤمنين، فقال: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ أي: الذين وصفهم أولاً بالشقاء والمؤمنين السعداء، فأولئك كالأعمى والأصم، وهؤلاء كالبصير والسميع. فالكافر أعمى عن وجه الحق في الدنيا، وفي الآخرة لا يهتدي إلى خير ولا يعرفه، أصم عن سماع الحجج، فلا يسمع ما ينتفع به، ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣]، وأما المؤمن ففطن ذكي لبيب، بصير بالحق، يميز بينه وبين الباطل، فيتبع الخير ويترك الشر، سميع للحجة، يفرق بينها وبين الشبهة، فلا يروج عليه باطل، فهل يستوي هذا وهذا. ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أفلا تعتبرون وتفرقون بين هؤلاء وهؤلاء، كما قال في الآية الأخرى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠] وقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ [١٩] وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ [٢٠] وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ [٢١] وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ [٢٢] إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ [٢٣] إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ [٢٤]﴾ [فاطر: ١٩-٢٤].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بقلوبهم، أي: صدقوا واعترفوا، لما أمر الله

بالإيمان به، من أصول الدين وقواعده.

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ المشتملة على أعمال القلوب والجوارح، وأقوال اللسان. ﴿وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي: خضعوا له، واستكانوا لعظمته، وذلوا لسلطانه، وأنابوا إليه بمحبته، وخوفه، ورجائه، والتضرع إليه. ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الذين جمعوا تلك الصفات ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لأنهم لم يتركوا من الخير مطلباً، إلا أدركوه، ولا خيراً، إلا سبقوا إليه. ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ أي: فريق الأَشْقِيَاءِ، وفريق السعداء. ﴿كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ﴾ هؤلاء الأَشْقِيَاءِ، ﴿وَالْبَصِيرَ وَالسَّمِيعَ﴾ مثل السعداء. ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ لا يستوون مثلاً بل بينهما من الفرق ما لا يأتي عليه الوصف، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ الأعمال، التي تنفعكم، فتفعلونها، والأعمال التي تضركم، فتتركونها.

### وقال الشنقيطي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرَ وَالسَّمِيعَ﴾ الآية. ضرب الله تعالى في هذه الآية الكريمة المثل للكافر بالأعمى والأصم، وضرب المثل للمؤمن بالسميع والبصير، وبين أنهما لا يستويان، ولا يستوي الأعمى والبصير، ولا يستوي الأصم والسميع. وأوضح هذا المعنى في آيات كثيرة:

**قوله:** ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ (١١) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ (٢٢) إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ (٢٣) [فاطر: ١٩-٢٣].

وقوله: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَن هُوَ أَعْمَى﴾ [الرعد: ١٩] الآية. وقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمِعُ الْقَبْرَ﴾ [النمل: ٨٠] إلى

غير ذلك من الآيات.



### قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْبُكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرْبُكَ أَتُبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئَارِنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَنبَغٍ مِّن رَّبِّي وَءَانِنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاهِرُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقَوْمِ لَا تَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُّلتَقُوا رَبَّهُمْ وَلَيُكْفِيَنَّ أَرْبَكُمْ قَوْمًا يَّجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَنْبُحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأُنْبِئْنَا بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُخْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ

أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا نَبْتِيسَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾  
 وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَفُونَ  
 ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ  
 تَسَخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ  
 عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا  
 احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ  
 وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾

[هود: ٢٥-٤٠].



س: اذكر معنى ما يلي:

(أَرَادُنَا - بَادَى الرَّأْيِ - رَحْمَةً - فَعْمِيَّتَ - أَنْزَلْنَاكُمْهَا - يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ - نَذَكَّرُونَ - تَزْدَرِي - يُمْعِجِينَ - يُغْوِيكُمْ - أَفْتَرَنَاهُ - إِجْرَامِي - تُجْرِمُونَ - نَبْتَسِسُ - بِأَعْيُنِنَا - وَوَحِينَا - الْفُلُكُ - سَخِرُوا مِنْهُ - يُخْزِيهِ - وَفَارَ الثَّنُورُ - زَوْجَيْنِ - سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ) .

ج:

| الكلمة                       | معناها                                                                                                                             |
|------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| (أَرَادُنَا) ❖               | ضعفنا - فقرأنا - سفاونا - أراذلنا - سفلتنا.                                                                                        |
| (بَادَى الرَّأْيِ) ❖         | فيما يظهر لنا من أمرهم - وقيل: الذين لا يدققون ولا يتعقلون ولا يتثبتون ولا يترثون وقيل: هم الذين أظهروا بالسنتهم ما ليس في قلوبهم. |
| (رَحْمَةً) ❖                 | نبوة - هداية.                                                                                                                      |
| (فَعْمِيَّتَ) ❖              | فأخفاها الله عليكم - فأخفيت عليكم.                                                                                                 |
| (أَنْزَلْنَاكُمْهَا) ❖       | أنكهمكم على اختيارها - أنجبركم كي تؤمنوا وتقبلوا الرحمة.                                                                           |
| (يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ) ❖ | يمنعني من عذاب الله.                                                                                                               |
| (نَذَكَّرُونَ) ❖             | تتعطون - تعتبرون.                                                                                                                  |
| (تَزْدَرِي) ❖                | تحتقر - تستثقل.                                                                                                                    |
| (يُمْعِجِينَ) ❖              | بنائتين - بهاربين - بمرهقين ربكم بهربكم.                                                                                           |
| (يُغْوِيكُمْ) ❖              | يُضِلُّكُمْ - يُهْلِكُكُمْ.                                                                                                        |
| (أَفْتَرَنَاهُ) ❖            | اختلقه من عند نفسه - تقوله.                                                                                                        |

|                                                                       |                             |
|-----------------------------------------------------------------------|-----------------------------|
| اكتسابي للمحرمات - إثم ما اكتسبته من الافتراءات.                      | (إِجْرَامِي)                |
| تكتسبون من السيئات.                                                   | (تُجَرِّمُونَ)              |
| تحزن - تغتم.                                                          | (تُبْتِئِسَ)                |
| بمرأى منا.                                                            | (بِأَعْيُنِنَا)             |
| أمرنا.                                                                | (وَوَحَيْنَا)               |
| السفينة العظيمة الهائلة.                                              | (الْفُلُكُ)                 |
| استهزؤا به.                                                           | (سَخِرُوا مِنْهُ)           |
| يُهيئه - يذله - يفضحه.                                                | (يُخْزِيهِ)                 |
| امتلاً التنور بالماء (وهو التنور الذي يُخبز فيه).<br>وقيل: وجه الأرض. | (وَفَارَ النَّوُورُ)        |
| الذكر والأنثى.                                                        | (زَوْجَيْنِ)                |
| حق عليه القول الذي كتبه الله عليه من أنه سيموت<br>كافراً              | (سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ) |



شيء من ذكر نبي الله نوح ﷺ

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٢٥) **﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾** (٣٦).

ج: **المعنى - والله أعلم -**: ولقد أرسلنا نوحًا، وهو أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض أرسلناه إلى قومه قائلاً لهم إني لكم ﴿نَذِيرٌ﴾ من الله ﷻ ﴿مُبِينٌ﴾ مظهر لكم ما أحله الله وما حرمه عليكم، ومبين لكم عاقبة أمركم إذا عصيتم ربكم.

وأرسلناه أيضاً ناهياً قومه عن عبادة غير الله وأمرًا بعبادة الله وحده لا شريك له قائلاً: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ لا تعبدوا صنماً ولا وثناً ولا أي معبود إلا الله إني أخاف عليكم إن عبدتم غير الله عذاب يوم عظيم الشأن العذاب فيه شديد لمن عبد غير الله.

**وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.**

**قال الطبري رحمه الله:**

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾، أن لا تعبدوا إلا الله، وقل لهم: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٢٥)، ومن فتحها ردّ «أن» في قوله: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا﴾ عليها. فيكون المعنى حينئذ: لقد أرسلنا نوحًا إلى قومه بأني لكم نذير مبين، بأن لا تعبدوا إلا الله.

ويعني بقوله: بأن لا تعبدوا ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ أيها الناس، عبادة الآلهة والأوثان، وإشراكها في عبادته، وأفردوا الله بالتوحيد، وأخلصوا له العبادة، فإنه لا شريك له في خلقه.

**وقوله:** ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾، يقول: إني أيها القوم، إن لم

تخصُّوا الله بالعبادة، وتفردوه بالتوحيد، وتخلعوا ما دونه من الأنداد والأوثان، أخاف عليكم من الله عذاب يوم مؤلم عقابه وعذابه لمن عُدَّ فيه.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

يخبر تعالى عن نوح، عليه السلام، وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض من المشركين عبدة الأصنام أنه قال لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٢٥) أي: ظاهر النذارة لكم من عذاب الله إن أنتم عبدتم غير الله؛ ولهذا قال: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ وقوله ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ (٢٦) أي إن استمررتم على ما أنتم عليه عذبكم الله عذابا أليما مُوجعا شاقا في الدار الآخرة.

**وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:**

أي: ولقد أرسلنا رسولنا نوحا أول المرسلين إلى قومه يدعوهم إلى الله وينهاهم عن الشرك فقال لهم: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٢٥) أي: بينت لكم ما أنذرتكم به، بيانا زال به الإشكال. ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ أي: أخلصوا العبادة لله وحده، واتركوا كل ما يعبد من دون الله. ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ (٢٦) إن لم تقوموا بتوحيد الله وتطيعوني.



تعجب للكفار من إرسال رسول بشرى

س: كثيراً ما يظهر أهل الكفر سبباً من أسباب امتناعهم عن الإسلام والإيمان ألا وهو كون النبي النبي المرسل إليهم من البشر، دُلَّ على ذلك.  
ج: من الأدلة على ذلك:

قول قوم نوح لنوح عليه السلام: ﴿مَا نَرِنكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ [هود: ٢٧].  
وقول قوم موسى لموسى عليه السلام: ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٧].  
وقول أهل الكفر لرسولهم: ﴿إِن أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠].  
وكذا قولهم: ﴿أَبَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [التغابن: ٦].  
إلى غير ذلك من الآيات.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرِنكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرِنكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُكْفِرُوا بِآيَاتِنَا وَمَا نَرِي لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [٢٧].

ج: المعنى - والله أعلم -: قال أشرف القوم وعليتهم وكبرائهم من قوم نوح، قالوا لنوح عليه السلام لما دعاهم إلى عبادة الله عز وجل وحده لا شريك له، وترك عبادة الأصنام: ﴿مَا نَرِنكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ إنساناً مثلاً، لست بملك ولا بمخلوق آخر غيرنا أفضل منا، وما نرى أتباعك الذين اتبعوك على ما تدعوا إليه إلا ﴿أَرَادُوا أَنْ يُكْفِرُوا﴾ سفهاؤنا وفقراؤنا وضعفاؤنا وسفلتنا وأصحاب المهن الخسيسة فينا، هذا ما يظهر من أمرهم وهذا رأينا الظاهر فيهم، ثم هم أيضاً ضعيفو العقل لا يفكرون ولا يتعقلون؛ لأنهم آمنوا لما دعوتهم لأول مرة بلا

رؤية ولا تأني ولا تؤدة، وما أنتم وهم بمفضلين علينا بشيء، بل نوقن أنكم كذبة فيما تدعوننا إليه من توحيد الله وترك عبادة الأوثان.

**وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.**

**قال الطبري رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره:** فقال الكبراء من قوم نوح وأشرافهم ، وهم ﴿الْمَلَأُ﴾ ، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله وجحدوا نبوة نبيهم نوح عليه السلام ، ﴿مَا نَزَّلَكَ﴾ ، يا نوح ، ﴿إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ ، يعنون بذلك أنه آدمي مثلهم في الخلق والصورة والجنس ، كأنهم كانوا منكبين أن يكون الله يرسل من البشر رسولا إلى خلقه .  
**وقوله:** ﴿وَمَا نَزَّلَكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّىَ الرَّأْيِ﴾ ، يقول: وما نراك اتبعك إلا الذين هم سفلتنا من الناس، دون الكبراء والأشراف، فيما نرى ويظهر لنا.

**وقوله:** ﴿بَادِىَ الرَّأْيِ﴾ ، اختلفت القراء في قراءته.

**وأورد القراءتين وقال:** وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندنا قراءة من قرأ: ﴿بَادِىَ الرَّأْيِ﴾ بغير همز «البادي»، وبهمز «الرأي»، لأن معنى ذلك الكلام: إلا الذين هم أراذلنا، في ظاهر الرأي، وفيما يظهر لنا.  
**وقوله:** ﴿وَمَا نَزَّى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ ، يقول: وما نتبين لكم علينا من فضل نلتموه بمخالفتكم إيانا في عبادة الأوثان إلى عبادة الله وإخلاص العبادة له، فتتبعكم طلب ذلك الفضل، وابتغاء ما أصبتموه بخلافكم إيانا ، ﴿بَلْ نُنَظِّكُمْ كَذِبًا﴾ .

وهذا خطاب منهم لنوح عليه السلام ، وذلك أنهم إنما كذبوا نوحا دون أتباعه، لأن أتباعه لم يكونوا رؤسلا. وأخرج الخطاب وهو واحد مخرج خطاب الجميع، كما قيل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ ، [الطلاق: ١].

**وتأويل الكلام:** بل نظنك، يا نوح، في دعواك أن الله ابتعثك إلينا رسولا كاذبًا.

**وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

﴿ فَقَالَ أَمْلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾ والملاءم: السادة والكبراء من الكافرين منهم: ﴿ مَا نَزَّلْنَا إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا ﴾ أي: لست بملك، ولكنك بشر، فكيف أوحى إليك من دوننا؟ ثم ما نراك اتبعك إلا أراذلنا كالباعة والحاكة وأشباههم ولم يتبعك الأشراف ولا الرؤساء منا ثم هؤلاء الذين اتبعوك لم يكن عن تروّ منهم ولا فكرة ولا نظر، بل بمجرد ما دعوتهم أجابوك فاتبعوك؛ ولهذا قال: وَمَا نَزَّلْنَا بِكُنُوزٍ إِلَّا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ هُمْ أَرَادْنَا بِأَدْنَى الْرَأْيِ ﴾ أي: في أول بادئ الرأي، وَمَا نَزَّلْنَا لَكُمْ عَلَيْهَا مِنْ فَضْلٍ ﴾ يقولون: ما رأينا لكم علينا فضيلة في خلق ولا خلق، ولا رزق ولا حال، لَمَّا دَخَلْتُمْ فِي دِينِكُمْ هَذَا ﴿ بَلْ نُنَظُّكُمْ كَذِبِينَ ﴾ أي: فيما تدّعون أنه لكم من البر والصلاح والعبادة، والسعادة في الدار الآخرة إذا صرتم إليها.

هذا اعتراض الكافرين على نوح، رَحِمَهُ اللهُ، وأتباعه، وذلك دليل على جهلهم وقلة علمهم وعقلهم، فإنه ليس بعار على الحق رذالة من اتبعه، فإن الحق في نفسه صحيح، وسواء اتبعه الأشراف أو الأراذل بل الحق الذي لا شك فيه أن أتباع الحق هم الأشراف، ولو كانوا فقراء، والذين يأبونه هم الأراذل، ولو كانوا أغنياء. ثم الواقع غالباً أن ما يتبع الحق ضعفاء الناس، والغالب على الأشراف والكبراء مخالفتهم، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣]، ولما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان صخر بن حرب عن صفات النبي ﷺ، قال له فيما قال: أشراف الناس اتبعوه أو ضعفاؤهم؟ قال: بل ضعفاؤهم. فقال هرقل: هم أتباع الرسل.

**وقولهم:** ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ ليس بمذمة ولا عيب؛ لأن الحق إذا وضح لا يبقى للتروي ولا للفكر مجال، بل لا بد من اتباع الحق والحالة هذه لكل ذي زكاء وذكاء ولا يفكر وينزوي هاهنا إلا عَيِّي أو غبي . والرسول، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، إنما جاءوا بأمر جلي واضح. وقد جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له كِبْوَةٌ، غير أبي بكر، فإنه لم يَتَلَعَّمْ» أي: ما تردد ولا تروى، لأنه رأى أمراً جلياً عظيماً واضحاً، فبادر إليه وسارع.

**وقولهم:** ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ هم لا يرون ذلك؛ لأنهم عُمي عن الحق، لا يسمعون ولا يبصرون: بل هم في ريبهم يترددون، في ظلمات الجهل يعمهون، وهم الأفاكون الكاذبون، الأقلون الأرذلون، وفي الآخرة هم الأخسرون.

**قال ابن الجوزي في زاد المسير:**

**وللعلماء في معنى (بَادِيَ) إذا لم يهمز ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** أن المعنى: ما نرى أتباعك إلا سفلتنا وأرذالنا في بادي الرأي لكل ناظر، يعنون أن ما وصفناهم به من النقص لا يخفى على أحد فيخالفنا، هذا مذهب مقاتل في آخرين.

**والثاني:** أن المعنى أن هؤلاء القوم اتَّبَعوك في ظاهر ما يُرى منهم، وطويَّتْهم على خلافك.

**والثالث:** أن المعنى: اتبعوك في ظاهر رأيهم، ولم يتدبروا ما قلت، ولو رجعوا إلى التفكير لم يتبعوك، ذكر هذين القولين الزجاج. قال ابن الأنباري: وهذه الثلاثة الأقوال على قراءة من لم يهمز، لأنه من بدا، يبدو: إذا ظهر. فأما من همز «بادئ» فمعناه: ابتداء الرأي، أي: اتَّبَعوك أول ما ابتدؤوا ينظرون، ولو



فكروا لم يعدلوا عن موافقتنا في تكذيبك.

**قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:**

﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾ أي: الأشراف والرؤساء، رادين لدعوة نوح عليه السلام، كما جرت العادة لأمثالهم، أنهم أول من رد دعوة المرسلين. ﴿ مَا نَزَّلَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا ﴾ وهذا مانع بزعمهم عن اتباعه، مع أنه في نفس الأمر هو الصواب، الذي لا ينبغي غيره، لأن البشر يتمكن البشر، أن يتلقوا عنه، ويراجعوه في كل أمر، بخلاف الملائكة. ﴿ وَمَا نَزَّلَكَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنَّا نَكْفُرَ بِهِمْ ﴾ أي: ما نرى اتباعك منا إلا الأراذل والسفلة، بزعمهم.

وهم في الحقيقة الأشراف، وأهل العقول، الذين انقادوا للحق ولم يكونوا كالأراذل، الذين يقال لهم الملاء الذين اتبعوا كل شيطان مريد، واتخذوا آلهة من الحجر والشجر، يتقربون إليها ويسجدون لها، فهل ترى أراذل من هؤلاء وأخس؟.

وقولهم: ﴿ بَادِيَ الرَّأْيِ ﴾ أي: إنما اتبعوك من غير تفكر وروية، بل بمجرد ما دعوتهم اتبعوك، يعنون بذلك، أنهم ليسوا على بصيرة من أمرهم، ولم يعلموا أن الحق المبين تدعو إليه بداهة العقول، وبمجرد ما يصل إلى أولي الأبواب، يعرفونه ويتحققونه، لا كالأموخفية، التي تحتاج إلى تأمل، وفكر طويل.

﴿ وَمَا نَزَّلَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ ﴾ أي: لستم أفضل منا فننقاد لكم، ﴿ بَلْ نُنَظِّقُكُمْ كَذِبًا ﴾ وكذبوا في قولهم هذا، فإنهم رأوا من الآيات التي جعلها الله مؤيدة لنوح، ما يوجب لهم الجزم التام على صدقه.



أتباع الرسل أكثرهم الضعفاء والفقراء

س: أتباع الرسل هم الضعفاء في الالب، دَلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

\* قول هرقل لأبي سفيان: «أشراف الناس يتبعونه أم ضفاؤهم، قال: بل ضعفاؤهم، فقال: وكذا أتباع الرسل».

\* وقول قوم نوح لنوح عليه السلام: ﴿وَمَا نَزَّلَكَ اتِّبَعُكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ كُونُوا بِكَ أَتَابِعُكَ وَلَا تَكُونَ لَكَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ

وَجَهَهُمْ﴾ [الأنعام: ٥٢] ما حاصله أن اهل الشرك قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «اطرد عند هؤلاء لا يجترؤن علينا...».



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَمِينٍ مِنْ رَبِّي وَأَنْتُمْ

مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنْزِلْهُمْ كُفْرَهُمْ وَأَنْتُمْ لَهَا كَاذِبُونَ﴾ (٢٨).

ج: المعنى - والله أعلم: أن نوحاً عليه السلام حين تأبى عليه قومه ورفضوا الإيمان وأصروا على الشرك والكفر، وقالوا له ما نراك إلا بشراً مثلاً... أجاب قومه بقوله: يا موسى أرايتم إن كنت على بصيرة وعلم وبيان بالحق والصواب من عند الله تعالى ثم إن الله تفضل علي برحمة من عنده، وهي النبوة والهداية، أفنجرركم ونغصبكم على قبولهم وأنتم كارهون لها وكارهون الدخول في الإسلام.

قال الطبري رحمته الله:

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل نوح لقومه إذ كذبوه، وردوا عليه ما جاءهم به من عند الله من النصيحة: ﴿يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَمِينٍ مِنْ رَبِّي﴾، على علم ومعرفة وبيان من الله لي ما يلزمني له، ويجب علي من إخلاص العبادة له

وترك إشراك الأوثان معه فيها ، ﴿وَأَنبِئْنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ﴾ ، يقول: ورزقني منه التوفيق والنبوة والحكمة، فأمنت به وأطعته فيما أمرني ونهاني ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ .  
**وأورد الطبري رحمه الله قراءتين في قوله: ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ واختار قراءة من قرأ:**  
﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ بضم العين وتشديد الميم للذي ذكروا من العلة لمن قرأ به،  
ولقربه من قوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ عَلَىٰ يَدَيْنَيْنِ مِن دُونِ رَبِّي وَأَنبِئْنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ﴾ ، فأضاف  
«الرحمة» إلى الله، فكذاك «تعميته على الآخرين»، بالإضافة إليه أولى.

#### قال الطبري:

**وقوله:** ﴿أَنزَلْنَاهُ مِائِمًا وَأَنزَلْنَاهَا كَرِهُونَ﴾ ، يقول: أناخذكم بالدخول في الإسلام،  
وقد عماه الله عليكم ، ﴿وَأَنزَلْنَاهَا كَرِهُونَ﴾ ، يقول: وأنتم لالزامناكموها ،  
﴿كَرِهُونَ﴾ ، يقول: لا نفعل ذلك، ولكن نكل أمركم إلى الله، حتى يكون هو  
الذي يقضي في أمركم ما يرى ويشاء.

**وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله:** ﴿أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ عَلَىٰ يَدَيْنَيْنِ مِن دُونِ رَبِّي﴾ ، الآية، أما  
والله لو استطاع نبي الله ﷺ لألزمها قومه، ولكن لم يستطع ذلك ولم يملكه.

#### وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى مخبراً عن نوح ما ردَّ على قومه في ذلك: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ عَلَىٰ  
يَدَيْنَيْنِ مِن دُونِ رَبِّي﴾ أي: على يقين وأمر جلي، ونبوة صادقة، وهي الرحمة العظيمة  
من الله به وبهم، ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: خفيت عليكم، فلم تهتدوا إليها، ولا  
عرفتم قدرها، بل بادرتم إلى تكذيبها وردّها، ﴿أَنزَلْنَاهُ مِائِمًا﴾ أي: نغضبكم  
بقبولها وأنتم لها كارهون.

#### قال السعدي رحمه الله:

﴿قَالَ﴾ لهم نوح مجابوا ﴿بِقَوْمٍ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ عَلَىٰ يَدَيْنَيْنِ مِن دُونِ رَبِّي﴾ أي: على  
يقين وجزم، يعني، وهو الرسول الكامل القدوة، الذي ينقاد له أولو الألباب،

ويضمحل في جنب عقله، عقول الفحول من الرجال، وهو الصادق حقا، فإذا قال: إني على بينة من ربي، فحسبك بهذا القول، شهادة له وتصديقا.

﴿وَأَنبِئْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ﴾ أي: أوحى إلي وأرسلني، ومن علي بالهداية، ﴿فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: خفيت عليكم، وبها ثقاقلتم.

﴿أَنزَلْنَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: أنكرهكم على ما تحققناه، وشككتكم أنتم فيه؟ ﴿وَأَنتُمْ هَٰكَذَا كَرِهْتُمْ﴾ حتى حرصتم على رد ما جئت به، ليس ذلك ضارنا، وليس بقادح من يقيننا فيه، ولا قولكم وافترؤكم علينا، صادا لنا عما كنا عليه.

وإنما غايته أن يكون صادا لكم أنتم، وموجبا لعدم انقيادكم للحق الذي تزعمون أنه باطل، فإذا وصلت الحال إلى هذه الغاية، فلا نقدر على إكراهكم، على ما أمر الله، ولا إلزامكم، ما نفرتم عنه، ولهذا قال: ﴿أَنزَلْنَاهُ عَلَيْكُمْ وَأَنتُمْ هَٰكَذَا كَرِهْتُمْ﴾.

**قال ابن الجوزي (زاد المسير):**

قوله تعالى: ﴿أَنزَلْنَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: أنلزمكم قبولها؟ وهذا استفهام معناه الإنكار، يقول: لا نقدر أن نلزمكم من ذات أنفسنا. قال قتادة: والله لو استطاع نبي الله ﷺ لألزمها قومه، ولكنه لم يملك ذلك. وقيل: كان مراد نوح ﷺ رد قولهم: ﴿وَمَا زَيَّيْنَا لَكُمْ ءَالِينَ مِنْ فَضْلٍ﴾ فبين فضله وفضل من آمن به بأنه على بينة من ربه، وقد آتاه رحمة من عنده، وسلب المكذَّبون ذلك.



الرسل لا تسأل الناس أجراً على الإيمان

س: الرسل لا تسأل أجوراً على دعوتها إلى الله، دَلَّ على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قول نوح عليه السلام: ﴿وَيَقْوِمُوا لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَّانِ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الطور: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [سبأ: ٤٧].

إلى غير ذلك.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَيَقْوِمُوا لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَّانِ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا

أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ وَلِنُكْفِيَ تَرَكُزَكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٣٩﴾﴾ وَيَقْوِمُوا مِنْ يَنْصُرُنِي مِنَ

اللَّهِ إِنَّ طَرَفَهُمْ أَفْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: أن نوحاً عليه السلام قال لقومه: يا قوم لا أسالكم على

الإيمان والتوحيد والإسلام ما لآ، فلا أقول لكم أعطوني كذا وكذا إن أسلمتم

إنما أطلب ثواب عملي من الله عز وجل، أما عن الذي طلبتموه مني، وهو طرد أهل

الإيمان وعدم مجالستي لهم وابتعادي عنهم وإبعادهم عني فلن يتحقق لكم

ذلك فما أنا بطارد الذين آمنوا، إنهم ملاقوا ربهم يوم القيامة.

وسيسألهم عن أعمالهم وعن طاعتهم له، ولكني أراكم قوماً تجهلون

حقيقة ما أنتم فيه، وما أنتم عليه مقبلون وتجهلون حقيقة هؤلاء، وأنهم على

خير ما داموا مؤمنين.

ويا قوم من يمنعني من عذاب الله إن طردت هؤلاء الفقراء الضعفاء من

مجلس أفلا تتعظون وتعتبرون.

وبنحو هذا قال العلماء.

**قال الطبري رحمه الله:**

وهذا أيضًا خبرٌ من الله عن قيل نوح لقومه، أنه قال لهم: يا قوم لا أسألكم على نصيحتي لكم، ودعايتكم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، مالا أجرًا على ذلك، فتهموني في نصيحتي، وتظنون أن فعلي ذلك طلبٌ عرض من أعراض الدنيا، ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾، يقول: ما ثواب نصيحتي لكم، ودعايتكم إلى ما أدعوكم إليه، إلا على الله، فانه هو الذي يجازيني، ويشيني عليه، ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، وما أنا بمقصٍ من آمن بالله، وأقرّ بوحدانيته، وخلع الأوثان وتبرأ منها، بأن لم يكونوا من عليتكم وأشرافكم، ﴿إِنَّهُمْ مُلْقَوُا رَبَّهُمْ﴾، يقول: إن هؤلاء الذين تسألوني طردهم، صائرون إلى الله، والله سائلهم عما كانوا في الدنيا يعملون، لا عن شرفهم وحسبهم.

**وقوله:** ﴿وَلِكَيْ أَرْنَكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾، يقول: ولكني، أيها القوم، أراكم قوماً تجهلون الواجب عليكم من حق الله، واللازم لكم من فرائضه. ولذلك من جهلكم سألتهموني أن أطردهم الذين آمنوا بالله.

**يقول:** ﴿وَيَقَوْمٌ مِّنْ بَصُرِي﴾، فيمنعني من الله إن هو عاقبني على طردي المؤمنين الموحدين الله إن طردتهم؟، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، يقول: أفلا تتفكرون فيما تقولون: فتعلمون خطأه، فتنتهوا عنه؟

**وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:**

**يقول لقومه:** ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ﴾ على نصحي لكم مالا؛ أجرة أخذها منكم، إنما أبتغي الأجر من الله ﷻ، ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ كأنهم طلبوا منه أن يطرد المؤمنين عنه، احتشاما ونفاسة منهم أن يجلسوا معهم، كما سأل أمثالهم خاتم الرسل ﷺ أن يطرد عنهم جماعة من الضعفاء ويجلس معهم مجلسا خاصا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢]،

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

### قال السعدي رحمه الله:

﴿وَيَقْوِرْ لَا أَشْكُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على دعوتي إياكم ﴿مَالًا﴾ فستستثقلون المغمرم.

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ وكأنهم طلبوا منه طرد المؤمنين الضعفاء، فقال لهم: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: ما ينبغي لي، ولا يليق بي ذلك، بل ألتقاهم بالرحب والإكرام، والإعزاز والإعظام ﴿إِنَّهُمْ مُلْتَقَوْنَ﴾ فمشيهم على إيمانهم وتقواهم بجنات النعيم.

﴿وَلَكُمْ أَرْكَؤُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾ [٢٩] حيث تأمروني، بطرد أولياء الله، وإبعادهم عني. وحيث رددتم الحق، لأنهم أتباعه، وحيث استدللتم على بطلان الحق بقولكم إني بشر مثلكم وإنه ليس لنا عليكم من فضل.

﴿وَيَقْوِرْ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ﴾ أي: من يمنعني من عذابه، فإن طردهم موجب للعذاب والنكال، الذي لا يمنعه من دون الله مانع.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [٣٠] ما هو الأنفع لكم والأصلح، وتدبرون الأمور.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [إِنَّا لَنَظْلِمِينَ] [٣١].

ج: يقول نوح عليه السلام لقومه: ولا أقول لكم عندي خزائن الله أعطي من أشياء وأمنع من أشياء، وأكرمكم بالمال إن آمنتم، وأمنعكم المال إن عصيتم، فهذا

ليس لي فليست بآله ولا رب، وكذا فإني لا أعلم الغيب، لا أدعي إلهية ولا الربوبية وكذا لا أقول إني ملك من الملائكة اتفضل عليكم بذلك، وكذا لا أقول لهؤلاء الضعفاء الذين عبدوا الله ولم يشركوا به شيئاً، لا أقول لهؤلاء الذين تحتقروهم وتزدروهم لن يؤتيكم الله خيراً على إيمانكم وتوحيدكم الله أعلم بما في أنفسهم، وهو الذي سيجازيهم ويحاسبهم، وإن قلت شيئاً مما ذكر، إن قلت إن عندي خزائن الله، أو أعلم الغيب، أو قلت إني ملك، أو قلت للفقراء المؤمنين لن يؤتيكم الله خيراً، فقد ظلمت نفسي بهذا القول، وأنزلتها أسوأ المنازل.

**وبنحو هذا قال العلماء.**

**قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:**

**وقوله:** ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾، عطف على قوله: ﴿يَقَوْمُ لَا أَشْكُرُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

**ومعنى الكلام:** ﴿يَقَوْمُ لَا أَشْكُرُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾، ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾، التي لا يفنيها شيء، فأدعوكم إلى اتباعي عليها. ولا أعلم أيضاً الغيب - يعني: ما خفي من سرائر العباد، فإن ذلك لا يعلمه إلا الله - فأدعي الربوبية وأدعوكم إلى عبادتي. ولا أقول أيضاً: إني ملك من الملائكة، أرسلت إليكم، فأكون كاذباً في دعواي ذلك، بل أنا بشر مثلكم كما تقولون، أمرت بدعائكم إلى الله، وقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ يقول: ولا أقول للذين اتبعوني وآمنوا بالله ووحدوه، الذين تستحقهم أعينكم، وقلتم: إنهم أراذلكم، ﴿لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾، وذلك الإيمان بالله، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾، يقول: الله أعلم بضمائر صدورهم، واعتقاد قلوبهم، وهو ولي أمرهم في ذلك، وإنما لي منهم ما ظهر



وبدا، وقد أظهروا الإيمان بالله واتبعوني، فلا أطردهم ولا أستحل ذلك، ﴿إِنِّي إِذْ أَلَمْتُ الظَّالِمِينَ﴾ (٣١)، يقول: إِنِّي إِنْ قُلْتُ لَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ أَظْهَرُوا الْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَتَصَدَّقُوا: ﴿لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾، وقضيت على سرائرهم بخلاف ما أبدته ألسنتهم لي على غير علم مني بما في نفوسهم، وطردهم بفعلي ذلك، لمن الفاعلين ما ليس لهم فعله، المعتدين ما أمرهم الله به، وذلك هو «الظلم».

#### وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبرهم أنه رسول من الله، يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، بإذن الله له في ذلك، ولا يسألهم على ذلك أجرا، بل هو يدعو من لقيه من شريف ووضع، فمن استجاب له فقد نجا. ويخبرهم أنه لا يقدر على التصرف في خزائن الله، ولا يعلم من الغيب إلا ما أطلع الله عليه، وليس هو بملك من الملائكة، بل بشر مرسل، مؤيد بالمعجزات. ولا أقول عن هؤلاء الذين تحتقرونهم وتزدرونهم: إنه ليس لهم عند الله ثواب على إيمانهم الله أعمل بما في أنفسهم، فإن كانوا مؤمنين باطنًا، كما هو الظاهر من حالهم، فلهم جزاء الحسنی، ولو قطع لهم أحد بشر بعد ما آمنوا، لكان ظالما قاتلا ما لا علم له به.

#### وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدَ خَزَائِنِ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ أي: غايتي أني رسول الله إليكم، أبشركم، وأنذركم، وأما ما عدا ذلك، فليس بيدي من الأمر شيء، فليست خزائن الله عندي، أدبرها أنا، وأعطي من أشاء، وأحرم من أشاء، ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ فأخبركم بسرائركم وبواطنكم ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ والمعنى: أني لا أدعي رتبة فوق رتبتي، ولا منزلة سوى المنزلة، التي أنزلني الله بها، ولا أحكم على الناس، بظني.

﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ﴾ أي: ضعفاء المؤمنين، الذين يحتقرهم  
الملا الذين كفروا ﴿لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ فإن كانوا صادقين في  
إيمانهم، فلهم الخير الكثير، وإن كانوا غير ذلك، فحسابهم على الله.  
﴿إِنِّي إِذًا﴾ أي: إن قلت لكم شيئاً مما تقدم ﴿لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ وهذا تأسيس  
منه، عليه الصلاة والسلام لقومه، أن ينبذ فقراء المؤمنين، أو يمقتهم، وتقنع  
لقومه، بالطرق المقنعة للمنصف.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَنْتُحِ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا بِنَا  
تَعْدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٣٣) قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمُعْجِزِينَ (٣٣) وَلَا يَنْفَعُكُمْ  
نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٤).

ج: بيان هذا - والله أعلم - أن قوم نوح عليه السلام ردوا عليه قائلين يا نوح قد  
جادلنا فأكثرت جدالنا، أي: حاججتنا فأكثرت من المحاجة، وكذا  
خاصمتنا فأطلت المخاصمة وتوعدتنا بالعذاب فائتنا بما عقدنا من العذاب إن  
كنت صادقاً في وعيدك، قال نوح عليه السلام لست أنا الذي يأتي بالعذاب إنما يأتيكم  
الله إن شاء، في الوقت الذي يشاء وعلى النحو الذي يشاء، وما أنتم بفائتين من  
عذاب الله عز وجل، وكوني أطلت في النصيح والتذكير، فاعلم أن هذا لن ينفعكم، لن  
تنتفعوا بنصحي إن كان الله يريد أن يضلكم ويدمركم ويهلككم، هو ربكم  
مالك أمركم، ومحبيكم ومميتكم والمتصرف فيكم كيف يشاء، وإليه  
مرجعكم يوم القيامة.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رحمته الله:

يقول تعالى ذكره: قال قوم نوح لنوح عليه السلام: قد خاصمتنا فأكثرت

خصوصمتنا، فأتنا بما تعدنا من العذاب، إن كنت من الصادقين في عِداتك ودَعواكَ أنكَ اللهُ رسول. يعني: بذلك أنه لن يقدر على شيء من ذلك.

**يقول تعالى ذكره:** قال نوح لقومه حين استعجلوه العذاب: يا قوم، ليس الذي تستعجلون من العذاب إليّ، إنما ذلك إلى الله لا إلى غيره، هو الذي يأتِيكم به إن شاء، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (٣٣)، يقول: ولستم إذا أراد تعذيبكم بمعجزه، أي بفائتيه هرباً منه، لأنكم حيث كنتم في ملكه وسلطانه وقدرته، حكمه عليكم جارٍ ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾، يقول: ولا ينفعكم تحذيري عقوبته، ونزول سطوته بكم على كفركم به ﴿إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ﴾، في تحذيري إياكم ذلك، لأن نصحي لا ينفعكم، لأنكم لا تقبلونه. ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾، يقول: إن كان الله يريد أن يهلككم بعذابه ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٣٤)، يقول: وإليه تردون بعد الهلاك.

حكي عن طيئ أنها تقول: «أصبح فلان غاوياً»: أي مريضاً. وحكي عن غيرهم سماعاً منهم: «أغويت فلاناً»، بمعنى أهلكته، و«غوي الفصيل»، إذا فقد اللبن فمات.

وذكر أن قول الله: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ (٥٩)، [مريم: ٥٩]، أي هلاكاً.

#### قال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى مخبراً عن استعجال قوم نوح نقمة الله وعذابه وسخطه، والبلاء موكل بالمنطق: ﴿قَالُوا يَنْوُحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا﴾ أي: حاججتنا فأكثر من ذلك، ونحن لا نتبعك ﴿فَأَيْنَائِمَاتٍ تَعْدُنَا﴾ أي: من النقمة والعذاب، ادع علينا بما شئت، فليأتنا ما تدعو به، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٣٣) قال إنما يأتِيكم به الله إن شاء وما أنتم بمُعْجِزِينَ (٣٣) أي: إنما الذي يعاقبكم ويعجلها لكم الله الذي لا يُعْجِزُهُ شيء، ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ (٣٤) أي:

أي شيء يُجدي عليكم إبلاغي لكم وإنذاري إياكم ونصحي، إن كان الله يريد إغواءكم ودماركم، ﴿هُورِبُكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٣٤) أي: هو مالك أزمة الأمور، والمتصرف الحاكم العادل الذي لا يجور، له الخلق وله الأمر، وهو المبدئ المعيد، مالك الدنيا والآخرة.

### قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

فلما رآوه، لا ينكف عما كان عليه من دعوتهم، ولم يدركوا منه مطلوبهم ﴿قَالُوا يَنْتُوخُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا بَعْدَ نَا﴾ من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٣٣) فما أجهلهم وأضلهم، حيث قالوا هذه المقالة، لنبههم الناصح. فهلا قالوا إن كانوا صادقين: يا نوح قد نصحتنا، وأشفقت علينا، ودعوتنا إلى أمر، لم يتبين لنا، فنريد منك أن تبينه لنا لننقاد لك، وإلا فأنت مشكور في نصحك. لكان هذا الجواب المنصف، الذي قد دعي إلى أمر خفي عليه، ولكنهم في قولهم، كاذبون، وعلى نبههم متجرئون. ولم يردوا ما قاله بأدنى شبهة، فضلا عن أن يردوه بحجة. ولهذا عدلوا - من جهلهم وظلمهم - إلى الاستعجال بالعذاب، وتعجيز الله، ولهذا أجابهم نوح رَحِمَهُ اللهُ بقوله: ﴿إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ﴾ أي: إن اقتضت مشيئته وحكمته، أن ينزله بكم، فعل ذلك. ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (٣٣) لله، وأنا ليس بيدي من الأمر شيء.

﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ أي: إن إرادة الله غالبية، فإنه إذا أراد أن يغويكم، لردكم الحق، فلو حرصت غاية مجهودي، ونصحت لكم أتم النصح - وهو قد فعل رَحِمَهُ اللهُ - فليس ذلك بنافع لكم شيئا، ﴿هُورِبُكُمْ﴾ يفعل بكم ما يشاء، ويحكم فيكم بما يريد ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٣٤) فيجازيكم بأعمالكم.



### ومن الجدل المحمود

س: الإكثار من الجدل المحمود بالتالي هي أحسن لتقرير الحق، ودفع الباطل والشبه يُطلب في بعض الأحيان دَلَل على ذلك؟

ج: نعم للجهاد فقه، فإذا كان لتقرير الحق وإيضاح الحجة وبيان وجه الصواب فمستحبٌ حينئذٍ قال قوم نوح لنوح عليه السلام: ﴿قَالُوا يَنْتُحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا﴾.

وقال تعالى: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] أما إذا كان مرءً وبلا فائدة فيمنع الكلام آنذاك ويكون السكوت أولى، قال عليه السلام: «أنا زعيم بيت في ربض الجنة، لمن ترك المراء ولو كان مُحَقًّا».



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْنَاهُ فَعَلَىٰ إِرْجَائِي وَأَنَا بِرَبِّيٓ ؕ وَمِمَّا يُخْرِجُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

ج: هذا - والله أعلم - في تأويله وجهان:

أحدهما: أيقول المشركون أن رسول الله محمداً عليه السلام قد افترى هذا القرآن واختلقه وتقولُه من عند نفسه، فقل لهم إن افتريته، إن اختلقته من عند نفسي ونسبته إلى الله عليه السلام فعليَّ إثم إجرامي، إثم اكتسابي لهذا الجرم، وأنا بريء من إجرامكم بتكذيبكم لي وجحودكم آيات الله المنزلة من عند الله.

وثمَّ وجه آخر: أن قولهم: ﴿افْتَرَيْنَاهُ﴾ المعني به نوح عليه السلام والله أعلم.

قال الطبري رحمته الله:

يقول تعالى ذكره: أيقول يا محمد هؤلاء المشركون من قومك: افترى محمد هذا القرآن؟ وهذا الخبر عن نوح؟، قل لهم: إن افتريته فتخرصته واختلقته ﴿فَعَلَىٰ إِرْجَائِي﴾ يقول: فعليَّ إثم في افترائي ما افتريت على ربِّي

دونكم، لا تؤاخذون بذنبي ولا إثمي، ولا أؤاخذ بذنبكم. ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾، يقول: وأنا بريء مما تذبون وتأثمون بربكم، من افتراءكم عليه. ويقال منه: «أجرت إجراماً»، و«جرمت أجرم جرماً»، كما قال الشاعر:

**طَرِيدٌ عَشِيرَةٍ وَرَهِيْنٌ ذَنْبٍ      بِمَا جَرَمْتَ يَدِي وَجَنَى لِسَانِي**

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

هذا كلام معترض في وسط هذه القصة، مؤكداً لها ومقرر بشأنها. يقول تعالى لمحمد ﷺ: أم يقول هؤلاء الكافرون الجاحدون: افترى هذا وافتعله من عنده ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ، فَعَلَىٰ إِجْرَامِي﴾ أي: فإثم ذلك علي، ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ (٢٥) أي: ليس ذلك مفتعلاً ولا مفترى، لأنني أعلم ما عند الله من العقوبة لمن كذب عليه.

**وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:**

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾ هذا الضمير محتمل أن يعود إلى نوح، كما كان السياق في قصته مع قومه، وأن المعنى: أن قومه يقولون: افترى على الله كذباً، وكذب بالوحي الذي يزعم أنه من الله، وأن الله أمره أن يقول: ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ، فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ (٢٥) أي: كل عليه وزره ﴿وَلَا نُزِرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَىٰ﴾.

ويحتمل أن يكون عائداً إلى النبي محمد ﷺ، وتكون هذه الآية معترضة، في أثناء قصة نوح وقومه، لأنها من الأمور التي لا يعلمها إلا الأنبياء، فلما شرع الله في قصتها على رسوله، وكانت من جملة الآيات الدالة على صدقه ورسالته، ذكر تكذيب قومه له مع البيان التام فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾ أي: هذا القرآن اختلقه محمد من تلقاء نفسه، أي: فهذا من أعجب الأقوال وأبطلها، فإنهم يعلمون أنه لم يقرأ ولم يكتب، ولم يرحل عنهم لدراسة على أهل

الكتاب، فجاء بهذا الكتاب الذي تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله.  
فإذا زعموا - مع هذا - أنه افتراه، علم أنهم معاندون، ولم يبق فائدة في  
حجاجهم، بل اللائق في هذه الحال، الإعراض عنهم، ولهذا قال: ﴿قُلْ إِنْ  
أَفْتَرَيْتُهُ، فَعَلَىٰ إِجْرَامِي﴾ أي: ذنبي وكذبي، ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُخْرِمُونَ﴾ أي: فلم  
تستلجون في تكذبي.



### قطع الأمل في إيمان قوم نوح ﷺ

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ نُوحٌ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٢٦).

ج: المعنى - والله أعلم -: وأوحى الله ﷻ إلى نبيه نوح ﷺ أنه لن يؤمن من قومك أحدٌ غير الذين آمنوا بك، فلا تحزن ولا تجزع ولا تغتم ولا تتضايق بما يصدر منهم من تكب لك وسخرية منك واستهزاء وتحدي.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وأوحى الله ﷻ إليك نوحٌ، لَمَّا حَقَّ عَلَى قَوْمِهِ الْقَوْلُ، وَأَظْلَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ، ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ﴾، يَا نُوحُ، بِاللَّهِ فَيُوحِّدْهُ، وَيتبعك على ما تدعوه إليه، ﴿مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾، فَصَدَّقْ بِذَلِكَ وَاتَّبِعْ. ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾، يقول: فلا تستكن ولا تحزن، ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، فَإِنِّي مَهْلِكُهُمْ، وَمُنْقَذُكَ مِنْهُمْ وَمَنْ اتَّبَعَكَ. وأوحى الله ذلك إليه، بعد ما دعا عليهم نوحٌ بالهلاك فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (٢٦)، [نوح: ٢٦].

وقال ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالى أنه أوحى إلى نوح لما استعجل قومه نعمة الله بهم وعذابه لهم، فدعا عليهم نوحٌ دعوته التي قال الله تعالى مخبراً عنه أنه قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (٢٦) [نوح: ٢٦]، ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ﴾ (١٠) [القمر: ١٠]، فعند ذلك أوحى الله تعالى إليه: ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ فلا تحزن عليهم ولا يهْمَنَّكَ أمرهم.





س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ (٣٧).

ج: هذا أمر من الله ﷻ لنبيه نوح عليه السلام يقول تعالى: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلَ﴾ السفينة العظيمة الهائلة، أمر نوح عليه السلام أن يصنعها بأعيننا ومرأى منا وأمرنا لك بذلك وتعليمنا لك صناعتها، ولا تجادلني في أهل الظلم فإنني سأغرقهم وأهلكهم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وأحي إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، وأن اصنع الفلك، وهو السفينة.

وقوله: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾، يقول: بعين الله ووحيه كما يأمرك.

وقوله: ﴿وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾، يقول تعالى ذكره: ولا تسألني في العفو عن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم من قومك، فأكسبوها تعدياً منهم عليها بكفرهم بالله، الهلاك بالغرق، إنهم مغرقون بالطوفان.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿وَأَصْنَعُ الْفُلَ﴾ يعني: السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بمراى منا، ﴿وَوَحِّينَا﴾ أي: وتعليمنا لك ماذا تصنعه، ﴿وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ (٣٧).



## الجزاء من جنس العمل

س: الجزاء من جنس العمل، اذكر بعض الأدلة على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قول نوح عليه السلام لقومه: ﴿إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ ﴿٣٨﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا سَرَفًا فَقَالَ اللَّهُ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ١٢٧].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

وقوله تعالى: ﴿سُئِلَ اللَّهُ فَتَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧].



### القرابات لا تنفع مع عدم الإيمان

س: مَنْ الَّذِينَ سَبَقَ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ بِأَنَّهُمْ سَيُعَذِّبُونَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ؟

ج: مِنْهُمْ امْرَأَتُهُ، وَكَذَا ابْنُهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحریم: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾.



س: وَضَحْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلُوكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾.

ج: المَعْنَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ -: وَيَصْنَعُ نُوحٌ ﷺ السَّفِينَةَ الْعَظِيمَةَ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ، وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ ﴿مَلَأَ﴾ جَمَاعَةً مِنْ قَوْمِهِ، وَهُوَ يَصْنَعُهَا - قِيلَ يَصْنَعُهَا عَلَى الْيَبْسِ (الْأَرْضُ الْيَابِسَةُ وَلَيْسَتْ فِي الْبَحْرِ) سَخَرُوا مِنْهُ وَوَصَفُوهُ بِالْجُنُونِ، فَيَجِيبُهُمْ قَائِلًا: ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا﴾ إِنْ تَسْتَهْزِئُوا بِنَا وَتَصِفُونَنَا بِسَيِّئِ الْأَوْصَافِ وَبِقِلَّةِ الْعُقُولِ، فَسَيَأْتِي الْيَوْمَ الَّذِي نَسْخَرُ فِيهِ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ مِنَّا، وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ سَخَرِيَّتِكُمْ، سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ مِّنَّا الَّذِي سَيَأْتِيهِ عَذَابٌ يُهِينُهُ وَيَذَلُّهُ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ لَا يَتَحَوَّلُ عَنْهُ وَلَا يَزُولُ، وَاسْتَمَرَّتِ السَّخَرِيَّةُ بِنُوحٍ ﷺ، وَاسْتَمَرَّ بِهِ أَذَى قَوْمِهِ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ ﷻ بِإِنْجَائِهِ وَإِهْلَاكِ الْمَعَانِدِينَ لَهُ، وَجَاءَ أَمْرُ اللَّهِ بِالطُّوفَانِ الَّذِي أَغْرَقَ بِهِ مَنْ عَلَى الْأَرْضِ وَسَلَّمْ نُوحًا ﷺ وَمَنْ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ بِذَلِكَ وَامْتَلَأَ التَّنُّورُ مَاءً، وَفِي التَّنُّورِ

أقوالٌ تقدمت، منها أنه التنور الذي يُخبز فيه، وهو أشبه بالبرميل (وهو من الفخار) يوضع الخبز في جوانبه من الداخل والنار بوسطة من أسفل، فإذا نزل المطر وامتلاً التنور ماء.

**وقيل:** التنور (وجه الأرض) وثمَّ أقوال تقدمت، حتى إذا كان هذا فاحمل في السفينة العظيمة من كل صنفٍ من المخلوقات ذكراً وأنثى، وذلك للإبقاء على المخلوقات؛ ولأن السفينة لا تكاد تتحمل أكثر من ذلك، وكذا احمل في السفينة أهلك الذين آمنوا بك، لكن الذين كفروا منهم فلا تحملهم، وهم زوجته التي ضربت مثلاً للذين كفروا، وكذا ولده الذي أصر على فكره، وكذا احمل في السفينة أهل الإيمان، وكانوا قلة قليلة، والله أعلم.

**وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.**

**قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:**

**يقول تعالى ذكره:** ويصنع نوح السفينة، وكلما مرّ عليه جماعة من كبراء قومه ﴿سَخِرُوا مِنْهُ﴾، يقول: هزئوا من نوح، ويقولون له: أتحولت نجاراً بعد النبوة، وتعمل السفينة في البر؟، فيقول لهم نوح: ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا﴾، إن تهزءوا منا اليوم، فإننا نهزأ منكم في الآخرة، كما تهزءون منا في الدنيا ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، إذا عايتم عذاب الله، من الذي كان إلى نفسه مُسيئاً منّا.

**يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل نوح لقومه:** ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، أيها القوم، إذا جاء أمر الله، من الهالك، ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾، يقول: الذي يأتيه عذاب الله منا ومنكم يهينه ويذله ﴿وَيَحُلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (٣١)، يقول: وينزل به في الآخرة، مع ذلك، عذابٌ دائم لا انقطاع له، مقيم عليه أبداً.

**وقوله:** ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾، يقول: «ويصنع نوح الفلك» ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ الذي وعدناه أن يجيء قومه من الطوفان الذي يغرقهم.

**وقوله:** ﴿وَفَارَ التَّنُورُ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك.  
**فقال بعضهم:** معناه: انبجس الماء من وجه الأرض، ﴿وَفَارَ التَّنُورُ﴾، وهو وجه الأرض.

**وقال آخرون:** هو تنويرُ الصبح، من قولهم: «نَوَّرَ الصبح تنويرًا».  
**وقال آخرون:** معنى ذلك: وفار أعلى الأرض وأشرف مكانٍ فيها بالماء.  
 وقال: «التنور» أشرف الأرض.  
**وقال آخرون:** هو التنور الذي يُخْتَبَز فيه.

**قال الطبري:**

وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله: ﴿التَّنُورُ﴾، قول من قال: «هو التنور الذي يخبز فيه»، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب، إلا أن تقوم حجة على شيء منه بخلاف ذلك فيسلم لها. وذلك أنه جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم به، لإفهامهم معنى ما خاطبهم به.

﴿قُلْنَا﴾، لنوح حين جاء عذابنا قومه الذي وعدنا نوحًا أن نعذبهم به، وفار التنور الذي جعلنا فورانه بالماء آيةً مجيء عذابنا بيننا وبينه لهلاك قومه ﴿أَحْمَلُ فِيهَا﴾، يعني في الفلك ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾، يقول: من كل ذكر وأنثى.

**وقوله:** ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾، يقول: واحمل أهلك أيضًا في الفلك، يعني بـ«الأهل»، ولده ونسائه وأزواجه، ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾، يقول: إلا من قلت فيهم إني مهلكه مع مَنْ أَهْلَكَ من قومك.

**ثم اختلفوا في الذي استثناه الله من أهله.**

**فقال بعضهم:** هو بعض نساء نوح.

**وقال آخرون:** بل هو ابنه الذي غرق.

**وقوله:** ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾، يقول: واحمل معهم من صدقك واتبعك من قومك، يقول الله: ﴿وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، يقول: وما أقرّ بوحداية الله مع نوح من قومه إلا قليل.

واختلفوا في عدد الذين كانوا آمنوا معه فحملهم معه في الفلك.

**فقال بعضهم في ذلك:** كانوا ثمانية أنفس.

**وقال آخرون:** بل كانوا سبعة أنفس.

**وقال آخرون:** كانوا عشرة سوى نسائهم.

**وقال آخرون:** بل كانوا ثمانين نفساً.

**قال الطبري رحمه الله:**

**والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله:** ﴿وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾،

يصفهم بأنهم كانوا قليلاً ولم يحدّ عددهم بمقدار، ولا خبر عن رسول الله ﷺ صحيح، فلا ينبغي أن يتجاوز في ذلك حدّ الله، إذ لم يكن لمبلغ عدد ذلك حدّ من كتاب الله، أو أثر عن رسول الله ﷺ.

**وقال ابن كثير رحمه الله:**

**وقوله:** ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأْتُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ أي: يطنزون

به ويكذبون بما يتوعدهم به من الغرق، ﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُونَ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا

تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وعيد شديد، وتهديد أكيد، ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾

أي: يهينه في الدنيا، ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ أي: دائم مستمر أبداً.

هذه مواعدة من الله تعالى لنوح، ﷺ، إذا جاء أمر الله من الأمطار

المتتابعة، والهتان الذي لا يُقلع ولا يفتّر، بل هو كما قال تعالى: ﴿فَفَنَحْنَاهُ تَابُوتَ

السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قُدْرٍ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ

وُدُسِرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر: ١١-١٤].

**وأما قوله:** ﴿وَفَارَ الْتُورُ﴾ فعن ابن عباس: التنور: وجه الأرض، أي: صارت الأرض عيونا تفور، حتى فار الماء من التناير التي هي مكان النار، صارت تفور ماء، وهذا قول جمهور السلف وعلماء الخلف.

فحينئذ أمر الله نوحا، عليه السلام، أن يحمل معه في السفينة من كل زوجين -من صنوف المخلوقات ذوات الأرواح، قيل: وغيرها من النباتات - اثنين. ذكرنا وأنثى، ف قيل: كان أول من أدخل من الطيور الدرة، وآخر من أدخل من الحيوانات الحمار، فدخل إبليس متعلقاً بذنبه، فدخل بيده، وجعل يريد أن ينهض فيثقله إبليس وهو متعلق بذنبه، فجعل يقول له نوح: مالك؟ ويحك. ادخل. فينهض ولا يقدر، فقال: ادخل وإن كان إبليس معك فدخل في السفينة. **وقوله:** ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي: «واحمل فيها أهلك، وهم أهل بيته وقرابته» إلا من سبق عليه القول منهم، ممن لم يؤمن بالله، فكان منهم ابنه «يام» الذي انعزل وحده، وامرأة نوح وكانت كافرة بالله ورسوله.

**وقوله:** ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ أي: من قومك، ﴿وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أي: نزر يسير مع طول المدة والمقام بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاما.



قصة إنجاز نبي الله نوح ﷺ ومن معه من المؤمنين

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَحِّدْهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٤١﴾ وَهِيَ  
تَجْرَى بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنِى  
ارْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ۝٤٢﴾ قَالَ سَتَأْوِىَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَعْصِمُنِي  
مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ  
فَكَانَ مِنَ الْمَغْرِقِينَ ۝٤٣﴾ وَقِيلَ يَتَّأَرَضُ أَبْلَعِ مَاءَكَ وَنَسَمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ  
الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝٤٤﴾  
وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ  
الْحَكَمِينَ ۝٤٥﴾ قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنِ مَا لَيْسَ  
لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّيْ أَعْطَاكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ  
أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٤٧﴾  
قِيلَ يَنْوُحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ  
سَنَنْتَعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ  
مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُنْقِذِينَ ۝٤٩﴾

[هود: ٤١-٤٩].



س: اذكر معنى ما يلي:

(مَجْرِبْنَهَا - وَمُرْسِنَهَا - مَعْزِلٍ - سَاوِيٍّ - يَعْصِمُنِي - لَا عَاصِمَ - أَمْرَ اللَّهِ - إِلَّا مَنْ رَحِمَ - أَقْلِي - وَغِيضَ الْمَاءِ - وَفُضِيَ الْأَمْرُ - وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ - بَعْدًا - عَمَلُ غَيْرِ صَالِحٍ - أَعْطَكَ - أَعُوذُ بِكَ - أَهْطِطْ بِسَلَمٍ مَنَا - وَبَرَكَتٍ - أَنْبَاءَ الْغَيْبِ).

ج:

| الكلمة                             | معناها                                         |
|------------------------------------|------------------------------------------------|
| (مَجْرِبْنَهَا) ❖                  | جربانها - مسيرها - سيرها - إجراؤها.            |
| (وَمُرْسِنَهَا) ❖                  | توقفها - رُسوها - إرساؤها.                     |
| (مَعْزِلٍ) ❖                       | مكان منعزل عن نوح ﷺ، وقيل: معزل عن اتباع دينه. |
| (سَاوِيٍّ) ❖                       | سأذهب - سأصير - سيألجأ.                        |
| (يَعْصِمُنِي) ❖                    | يمنعني.                                        |
| (لَا عَاصِمَ) ❖                    | لا مانع.                                       |
| (أَمْرَ اللَّهِ) ❖                 | قضاء الله الذي قضاه (بإهلاك الكاذبين).         |
| (إِلَّا مَنْ رَحِمَ) ❖             | إلا من رحمة الله.                              |
| (أَقْلِي) ❖                        | أمسكي عن الماء.                                |
| (وَغِيضَ الْمَاءِ) ❖               | قلَّ الماء ونضب الماء وتشربته الأرض.           |
| (وَفُضِيَ الْأَمْرُ) ❖             | انتهى الأمر ونفذ الأمر الذي أراده الله.        |
| (وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ) ❖ | استقرت على جبل الجودي.                         |

|                                       |                                |
|---------------------------------------|--------------------------------|
| هَلَاكًا وَخَسَارًا.                  | (بُعْدًا) ❖                    |
| ذو عمل سيءٍ، وقيل: (ولد زنا) ولا يصح. | (عَمَلٌ عَيْزٌ صَلِيحٌ) ❖      |
| أذكرك.                                | (أَعْظَمَكَ) ❖                 |
| ألجأ إليك وأستنجد بك.                 | (أَعُوذُ بِكَ) ❖               |
| اهبط من السفينة بأمانٍ.               | (أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا) ❖ |
| نعم متكاثرة متزايدة.                  | (وَبَرَكَاتٍ) ❖                |
| أخبار كانت غائبة عنك.                 | (أَنْبَاءَ الْغَيْبِ) ❖        |



س: في قوله تعالى: ﴿بَجَرْنَهَاوَمُرْسَهَا﴾ قراءات وضح بعضها؟

ج: من هذه القراءات قراءة من قرأ بفتح الميم في قول: ﴿بَجَرْنَهَا﴾ وفي قوله: ﴿وَمُرْسَهَا﴾.

\* وأخرى بضم الميم فيهما: ﴿بَجَرْنَهَاوَمُرْسَهَا﴾.

\* وثالثة بفتح الميم في ﴿بَجَرْنَهَا﴾ وضمهما في ﴿وَمُرْسَهَا﴾.

قال الطبري رحمه الله:

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ بَجَرْنَهَاوَمُرْسَهَا﴾، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: ﴿بِسْمِ اللَّهِ بَجَرْنَهَاوَمُرْسَهَا﴾، بضم الميم في الحرفين كليهما. وإذا قرئ كذلك كان من «أجرى» و«أرسى»، وكان فيه وجهان من الإعراب:

**أحدهما:** الرفع بمعنى: بسم الله إجراؤها وإرساؤها، فيكون «المجرى» و«المرسى» مرفوعين حينئذ بالباء التي في قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾.

**والآخر:** النصب، بمعنى: بسم الله عند إجرائها وإرسائها، أو وقت إجرائها وإرسائها، فيكون قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، كلامًا مكتفيًا بنفسه، كقول القائل عند ابتدائه في عمل يعمله: «بسم الله»، ثم يكون «المجرى» و«المرسى» منصوبين على ما نصبت العرب قولهم: «الحمد لله سرارك وإِهْلَالُكَ»، يعنون الهلال أوله وآخره، كأنهم قالوا: «الحمد لله أول الهلال وآخره»، ومسموع منهم أيضا: «الحمد لله ما إِهْلَالُكَ إلى سِرَارِكَ».

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين: ﴿بِسْمِ اللَّهِ بَجَرْنَهَاوَمُرْسَهَا﴾، بفتح الميم من «مجرأها»، وضمها من «مرساها»، فجعلوا «مجرأها» مصدرًا من «جري يجري مَجْرَى»، و«مرساها» من «أرسي يُرسي إرساء».

وإذا قرئ ذلك كذلك، كان في إعرابهما من الوجهين، نحو الذي فيهما إذا

قرئاً: ﴿مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾، بضم الميم فيهما، على ما بيئتُ.  
**ثم قال أبو جعفر:** والقراءة التي نختارها في ذلك قراءة من قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ  
 بِحَرْبِهَا﴾، بفتح الميم ﴿وَمُرْسَهَا﴾، بضم الميم، بمعنى: بسم الله حين تجري  
 وحين تُرسي.

**قلت: وقال القرطبي...** وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي ﴿بِسْمِ اللَّهِ  
 بِحَرْبِهَا﴾ بفتح الميم ﴿وَمُرْسَهَا﴾ بضم الميم.



**س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ بِحَرْبِهَا وَمُرْسَهَا إِنَّ رَبِّي  
 لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤١).**

**ج: المعنى - والله تعالى أعلم -:** وقال نبي الله نوح عليه السلام لقومه، وقال (بعض  
 العلماء) إن هذا أمرٌ من الله تعالى هو الذي قال اركبوا فيها.

**أما قوله: ﴿ارْكَبُوا فِيهَا﴾ أي:** في السفينة التي صنعها نبي الله نوح عليه السلام، بسم  
 الله يكون جريانها، وبسم الله يكون توقفها، وقيل: بسم الله تجري وبسم الله  
 تقف.

**وقيل:** المعنى بأمر الله تجري وبأمر الله تقف.

**وقال بعض العلماء:** المعنى قولوا بسم الله عند جريانها وبسم الله عند  
 توقفها.

**أما قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾،** لذنوب عباده المؤمنين ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم إذ أنجاهم،  
 والله أعلم.

**قال الحافظ ابن كثير رحمته الله:**

يقول تعالى إخباراً عن نوح عليه السلام، أنه قال للذين أمر بحملهم معه في  
 السفينة: ﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ بِحَرْبِهَا وَمُرْسَهَا﴾ أي: بسم الله يكون جريها على

وجه الماء، وبسم الله يكون منتهى سيرها، وهو رُسُوها.  
 وقرأ أبو رجاء العطاردي: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مُجْرِيهَا وَمُرْسِيهَا﴾.  
 وقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوَارِ  
 الظَّالِمِينَ ۝٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ۝٢٩﴾ [المؤمنون: ٢٨، ٢٩]؛ ولهذا  
 تستحب التسمية في ابتداء الأمور: عند الركوب على السفينة وعلى الدابة، كما  
 قال تعالى: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلُكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ۝١٢﴾ لَتَسْتَوْأُ  
 عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا  
 كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ۝١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ۝١٤﴾ [الزخرف: ١٢-١٤].

**وقوله:** ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٤١﴾ مناسب عند ذكر الانتقام من الكافرين  
 بإغراقهم أجمعين ذكر أنه غفور رحيم، كما قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ  
 لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٦٧﴾ [الأعراف: ١٦٧]، وقال: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ  
 رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٦﴾ [الرعد: ٦]، إلى غير ذلك من الآيات التي يقرن فيها  
 بين انتقامه ورحمته.

### وقال الشنقيطي (في أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ بِحَبْرِهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٤١﴾.  
**ذكر الله تعالى في هذا الآية الكريمة:** أن نبيه نوحاً عليه وعلى نبينا الصلاة  
 والسلام أمر أصحابه الذين قيل لهم احملهم فيها أن يركبوا فيها قائلاً: وَقَالَ:  
 ﴿بِسْمِ اللَّهِ بِحَبْرِهَا وَمُرْسَاهَا﴾ أي بسم الله يكون جريها على وجه الماء، وبسم الله  
 يكون منتهى سيرها وهو رسوها.

**وبين في سورة الفلاح:** أنه أمره إذا استوى على السفينة هو ومن معه أن  
 يحمدا الله الذي نجاهم من الكفرة الظالمين، ويسألوه أن ينزلهم منزلاً

مباركاً. وذلك في قوله: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٨) وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ [المؤمنون: ٢٨، ٢٩].

وبين في سورة الزخرف ما ينبغي أن يقال عند ركوب السفن وغيرها بقوله ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ (١٣) لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٤﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٥﴾ [الزخرف: ١٢-١٤].

ومعنى قوله: ﴿مُقْرِنِينَ﴾ أي: مطيقين.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

**والمعنى:** أنه أمرهم أن يسمّوا في وقت جريها ووقت استقرارها.

ومن قرأ بضم الميمين، فالمعنى: بالله إجرأوها، وبالله إرساها. ومن فتحهما، فالمعنى: بالله يكون جريها، وبالله يقع إرساؤها، أي: إقرارها. وسمعت شيخنا أبا منصور اللغوي يقول: من ضم الميم في «مجرأها» أراد: أجرأها الله مجرياً، ومن فتحها، أراد: جرت مجرى. وقال الضحاك: كان إذا أراد أن تجري، قال: بسم الله، فجرت. وإذا أراد أن ترسي، قال: بسم الله، فرست.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

﴿وَقَالَ نُوحٌ لِّمَنْ أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يَحْمِلَهُمْ: ﴿أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ جَعَلَهَا وَمُرْسَهَا﴾ أي: تجري على اسم الله، وترسو على اسم الله، وتجري بتسخيره وأمره.

﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث غفر لنا ورحمنا، ونجانا من القوم الظالمين.



س: من قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ما يستدل به على أن أهل الإيمان تصدر منهم ذنوب وضح ذلك؟

ج: إيضاحه أن أهل السفينة قال لهم نوح ﷺ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: لذنوبكم رحيم بكم إذ أنجاكم وسلمكم والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ (٤٢) قَالَ سَوَّوْا إِلَيَّ جَبَلَ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾

ج: المعنى - والله أعلم -: والفلك التي ركبها نوح ﷺ ومن معه من المؤمنين، وما حملة من كل زوجين اثنين تجري بهم جميعاً في موج من شدته وعظمته كالجبال ونادى نوح ابنه كي يركب معهم، وكان ابنه في مكان منعزل عنه، مبتعد عن والده وعن المؤمنين، يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين فإن مصيرهم إلى الهلاك فقال ولده: ﴿سَوَّوْا إِلَيَّ جَبَلَ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ سأصير وأذهب إلى جبل مرتفع يمنعني من الغرق قال له أبوه حينئذٍ ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ لا مانع اليوم من قضاء الذي قضاه من إهلاك القوم الكافرين، وما هي إلا لحظات حتى صنع الموج نوحاً ﷺ من رؤية ولده، ومنع الولد من رؤية أبيه فكان الولد من المغرقين الهلكى على الكفار والعياذ بالله.

وينحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ﴾، والفلك تجري بنوح ومن معه فيها ﴿فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾، يوم ﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾، عنه، لم يركب

معه الفلك: ﴿يَبْتِئَ أَرْكَبَ مَعَنَا﴾، الفلك ﴿وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ ٤٢.

**ويقول تعالى ذكره:** قال ابن نوح لما دعاه نوح إلى أن يركب معه السفينة خوفاً عليه من الغرق: ﴿سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ يقول: سأصير إلى جبل أتحصن به من الماء، فيمنعني منه أن يغرقني.

ويعني بقوله: ﴿يَعْصِمُنِي﴾ يمنعني، مثل «عصام القربة»، الذي يشدُّ به رأسها، فيمنع الماء أن يسيل منها.

**وقوله:** ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾، يقول: لا مانع اليوم من أمر الله الذي قد نزل بالخلق من الغرق والهلاك، إلا من رحمنا فأنقذنا منه، فإنه الذي يمنع من شاء من خلقه ويعصم. ف﴿مَنْ﴾ في موضع رفع، لأن معنى الكلام: لا عاصم يعصم اليوم من أمر الله إلا الله.

**وقوله:** ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ ٤٣، يقول: وحال بين نوح وابنه موج الماء فغرق، فكان ممن أهلكه بالغرق من قوم نوح ﷺ.

**وقال ابن كثير رحمه الله:**

**وقوله:** ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ أي: السفينة سائرة بهم على وجه الماء، الذي قد طبَّق جميع الأرض، حتى طفت على رؤوس الجبال، وارتفع عليها بخمسة عشر ذراعاً، وقيل: بثمانين ميلاً وهذه السفينة على وجه الماء سائرة بإذن الله وتحت كنفه وعنايته وحراسته وامتنانه كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ ١١ ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِبَاءَ آذُنٍ وَعِیَّةً﴾ ١٢ [الحاقة: ١١، ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ ١٣ ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ ١٤ ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ ١٥ [القمر: ١٣-١٥].

**...ثم قال:**

والذي نص عليه القرآن أنه قال: ﴿قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾



اعتقد بجهله أن الطوفان لا يبلغ إلى رءوس الجبال، وأنه لو تعلق في رأس جبل لنجّاه ذلك من الغرق، فقال له أبوه نوح، **عَلَيْكَ السَّلَامُ**: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ أي: ليس شيء يعصم اليوم من أمر الله. وقيل: إن عاصما بمعنى معصوم، كما يقال: «طاعم وكاس»، بمعنى مطعوم ومكسوّ، ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ (٤٣).

### قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ الآية. ذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة: أن السفينة تجري بنوح ومن معه في ماء عظيم، أمواجه كالجبال.

وبين جريانها هذا ي ذلك الماء الهائل في مواضع آخر. كقوله: ﴿إِنَّا لَمَاطِعَا الْمَاءِ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ (١٢) ﴿[الحاقة: ١١ - ١٢] وقوله: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنَمِّرٍ﴾ (١١) وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدَرٍ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ (١٥)﴾ [القمر: ١١ - ١٥].

وبين في موضع آخر: أن أمواج البحر الذي أغرق الله فيه فرعون وقومه كالجبال أيضاً بقوله: ﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (١٣) ﴿[الشعراء: ٦٣] والطود: الجبل العظيم.

### وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم وصف جريانها كأننا نشاهدها فقال: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ﴾ أي: بنوح، ومن ركب معه ﴿فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ والله حافظها وحافظ أهلها ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ لما ركب، ليركب معه ﴿وَكَانَ﴾ ابنه ﴿فِي مَعَزِلٍ﴾ عنهم، حين ركبوا، أي: مبتعدا وأراد منه، أن يقرب ليركب، فقال له: ﴿يَبْنَئِ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ

الْكَافِرِينَ ﴿ فَيَصْبِيحُ مَا يَصِيبُهُمْ.﴾

﴿ قَالَ ﴾ ابنه، مكذبا لأبيه أنه لا ينجو إلا من ركب معه السفينة.

﴿ سَاوِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَّصْطَلِي مِنْ أَلْمَاءٍ ﴾ أي: سأرتقي جبلا أمتنع به من الماء،

﴿ قَالَ ﴾ نوح: ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾ فلا يعصم أحدا، جبل

ولا غيره، ولو تسبب بغاية ما يمكنه من الأسباب، لما نجا إن لم ينجه الله.

﴿ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ ﴾ الابن ﴿ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾.



المهتدي من هداه الله  
(الأنبياء ﷺ لا يملكون التوفيق لأحد)

س: في قصة نوح ﷺ مع ولده ما يدل على أن الهداية من عند الله، وضح ذلك مع مزيد من الاستدلالات؟

ج: إيضاحه أن نبي الله ﷺ، وهو من أولى العزم من الرسل، وهو العبد الشكور، وهو أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، والأنبياء والرسل أعقل الناس وأذكى الناس، وأحسن الناس أسلوبًا، وأصفاهم قلوبًا، وأجملهم طريقة في الدعوة إلى الله، ومع ذلك كله لم يستطع نوح ﷺ هداية ولده. كما أن أبا طالب لم يستجب لرسول الله ﷺ حينما قال له: «يا عم قل لا إله إلا الله»، فأبى أن يقولها، وقال هو على ملة عبد المطلب، ومات على ذلك. وكما أن إبراهيم ﷺ دعا أباه ودعاه ووعاه ولكن ما أجدى كل ذلك مع والد إبراهيم ﷺ بشيء، وكذلك امرأة نوح وامرأة لوط، قال الله في شأنهما: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [التحریم: ١٠]. وكذا قال تعالى في شأن ذرية إبراهيم وإسحاق ﷺ، قال: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ١١٣-١١٤]. إلى غير ذلك، والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَنَسَمَاءَ أَقْلِي وَغِضِي الْمَاءُ وَفُغِيَ الْآمُرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [١١].

ج: المعنى - والله أعلم -: وبعد أن أغرض الله الأرض ومن عليها، وسلم نوحًا ﷺ ومن معه أمر الله ﷻ الأرض أن تبلع ماءها تنشر به وتدخله ثابتة في

جوفها، وأمر السماء أن تمسك عن المطر، وغيض الماء كما أمر الله ﷻ أي: شرع في النقصان والاختفاء، وقضى الله ما أَراده من إهلاك الظالمين، وإنجاء المؤمنين، واستقرت السفينة العظيمة على جبل الجودي، ﴿وَقِيلَ بَعْدَ لَقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: خسارًا وهلاكًا ولعنةً لهم.

**وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.**

**قال الطبري رحمه الله:**

**يقول الله تعالى ذكره:** وقال الله للأرض بعد ما تنهى أمره في هلاك قوم نوح بما أهلكهم به من الغرق: ﴿يَتَّأَرَضُ آبِلَى مَاءِكِ﴾، أي: تشربي. من قول القائل: «بَلَعَ فلان كذا يَبْلَعُهُ»، أو «بَلَعَهُ يَبْلَعُهُ»، إذا ازدرده. ﴿وَنَسَمَاءُ أَقْلَى﴾، يقول: أقلعي عن المطر، أمسكي، ﴿وَعِضَ الْمَاءِ﴾، ذهبت به الأرض ونشفتها، ﴿وَقَضَى الْأَمْرُ﴾، يقول: قُضِيَ أمر الله، فمضى بهلاك قوم نوح ﴿وَأَسْوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾، يعني الفلك، ﴿وَأَسْوَتْ﴾: أرسيت، ﴿عَلَى الْجُودِيِّ﴾، وهو جبل، فيما ذكر بناحية الموصل أو الجزيرة، ﴿وَقِيلَ بَعْدَ لَقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، يقول: قال الله: أبعد الله القوم الظالمين الذين كفروا بالله من قوم نوح.

**وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:**

يخبر تعالى أنه لما غرق أهل الأرض إلا أصحاب السفينة، أمر الأرض أن تبلع ماءها الذي نبع منها واجتمع عليها، وأمر السماء أن تُقلع عن المطر، ﴿وَعِضَ الْمَاءِ﴾ أي: شرع في النقص، ﴿وَقَضَى الْأَمْرُ﴾ أي: فُرغ من أهل الأرض قاطبة، ممن كفر بالله، لم يبق منهم ديار، ﴿وَأَسْوَتْ﴾ السفينة بمن فيها ﴿عَلَى الْجُودِيِّ﴾.

**... وذكر ابن كثير رحمه الله آثار لا مستند عليها ثم قال:**

**وقوله:** ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: هلاكًا وخسارًا لهم وبعدًا من رحمة الله، فإنهم قد هلكوا عن آخرهم، فلم يبق لهم بقية.

**وقال السعدي رحمه الله:**

فلما أغرقهم الله ونجى نوحا ومن معه ﴿وَقِيلَ يَتَّأَرِضْ أِبْلَعِي مَاءَكِ﴾ الذي خرج منك، والذي نزل إليك، أي: ابلعي الماء الذي على وجهك ﴿وَنَسَمَاءُ أَقْلَعِي﴾ فامتثلتا لأمر الله، فابتلعت الأرض ماءها، وأقْلعت السماء، فنضب الماء من الأرض، ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ بهلاك المكذبين ونجاة المؤمنين. ﴿وَأَسْتَوَتْ﴾ السفينة ﴿عَلَى الْجُودِيِّ﴾ أي: أرسَتْ على ذلك الجبل المعروف في أرض الموصل. ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: أتبعوا بعد هلاكهم لعنة وبعدًا، وسحقًا لا يزال معهم.



السموات والأرض لهما إدراك ويعقلان عن الله ﷻ أمره

س: السموات والأرض لهما إدراك وقفهم عن الله مراده دَلِّل على ذلك؟

ج: نعم لها إدراك بطريقة يعلمها الله، دلت على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿يَا أَرْضُ أَبْلَغِي مَاءَ لِي وَسَمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ

رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾... الْآيَات، وفيها: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ

﴿١١﴾ [فصلت: ٩-١١].

وقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ

لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ [الإسراء: ٤٤].

قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا

فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾... [الانشقاق: ١-٥].

قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا...﴾

[الأحزاب: ٧٢].

إلى غير ذلك من الأدلة. والله أعلم.



قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ والقول في ولد نوح

وهل هو من سفاح أو من نكاح؟

س: هل هذا الابن العاق الكافر ابن نوح ﷺ لصلبه أم لا؟

ج: الظاهر والله أعلم انه ابنه لصلبه، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾.



س: إذن فما توجيه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾؟

ج: قال بعض العلماء: إنه ليس من أهلك الذين وعدتك بإنجائهم، وليس على طريقتك ودينك وسنتك. والله أعلم.



س: ما توجيه قوله: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: إنه ذو عمل غير صالح، أي: صاحب عمل غير صالح.

الثاني: أنه ولد زنا، وهذا قول قد سبقت الإشارة إلى رده وعدم قبوله.

الثالث: أن سؤالك نجاه ابنك عمل غير صالح. والله أعلم.



س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ

وَعَدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَكْرَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ (٤٦) قَالَ يَنْتَحِبُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَشْهَلْنِ مَا

لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٧) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ

عِلْمٌ وَلَا أَتَعَفِّرُ لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٤٨) قِيلَ يَنْتَحِبُ أَهْطِدْ بِسُلْمٍ مِنَّا وَبَرَكَتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى

أُمِّهِ وَمَنْ مَعَكَ وَأُمُّهُمْ سَخِمَ عَنْهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٩)﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - : ونادى نوحُ رَبَّهُ قيل: وسأل نوحُ ﷺ ربه عن

مصير ولده، وقيل: إن النداء تفيض معنى الدعاء.

﴿فَقَالَ رَبِّ﴾، يا رب ﴿إِنِّ أَنبِيَّ مِنْ أَهْلِي﴾ كأنه سأله ربّه أن ينجي ولده لذلك، فكأنه قال من أهلي الذين وعدتني بإنجائهم، ﴿وَلِإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ وعدك لا يتخلف ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ أعدل من حكم، وأفضل من حكم وأحكم الحاكمين بالحق فقال تعالى لنوح **عَلَيْهِ السَّلَامُ** ﴿يَنْوَحُ إِنَّهُ﴾ ولدك ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الذين وعدتك بإنجائهم، وإنما وعدت بإنجاء المتقين، وليس من أهلك الذين هم على دينك وشريعتك ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ ذو عمل غير صالح ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ فلا تسألني عن أمور علمها عندي ولا تعلمها أنت، لا تسألني نجاته فأنا أعلم به منك.

﴿إِنِّي أَعْظَمُكَ﴾ أذكرت ﴿أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ الذين يجهلون حكمة الله في خلقه، ومن الجاهلين المعترضين على قضاء الله وقدره، فعندها دعا نوح **عَلَيْهِ السَّلَامُ** متعوذاً ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: يا رب ألجأ إليك مستجيراً بك مستنجداً كي تعصمني من سؤال ما ليس لي به علم ﴿وَلَا تَعْفِرْ لِي﴾ ذنوبي وما صدر مني من سؤالي ﴿وَتَرْحَمَنِي﴾ برحمتك أكن من الخاسرين في دنياي وآخرتي.

﴿قِيلَ يَنْوَحُ أَهْبِطْ﴾ من السفينة على الجودي ﴿سَلِّمْ مَنَا﴾ بأمانٍ من الله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** ﴿وَبَرَكَتٍ﴾ ونعم متزايدة من الله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** ﴿عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾ وعلى جماعات ممن معك وأمم آخرون، وهم من ذرية من معك سيكونون مستقيمين على التوحيد ستمتعهم قليلاً في الحياة الدنيا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مَنَا﴾ يصيبهم منا يوم القيامة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ عذاب مؤلم موجه.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.



وقال الطبري رحمه الله:

**يقول تعالى ذكره:** ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ تَنْجِيَنِي مِنَ الْغَرَقِ وَالْهَلَاكِ وَأَهْلِي، وَقَدْ هَلَكَ ابْنِي، وَابْنِي مِنْ أَهْلِي، ﴿وَلِإِنْ وَعَدَكَ الْحَقُّ﴾، الَّذِي لَا خَلْفَ لَهُ، ﴿وَأَنْتَ أَكْرَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ ٤٥﴾، بِالْحَقِّ، فَاحْكُم لِي بِأَنْ تَفِي بِمَا وَعَدْتَنِي، مِنْ أَنْ تَنْجِيَنِي لِي أَهْلِي، وَتَرْجِعَ إِلَيَّ ابْنِي.

**ويقول الله تعالى ذكره:** قال الله يا نوح إن الذي غرقته فأهلكته الذي تذكر أنه من أهلك ليس من أهلك.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾.

**فقال بعضهم:** معناه: ليس من ولدك، هو من غيرك. وقالوا: كان ذلك من حنث.

**وأورد بسند صحيح عن الحسن، في قوله:** ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾، قال: لم يكن ابنه.

**وأخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة، قال:** سمعت الحسن يقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾، فقال عند ذلك: والله ما كان ابنه. ثم قرأ هذه الآية: ﴿فَخَانَتْهُمَا﴾، [التحریم: ١٠] قال سعيد: فذكرت ذلك لقتادة، قال: ما كان ينبغي له أن يحلف!

**وقال آخرون:** معنى ذلك: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الذين وعدتك أن أنجيهم.

**وأورد الطبري بإسناد صحيح عن أبي عامر<sup>(١)</sup>، عن الضحاك، عن ابن عباس** في قوله: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ﴾، قال: هو ابنه.

**ومن وجه آخر:** عن أبي عامر الهمداني، عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس قال، ما بغت امرأة نبي قط. قال: وقوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾، الذين

(١) أبو عامر هو الهمداني، والضحاك هو ابن مزاحم.

وعدتك أن أنجيهم معك.

**وله شواهد يصح بها عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** وأخرج الطبري بسند حسن عن موسى بن أبي عائشة، عن سليمان بن قتة قال: سمعت ابن عباس يُسأل وهو إلى جنب الكعبة عن قول الله تعالى: ﴿فَخَانَتْهُمَا﴾، **[التحریم: ١٠]**، قال: أما إنه لم يكن بالزنا، ولكن كانت هذه تخبر الناس أنه مجنون، وكانت هذه تدل على الأضياف. ثم قرأ: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾، قال ابن عيينة: وأخبرني عمار الدُّهني: أنه سأل سعيد بن جبیر عن ذلك فقال: كان ابن نوح، إن الله لا يكذب! قال: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ﴾، قال: وقال بعض العلماء: ما فجرت امرأة نبي قط.

**وبسند حسن عن موسى بن أبي عائشة عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس قال:** ما بغت امرأة نبي قط.

**وقد ورد من طرق عن سعيد بن جبیر أنه:** (ابنه).

**قال الطبري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أورد جملةً من الآثار:**

**وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال:** تأويل ذلك: إنه ليس من أهلِكَ الذين وعدتك أن أنجيهم، لأنه كان لدينك مخالفاً، وبي كافراً، وكان ابنه لأن الله تعالى ذكره قد أخبر نبيه محمداً ﷺ أنه ابنه فقال: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾، وغير جائز أن يخبر أنه ابنه فيكون بخلاف ما أخبر. وليس في قوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾، دلالة على أنه ليس بابنه، إذ كان قوله: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾، محتملاً من المعنى ما ذكرنا، ومحتملاً أنه ليس من أهل دينك، ثم يحذف «الدين» فيقال: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾، كما قيل: ﴿وَسَكَلَ الْقَرْبَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾، **[يوسف: ٨٢]**.

**وأما قوله:** ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾، فإن القراء اختلفت في قراءته.

**فقرأته عامة قراء الأمصار:** ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ بتنوين «عمل» ورفع «غير».

واختلف الذين قرءوا ذلك كذلك في تأويله.

فقال بعضهم: معناه: إن مسألتك إياي هذه عمل غير صالح.

**وأورد بإسناد حسن عن قتادة:** ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ أي: سوء ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.

**وقال آخرون: بل معناه:** إن الذي ذكرت أنه ابنك فسألتني أن أنجيّه، عمل غير صالح، أي: أنه لغير رشدة. وقالوا: «الهاء»، في قوله: «إنه» عائدة على «الابن».

**قال الطبري رحمه الله:**

وروي عن جماعة من السلف أنهم قرءوا ذلك: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾، على وجه الخبر عن الفعل الماضي، وغير منصوبة. وممن روي عنه أنه قرأ ذلك كذلك، ابن عباس.

حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عينة، عن موسى بن أبي عائشة، عن سليمان بن قتة، عن ابن عباس أنه قرأ: ﴿عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ﴾. ووجهوا تأويل ذلك إلى ما:-

حدثنا به ابن وكيع قال، حدثنا غندر، عن ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ﴾، قال: كان مخالفاً في النية والعمل.

**قال أبو جعفر:** ولا نعلم هذه القراءة قرأ بها أحد من قراء الأمصار، إلا بعض المتأخرين، واعتلّ في ذلك بخبر روي عن رسول الله ﷺ أنه قرأ ذلك كذلك، غير صحيح السند. وذلك حديث روي عن شهر بن حوشب، فمرة يقول: «عن أم سلمة»، ومرة يقول: «عن أسماء بنت يزيد»، ولا نعلم أبنت يزيد يريد؟ ولا نعلم لشهر سماعاً يصح عن أم سلمة.

**قال أبو جعفر:** والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار، وذلك رفع ﴿عَمَلٌ﴾ بالتنوين، ورفع ﴿غَيْرٌ﴾، يعني: إن سؤالك إياي ما تسألني في أبنيك، المخالف دينك، الموالي أهل الشرك بي من النجاة من الهلاك، وقد مضت إجابتي إياك في دعائك: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مَعَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا﴾، ما قد مضى من غير استثناء أحد منهم، عملٌ غير صالح، لأنه مسألة منك إليّ أن لا أفعل ما قد تقدّم مني القول بأني أفعله، في إجابتي مسألتك إياي فعله. فذلك هو العمل غير الصالح.

**وقوله:** ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، نهى من الله تعالى ذكره نبيه نوحاً أن يسأله أسباب أفعاله التي قد طوى علمها عنه وعن غيره من البشر. يقول له تعالى ذكره: إني يا نوح قد أخبرتك عن سؤالك سبب إهلاك ابنك الذي أهلكته، فلا تسألن بعدها عما قد طويت علمه عنك من أسباب أفعالي، وليس لك به علم، ﴿إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ في مسألتك إياي عن ذلك.

**وقال في تأويل قوله تعالى:** ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ (٤٧).

يقول تعالى ذكره مخبراً نبيه محمداً ﷺ، عن إنابة نوح عليه السلام بالتوبة إليه من زلته، في مسأله التي سألهما ربّه في ابنه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ﴾، أي: أستجير بك أن أتكلف مسألتك ما ليس لي به علم، مما قد استأثرت بعلمه، وطويت علمه عن خلقك، فاغفر لي زلتي في مسألتني إياك ما سألتك في ابني، وإن أنت لم تغفرها لي وترحمني فتتقذني من غضبك، ﴿أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ (٤٧)، يقول: من الذين غبنوا أنفسهم حظوظها وهلكوا.

**وقال في تأويل قوله تعالى:** ﴿قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٤٨).

**يقول تعالى ذكره:** يا نوح، اهبط من الفلك إلى الأرض ﴿سَلِمَ مِنَّا﴾، يقول: بأمن منا أنت ومن معك من إهلاكنا، ﴿وَبَرَكَتٍ عَلَيْكَ﴾، يقول: وبركات عليك ﴿وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾، يقول: وعلى قرون تجيء من ذرية من معك من ولدك. فهؤلاء المؤمنون من ذرية نوح الذين سبقت لهم من الله السعادة، وبارك عليهم قبل أن يخلقهم في بطون أمهاتهم وأصلاّب آبائهم. ثم أخبر تعالى ذكره نوحًا عما هو فاعل بأهل الشقاء من ذريته، فقال له: ﴿وَأُمَمٌ﴾، يقول: وقرون وجماعة ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ في الحياة في الدنيا، يقول: نرزقهم فيها ما يتمتعون به إلى أن يبلغوا آجالهم ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، يقول: ثم نذيقهم إذا وردوا علينا عذابًا مؤلماً موجعاً.

**وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله:** ﴿اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم﴾، قال: هبطوا والله عنهم راض، هبطوا بسلام من الله. كانوا أهل رحمة من أهل ذلك الدهر، ثم أخرج منهم نسلاً بعد ذلك أمماً، منهم من رحم، ومنهم من عذب. وقرأ: ﴿وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم﴾، وذلك إنما افترقت الأمم من تلك العصابة التي خرجت من ذلك الماء وسلمت.

#### قال ابن كثير رحمه الله:

هذا سؤال استعلام وكشف من نوح، **عليه السلام**، عن حال ولده الذي غرق، ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي مِّنْ أَهْلِ﴾ أي: وقد وعدتني بنجاة أهلي، ووعدك الحق الذي لا يخلف، فكيف غرق وأنت أحكم الحاكمين؟ ﴿قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي: الذين وعدت إنجاءهم؛ لأنني إنما وعدتك بنجاة من آمن من أهلِكَ؛ ولهذا قال: ﴿وَأَهْلِكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ [هود: ٤٠]، فكان هذا الولد ممن سَبَقَ عليه القول بالغرق لكفره ومخالفته أباه نبي الله نوحاً، **عليه السلام**.

وقد نص غير واحد من الأئمة على تخطئة من ذهب في تفسير هذا إلى أنه ليس بابنه، وإنما كان ابن زنية، ويحكى القول بأنه ليس بابنه، وإنما كان ابن امرأته عن مجاهد، والحسن، وعبيد بن عمير، وأبي جعفر الباقر، وابن جريج، واحتج بعضهم بقوله: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ وبقوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحریم: ١٠]، فممن قاله الحسن البصري، احتج بهاتين الآيتين. وبعضهم يقول: كان ابن امرأته. وهذا يحتمل أن يكون أراد ما أراد الحسن، أو أراد أنه نسب إليه مجازاً، لكونه كان ربيياً عنده، فالله أعلم.

وقال ابن عباس، وغير واحد من السلف: ما زنت امرأة نبي قط، قال: وقوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي: الذين وعدتك نجاتهم.

وقول ابن عباس في هذا هو الحق الذي لا محيد عنه، فإن الله سبحانه غير من أن يمكن امرأة نبي من الفاحشة ولهذا غضب الله على الذين رموا أم المؤمنين عائشة بنت الصديق زوج النبي ﷺ، وأنكر على المؤمنين الذين تكلموا بهذا وأشاعوه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١-١٥].

**وقال ابن الجوزي (زاد المسير):**

قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي أَنبِئُ مِنْ أَهْلِي﴾ إنما قال نوح هذا، لأن الله تعالى وعده نجاة أهله، فقال: ﴿وَلِإِنِّ وَعْدُكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ قال ابن عباس: أعدل العادلين. وقال ابن زيد: فأنت أحكم الحاكمين بالحق.

**واختلفوا في هذا الذي سأل فيه نوح على قولين:**

**أحدهما:** أنه ابن نوح لصلبه، قاله ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير،

ومجاهد، والضحاك، والجمهور.

**والثاني:** أنه ولد على فراشه لغير رشدة ولم يكن ابنه. روى ابن الأنباري باسناده عن الحسن أنه قال: لم يكن ابنه، إن امرأته فجرت. وعن الشعبي قال: لم يكن ابنه، إن امرأته خانت، وعن مجاهد نحو ذلك. وقال ابن جريج: ناداه نوح وهو يحسب أنه ابنه، وكان وُلد على فراشه. فعلى القول الأول، يكون في معنى قوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ قولان:

**أحدهما:** ليس من أهل دينك.

**والثاني:** أنه ليس من أهلك الذين وعدتك نجاتهم. قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط، وإنما المعنى: ليس من أهلك الذين وعدتك نجاتهم. وعلى القول الآخر: الكلام على ظاهره، والأول أصح، لموافقته ظاهر القرآن، ولا اجتماع الأكثرين عليه، وهو أولى من رمي زوجة نبي بفاحشة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة: (إِنَّهُ عَمَلٌ) رفع منون (غَيْرُ صَالِحٍ) برفع الراء، وفيه قولان:

**أحدهما:** أنه يرجع إلى السؤال فيه، فالمعنى: سؤلك إياي فيه عمل غير صالح، قاله ابن عباس، وقتادة، وهذا ظاهر، الآية لأنه قد تقدم السؤال فيه في قوله: «رب إن ابني من أهلي» فرجعت الكناية إليه.

**والثاني:** أنه يرجع إلى المسؤول فيه.

**وفي هذا المعنى قولان:**

**أحدهما:** أنه لغير رشدة، قاله الحسن.

**والثاني:** أن المعنى: إنه ذو عمل غير صالح، قاله الزجاج. قال ابن الأنباري: من قال المعنى: هو لغير رشدة، قال: المعنى: إن أصل ابنك الذي تظن أنه ابنك عمل غير صالح. ومن قال: إنه ذو عمل غير صالح، قال: حذف

المضاف، وأقام العمل مقامه، كما تقول العرب: عبد الله إقبال وإدبار، أي: صاحب إقبال وإدبار. وقرأ الكسائي: «عَمِلَ» بكسر الميم وفتح اللام «غَيْرَ صالح» بفتح الراء، يشير إلى أنه مشرك.

**ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** أنه نسبته إليه، وليس منه.

**والثاني:** في إدخاله إياه في جملة أهله الذين وعده نجاتهم.

**والثالث:** سؤاله في إنجاء كافر من العذاب.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

**أحدها:** أن تكون من الجاهلين في سؤالك من ليس من حزبك.

**والثاني:** من الجاهلين بوعدى، لأنى وعدت بإنجاء المؤمنين.

**والثالث:** من الجاهلين بنسبك، لأنه ليس من أهلك.

﴿قِيلَ يَنْتُحِ أَهِيْطُ بِسَلَمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمُّ

سَمِعَتْهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٤٨)

قوله تعالى: ﴿يَنْتُحِ أَهِيْطُ﴾ قال ابن عباس: يريد: من السفينة إلى الأرض.

﴿بِسَلَمٍ مِّنَّا﴾ أي: بسلامة.

قوله تعالى: ﴿وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ﴾ قال المفسرون: البركات عليه: أنه صار أباً

للنبي جميعاً، لأن جميع الخلق من نسله. ﴿وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ﴾ قال ابن

عباس: يريد: من ولدك. قال ابن الأنباري: المعنى: من ذراري من معك،

والمراد: المؤمنون من ذريته. ثم ذكر الكفار، فقال: ﴿وَأُمُّ﴾ أي: من الذرية

أيضاً، والمعنى: وفيمن نصّف لك أمم، وفيمن نقص عليك أمره أمم.

﴿سَمِعَتْهُمْ﴾ أي: في الدنيا ﴿ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة. قال محمد بن

كعب القرظي: لم يبق مؤمن ولا مؤمنة في أصلاب الرجال وأرحام النساء



يومئذ إلى أن تقوم الساعة إلا وقد دخل في ذلك السلام والبركات، ولم يبق  
كافر إلا دخل في ذلك المتاع والعذاب.



س: ما مدى صحة هذا الحديث الذي أخرجه أحمد وغيره من حديث  
أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ وَسَمِعَتْهُ يَقْرَأُ ﴿يَا  
عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ  
جَمِيعًا﴾ وَلَا يُبَالِي ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(١)</sup>؟

ج: هو حديث ضعيف الإسناد.



(١) أحمد (٤٥٤ / ٦)، وغيره وفي سنده شهر بن حوشب متكلم فيه والخبر لا يصح.

## أدب رفيع من آداب الدعاء

ولفتة إلى تواضع الأنبياء ﷺ واعتراضهم بضعفهم لله ﷻ

س: في قول نوح ﷺ: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْكَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ أدب رفيع ينبغي أن نتأدب به، ولفتة إلى أمر عظيم وضح ذلك؟

ج: هذا الأدب الرفيع مؤداه أن نوحاً ﷺ يعترف بضعفه لربه ﷻ فالمعنى أما يا رب وقد نهيتني عن سؤال ما ليس لي به علم فيا رب لن أستطيع امتثال ذلك إلا إذا حفظتني وعصمتني من سؤال ما ليس لي به علم، أما إذا تركتني وأني فإني ضعيف فلا حول ولا قوة لي إلا بك.

وهذا كالمعنى في قوله: (لا حول ولا قوة إلا بالله) أي: فلا تحوّل لي عن سؤالي ما ليس به علم إلا إذا حولتني ونحو ما ذكر قول الصديق يوسف ﷺ: ﴿وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

وقول الخليل إبراهيم ﷺ: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ [الأنعام: ٨٠].

أي: أنني لا أخشى أصنامكم ولا أوثانكم إلا إذا أراد اله لي أن أخاف منها. والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَذَابَ لِلْمُنْفِقِينَ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: تلك القصة التي قصصناها عليك يا رسول الله في شأن نبي الله نوح ﷺ من الأخبار الغيبية التي لم ترها ولم تشهدها أوحيناها إليك فتقصها عليهم أحسن اقتصاص وأجمل اقتصاص، وما كنت تعلم شيئاً من هذه الأخبار أنت ولا قومك من قبل نزول هذا القرآن عليك

فاصبر يا رسول الله على قضاء الله، واصبر على أذى قومك فإن العاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة لأهل التقى، الذين يتقون الشرك بالله، ويتقون معاصيه ومساخطه، والله أعلم.

**وبنحو ذلك قال عدد من أهل العلم.**

**قال الطبري رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ:** هذه القصة التي أنبأتك بها من قصة نوح وخبره وخبر قومه ﴿مِّنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾، يقول: هي من أخبار الغيب التي لم تشهدها فتعلمها ﴿نُوحِيَا إِلَيْكَ﴾، يقول: نوحها إليك نحن، فنعرفكها ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾، الوحي الذي نوحه إليك، ﴿فَاصْبِرْ﴾، على القيام بأمر الله وتبليغ رسالته، وما تلقى من مشركي قومك، كما صبر نوح ﴿إِنَّ الْعَقَبَةَ لِلْمُنْقِيَةِ﴾ ٤٩، يقول: إن الخير من عواقب الأمور لمن اتقى الله، فأدّى فرائضه، واجتنب معاصيه، فهم الفائزون بما يؤملون من النعيم في الآخرة، والظفر في الدنيا بالطلبة، كما كانت عاقبة نوح إذ صبر لأمر الله، أن نجّاه من الهلكة مع من آمن به، وأعطاه في الآخرة ما أعطاه من الكرامة، وغرّق المكذبين به فأهلكهم جميعهم.

**وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله:** ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾، القرآن، وما كان علم محمد ﷺ وقومه ما صنع نوح وقومه، لولا ما بين الله في كتابه.

**وقال ابن كثير رحمه الله:**

**يقول تعالى لنبيه ﷺ:** هذه القصة وأشباهها ﴿مِّنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ يعني: من أخبار الغيوب السالفة نوحها إليك على وجهها، كأنك شاهدتها، ﴿نُوحِيَا إِلَيْكَ﴾ أي: نعلمك بها وحيًا منا إليك، ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾

أي: لم يكن عندك ولا عند أحد من قومك علم بها، حتى يقول من يكذبك: إنك تعلمتها منه، بل أخبرك الله بها مطابقة لما كان عليه الأمر الصحيح، كما تشهد به كتب الأنبياء قبلك.

### قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ في المشار إليه بـ ﴿تِلْكَ﴾ قولان: **أحدهما: قصة نوح.**

**والثاني: آيات القرآن.**

والمعنى: تلك من أخبار ما غاب عنك وعن قومك. فإن قيل: كيف قال هاهنا: «تلك» وفي مكان آخر «ذلك»؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري.

**فقال:** «تلك» إشارة إلى آيات القرآن، و«ذلك» إشارة إلى الخبر والحديث، وكلاهما معروف في اللغة الفصيحة، يقول الرجل: قد قدم فلان، فيقول سامعٌ قوله: قد فرحت به، وقد سررت به، فإذا ذكر، عنى القدوم، وإذا أُنْتُ، ذهب إلى القَدَمَة.

قوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ يعني: القرآن. ﴿فَأَصْبِرْ﴾ كما صبر نوح على أذى قومه ﴿إِنَّ الْعِقَبَةَ﴾ أي: آخر الأمر بالظفر والتمكين ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: لك ولقومك كما كان لمؤمني قوم نوح.



الإشارة إلى نبوة رسول الله ﷺ بإخباره بأمر غيبية سبقت لم يكن له بها علم ولا لقريش بها علم

س: كثيراً ما يستدل على نبوة النبي ﷺ بما أخبر به أمور سبقت ولم يكن له ولا لقوم بها من علم، وضح ذلك؟

ج: إيضاحه: أنك يا رسول الله، أنت أمي لا تقرأ ولا تكتب، ومع ذلك تقصي أخبار من قد سبق أحسن اقتصاص وتسردها أحسن سرد وتوردها بالحق كما حدثت بوحي من الله إليك فكان من الجدير بالقوم أن يؤمنوا وهم يعلمون صوتك وأمانك.

ونحو ما ذكر في الاستدلال، قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ فَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [٤٤: القصص].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [٤٦: القصص].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [١٠٢: يوسف].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَمَهِمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [٤٤: آل عمران].

إلى غير ذلك، والله أعلم.



## قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

( وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَنْقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنِّي أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَنْقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَقُولُ إِلَّا أَعْرَضَكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِّن دُونِهِ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِن رَّبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِن رَّبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ ۖ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۖ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ] هود: ٥٠-٦٠ .

س: اذكر معنى ما يلي:

(مُفْتَرُونَ - فَطَرْنِي - تُؤْمِنُوا إِلَيْهِ - مَدَارَا - وَلَا تَنۡتَوِلُوا۟ الْمُجَرِمِينَ - بَيِّنَاتٍ - أَعْتَرَنكَ - فَكِيدُونِي - لَا تُنظِرُونَ - تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ - دَابَّةٍ - أَخَذُوا۟ بِأَصۡبَاحَهمۡ - إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ - وَيَسۡتَخِفُّ - حَفِيطٌ - عَذَابٌ غَلِيظٌ - جَعَلُوا۟ بَعَادَتَ رَبِّهِمْ - جَبَّارٍ عَنِيدٍ - وَأَتَّبِعُوا۟ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعَنَةً - كَثُرُوا۟ رَبَّهُمْ - بَعْدَ الْعَادِ ﴿١﴾).

ج:

| الكلمة                                   | معناها                                                                                      |
|------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------|
| (مُفْتَرُونَ) ﴿١﴾                        | كذبة - يختلقون الكذب.                                                                       |
| (فَطَرَنِي) ﴿٢﴾                          | خلقني.                                                                                      |
| (تُؤْمِنُوا إِلَيْهِ) ﴿٣﴾                | ارجعوا إليه.                                                                                |
| (مَدَارَا) ﴿٤﴾                           | متتابعًا - يتبع بعضه بعضًا.                                                                 |
| (وَلَا تَنۡتَوِلُوا۟ الْمُجَرِمِينَ) ﴿٥﴾ | ولا تنصرفوا وتعرضوا مجترمين الآثام متحملين الكفر ولا تنصرفا كما ينصرف أهل الإجرام والإعراض. |
| (بَيِّنَاتٍ) ﴿٦﴾                         | بحجة - برهان على نبوتك وصدقك.                                                               |
| (أَعْتَرَنكَ) ﴿٧﴾                        | أصابك - مسك.                                                                                |
| (فَكِيدُونِي) ﴿٨﴾                        | تآمروا علي - أنزلوا بي ما أردتم من العذاب والبطش فكروا في مكيده تصنعونها لي لإهلاك.         |
| (لَا تُنظِرُونَ) ﴿٩﴾                     | لا تؤخرون - لا تمهلون.                                                                      |
| (تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ) ﴿١٠﴾         | اعتمدت على الله.                                                                            |
| (دَابَّةٍ) ﴿١١﴾                          | شيء يدب على الأرض وشيء له روح.                                                              |

|                                                      |                                                                                                                                        |
|------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| (إِخِذْ بِنَاصِيَتِهَا ﴿٤٨٠﴾)                        | ممسك بمقدمة رأسها وشعرها - ومالك أمرها وقادر عليها يفعل بها ما يشاء.                                                                   |
| (إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٨١﴾)       | إن ربي على طريق الحق المستقيم، وهو طريق الإسلام والإيمان فمن سلكه وفق لطاعة الله ومرضاته، وقيل: على صراط مستقيم يقضي بالحق بين العباد. |
| (وَيَسْخَلِفُ ﴿٤٨٢﴾)                                 | يأتي بقوم من بعدكم يكونون خلفاءكم.                                                                                                     |
| (حَفِظُ ﴿٤٨٣﴾)                                       | حفيظ للأعمال - حفيظ للعباد وعليم بهم.                                                                                                  |
| (عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿٤٨٤﴾)                              | عذاب شديد (وهو عذاب يوم القيامة).                                                                                                      |
| (جَعَلُوا يَتَذَكَّرُ رَبَّهُمْ ﴿٤٨٥﴾)               | أنكروا آيات الله الدالة على قدرته ووحدانيته.                                                                                           |
| (جَبَّارٍ ﴿٤٨٦﴾)                                     | متعاضم على العباد - متكبر عليهم - قتالٌ مفسد في الأرض يجبر الناس على ما يريد بالقوة والقهر.                                            |
| (عِنْدِ ﴿٤٨٧﴾)                                       | معاندٌ للحق لا يقبله.                                                                                                                  |
| (وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ﴿٤٨٨﴾) | ألحقوا لعنة، كل من جاء بعدهم يلعنهم ويدعوا عليهم بالطرد من رحمة الله                                                                   |
| (كَفَرُوا رَبَّهُمْ ﴿٤٨٩﴾)                           | كفروا وحدانية ربهم - كفروا نعمة ربهم - كفروا بعذاب ربهم وأنكروه.                                                                       |
| (بُعْدًا لِعَادٍ ﴿٤٩٠﴾)                              | سخطًا وهلاكًا لقوم عاد.                                                                                                                |





شيء من ذكر نبي الله هود عليه السلام

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿وَالْإِنِّ عَادُ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْفَوْرُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِن أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَنْفَوْرُ لَا أَشْكُرُ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَنْفَوْرُ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مَجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - ولقد أرسلنا إلى قبيلة عاد، تلك القبيلة العاتية الظالمة الغشومة التي أمدها الله ﷻ بالقوة في الأبدان والطول في الأجسام فما شكروا نعمة الله وما عبدوه وما وحدوه بل أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وحادوا عن عبادته وحده لا شريك له وبغوا على العباد وطغوا، فأرسل الله ﷻ إليهم نبياً كريماً منهم أخاً لهم في النسب، فقال: يا قوم اعبدوا الله ولا تشركوا معه في العبادة غيره فما لكم من معبوده سواه ﷻ، وما أنتم بصنيعكم الذي صنعتموه من عبادة غير الله ﷻ واتخاذكم شريكاً لله، ما أنتم بهذا الصنيع إلا كذبة أهل افتراء وكذب في دعواكم آلهة مع الله، ومفترون كونكم عبدتم مع الله إلهاً آخر.

ثم يواصل هود عليه السلام نصحه وتذكيره ويبين لهم أنه لا يسألهم على إيمانهم بالله وتوحيدهم أجراً يتقاضاه فليس هو بمتسبب في امتناعهم عن الإسلام والإيمان، فيقول يا قوم لا أسألكم عليه - أي على الإيمان والتوحيد - أجراً مقابل دعوتي لكم إنما أطلب أجري من الله، وأطلب ثواب عملي من الله الذي خلقني على غير مثال سابق أليست عندكم عقول تفهمون بها وتعقلون بها ثم يواصل التذكير والنصح قائلاً: ويا قوم استغفروا ربكم مما صدر منكم من الشرك والعصيان والتمرد على الله، ثم ارجعوا إليه فما هو آت وأطيعوه

ووحّدوه واستقيموا على أمره يرسل عليكم الأمطار متتابعة بالقدر الذي تحتاجون إليه، ويزدكم قوة في أبدانكم إلى قوتكم وغنى إلى غناكم، وخصباً في أراضيكُم إلى خصوبتها، ولا تعرضوا عن تذكيري، ولا تنصرفوا عن دعوتي فارين منها رافضين لها مجترمين بذلك الذنوب والآثام، مُقترفين السيئات والشرك.

**وبنحو هذا قال أهل العلم.**

**قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:**

**يقول تعالى ذكره:** وأرسلنا إلى قوم عاد أخاهم هوداً، فقال لهم: ﴿يَقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده لا شريك له، دون ما تعبدون من دونه من الآلهة والأوثان. ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، يقول: ليس لكم معبود يستحق العبادة عليكم غيره، فأخلصوا له العبادة وأفردوه بالألوهة ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾، يقول: ما أنتم في إشراككم معه الآلهة والأوثان إلا أهل فرية مكذبون، تخلقون الباطل، لأنه لا إله سواه.

**ويقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هود لقومه:** يا قوم لا أسألكم على ما أدعوكم إليه من إخلاص العبادة لله وخلع الأوثان والبراءة منها، جزاءً وثواباً ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾، يقول: إن ثوابي وجزائي على نصيحتي لكم، ودعائكم إلى الله، إلا على الذي خلقتني ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، يقول: أفلا تعقلون أني لو كنت ابتغي بدعايتكم إلى الله غير النصيحة لكم، وطلب الحظ لكم في الدنيا والآخرة، لالتمست منكم على ذلك بعض أعراض الدنيا، وطلبت منكم الأجر والثواب؟

**ويقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هود لقومه:** ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾، يقول: آمنوا به حتى يغفر لكم ذنوبكم.

**والاستغفار:** هو الإيمان بالله في هذا الموضع، لأن هودًا ﷺ إنما دعا قومه إلى توحيد الله ليغفر لهم ذنوبهم، كما قال نوح لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾ **يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخِرْكُمُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى** ﴿[نوح: ٣، ٤].

**وقوله:** ﴿ثُمَّ تَوُوبُوا إِلَيْهِ﴾، يقول: ثم توبوا إلى الله من سالف ذنوبكم وعبادتكم غيره بعد الإيمان به ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾، يقول: فإنكم إن آمنتُم بالله وتبتم من كفركم به، أرسل قَطْرَ السماء عليكم يدرّ لكم الغيث في وقت حاجتكم إليه، وتحيا بلادكم من الجذب والقحط.

وأورد في قوله تعالى: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ قول مجاهد، من طريق ابن أبي نجيح<sup>(١)</sup>، عنه: شدة إلى شدتكم.

**وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله:** ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾، قال: جعل لهم قوة، فلو أنهم أطاعوه زادهم قوة إلى قوتهم. وذكر لنا أنه إنما قيل لهم: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾، قال: إنه قد كان انقطع النسل عنهم سنين، فقال هود لهم: إن آمنتُم بالله أحيا الله بلادكم ورزقكم المال والولد، لأن ذلك من القوة. وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾، يقول: ولا تدبروا عما أدعوكم إليه من توحيد الله، والبراءة من الأوثان والأصنام ﴿مُجْرِمِينَ﴾، يعني: كافرين بالله.

**قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:**

**يقول تعالى:** ولقد أرسلنا، ﴿وَالْإِلَٰهَ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ ﴿أَمَّا لَهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، نَاهِيًا لَهُمْ عَنِ الْأَوْثَانِ الَّتِي افْتَرَوْهَا وَاخْتَلَقُوا لَهَا أَصْنَافًا مِنَ الْأَلْهَةِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ لَا يَرِيدُ مِنْهُمْ أَجْرًا عَلَى هَذَا النَّصْحِ وَالْبَلَاغِ مِنَ اللَّهِ، إِنَّمَا يَبْغِي ثَوَابَهُ مِنَ اللَّهِ الَّذِي فَطَرَهُ﴾ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ من يدعوكم إلى ما يصلحكم في الدنيا

(١) وفي طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بعض الكلام.

والآخرة من غير أجره .

ثم أمرهم بالاستغفار الذي فيه تكفير الذنوب السالفة، وبالتوبة عما يستقبلون، ومن اتصف بهذه الصفة يسر الله عليه رزقه، وسهل عليه أمره وحفظ شأنه؛ ولهذا قال: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ ﴿نوح: ١١﴾.



### الاستغفار والإيمان من أسباب سعة الأرزاق

س: الاستغفار والتوبة والإيمان من أسباب سعة الرزق دَلِّل على ذلك؟

ج: من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنۢ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُغْفِرْ لَهُمْ مِّنۡهُنَّ حَسَنًا ۚ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمۡ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ۝٣﴾ [هود: ٣].  
وقول نوح عليه السلام: ﴿أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝١١ وَيُمَدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ يَبِينُ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ أَنْهَارًا ۝١٢﴾ [نوح: ١٠-١٢].  
وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْبَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أَنزَلِ إِلَيْهِمْ مِن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ...﴾ [المائدة: ٦٦].  
وقول سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يُبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۝٣٥﴾ [ص: ٣٥-٣٦].



س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿قَالُوا يٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝٥٣ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَآشْهَدُوٓا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٥٤ مِن دُونِهِ فَيَكِيدُوْنِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝٥٥ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٦ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۚ إِن رَّبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ۝٥٧﴾.

ج: هذا، والعلم عند الله جواب قوم هودٍ لهُودٍ عليه السلام لما دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له فقالوا: ﴿يٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾، بحجة ولا برهان على صدقك فيما تقول، ولسنا بتاركي عبادة آلِهتنا من الأوثان والأصنام وغير ذلك لمجرد قولك وما نحن لك في دعوتك لنا إلى عبادة الله وحده لا شريك له

وإلى إقرارنا ببطلان عبادة الأصنام بمصدقين ولا بموقنين ولا بمتبعين، ولا نراك على صواب ولا على حق بل نقول في شأنك وما بك إلا أن بعض آلهتنا التي نعبدها أصابتك بمسّ وجنون وخللس في عقلك لما دعوت إلى ترك عبادتها ولما دعوت إلى عبادة الله وحده. هذا الذي نراه حلّ بك.

فقال لهم نبيهم هود عليه السلام، وقد ثبته الله على الحق والصواب والإسلام والإيمان وورقه حسن التوكل على الله، قال لقومه: إني أشهد الله، وأطلق على أمري الذي في نفسي وفي قلبي وعلى لساني، وهو مطلعٌ على ذلك لا يخفى عليه من خافية لا في سري ولا في جهري، وأشهدكم، وأظهر ديني وأوضحه لكم وأعلمكم به، أشهد الله واشهدوا أنتم عليّ أيضاً بما أقول أني بريء مما تشركون أني بريء من هذه الأصنام والأوثان لا أقربها ولا أقرُّ بعبادتها وبريء من أي عذابٍ يُصيبكم بسبب عبادتكم لها، بريء من هذه الأصنام والأوثان والآلهة الباطلة التي جعلتموها شريكة لله وعبدتموها مع الله ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾ فافعلوا بي كلکم أنتم جميعاً مع أصنامکم وآلهتکم - افعلوا بي ما تستطيعوا فعله، تأمروا عليّ - فکروا في الحيل والمكائد التي تستطيعوا إيصال الضرر إليّ بها فافعلوها ثم لا تؤخروني بل نفذوا فيّ مرادکم إن استطعتم فلست بخائف منکم ولا من آلهتکم ولست بمبالٍ بها ولا مهتسٍّ لها فافعلوا بي ما بدا لکم فإني اعتمدت على الله ووكلت أموري كلها إليه هو خالقي وخالقکم، ومدبر أمري وأمرکم، ومتوفاني ويتوفاکم، يفعل في الخلق ما يريد ويقضي في الخلق بما يشاء، وما من دابة تدب على الأرض، وما من دابة لها روحٌ إلا وربّي ﷻ أخذ بناصيتها، بمقدم رأسها، وهذا المعنى عند العرب مفاده أن المأخوذ بناصيته في غاية يكون من الذل والإهانة.

فالله سبحانه وتعالى قادر على كل الخلق نواصيهم بيده يفعل بهم ما يشاء

ويقضي فيهم بما يريد.

وهذا ذكر هود عليه السلام قومه وقال لهم: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٥٦﴾ على طريق الإسلام يجازي من أسلم وعمل صالحاً، ومن يجازي بالحق وبالعدل، أما طرق الجور والكفر والظلم فليست بموصلة إلى الله ولا إلى مرضاته فإن تعرضوا عن عبادة الله وحده لا شريك له، وتلذ يونس فقد أبلغتكم ما أرسلني الله إليهم به إليكم، ويستخلف ربي قوماً غيركم، يأتي بأقوام آخرين غيركم يخلفونكم بعد إهلاككم يعبدونه وحده لا يشركون به شيئاً، ولن تضروا الله شيئاً بكفركم ولا بأي وجه من وجوه الضرر، فكفركم عائداً إثمهم عليكم ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ ﴿٥٧﴾ عليم بكل شيء وحافظ لعمل المخلوقات وأقوالهم وحافظ لعباده المؤمنين من أن ينالهم نائل بمكرهه وسوءه.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

**يقول تعالى ذكره:** قال قوم هود لهود، يا هود ما أتيتنا ببيان ولا برهان على ما تقول، فنسلم لك، ونقر بأنك صادق فيما تدعونا إليه من توحيد الله والإقرار بنبوتك ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا﴾، يقول: وما نحن بتاركي آلهتنا، يعني: لقولك: أو من أجل قولك. ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾، يقول: قالوا: وما نحن لك بما تدعي من النبوة والرسالة من الله إلينا بمصدقين.

**وقال في تأويل قوله تعالى:** ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوِّ قَالَ﴾

﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُو فِي جَمِيعَاتِهِمْ لَا تُنْظَرُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

وهذا خبر من الله تعالى ذكره، عن قول قوم هود: أنهم قالوا له، إذ نصح لهم ودعاهم إلى توحيد الله وتصديقه، وخلع الأوثان والبراءة منها: لا نترك عبادة آلهتنا، وما نقول إلا أن الذي حملك على ذمها والنهي عن عبادتها، أنه

أصابك منها خبلٌ من جنونٍ. فقال هود لهم: إني أشهد الله على نفسي وأشهدكم أيضًا أيها القوم، أني بريء مما تشركون في عبادة الله من آلهتكم وأوثانكم من دونه، ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾، يقول: فاحتالوا أنتم جميعًا وآلهتكم في ضري ومكروهي، ﴿ثُمَّ لَا تُنْظُرُونَ﴾، يقول: ثم لا تؤخرون ذلك، فانظروا هل تنالونني أنتم وهم بما زعمتم أن آلهتكم نالني به من السوء؟

**وقال في تأويل قوله تعالى:** ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

**يقول:** إني على الله الذي هو مالكي ومالككم، والقيّم على جميع خلقه، توكلت من أن تصيبوني، أنتم وغيركم من الخلق بسوء، فإنه ليس من شيء يدب على الأرض، إلا والله مالكه، وهو في قبضته وسلطانه. ذليلٌ له خاضعٌ.

**فإن قال قائل:** وكيف قيل: ﴿هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾، فخص بالأخذ «الناصية» دون سائر أماكن الجسد.

**قيل:** لأن العرب كانت تستعمل ذلك في وصفها من وصفته بالذلة والخضوع، فتقول: «ما ناصية فلان إلا بيد فلان»، أي: أنه له مطيع يصرفه كيف شاء. وكانوا إذا أسروا الأسير فأرادوا إطلاقه والمنّ عليه، جزّوا ناصيته، ليعتدوا بذلك عليه فخراً عند المفاخرة. فخاطبهم الله بما يعرفون في كلامهم، والمعنى ما ذكرت.

**وقوله:** ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، يقول: إن ربي على طريق الحق، يجازي المحسن من خلقه بإحسانه والمسيء بإساءته، لا يظلم أحداً منهم شيئاً ولا يقبل منهم إلا الإسلام والإيمان به

**قال الطبري أيضًا:**

**يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هود لقومه:** ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، يقول: فإن أدبروا



معرضين عما أدعوهم إليه من توحيد الله وترك عبادة الأوثان ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ﴾  
أيها القوم ﴿مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾، وما على الرسول إلا البلاغ ﴿وَيَسْخُلُفُ رَبِّي قَوْمًا  
غَيْرَكُمْ﴾، يهلككم ربي، ثم يستبدل ربي منكم قوماً غيركم، يوحدونه  
ويخلصون له العبادة ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾، يقول: ولا تقدرّون له على ضررٍ إذا  
أراد إهلاككم أو أهلككم.

**وقد قيل:** لا يضره هلاككم إذا أهلككم، لا تنقصونه شيئاً، لأنه سواء عنده  
كُتْمٌ أو لم تكونوا.

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِیْظٌ﴾، يقول: إن ربي على جميع خلقه ذو حفظ  
وعلم. يقول: هو الذي يحفظني من أن تنالوني بسوء.

**قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:**

يخبر تعالى أنهم قالوا للنبيهم: ﴿مَا جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ أي: بحجة وبرهان على  
ما تدعيه، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ﴾ أي: بمجرد قولك: «اتركوهم»  
نتركهم، ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ بمصدقين، ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَضَكَ بَعْضُ  
آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ يقولون: ما نظن إلا أن بعض الآلهة أصابك بجنون وخبل في  
عقلك بسبب نهيك عن عبادتها وعيبك لها ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا  
تُشْرِكُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ. يقول: إني بريء من جميع الأنداد والأصنام، ﴿فَكِيدُونِي  
جَمِيعًا﴾ أي: أنتم وآلهتكم إن كانت حقاً، ﴿ثُمَّ لَا تَنْظُرُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ أي: طرفه عين.

**وقوله:** ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ أي: تحت  
قهره وسلطانه، وهو الحاكم العادل الذي لا يجور في حكمه، فإنه على صراط  
مستقيم.

**ثم قال:**

وقد تضمن هذا المقام حجة بالغة ودلالة قاطعة على صدق ما جاءهم به،

وبطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، بل هي جماد لا تسمع ولا تبصر، ولا تُوالي ولا تُعادي، وإنما يستحق إخلاص العبادة الله وحده لا شريك له، الذي بيده الملك، وله التصرف، وما من شيء إلا تحت ملكه وقهره وسلطانه، فلا إله إلا هو، ولا رب سواه.

**ويقول لهم هود:** فإن تولوا عما جئكم به من عبادة الله ربكم وحده لا شريك له، فقد قامت عليكم الحجة بإبلاغي إياكم رسالة الله التي بعثني بها، ﴿وَيَسْخَلِفُ ربي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يعبدونه وحده لا يشركون به، ولا ييالي بكم: فإنكم لا تضرونه بكفركم بل يعود وبأل ذلك عليكم، ﴿إِن ربي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيطٌ﴾ (٥٧) أي: شاهد وحافظ لأقوال عباده وأفعالهم ويجزيهم عليها إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

#### قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿إِن نَقُولُ إِلَّا أَعْرَضَكَ﴾ أي أصابك. ﴿بَعْضُ الْهَيْئَةِ﴾ أي أصنامنا. ﴿يُسَوِّهُ﴾ أي بجنون لسبك إياها، عن ابن عباس وغيره. يقال: عراه الأمر واعتراه إذا ألم به. ومنه ﴿وَأَطِيعُوا أَلْفَانًا وَتُفُفًا﴾ [الحج: ٢٦]. ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ﴾ أي على نفسي. ﴿وَأَشْهَدُوا﴾ أي وأشهدكم؛ لا أنهم كانوا أهل شهادة، ولكنه نهاية للتقرير؛ أي لتعرفوا ﴿أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (٥٤) أي من عبادة الأصنام التي تعبدونها. ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾ أي أنتم وأوثانكم في عداوتي وضري. ﴿ثُمَّ لَا تَنْظُرُونَ﴾ (٥٥) أي لا تؤخرون. وهذا القول مع كثرة الأعداء يدل على كمال الثقة بنصر الله تعالى. وهو من أعلام النبوة، أن يكون الرسول وحده يقول لقومه: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾. وكذلك قال النبي ﷺ لقريش. وقال نوح ﷺ: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١] الآية.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ وَرَبِّي﴾ أي رضيت بحكمه، ووثقت

بنصره. ﴿مَّأَيْنَ دَابَّةٍ﴾ أي نفس تدب على الأرض ؛ وهو في موضع رفع بالابتداء. ﴿إِلَّا هُوَ أَخِذْ يُنَاصِيهَا﴾ أي يصرفها كيف يشاء، ويمنعها مما يشاء ؛ أي فلا تصلون إلى ضري. وكل ما فيه روح يقال له داب ودابه ؛ والهاء للمبالغة. وقال الفراء: مالكها، والقادر عليها. وقال القتيبي: قاهرها ؛ لأن من أخذت بناصيته فقد قهرته. وقال الضحاك: يحييها ثم يميتها ؛ والمعنى متقارب. والناصية قصاص الشعر في مقدم الرأس. ونصوت الرجل أنصوه نصوا أي مددت ناصيته. قال ابن جريج: إنما خص الناصية ؛ لأن العرب تستعمل ذلك إذا وصفت إنسانا بالذلة والخضوع ؛ فيقولون. ما ناصية فلان إلا بيد فلان ؛ أي إنه مطيع له يصرفه كيف يشاء. وكانوا إذا أسروا أسيرا وأرادوا إطلاقه والامن عليه جزوا ناصيته ليعرفوا بذلك فخرا عليه ؛ فخاطبهم بما يعرفونه في كلامهم.

وقال رحمه الله:

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال النحاس: الصراط في اللغة المنهاج الواضح ؛ والمعنى أن الله جل ثناؤه وإن كان يقدر على كل شيء فإنه لا يأخذهم إلا بالحق. وقيل: معناه لا خلل في تدبيره، ولا تفاوت في خلقه سبحانه.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ في موضع جزم ؛ فلذلك حذفت منه النون، والأصل تتولوا، فحذفت التاء لاجتماع تاءين. ﴿فَقَدْ أبلغتكم ما أُرسلت به إليكم﴾ بمعنى قد بينت لكم. ﴿وَيَسْخَلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي يهلككم ويخلق من هو أطوع له منكم يوحدونه ويعبدونه. ﴿وَيَسْخَلِفُ﴾ مقطوع مما قبله فلذلك ارتفع ؛ أو معطوف على ما يجب فيما بعد الفاء من قوله: ﴿فَقَدْ أبلغتكم﴾. وروي عن حفص عن عاصم ﴿وَيَسْخَلِفُ﴾ بالجزم حملا على موضع الفاء وما بعدها ؛

مثل: ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١٨٦) ﴿[الأعراف: ١٨٦].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾ أي بتوليكم وإعراضكم. ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ﴾ (٥٧) أي لكل شيء حافظ. «على» بمعنى اللام؛ فهو يحفظني من أن تنالوني بسوء.

### وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ إن كان قصدهم بالبينه البينة التي يقترحونها، فهذه غير لازمة للحق، بل اللازم أن يأتي النبي بآية تدل على صحة ما جاء به، وإن كان قصدهم أنه لم يأتهم ببينة، تشهد لما قاله بالصحة، فقد كذبوا في ذلك، فإنه ما جاء نبي لقومه، إلا وبعث الله على يديه، من الآيات ما يؤمن على مثله البشر.

ولو لم يكن له آية، إلا دعوته إياهم لإخلاص الدين لله، وحده لا شريك له، والأمر بكل عمل صالح، وخلق جميل، والنهي عن كل خلق ذميم من الشرك بالله، والفواحش، والظلم، وأنواع المنكرات، مع ما هو مشتمل عليه هود، رَحِمَهُ اللهُ، من الصفات، التي لا تكون إلا لخيار الخلق وأصدقهم، لكفى بها آيات وأدلة، على صدقه.

بل أهل العقول، وأولو الأبواب، يرون أن هذه الآية، أكبر من مجرد الخوارق، التي يراها بعض الناس، هي المعجزات فقط. ومن آياته، وبياناته الدالة على صدقه، أنه شخص واحد، ليس له أنصار ولا أعوان.

وهو يصرخ في قومه، ويناديهم، ويعجزهم، ويقول لهم: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾.

﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (٥٤) مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُو فِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ ﴿

وهم الأعداء الذين لهم السطوة والغلبة، ويريدون إطفاء ما معه من النور، بأي طريق كان، وهو غير مكترث منهم، ولا مبال بهم، وهم عاجزون لا يقدرّون أن ينالوه بشيء من السوء، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون.

**وقولهم:** ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ﴾ أي: لا نترك عبادة آلِهتنا لمجرد قولك، الذي ما أقمت عليه بينة بزعمهم، ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ وهذا تأسيس منهم لنبههم، هود عليه السلام، في إيمانهم، وأنهم لا يزالون في كفرهم يعمهون.

﴿إِنْ نَقُولُ﴾ فيك ﴿إِلَّا أَغْتَرَكْ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ أي: أصابتك بخبال وجنون، فصرت تهذي بما لا يعقل. فسبحان من طبع على قلوب الظالمين، كيف جعلوا أصدق الخلق الذي جاء بأحق الحق، بهذه المرتبة، التي يستحي العاقل من حكايتها عنهم لولا أن الله حكاها عنهم.

ولهذا بين هود، عليه الصلاة والسلام، أنه واثق غاية الوثوق، أنه لا يصيبه منهم، ولا من آلِهتهم أذى، فقال: ﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيٌّ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ من دُونِهِ فَيَكِيدُونِي جَمِيعًا أي اطلبوا لي الضرر كلكم بكل طريق تتمكنون بها مني ﴿ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ﴾ أي لا تمهلوني.

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي اعتمدت في أمري كله على الله ﴿رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ أي هو خالق الجميع ومدبرنا وإياكم وهو الذي ربانا

﴿مَّا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ فلا تتحرك ولا تسكن إلا بإذنه فلو اجتمعتم جميعاً على الإيقاع بي والله لم يسلطكم علي لم تقدرّوا على ذلك فإن سلطكم فلحكمة أرادها

ف ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي على عدل وقسط وحكمة وحمد في قضائه وقدره في شرعه وأمره وفي جزائه وثوابه وعقابه لا تخرج أفعاله عن الصراط

المستقيم التي يحمد ويشني عليه بها ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عما دعوتكم إليه ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ فلم يبق عليّ تبعة من شأنكم ﴿وَيَسْخَلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يقومون بعبادته ولا يشركون به شيئاً ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾ فإن ضرركم إنما يعود عليكم فالله لا تضره معصية العاصين ولا تنفعه طاعة المطيعين ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها﴾ ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ ٥٧.

### وقال ابن الجوزي في زاد المسير:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال مجاهد: على الحق. وقال غيره: في الكلام إضمار، تقديره: إن ربي يدل على صراط مستقيم.

فإن قيل: ما وجه المناسبة بين قوله: ﴿إِلَّا هُوَ أَخَذُ بِنَاصِيئِهِ﴾ وبين كونه على

صراط مستقيم؟ فعنه جوابان:

**أحدهما:** أنه لما أخبر أنه أخذ بنواصي الخلق، كان معناه: أنهم لا يخرجون عن قبضته، فأخبر أنه على طريق لا يعدل عنه هارب، ولا يخفي عليه مستتر.

**والثاني:** أن المعنى: أنه وإن كان قادراً عليهم، فهو لا يظلمهم، ولا يريد إلا العدل، ذكرهما ابن الأنباري.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَتِنَا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ٥٨ ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَتِنَا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ٥٩ ﴿وَأَتَّبَعُوا هَذِهِ الدُّنْيَا لَعَنَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ إِنَّا كَفَرْنَا بِهِمْ ۖ لَا بُدَّ الْعَادِ قَوْمِ هُودٍ﴾ ٦٠.

ج: المعنى - والله أعلم - ولما جاء أمرنا بإهلاك قوم عاد المكذبين لرسولهم هود عليه السلام، وهذا الأمر كان بإهلاكهم بريح صرصر عاتية سخرها

عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً، فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية، ولما جاء أمر الله بذلك أنجى الله ﷺ هودًا ﷺ والمؤمنين الذين آمنوا بالله واتبعوا هودًا ﷺ مصدقين بأنه رسول من عند الله، أنجاهم الله بفضلهم ورحمهم من العذاب برحمته، وكذلك أنجاهم من عذاب الله الغليظ الشديد الكائن يوم القيامة لأهل الكفر والتكذيب، أي: أن الله ﷻ أنجاهم من عذاب الدنيا ومن عذاب الآخرة.

أما عاد الذين جحدوا بآيات الله فأنكروها وكذبوا بها ولم يستدلوا بها على قدرته ووحدانيته وعصوا رسولهم هودًا ﷺ فيما دعاهم إليه من توحيد الله ﷻ وإفراده بالعبادة وطاعته، فكان عصيانهم له عصيَانًا لكل الرسل؛ لأن الرسل كلهم دعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له وإلى طاعته فمن خالف رسولاً فقد خالف الرسل كلهم، ومن عصاه فقد عصاهم جميعاً.

**أما قوله:** ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ أي: أن عامة قبيلة عاد اتبعوا كبراءهم والفجار فيهم والظلمة والجبابرة والمعاندين على ما دعوهم إليه من الكفر بالله ﷻ والشرك به وتكذيب المرسلين.

وتبعتهم بعد موتهم في الدنيا لعنات فمن جاء بعدهم يلعنهم ويسبهم، وكذا يوم القيامة ينادى على رؤوس الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين. ألا فاعلموا أيها الناس أن عادًا كفروا ربهم، كفروا بنعم ربهم، وجحدوا وحدانيته ﷻ ألا فهلاكوا وخسارًا لقبيلة عاد الذين هم قوم النبي الكريم هود ﷺ.

**وينحو هذا قال أهل التأويل.**

**قال الطبري رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره:** ولما جاء قوم هود عذابنا، نجينا منه هودًا والذين آمنوا

بالله معه ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾، يعني: بفضل منه عليهم ونعمة، ﴿وَجَنَّتْهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ٥٨، يقول: نجيناهم أيضًا من عذاب غليظ يوم القيامة، كما نجيناهم في الدنيا من السخطة التي أنزلتها بعاد.

**وقال في تأويل قوله تعالى:** ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْلَ عَادٍ جَحَدُوا بِمَا بَيَّنَّتْ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ٥٩.

**يقول تعالى ذكره:** وهؤلاء الذين أحللنا بهم نعمتنا وعذابنا، عاد، جحدوا بأدلة الله وحججه، وعصوا رسله الذين أرسلهم إليهم للدعاء إلى توحيدهم واتباع أمره ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ٥٩، يعني: كل مستكبر على الله، حائد عن الحق، لا يذعن له ولا يقبله.

**وقال في تأويل قوله تعالى:** ﴿وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ ٦٠.

**يقول تعالى ذكره:** وأتبع عاد قوم هود في هذه الدنيا غضبًا من الله وسخطة يوم القيامة، مثلها، لعنة إلى اللعنة التي سلفت لهم من الله في الدنيا ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ ٦٠، يقول: أبعدهم الله من الخير. يقال: «كفر فلان ربه وكفر بربه»، «وشكرت لك، وشكرتك». وقيل: إن معنى: ﴿كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾، كفروا نعمة ربهم.

**قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:**

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ وهو الريح العقيم فأهلكهم الله عن آخرهم، ونجى هودا وأتباعه من عذاب غليظ برحمته تعالى ولطفه.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْلَ عَادٍ جَحَدُوا بِمَا بَيَّنَّتْ رَبِّهِمْ﴾ كفروا بها، وعصوا رسل الله، وذلك أن من كفر بنبي فقد كفر بجميع الأنبياء، لأنه لا فرق بين أحد منهم في وجوب الإيمان به، فعاد كفروا بهود، فنزل كفرهم منزلة من كفر بجميع الرسل، ﴿



وَاتَّبِعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ تركوا اتباع رسولهم الرشيد، واتبعوا أمر كل جبار عنيد. فلهذا أتبعوا في هذه الدنيا لعنة من الله ومن عباده المؤمنين كلما ذكروا وينادي عليهم يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، ﴿الْأَيْنَ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾.

### قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ أي عذابنا بهلاك عاد. ﴿فَنَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ لأن أحدا لا ينجو إلا برحمة الله تعالى، وإن كانت له أعمال صالحة. وفي صحيح مسلم والبخاري وغيرهما عن النبي ﷺ «لن ينجي أحدا منكم عمله». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه». وقيل: معنى ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ بأن بينا لهم الهدى الذي هو رحمة. وكانوا أربعة آلاف. وقيل: ثلاثة آلاف. ﴿وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ أي عذاب يوم القيامة. وقيل: هو الريح العقيم كما ذكر الله في «الذاريات» وغيرها.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ ابتداء وخبر. وحكى الكسائي أن من العرب من لا يصرف ﴿عَادًا﴾ فيجعل له اسما للقبيلة. ﴿جَعَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي كذبوا بالمعجزات وأنكروها. ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ يعني هودا وحده؛ لأنه لم يرسل إليهم من الرسل سواه. ونظيره قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّهَا مِنَ الطَّبِئَتِ﴾ [المؤمنون]:

[٥١] يعني النبي ﷺ وحده؛ لأنه لم يكن في عصره رسول سواه؛ وإنما جمع ههنا لأن من كذب رسولا واحدا فقد كفر بجميع الرسل. وقيل: عصوا هودا والرسل قبله، وكانوا بحيث لو أرسل إليهم ألف رسول لجحدوا الكل. ﴿وَاتَّبِعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ أي اتبع سقاطهم رؤساءهم. والجبار المتكبر. والعنيد الطاغى الذي لا يقبل الحق ولا يذعن له. قال أبو عبيد: العنيد والعنود والعاند والمعاند المعارض بالخلاف، ومنه قيل للعرق الذي ينفجر بالدم عاند. وقال الراجز:

### إني كبير لا أطيق الغنى

قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعَنَةً﴾ أي الحقوها. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي واتبعوا يوم القيامة مثل ذلك ؛ فالتمام على قوله: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾. ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ قال الفراء: أي كفروا نعمة ربهم ؛ قال: ويقال كفرته وكفرت به، مثل شكرته وشكرت له. ﴿أَلَا بَعْدَ لَعَادٍ قَوْمٌ هُودٍ﴾ أي لا زالوا مبعدين عن رحمة الله. والبعد الهلاك والبعد التباعد من الخير. يقال: بعد يبعد بعدا إذا تأخر وتباعد. وبعد يبعد بعدا إذا هلك.

### وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ ﴿أضواء البيان﴾:

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (٥٨) الآية.

لم يبين هنا أمره الذي جاء الذي نجى منه هوداً والذين آمنوا معه عند مجيئه. وكلنه بين في مواضع آخر: أنه الإهلاك المستأصل بالريح العقيم التي أهلكهم الله بها فقطع دابرهم. كقوله: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ (٤١) مَا نَذُرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّيمِ﴾ (٤٢) [الذاريات: ٤١ - ٤٢].

وقوله: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَاهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٦ - ٧] الآية.

وقوله ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ (١٩) نَزَّعُ النَّاسَ كَانْتَهُمْ أَعْجَازُ نَحْلِ مُنْقَعِرٍ﴾ (٢٠) [القمر: ١٩ - ٢٠].

وقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ [فصلت: ١٦] الآية.

### قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا﴾ أي: واتبع الأتباع أمر الرؤساء.

والجبار: الذي طال وفات اليد. وللعلماء في الجبار أربعة أقوال:

**أحدها:** أنه الذي يقتل على الغضب ويعاقب على الغضب، قاله الكلبي.

**والثاني:** أنه الذي يجبر الناس على ما يريد، قاله الزجاج.

**والثالث:** أنه المسلط.

**والرابع:** أنه العظيم في نفسه، المتكبر على العباد، ذكرهما ابن الأنباري.

والذي ذكرناه يجمع هذه الأقوال، وقد زدنا هذا شرحاً في ﴿المائدة: ٢٢﴾.

**وأما العنيد:** فهو الذي لا يقبل الحق. قال ابن قتيبة: العنود، والعنيد، والعاند: المعارض لك بالخلاف عليك.

قوله تعالى: ﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ أي: ألحقوا لعنة تنصرف معهم.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: وفي يوم القيامة لعنوا أيضاً. ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ أي: بربه، فحذف الباء، وأنشدوا:

**أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَأَفْعَلْ مَا أَمَرْتُ بِهِ فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبٍ**

قال الزجاج: قوله: «ألا» ابتداء وتنبية، و«بعدا» منصوب على معنى: أبعدهم الله فبعدوا بعداً، والمعنى: أبعدهم من رحمته.

**وقال السعدي رحمه الله:**

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ أي عذابنا بإرسال الريح العقيم التي ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرِّمِيمِ﴾.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ دُودًا وَلِلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ أي عظيم شديد أحله الله بعاد فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم.

﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾ الذين أوقع الله بهم ما أوقع بظلم منهم لأنهم ﴿جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ ولهذا قالوا لهود: ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ فتبين بهذا أنهم متيقنون لدعوته وإنما عاندوا وجحدوا ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ لأن من عصى رسولا فقد عصى جميع

المرسلين لأن دعوتهم واحدة.

﴿وَاتَّبِعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ﴾ أي متسلط على عباد الله بالجبروت ﴿عِنْدِ ٥٩﴾  
أي معاند لآيات الله فعصوا كل ناصح ومشفق عليهم واتبعوا كل غاش لهم  
يريد إهلاكهم لا جرم أهلكتهم الله.

﴿وَأُتِيعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ فكل وقت وجيل إلا ولأنبائهم القبيحة  
وأخبارهم الشنيعة ذكر يذكرون به ودم يلحقهم ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ لهم أيضا لعنة  
﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ أي جحدوا من خلقهم ورزقهم ورباهم ﴿أَلَا بَعْدَ الْعَادِ  
قَوْمٌ هُودٌ ٦٠﴾ أي أبعدهم الله عن كل خير وقربهم من كل شر.



من عصى رسولاً فقد عصى الأنبياء جميعاً

س: كيف قيل: ﴿وَعَصَوْنَا رُسُلَهُ﴾ وهو رسول واحد ﷺ؟

ج: ذلك - والله أعلم -: لأن من كذب رسولاً فقد كذبهم جميعاً ذلك لكون أصل دعوتهم، وهو توحيد الله ﷻ واحدٌ بين جميع المرسلين فكلهم يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له فمن كذب واحداً، فقد كذبهم جميعاً.

هذا، وقد قال ابن الجوزي في زاد المسير:

﴿وَعَصَوْنَا رُسُلَهُ﴾ لقائل أن يقول: إنما أرسل إليهم هود وحده، فكيف ذكر بلفظ الجمع؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه قد يذكر لفظ الجمع ويراد به الواحد، كقوله: ﴿أَمَّا يَحْسُدُونَ

النَّاسَ﴾ [النساء: ٥٤] والمراد به النبي ﷺ وحده.

والثاني: أن من كذب رسولاً واحداً فقد كذب الكل.

والثالث: أن كل مرة ينذرهم فيها هي رسالة مجددة وهو بها رسول.



شيء من ذكر نبي الله صالح عليه السلام

### قال الله تعالى:

﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ  
أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ  
﴿٦١﴾ قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا  
وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَنْقُومِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى  
بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَضُرُّنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي  
غَيْرَ تَحْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَنْقُومِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي  
أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا  
فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا  
بَنَجْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ  
هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ  
جِثْمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا آلَ إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدَ الثَمُودِ

﴿٦٨﴾ [هود: ٦١-٦٨].

س: اذكر معنى ما يلي: (أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ - وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا - مُجِيبٌ - مَرْجُوٌّ - شَكٌّ - مُرْسٍ - بَيِّنَةٌ - رَّحْمَةٌ - يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ - تَخْسِيرٌ - آيَةٌ - فَذَرُوهَا - فَعَقَرُوهَا - تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ - غَيْرُ مَكْذُوبٍ - خِزْيٌ - يَوْمِيذٌ - الصَّيْحَةُ - جَنُودٌ - لَّمْ يَنْفَرُوا فِيهَا - كَفَرُوا بِهَئِهِمْ).

ج:

| الكلمة                       | معناها                                                                                                         |
|------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| (أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ) | خلقكم من الأرض - ابتداء خلقكم منها خلق منها أباكم آدم ﷺ من ترابها.                                             |
| (وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا)  | أسكنكم فيها - جعلكم عمارة لها.                                                                                 |
| (مُجِيبٌ)                    | مجيب لدعاء من دعاه (إذا شاء).                                                                                  |
| (مَرْجُوٌّ)                  | نرجو أن تكون لك السيادة علينا، وقيل: نستعد لك لتكون ملكاً علينا وقيل: كنت ذا وجهة فينا يقبل قولك وتقبل شفاعتك. |
| (شَكٌّ)                      | عدم يقين.                                                                                                      |
| (مُرْسٍ)                     | مقلق - مُحِيرٌ.                                                                                                |
| (بَيِّنَةٌ)                  | برهان - بصيرة - حجة.                                                                                           |
| (رَّحْمَةٌ)                  | نبوة.                                                                                                          |
| (يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ)   | يمنعني من عذاب الله                                                                                            |
| (تَخْسِيرٌ)                  | خسراناً - خسارة.                                                                                               |
| (آيَةٌ)                      | معجزة - دليلاً (على نبوتي وصدقني).                                                                             |

|                                             |                             |
|---------------------------------------------|-----------------------------|
| فأتركوها.                                   | (فَذَرُوهَا)                |
| قتلوها.                                     | (فَعَقَرُوهَا)              |
| امكثوا أحياء في بلادكم.                     | (تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ) |
| غير مُكذِّبٍ.                               | (غَيْرُ مَكْذُوبٍ)          |
| ذلٌّ وهوان.                                 | (خِزْيٍ)                    |
| يوم نزول العذاب على ثمود.                   | (يَوْمِئِذٍ)                |
| الصوت الشديد القاتل المميت.                 | (الصَّيْحَةُ)               |
| هلكى قد لصقت أجسادهم بالتراب.               | (جَثِمِينَ)                 |
| لم يعيشوا في الدنيا ولم ينعموا فيها.        | (لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا)     |
| جحدوا وحدانية ربِّهم ﷻ، وكفروا بنعمه عليهم. | (كَفَرُوا رَبَّهُمْ)        |





س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ (٦١).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ولقد أرسلنا إى قبيلة ثمود أخاهم صالحًا عليه السلام، وهو أخوهم في النسب فقال لهم مُذكراً يا قوم اعبدوا الله، أفردوه وحده بالعبادة والطاعة فليس لكم معبودٌ يستحق العبادة غيره، وليس لكم من خالق ولا رازق ولا رب سواه، هو الذي ابتداء خلقكم من الأرض، إذا خلق أباكم آدم عليه السلام من ترابها ثم جعلكم عُمَارًا للأرض تبنون فيها وتسكنون، وتزرعون وتحصدون، وتنعمون وتؤمنون، فاستغفروه من ذنوبكم التي أذنبتموها، ثم اجرعوا إليه فيما هو آتٍ واسألوه ما تريدون فهو قريب يجيب دعوة الداع إذا دعاه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمته الله:

يقول تعالى ذكره: وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا، فقال لهم: يا قوم، اعبدوا الله وحده لا شريك له، وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الآلهة، فما لكم من إله غيره يستوجب عليكم العبادة، ولا تجوز الألوهة إلا له هو أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، يقول: هو ابتداء خلقكم من الأرض.

وإنما قال ذلك لأنه خلق آدم من الأرض، فخرج الخطاب لهم، إذ كان ذلك فعله بمن هم منه.

﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾، يقول: وجعلكم عُمَارًا فيها، فكان المعنى فيه: أسكنكم فيها أيام حياتكم.

من قولهم: «أعمر فلانٌ فلانًا داره»، و«هي له عُمَرَى».

**وقوله:** ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾، يقول: اعملوا عملاً يكون سبباً لستر الله عليكم ذنوبكم، وذلك الإيمان به، وإخلاص العبادة له دون ما سواه، واتباع رسوله صالح ﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾، يقول: ثم اتركوا من الأعمال ما يكرهه ربكم، إلى ما يرضاه ويحبه ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾، يقول: إن ربي قريب ممن أخلص له العبادة ورغب إليه في التوبة، مجيبٌ له إذا دعاه.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

**يقول تعالى:** ولقد أرسلنا ﴿وَالْإِنَّمُودَ﴾ وهم الذين كانوا يسكنون مدائن الحجر بين تبوك والمدينة، وكانوا بعد عاد، فبعث الله منهم ﴿أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ فأمرهم بعبادة الله وحده؛ ولهذا قال: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي: ابتداء خلقكم منها، خلق منها أباكم آدم، ﴿وَاسْتَعْمَرَكَ فِيهَا﴾ أي: جعلكم عمّاراً تعمرونها وتستغلونها، لسالف ذنوبكم، ﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ فيما تستقبلونه؛ ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ الآية [البقرة: ١٨٦].

**وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:**

﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي: خلقكم فيها ﴿وَاسْتَعْمَرَكَ فِيهَا﴾ أي: استخلفكم فيها، وأنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة، ومكنكم في الأرض، تبنون، وتغرسون، وتزرعون، وتحراثون ما شئتم، وتتفعون بمنافعها، وتستغلون مصالحها، فكما أنه لا شريك له في جميع ذلك، فلا تشركوا به في عبادته.

﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ مما صدر منكم، من الكفر، والشرك، والمعاصي، وأقلعوا عنها، ﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ أي: ارجعوا إليه بالتوبة النصوح، والإنابة، ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ (١١) أي: قريب ممن دعاه دعاء مسألة، أو دعاء عبادة، يجيبه بإعطائه سؤاله، وقبول عبادته، وإثابته عليها، أجل الثواب، واعلم أن قربته تعالى نوعان:

عام، وخاص، فالقرب العام: قربه بعلمه، من جميع الخلق، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ﴿١٦﴾ [ق: ١٦]، والقرب الخاص: قربه من عابديه، وسائليه، ومحبيه، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ ﴿١٩﴾ [العلق: ١٩].

وفي هذه الآية، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ٢١٦] وهذا النوع، قرب يقتضي إطفاه تعالى، وإجابته لدعواتهم، وتحقيقه لمراداتهم، ولهذا يقرن، باسمه «القريب» اسمه «المجيب».

فلما أمرهم نبيهم صالح عليه السلام، ورغبهم في الإخلاص لله وحده، ردوا عليه دعوته، وقابلوه أشنع المقابلة.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَصْلِحْ فَذَكُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ ﴿١٢﴾.

ج: هذا - والله أعلم -: جواب قوم صالح لصالح عليه السلام لما دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قالوا: ﴿قَالُوا يَصْلِحْ فَذَكُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ كانت لك عندنا منزلة كبيرة، قيل كانوا يعدونه كي يكون ملكاً عليهم، وكانت له وجاهة فينا قبل أن تقول ما قلت، وقيل أن تدعو إلى ما دعوت إليه، أتنهانا عن عبادة الأصنام التي كان يعبدها آبائنا وعن عبادة الآلهة التي كان يعبدها آبائنا، وإنا لفي شكٍّ وعدم يقين من قولك بأن الذي يُعبد هو الله وحده لا شريك له، إنا في شكٍّ من ذلك وعدم يقين، إنا في شكٍّ من ذلك مُحير ومُقلق في شكٍّ كبير من هذا.

قال الطبري رحمته الله:

يقول تعالى ذكره: قالت ثمود لصالح نبيهم: ﴿يَصْلِحْ فَذَكُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾، أي

كنا نرجو أن تكون فينا سيداً قبل هذا القول الذي قلته لنا، من أنه مالنا من إله غير الله ﴿أَنْتَهِنَّا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾، يقول: أتنهانا أن نعبد الآلهة التي كانت آباؤنا تعبدوها ﴿وإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾، يعنون أنهم لا يعلمون صحة ما يدعوههم إليه من توحيد الله، وأن الألوهة لا تكون إلا له خالصاً.

**وقوله:** ﴿مُرِيبٌ﴾، أي يوجب التهمة، من «أربته فأنا أريبه إرابة»، إذا فعلت به فعلاً يوجب له الريبة، ومنه قول الهذلي:

**كُنْتُ إِذَا أَتَوْتُهُ مِنْ غَيْبٍ يَشْمُ عِطْفِي وَيُبْرِئُ ثَوْبِي**

**كَأَنَّمَا أَرَبْتُهُ بِرَيْبٍ**

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

يذكر تعالى ما كان من الكلام بين صالح، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبين قومه، وما كان عليه قومه من الجهل والعناد في قولهم: ﴿قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾ أي: كنا نرجوك في عقلك قبل أن تقول ما قلت! ﴿أَنْتَهِنَّا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ وما كان عليه أسلافنا، ﴿وإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ (٦٢) أي: شك كثير.

**وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ:**

قوله تعالى: ﴿قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾ فيه ثلاثة أقوال:

**أحدها:** أنهم كانوا يرجونه للمملكة بعد ملكهم، لأنه كان ذا حسب وثروة، قاله كعب.

**والثاني:** أنه كان يبغض أصنامهم ويعدل عن دينهم، وكانوا يرجون رجوعه إلى دينهم، فلما أظهر إنذارهم، انقطع رجاءهم منه وإلى نحو هذا ذهب مقاتل.

**والثالث:** أنهم كانوا يرجون خيره، فلما أنذرهم، زعموا أن رجاءهم لخيره

قد انقطع، ذكره الماوردي.

**قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ (تيسير الكريم الرحمن):**

﴿قَالُوا يَصْلِحْ فَذَكُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾ أي: قد كنا نرجوك ونؤمل فيك العقل والنفع، وهذا شهادة منهم، لنبههم صالح، أنه ما زال معروفًا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، وأنه من خيار قومه. ولكنه، لما جاءهم بهذا الأمر، الذي لا يوافق أهواءهم الفاسدة، قالوا هذه المقالة، التي مضمونها، أنك قد كنت كاملاً والآن أخلفت ظننا فيك، وصرت بحالة لا يرجى منك خير.

وذنبه، ما قالوه عنه، وهو قولهم: ﴿أَنْتَ هُنَا أَنْ تَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ وبزعمهم أن هذا من أعظم القدح في صالح، كيف قدح في عقولهم، وعقول آبائهم الضالين، وكيف ينهاتهم عن عبادة، من لا ينفع ولا يضر، ولا يغني شيئاً من الأحجار، والأشجار ونحوها. وأمرهم بإخلاص الدين لله ربهم، الذي لم تزل نعمه عليهم تترى، وإحسانه عليهم دائماً ينزل، الذي ما بهم من نعمة، إلا منه، ولا يدفع عنهم السيئات إلا هو.

﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (١٢) أي: ما زلنا شاكين فيما دعوتنا إليه، شكاً مؤثراً في قلوبنا الريب، وبزعمهم أنهم لو علموا صحة ما دعاهم إليه، لاتبعوه، وهم كذبة في ذلك، ولهذا بين كذبهم ﴿فِي آيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا﴾.



**س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ يَنْفَقُونَ أَرْءَا يَشْعُرَانْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَإِنِّي**

**مِنْهُ رَحْمَةٌ فَمَنْ يُضْلِكُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ، فَمَا تَزِيدُنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ (١٣) وَيَنْفَقُونَ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ**

**لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ (١٤) ؟**

**ج: هذا - والله أعلم -:** جواب نبي الله صالح عليه السلام يقول لقومه الذين آثروا

عبادة الأصنام وأظهروا شكَّهم وارتياهم فيما يدعوههم إليه، قال: يا قوم أرأيتم إن كنت على بصيرة آتاني الله إياها وعلى علمٍ من الله ﷻ وبرهانٍ وآتاني نبوةً من عنده فمن ذا الذي يمنعني من عذاب الله إن عصيت ربي ﷻ، فما تزيدونني إن أعطتكم إلا خساراً، وقيل: فما تزيدونني برِّدكم عليّ وامتناعكم من الإيمان إلا تكذيباً تنالون به سخطاً من الله ﷻ، وإن كنتم يا قوم سألتهم دليلاً على نبوتي، وآية وعلامة على أنني رسول من عند الله ﷻ، وبرهاناً ومعجزةً فهذه ناقة الله العظيمة الهائلة التي أخرجت لكم كما طلبتم والتي تشربون لبنها يوماً إذ لبنها يكفيكم، وتشرب هي ماء البئر يوماً كما قال تعالى: ﴿لَهَا شَرَبٌ وَلَكُمْ شَرَبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥]، فاتركوا الناقة تأكل في أرض الله فلستم برازقيها ولا تقربوها بمكروه ولا سوء فيحل بكم إن أنتم عقرتموها أو آذيتموها عذاب قريب في الدنيا، ليس ببعيد.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: قال صالح لقومه من ثمود: ﴿يَنْقُومُ آرَءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾، يقول: إن كنت على برهان وبيان من الله قد علمته وأيقنته ﴿وَأَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةٌ﴾، يقول: وآتاني منه النبوة والحكمة والإسلام ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ﴾، يقول: فمن الذي يدفع عني عقابه إذا عاقبني إن أنا عصيته، فيخلصني منه، ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾، بعدركم الذي تعتذرون به، من أنكم تعبدون ما كان يعبد آباؤكم، ﴿غَيْرَ مُخْسِرٍ﴾ [١٢]، لكم يخسركم حظوظكم من رحمة الله.

ويقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل صالح لقومه من ثمود، إذ قالوا له: ﴿وَلِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [١٢]، وسألوه الآية على ما دعاهم إليه:

﴿وَيَقَوْمٌ هَذِهِ نَافَةٌ لَكُمْ آيَةٌ﴾، يقول: حجة وعلامة، ودلالة على حقيقة ما أدعوكم إليه ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾، فليس عليكم رزقها ولا مئونها ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ﴾، يقول: لا تقتلوهها ولا تنالوها بعقر ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ ﴿١٦﴾ يقول: فإنكم إن تمسوها بسوء يأخذكم عذاب من الله غير بعيد فيهلككم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿قَالَ يَنْقَوْمُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ فيما أرسلني به إليكم على يقين وبرهان، ﴿وَأَتْنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ وتركتم دعوتكم إلى الحق وعبادة الله وحده، فلو تركته لما نفعتموني ولما زدتوني ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ ﴿١٦﴾ أي: خسارة.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ التفسير: النقصان.

وفي معني الكلام قولان:

**أحدهما:** فما تزيدونني غير بصارة في خسارتكم، قاله ابن عباس. وقال الفراء: المعنى: فما تزيدونني غير تخسير لكم، أي: كلما اعتذرتم عندي بعذر فهو يزيدكم تخسيراً. وقال ابن الأعرابي: غير تخسير لكم، لا لي. وقال بعضهم: المعنى: فما تزيدونني بما قلتكم إلا نسبتي لكم إلى الخسارة.

**والقول الثاني:** فما تزيدونني غير الخسران إن رجعت إلى دينكم، وهذا معنى قول مقاتل.

**فإن قيل:** فظاهر هذا أنه كان خاسراً، فزادوه خساراً، فقد أسلفنا الجواب في قوله: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ [التوبة: ٤٧].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَنْقَوْمُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ أي: برهان ويقين

مني ﴿وَأَتَنِي مِنْهُ رَحْمَةٌ﴾ أي: من علي برسالته ووحيه، أي: أفأتابعكم على ما أنتم عليه، وما تدعونني إليه؟.

﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ، فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ (١٣) أي: غير خسار وتباب، وضرر. ﴿وَيَنْقُورُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ لها شرب من البئر يوماً، ثم يشربون كلهم من ضرعها، ولهم شرب يوم معلوم. ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ﴾ أي: ليس عليكم من مؤنتها وعلفها شيء، ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ أي: بعقر.



**س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ (١٥).**

**ج: المعنى -** والله أعلم - فلم يعبا قوم صالح بتذكير صالح ولا بتحذيره لهم من عقر الناقة بل أقبلوا عليها وقتلوها، فقال لهم نبيهم صالح بعد أن رأوهم قتلوها ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ أي: امكثوا في بلادكم ثلاثة أيام وبعدها يأتيكم عذاب الله ﷻ، وذلك وعد غير مكذب، وقد ذكر عدد من العلماء أن صالحاً عليه السلام أخبرهم أن علاقة ذلك أن وجوهكم ستصفّر في اليوم الأول، وتحمر في اليوم الثاني، وتسود في اليوم الثالث ثم يأتيكم العذاب، فالله أعلم بصحة ذلك.

**وقال الطبري رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره:** فعقرت ثمود ناقة الله، وفي الكلام محذوف قد ترك ذكره، استغناءً بدلالة الظاهر عليه، وهو: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ [الشمس: ١٤]، فقال لهم صالح: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾، يقول: استمتعوا في دار الدنيا بحياتكم ثلاثة أيام، ﴿ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ (١٥)، يقول: هذا الأجل الذي



أَجَلْتَكُمْ، وَعَدُّ مِنْ اللَّهِ، وَعَدُّكُمْ بَانْقِضَائِهِ الْهَلَاكَ وَنَزُولَ الْعَذَابِ بِكُمْ، ﴿٦٥﴾ عَيْزٌ مَكْذُوبٌ ﴿٦٥﴾، يَقُولُ: لَمْ يَكْذِبْكُمْ فِيهِ مِنْ أَعْلَمَكُمْ ذَلِكَ.

**وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله:** ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدُ غَيْرِ مَكْذُوبٍ﴾ ﴿٦٥﴾، وذكر لنا أن صالحًا حين أخبرهم أن العذاب آتاهم لبسوا الأنطاع والأكسية، وقيل لهم: إن آية ذلك أن تصفروا ألوانكم أول يوم، ثم تحمروا في اليوم الثاني، ثم تسودوا في اليوم الثالث. وذكر لنا أنهم لما عقرُوا الناقة ندموا، وقالوا: «عليكم الفصيل»؟ فصعد الفصيل القارة، و«القارة» الجبل، حتى إذا كان اليوم الثالث، استقبل القبلة، وقال: «يا رب أمي، يا رب أمي»، ثلاثا. قال: فأرسلت الصيحة عند ذلك.

**وقال القرطبي رحمه الله:**

قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ إنما عقرها بعضهم؛ وأضيف إلى الكل لأنه كان برضا الباقين. وقد تقدم الكلام في عقرها «الأعراف». ويأتي أيضا. ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا﴾ أي قال لهم صالح تمتعوا؛ أي بنعم الله ﷻ قبل العذاب. ﴿فِي دَارِكُمْ﴾ أي في بلدكم، ولو أراد المنزل لقال في دوركم. وقيل: أي يتمتع كل واحد منكم في داره ومسكنه؛ كقوله: ﴿يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ ﴿غافر: ٦٧﴾ أي كل واحد طفلا. وعبر عن التمتع بالحياة لأن الميت لا يتلذذ ولا يتمتع بشيء؛ فعقرت يوم الأربعاء، فأقاموا يوم الخميس والجمعة والسبت وأتاهم العذاب يوم الأحد. وإنما أقاموا ثلاثة أيام؛ لأن الفصيل رغا ثلاثا على ما تقدم في «الأعراف» فاصفرت ألوانهم في اليوم الأول، ثم احمرت في الثاني، ثم اسودت في الثالث، وهلكوا في الرابع.

**وقال ابن الجوزي رحمه الله:**

قوله تعالى: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ﴾ أي: استمتعوا بحياتكم، وعبر عن الحياة

بالتمتع، لأن الحيي يكون متمتعاً بالحواس.  
 قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ قال المفسرون: لما عُقرت الناقة صَعِدَ فصيلُها إلى الجبل، ورغا ثلاث مرات، فقال صالح: لكل رغبة أجل يوم، ألا إن اليوم الأول تصبح وجوهكم مُصْفَرَّةً، واليوم الثاني مُحْمَرَّةً، واليوم الثالث مُسْوَدَّةً؛ فلما أصبحوا في اليوم الأول، إذا وجوههم مصفرة، فصاحوا وضجوا، وبكوا، وعرفوا أنه العذاب، فلما أصبحوا في اليوم الثاني، إذا وجوههم محمرة، فضجوا، وبكوا، فلما أصبحوا في اليوم الثالث، إذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار، فصاحوا جميعاً: ألا قد حضركم العذاب؛ فتكفّنوا وألقوا أنفسهم بالأرض، لا يدرون من أين يأتيهم العذاب، فلما أصبحوا في اليوم الرابع، أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة، فتقطعت قلوبهم في صدورهم.



**س: العذاب قد يحلّ بالأقوام فجأة، وقد يرونه مقبلاً عليهم ويعلمون مجيئه ويؤمنون به، وضح ذلك.**

**ج:** نعم قد يحدث هذا فقد يحلّ البلاء بالقوم فجأة كالكوارث والمصائب والبلايا التي تحلّ بالعباد من غير ترقب وانتظار، بل مفاجئة مباغته كما قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأعراف: ٩٧-٩٨].

وهنا قومٌ صالحٌ وعدوا بالعذاب بعد ثلاثة أيام وظهرت طلائعه فطفقوا ينتظرون حلوله بهم، ولقد قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ [النحل: ٤٥-٤٧].

س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بَنَيْنَا صَلْدًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمٍ ذِئْبٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ (٦٦) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَنُومًا (٦٧) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا إِلَّا إِنَّا ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدَ الثَّمُودِ (٦٨) .

ج: المعنى - والله أعلم -: فلما جاء أمرنا بإنزال العذاب على قبيلة ثمود، لما جاء عذابنا نجينا صالحًا عليه السلام والذين آمنوا معه بنعمة منا وفضل ونجيناهم من الذل والهوان، ذل وهوان ذلك اليوم الذي نزل فيه العذاب، فقد أذل الله أهل الكفر وأهانهم، إن ربك هو القوي العزيز الذي لا يغلب ولا يُرد قضائه ولا يُدفع مراده، أما عن أهل الظلم والكفر والجحود والنكران فقد أخذتهم الصيحة الشديدة الطاغية كما قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِطَاغِيَةِ (٥) ﴾ [الحاقة: ٥] الصيحة الشديدة فأصبحوا في ديارهم هلكى موتى ملصقين بالأرض لا حراك لهم، كأنهم لم يعيشوا في الدنيا يومًا ولم ينعموا فيها ولم يسعدوا ألا فهلاكًا وخسارًا لقبيلة ثمود التي كفرت بأنعم ربها وكفرت بوحداية خالقها، وعبدوا مع الله إلهاً آخر، ألا فسحقاً لهم وبُعداً عن الخير، وخساراً.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فلما جاء ثمود عذابنا ﴿ بَنَيْنَا صَلْدًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ﴾، يقول: بنعمة وفضل من الله، ﴿ وَمِنْ خِزْيِ يَوْمٍ ذِئْبٍ ﴾، يقول: ونجيناهم من هوان ذلك اليوم، وذلكه بذلك العذاب ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ ﴾، في بطشه إذا بطش بشيء أهلكه، كما أهلك ثمود حين بطش بها ﴿ الْعَزِيزُ ﴾ (٦٦)، فلا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر، بل يغلب كل شيء ويقهره.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَنُومًا (٦٧) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا إِلَّا إِنَّا ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدَ الثَّمُودِ (٦٨) ﴾ .

**يقول تعالى ذكره:** وأصاب الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله من عقر ناقة الله وكفرهم به ، ﴿الْصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِمِينَ﴾ (٦٧) ، قد جثمتهم المنايا، وتركتهم خمودًا بأفئدتهم.

**وقوله:** ﴿الْأَيْنَ ثَمُودٌ كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ ، يقول: ألا إن ثمود كفروا بآيات ربهم فجحدوها ﴿الْأَبْعَدَ الثَّمُودَ﴾ (٦٨) ، يقول: ألا أبعد الله ثمود! لنزول العذاب بهم.

**قال السعدي رحمه الله:**

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بوقوع العذاب ﴿بَنَجْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ رَحْمَةً مِنَّا وَمِنْ خِزْيٍ يُومِذُ﴾ أي نجيناهم من العذاب والخزي والفضيحة. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (٦٦) ومن قوته وعزته أن أهلك الأمم الطاغية ونجى الرسل وأتباعهم.

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ العظيمة فقطعت قلوبهم ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِمِينَ﴾ (٦٧) أي خامدين لا حراك لهم.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ أي كأنهم لما جاءهم العذاب ما تمتعوا في ديارهم ولا أنسوا بها ولا تنعموا بها يوما من الدهر قد فارقهم النعيم وتناولهم العذاب السرمدي الذي ينقطع الذي كأنه لم يزل.

﴿الْأَيْنَ ثَمُودٌ كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ أي جحدوه بعد أن جاءتهم الآية المبصرة ﴿الْأَبْعَدَ الثَّمُودَ﴾ (٦٨) فما أشقاهم وأذلهم نستجير بالله من عذاب الدنيا وخزيها.

**هذا وقد أورد الطبري بسندٍ ضعيف عن عمرو بن خارجة قال:** قلنا له: حدثنا

حديث ثمود. قال: أحدثكم عن رسول الله ﷺ عن ثمود: كانت ثمود قوم صالح، أعمارهم الله في الدنيا فأطال أعمارهم، حتى جعل أحدهم بيني المسكن من المدر، فينهدم، والرجل منهم حي. فلما رأوا ذلك، اتخذوا من الجبال بيوتاً فريهين، فنحتوها وجابوها وجوفوها. وكانوا في سعة من

معايشهم. فقالوا: يا صالح ادع لنا ربك يخرج لنا آية نعلم أنك رسول الله، فدعا صالح ربه، فأخرج لهم الناقة، فكان شربها يومًا، وشربهم يومًا معلومًا. فإذا كان يوم شربها خلّوا عنها وعن الماء وحلبوها لبنًا، ملئوا كل إناء ووعاء وسقاء، حتى إذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء، فلم تشرب منه شيئًا، فملئوا كل إناء ووعاء وسقاء. فأوحى الله إلى صالح: إن قومك سيعقرون ناختك! فقال لهم، فقالوا: ما كنا لنفعل! فقال: إلا تعقروها أنتم، يوشك أن يولد فيكم مولود يعقرها. قالوا: ما علامة ذلك المولود؟ فوالله لا نجده إلا قتلناه! قال: فإنه غلام أشقر أزرق أصهب، أحمر. قال: وكان في المدينة شيخان عزيزان منيعان، لأحدهما ابن يرغب به عن المناكح، وللآخر ابنة لا يجد لها كفؤًا، فجمع بينهما مجلس، فقال أحدهما لصاحبه: ما يمنعك أن تزوج ابنك؟ قال: لا أجد له كفؤًا. قال: فإن ابنتي كفؤ له، وأنا أزوجه. فزوجه، فولد بينهما ذلك المولود. وكان في المدينة ثمانية رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون، فلما قال لهم صالح: «إنما يعقرها مولود فيكم»، اختاروا ثمانى نسوة قوابل من القرية، وجعلوا معهن شرطًا كانوا يطوفون في القرية، فإذا وجدوا المرأة تمخض، نظروا ما ولدها إن كان غلامًا قلبنه فنظرن ما هو وإن كانت جارية أعرضن عنها. فلما وجدوا ذلك المولود صرخ النسوة وقلن: «هذا الذي يريد رسول الله صالح»، فأراد الشرط أن يأخذوه، فحال جداه بينهم وبينه، وقالوا لو أن صالحًا أراد هذا قتلناه! فكان شرّ مولود، وكان يشبّ في اليوم شباب غيره في الجمعة، ويشبّ في الجمعة شباب غيره في الشهر، ويشبّ في الشهر شباب غيره في السنة. فاجتمع الثمانية الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وفيهم الشيخان، فقالوا: «استعمل علينا هذا الغلام» لمنزلته وشرف جديه، فكانوا تسعة. وكان صالح لا ينام معهم في القرية، كان

في مسجد يقال له: «مسجد صالح»، فيه بيت بالليل، فإذا أصبح أتاهم فوعظهم وذكرهم، وإذا أمسى خرج إلى مسجده فبات فيه.

قال حجاج: وقال ابن جريج: لما قال لهم صالح: «إنه سيولد غلام يكون هلاككم على يديه»، قالوا: فكيف تأمرنا؟ قال: آمركم بقتلهم! فقتلوهم إلا واحداً. قال: فلما بلغ ذلك المولود، قالوا: لو كنا لم نقتل أولادنا، لكان لكل رجل منا مثل هذا، هذا عمل صالح! فأتروا بينهم بقتله، وقالوا: نخرج مسافرين والناس يروننا علانية، ثم نرجع من ليلة كذا من شهر كذا وكذا، فنرصده عند مصلاه فنقتله، فلا يحسب الناس إلا أننا مسافرون، كما نحن! فأقبلوا حتى دخلوا تحت صخرة يرصدونه، فأرسل الله عليهم الصخرة فرضختهم، فأصبحوا رَضَخًا. فانطلق رجال ممن قد اطلع على ذلك منهم، فإذا هم رَضَخٌ، فرجعوا يصيحون في القرية: أي عباد الله، أما رضي صالح أن أمرهم أن يقتلوا أولادهم حتى قتلهم؟! فاجتمع أهل القرية على قتل الناقة أجمعون، وأحجموا عنها إلا ذلك الابن العاشر.

ثم رجع الحديث إلى حديث رسول الله ﷺ، قال: وأرادوا أن يمكروا بصالح، فمشوا حتى أتوا على سَرَبٍ على طريق صالح، فاخترأ فيه ثمانية، وقالوا: إذا خرج علينا قتلناه وأتيناه أهله، فبيئناهم! فأمر الله الأرض فاستوت عنهم. قال: فاجتمعوا ومشوا إلى الناقة وهي على حَوْضِها قائمة، فقال الشقي لأحدهم: انتها فاعقرها! فأتاها، فتعاطمه ذلك، فأضرب عن ذلك، فبعث آخر فأعظم ذلك. فجعل لا يبعث رجلاً إلا تعاطمه أمرها، حتى مشوا إليها، وتناول فضرب عرقوبيها، فوقع تركض، وأتى رجل منهم صالحاً فقال: «أدرك الناقة فقد عمرت!»! فأقبل، وخرجوا يتلقونه ويعتذرون إليه: «يا نبي الله، إنما عقرها فلان، إنه لا ذنب لنا!»! قال: فانظروا هل تدركون فصيلها؟،

فإن أدركتموه، فعسى الله أن يرفع عنكم العذاب ! فخرجوا يطلبونه، ولما رأى  
الفصيل أمّه تضطرب، أتى جبلا يقال له «القارة» قصيرا، فصعد وذهبوا  
ليأخذوه، فأوحى الله إلى الجبل، فطال في السماء حتى ما تناله الطير. قال:  
ودخل صالح القرية، فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه، ثم استقبل  
صالحا فرغا رغوّة، ثم رغا أخرى، ثم رغا أخرى، فقال صالح لقومه: لكل  
رغوّة أجل يوم، ﴿تَمَتُّوْا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ ﴿٥١﴾، ألا  
إن أية العذاب أن اليوم الأوّل تصبح وجوهكم مصفرة، واليوم الثاني محمرة،  
والיום الثالث مسودة ! فلما أصبحوا فإذا وجوههم كأنها طليت بالخلق،  
صغيرهم وكبيرهم، ذكرهم وأنثاهم. فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم: «ألا قد  
مضى يوم من الأجل، وحضركم العذاب» ! فلما أصبحوا اليوم الثاني إذا  
وجوههم محمرة، كأنها خُصبت بالدماء، فصاحوا وضجّوا وبكوا وعرفوا آية  
العذاب، فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم: «ألا قد مضى يومان من الأجل  
وحضركم العذاب» ! فلما أصبحوا اليوم الثالث، فإذا وجوههم مسودة كأنها  
طُليت بالقار، فصاحوا جميعا: «ألا قد حضركم العذاب» ! فتكفّنوا وتحنّطوا،  
وكان حنوطهم الصّبر والمقر، وكانت أكفانهم الأنطاع، ثم ألقوا أنفسهم إلى  
الأرض، فجعلوا يقلبون أبصارهم، فينظرون إلى السماء مرة وإلى الأرض  
مرة، فلا يدرون من حيث يأتيهم العذاب من فوقهم من السماء أو من تحت  
أرجلهم من الأرض، جَشَعًا وَفَرَقًا. فلما أصبحوا اليوم الرابع أتتهم صيحة من  
السماء فيها صوت كل صاعقة، وصوت كل شيء له صوت في الأرض،  
فتقطعت قلوبهم في صدورهم، فأصبحوا في دارهم جاثمين.

وقال الطبري:

حدثنا إسماعيل بن المتوكل الأشجعي من أهل حمص قال، حدثنا محمد

بن كثير قال، حدثنا عبد الله بن واقد، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم قال، حدثنا أبو الطفيل، قال: لما غزا رسول الله ﷺ غَزَاةَ تَبُوكَ، نزل الحجر فقال: يا أيها الناس لا تسألوا نبيكم الآيات، هؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث لهم آية، فبعث الله لهم الناقة آيةً، فكانت تلج عليهم يوم ورودها من هذا الفجّ، فتشربُ ماءهم، ويوم وردهم كانوا يتزودون منه، ثم يحلبونها مثل ما كانوا يتزودون من مائهم قبل ذلك لبنًا، ثم تخرج من ذلك الفجّ. فعتوا عن أمر ربهم وعقروها، فوعدهم الله العذاب بعد ثلاثة أيام، وكان وعدًا من الله غير مكذوب، فأهلك الله من كان منهم في مشارق الأرض ومغاربها إلا رجلاً واحداً، كان في حرم الله، فمنعه حَرَمُ الله من عذاب الله. قالوا: ومن ذلك الرجل يا رسول الله؟ قال: أبو رغال.





شيء من قصة إبراهيم عليه السلام مع الملائكة الكرام

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَوَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَتَابَرَهُمْ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَاتِلِيهِمْ عَذَابَ غَيْرِ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾ [هود: ٦٩-٧٦].

س: اذكر معنى ما يلي:

(رُسُلَنَا - بِالْبُشْرَى - فَمَا لَيْتَ - يَعِجَلِ حَنِيدٍ - نَكِرَهُمْ - وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً - قَائِمَةٌ - فَضَحِكَتَ - يَدْوِلَقَ - عَجُوزٌ - بَعْلِي - وَبَرَكَتُهُ - حَمِيدٌ مَجِيدٌ - الرُّوحُ - يُجَدِّلُنَا فِي قُوَى لُوطٍ - لِحَلِيمٍ - أَوَّهٌ - مُنِيبٌ - عَيْرٌ مَرْدُورٌ).

ج:

| الكلمة                        | معناها                                                                                                                         |
|-------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| (رُسُلَنَا) ﴿﴾                | ملائكتنا.                                                                                                                      |
| (بِالْبُشْرَى) ﴿﴾             | البشرى بإسحاق <small>عليه السلام</small> (أي أنه سيرزق بإسحاق <small>عليه السلام</small> )                                     |
| (فَمَا لَيْتَ) ﴿﴾             | فما أبطأ - فما تأخر.                                                                                                           |
| (يَعِجَلِ حَنِيدٍ) ﴿﴾         | بعجل مشويٍّ - وقيل: ناضج على الأحجار الساخنة دون أن تمسه النار - وقيل: نضيج.                                                   |
| (نَكِرَهُمْ) ( )              | استنكر أمرهم واستغفر به.                                                                                                       |
| (وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً) | خاف منهم ولكنه أضمّر الخوف في نفسه.                                                                                            |
| (قَائِمَةٌ) ﴿﴾                | قائمة بخدمة الأضياف، وقيل: قائمة من وراء الستر تستمع.                                                                          |
| (فَضَحِكَتَ) ﴿﴾               | ضحكت تعجبا قيل: تتعجب من أن قوم لوط سيهلكون وهم في غفلة وقيل: ضحكت أي: حاضت، وقيل: ضحكت لكونها وزوجها يخدمان والملاكة لا تأكل. |

|                                    |                                                                                                             |
|------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| (يُونَيْتَى) ﴿١﴾                   | كلمة أصلها الدعاء على النفس، لكن هاهنا هي كلمة تجري على الألسن دون إرادة معناها، وكأنها تريد التعجب.        |
| (عَجُوزٌ) ﴿٢﴾                      | كبيرة السن.                                                                                                 |
| (بَعْلِي) ﴿٣﴾                      | زوجي.                                                                                                       |
| (وَبَرَكَاتُهُ) ﴿٤﴾                | البكرة النمو والازدياد، والمراد كثرة الخير فيهم، فالأبياء من ذرية إبراهيم <small>عليه السلام</small> .      |
| (حَمِيدٌ) ﴿٥﴾                      | محمود في أقواله وأفعاله وفي تفضله عليكم وإنعامه.                                                            |
| (مَجِيدٌ) ﴿٦﴾                      | ذو مجد وعزة وثناء كريم، يمجده خلقه بثناءهم عليه. وهو ممجد في نفسه كذلك فهو أهل الثناء والمجد.               |
| (الرَّوْعُ) ﴿٧﴾                    | الخوف - الفزع.                                                                                              |
| (يَجْعَلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ) ﴿٨﴾ | يراجع ملائكتنا في شأن قوم لوط يطلب تأخيرهم، وقيل: يُذكرهم بأن فيها لوط <small>عليه السلام</small> وهو مؤمن. |
| (الْحَلِيمُ) ﴿٩﴾                   | بطيء الغضب لا يُعاجل بالعقوبة.                                                                              |
| (أَوَّاهٌ) ﴿١٠﴾                    | متضرع خاشع متذل منكسر لله <small>سبحانه</small> .                                                           |
| (مُنِيبٌ) ﴿١١﴾                     | رجّاع - مكثّر من التوبة والرجوع والاستغفار.                                                                 |
| (عِزٌّ مَرْدُودٌ) ﴿١٢﴾             | غير مدفوع، بل لا بد من وقوعه.                                                                               |



س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَهُ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَتُولاَنِي أَنَّى وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَنْتَعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾.

ج: هذا - والله تعالى أعلم - شيءٌ من ذكر نبي الله إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة عليها السلام، وما كان من أمرهما مع ملائكة الله الكرام الذين كانوا في طريقهم إلى تدمير مدائن قوم لوط بما فعله هؤلاء القوم من الرذيلة، فمرت الملائكة الكرام عليهم السلام بإبراهيم وزوجته عليهما السلام، وبشروه أثناء هذا المرور ببشارة عظيمة، وهي أنه سيرزق من سارة عليها السلام، بلغام كانا قد تقدما في السن عليهما سلام من الله، ولم يزرق منها بذرية أكثر حياتهما، كما قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم: ٣٩] فالبشارة هنا البشارة بإسحاق عليه السلام فأمه هي سارة عليها السلام.

**وقيل:** إن البشارة، هي البشارة بإهلاك قوم لوط، وإنجاء لوط عليه السلام والمؤمنين به.

**فالحاصل:** أنهم (أي: الملائكة) أتوا إبراهيم عليه السلام فقالوا: سلامًا، أي سلموا عليه سلامًا وكذا قالوا قولًا طيبًا، فما أبطأ إبراهيم عليه السلام وما تأخر عن ضيافتهم، بل أسرع وجاء بأطيب ما عنده من الطعام وطهاه بأحسن طريقة من طرق الطهي، وجاء مُسرعًا بعجل نضيج - مشوي كذالك على الحجارة الساخنة، قيل: دون أن تمسه النار، وكان عجلًا سمينًا مكافئًا في الآية الأخرى فجمع بين سرعة إكرام الضيف وجودة الطعام المقدم وحسن الطهي، وكذا حسن التلطف في الخطاب إذ قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصفات: ٩١].

ولكن تسرّب التعجب إلى إبراهيم عليه السلام، وكذا فقد اعتراه الخوف منهم لعدم أكلهم عنده، فكأن عدم أكل الأضياف في زمانهم كان مُقلِّقاً، وهكذا هو عند كثيرين من العرب إذا لم يأكل ضيفهم ظنوا أنه يريد بهم شراً، فإنه يُبعد عندهم أن يأكل الشخص من طعامهم ثم يؤذيهم أو يغدر بهم، فالحاصل أن إبراهيم عليه السلام لما رآهم لا يأكلون خاف منهم ولكنه أضمر هذا الخوف في نفسه فطمأنوه، وهكذا ينبغي أن يطمئن المؤمن أخاه إذا رآه خائفاً<sup>(١)</sup>، إنا لا نريدك ولا نريد أهل بيتك بسوءٍ ولا مكروهٍ، ولكننا نريد قوم لوط المكذبين له المعاندين مرتكبي الرذائل والفواحش، فإننا ذاهبون إليهم لتدميرهم وإهلاكهم.

قالوا له ذلك، وامرأته سارة عليها السلام قائمة من وراء الستر، وقائمة على خدمتهم فضحكت، قيل: ضحكت تعجباً مما يحدث، فقوم لوطٍ في غفلة والعذاب مقبلٌ عليهم، وقيل: ضحكت بمعنى حاضت، وقيل: ضحكت تعجباً مما يحدث فهي وزوجها تكلفاً، وأتيا بأطيب الطعام، واجتهدا في إكرام الأضياف ومع ذلك فالأضياف لا يأكلون، فكأن الضحك هنا للتعجب، فبشروها حيثُذ بأنها سترزق بإسحاق، وإسحاق سيرزق ويعقوب، وكلاهما نبيّ كريم كما قال تعالى: ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيٍّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١١٣) ﴿[الصفافات: ١١٢] فقالت، وازداد تعجبها ﴿يَوْنِلَيْكَ﴾ وهي كلمة أصل معناه الدعاء على النفس بالهلاك، كأن معناها يا ويلي تعال وأنزل وحلّ فهذا مقامك وأوانك ولكنها لم تُرد هذا المعنى، إنما هي كلمة تجري على الألسن لا يُراد بها معناها، وأقرب ما تكون إلى التعجب والاستغراب، ﴿قَالَتْ يَوْنِلَيْكَ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ كبيرة السن، ﴿وَهَذَا بَعْلِي﴾ زوجي ﴿شَيْخًا﴾ طاعناً في السن هو الآخر إن هذا لشيء يشير

(١) قال الخصوم الذين تسوروا المحراب على داود عليه السلام لما رآوه خائفاً: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾.

العجيب، فضلاً عن قوله عجيب في نفسه فقالوا لها: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ يعنون أن الله ﷻ قادر على كل شيء يفعل ما يريد لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه.

ثم دَعُوا لإبراهيم وزوجته قائلين رحمة الله وبركاته، أي: ونعمه المتكاثرة وفضائله المتعددة المتنوعة عليكم يا أهل هذا البيت.

**وقيل:** إنه إخبار، أي: أن الله ﷻ محكم يا أهل هذا البيت وأسبغ عليكم نعمه الظاهرة والباطنة، فالأنبياء أكثرهم من ذرتيكم ورزق الله يأتیکما ﴿إِنَّهُ﴾ أي: الله ﷻ، ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود على نعمه وآلائه وفضائله وإحسانه وامتنانه ﴿مَجِيدٌ﴾ في نفسه وممجدٌ من خلقه يثني عليه خلقه وهو للثناء أهل.

**وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.**

**قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:**

**يقول تعالى ذكره:** ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾، من الملائكة وهم فيما ذكر، كانوا جبريل وملكين آخرين. وقيل: إن الملكين الآخرين كان ميكائيل وإسرافيل معه ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾، يعني: إبراهيم خليل الله ﴿بِالْبُشْرَى﴾، يعني: بالبشارة.

**واختلفوا في تلك البشارة التي أتوه بها.**

**فقال بعضهم:** هي البشارة بإسحاق.

**وقال بعضهم:** هي البشارة بهلاك قوم لوط.

﴿قَالُوا سَلَامًا﴾، يقول: فسلموا عليه سلامًا.

ونصب «سلامًا» بإعمال «قالوا» فيه، كأنه قيل: قالوا قولاً وسلموا تسليماً.

﴿قَالَ سَلَامٌ﴾، يقول: قال إبراهيم لهم: سلام، فرفع «سلامٌ»، بمعنى:

عليكم السلام، أو بمعنى: سلام منكم.

**وقوله:** ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ (١٦).

وأصله «محنوذ»، صرف من «مفعول» إلى «فعل».

وقد اختلف أهل العربية في معناه:

**فقال بعض أهل البصرة منهم:** معنى «المحنوذ»: المشويّ، قال: ويقال منه: «حَنَذْتُ فرسي»، بمعنى سَخَّنته وعَرَّقته.

**وقال آخر منهم:** «حنذ فرسه»: أي أضمره، وقال: قالوا حَنَذَهُ يحْنِذُهُ حَنَذًا: أي: عَرَّقَهُ.

**وقال بعض أهل الكوفة:** كل ما انشوى في الأرض، إذا خَدَدَتْ له فيه، فدفنته وغممته، فهو «الحنيد» و«المحنوذ». قال: والخيل تُحْنَذُ، إذا القيت عليها الجلال بعضُها على بعض لتعرق. قال: ويقال: «إذا سَقَيْتَ فَأَحْنِذْ»، يعني: أَخْفِسْ، يريد: أَقْلِ الماء، وأكثر النبذ.

**وقال في تأويل قوله تعالى:** ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾.

**يقول تعالى ذكره:** فلما رأى إبراهيم أيديهم لا تصل إلى العجل الذي أتاهم به، والطعام الذي قدّم إليهم، نكرهم، وذلك أنه لما قدم طعامه ﷺ إليهم، فيما ذكر، كفّوا عن أكله، لأنهم لم يكونوا ممن يأكله. وكان إمساكهم عن أكله، عند إبراهيم، وهم ضيفانه مستنكرًا. ولم تكن بينهم معرفة، وراعه أمرهم، وأوجس في نفسه منهم خيفة.

**وأورد بإسناد حسن عن قتادة:** ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾، وكانت العرب إذا نزل بهم ضيف فلم يطعم من طعامهم، ظنوا أنه لم يجئ بخير، وأنه يحدث نفسه بشرّ.

**وقال الطبري:**

**وقوله:** ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾، يقول: احسّ في نفسه منهم خيفة وأضمرها.

﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾، يقول: قالت الملائكة، لما رأت ما بإبراهيم من الخوف منهم: لا تخف منا وكن آمناً، فإننا ملائكة ربك، ﴿أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾. وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ﴾، سارة بنت هاران بن ناحور بن ساروج بن راعوب بن فالغ، وهي ابنة عم إبراهيم، ﴿قَائِمَةٌ﴾، قيل: كانت قائمة من وراء الستر تسمع كلام الرسل وكلام إبراهيم عليه السلام. وقيل: كانت قائمة تخدم الرسل، وإبراهيم جالس مع الرسل.

وقوله: ﴿فَضَحِكَتْ﴾، اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿فَضَحِكَتْ﴾، وفي السبب الذي من أجله ضحكت.

فقال بعضهم: ضحكت الضحك المعروف، تعجباً من أنها وزوجها إبراهيم يخدمان ضيفانهم بأنفسهما، تكرمةً لهم، وهم عن طعامهم ممسكون لا يأكلون.

وقال آخرون: بل ضحكت من أن قوم لوط في غفلة وقد جاءت رُسُل الله لهلاكهم.

وأورد من وجهين يصحان عن قتادة، قال: لما أوجس إبراهيم خيفة في نفسه حدثوه عند ذلك بما جاؤوا فيه، فضحكت امرأته وعجبت من أن قومًا أتاهم العذاب، وهم في غفلة. فضحكت من ذلك وعجبت ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾.

وقال آخرون: بل ضحكت ظناً منها بهم أنهم يريدون عمل قوم لوط.

وقال آخرون: بل ضحكت لما رأت بزوجه إبراهيم من الرُّوع.

وقال آخرون: بل ضحكت حين بشرت بإسحاق تعجباً من أن يكون لها

ولد على كبر سنّها وسن زوجها.



وقد قال بعض من كان يتأول هذا التأويل: إن هذا من المقدم الذي معناه التأخير، كأن معنى الكلام عنده: وامرأته قائمة، فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، فضحكت وقالت: يا ويلتا أألد وأنا عجوز؟

وقال آخرون: بل معنى قوله: ﴿فَضَحَكْتَ﴾ في هذا الموضع: فحاضت.

وقال آخرون: بل ضحكت سرورًا بالأمن منهم، لما قالوا لإبراهيم: لا تخف، وذلك أنه قد كان خافهم وخافتهم أيضًا كما خافهم إبراهيم. فلما أمنت ضحكت، فأتبعوها البشارة بإسحاق.

قال الطبري رحمه الله:

وأولى الأقوال التي ذكرت في ذلك بالصواب قول من قال: معنى قوله: ﴿فَضَحَكْتَ﴾ فعجبت من غفلة قوم لوط عما قد أحاط بهم من عذاب الله وغفلتهم عنه.

وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب، لأنه ذكر عقيب قولهم لإبراهيم: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ (٧٠). فإذا كان ذلك كذلك، وكان لا وجه للضحك والتعجب من قولهم لإبراهيم: ﴿لَا تَخَفْ﴾، كان الضحك والتعجب إنما هو من أمر قوم لوط.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾ (٧١).

يقول تعالى ذكره: فبشرنا سارة امرأة إبراهيم ثوبًا منا لها على نكيرها وعجبها من فعل قوم لوط، ﴿بِإِسْحَقَ﴾، ولدًا لها، ﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾ (٧١)، يقول: ومن خلف إسحاق يعقوب، من ابنها إسحاق.

و«الوراء» في كلام العرب، ولد الولد، وكذلك تأوله أهل التأويل.

وأورد بإسناد حسن<sup>(١)</sup> عن السدي قال: لما ضحكت سارة. وقالت: «عجبًا

(١) ولكن بين السدي وبين القصة بون شاسع.

لأضيافنا هؤلاء، إنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا ! قال لها جبريل: أبشري بولد اسمه إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب. فضربت وجهها عجباً، فذلك قوله: ﴿ فَصَكَتَ وَجْهَهَا ﴾، [الذاريات: ٢٩]. وقالت: ﴿ أَلِدْ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ (٧٢) قَالُوا أَتَعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ قَالَتْ سَارَةُ: ما آية ذلك؟ قال: فأخذ بيده عوداً يابساً فلوأه بين أصابعه، فاهتز أخضر، فقال إبراهيم: هو الله إذا ذبيحاً.

**وقال في تأويل قوله تعالى:** ﴿ قَالَتْ يَوَئَلَيْهِ أَلِدْ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ (٧٢) قَالُوا أَتَعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ (٧٣).

**يقول تعالى ذكره:** قالت سارة لما بُشِّرَتْ بإسحاق أنها تلد تعجباً مما قيل لها من ذلك، إذ كانت قد بلغت السن التي لا يلد من كان قد بلغها من الرجال والنساء.

﴿يَوَئَلَيْهِ﴾ وهي كلمة تقولها العرب عند التعجب من الشيء والاستنكار للشيء، فيقولون عند التعجب: «ويل أمه رجلاً ما أرجله» ! **وقوله:** ﴿ أَلِدْ وَأَنَا عَجُوزٌ ﴾، تقول: أنى يكون لي ولد، ﴿ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ﴾، والبعل في هذا الموضع: الزوج، وسمي بذلك لأنه قيم أمرها، كما سموا مالك الشيء «بعله»، وكما قالوا للنخل التي تستغني بماء السماء عن سقي ماء الأنهار والعيون «البعل»، لأن مالك الشيء القيم به، والنخل البعل، بماء السماء حياته.

**وقوله:** ﴿ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ (٧٢)، يقول: إن كون الولد من مثلي ومثل بعلي على السن التي بها نحن لشيء عجيب، ﴿ قَالُوا أَتَعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾،

يقول الله تعالى ذكره: قالت الرسل لها: أتعجبين من أمرٍ أمر الله به أن يكون، وقضاء قضاءه الله فيك وفي بعلك.

**وقوله:** ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، يقول: رحمة الله وسعادته لكم أهل بيت إبراهيم، وجعلت الألف واللام خلفاً من الإضافة، وقوله: ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مُجِيدٌ﴾ (٧٣)، يقول: إن الله محمود في تفضله عليكم بما تفضل به من النعم عليكم وعلى سائر خلقه، ﴿مُجِيدٌ﴾، يقول: ذو مجد ومدح وثناء كريم. يقال في «فعل» منه: «مجد الرجل يمجد مجادة» إذا صار كذلك، وإذا أردت أنك مدحته قلت: «مجدته تمجيداً».

#### قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿يُونَيْتَ﴾ قال الزجاج: أصلها يا ويلتي؛ فأبدل من الياء ألف، لأنها أخف من الياء والكسرة؛ ولم ترد الدعاء على نفسها بالويل، ولكنها كلمة تخف على أفواه النساء إذا طرأ عليهن ما يعجبن منه؛ وعجبت من ولادتها ومن كون بعلمها شيخاً لخروجه عن العادة، وما خرج عن العادة مستغرب ومستنكر. و﴿أَلِدْ﴾ استفهام معناه التعجب. ﴿وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ أي شيخخة. ولقد عجزت تعجز عجزاً وعجزت تعجيزاً؛ أي طعنت في السن. وقد يقال: عجوزة أيضاً. وعجزت المرأة بكسر الجيم؛ عظمت عجيزتها عجزاً وعجزاً بضم العين وفتحها.

#### قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ وهم الملائكة، إبراهيم بالبشرى، قيل: تبشره بإسحاق، وقيل: بهلاك قوم لوط. ويشهد للأول قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ (٧٦) [هود: ٧٤]، ﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ أي: عليكم.

قال علماء البيان: هذا أحسن مما حيّوه به؛ لأن الرفع يدل على الثبوت والدوام .

﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ خَنِيذٍ﴾ (٦١) ﴿أَي: ذهب سريعاً، فأتاهم بالضيافة، وهو عجل: فتى البقر، خنيذ: وهو مشوي شيئاً ناضجاً على الرّصف، وهي الحجارة المّحماة.

### ثم قال:

وقد تضمّنت هذه الآية آداب الضيافة من وجوه كثيرة.  
وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ تنكرهم، ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ وذلك أن الملائكة لا همّة لهم إلى الطعام ولا يشتهونه ولا يأكلونه؛ فلهذا رأى حالهم معرضين عما جاءهم به، فارغين عنه بالكلية فعند ذلك نكرهم، ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾.

### ثم قال في

﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ (٦١) ﴿أَي: بولد لها يكون له ولد وعقب ونسل؛ فإن يعقوب ولد إسحاق، كما قال في آية البقرة: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًُا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٣) [البقرة: ١٣٣].

ومن هاهنا استدل من استدل بهذه الآية، على أن الذبيح إنما هو إسماعيل، وأنه يمتنع أن يكون هو إسحاق؛ لأنه وقعت البشارة به، وأنه سيولد له يعقوب، فكيف يؤمر إبراهيم بذبحه وهو طفل صغير، ولم يولد له بعد يعقوب الموعود بوجوده. ووعد الله حق لا خُلفَ فيه، فيمتنع أن يؤمر بذبح هذا والحالة هذه، فتعين أن يكون هو إسماعيل وهذا من أحسن الاستدلال وأصحّه وأبينه، والله الحمد.

﴿ قَالَتْ يَوْلَيْتُ ۚ أُلِدْتُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ (٧٢) ﴿ حكى قولها في هذه الآية، كما حكى فعلها في الآية الأخرى، فإنها: ﴿ قَالَتْ يَوْلَيْتُ ۚ أُلِدْتُ وَأَنَا عَجُوزٌ ﴾ وفي الذاريات: ﴿ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُ فِي صَرَةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ (٢٩) [الذاريات: ٢٩]، كما جرت به عادة النساء في أقوالهن وأفعالهن عند التعجب. ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ أي: قالت الملائكة لها، لا تعجبي من أمر الله، فإنه إذا أراد شيئاً أن يقول له: «كن» فيكون، فلا تعجبي من هذا، وإن كنت عجوزاً كبيرة عقيماً، وبعلك وهو زوجها الخليل عليه السلام، وإن كان شيخاً كبيراً، فإن الله على ما يشاء قدير.

﴿ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ (٧٣) ﴿ أي: هو الحميد في جميع أفعاله وأقواله محمود، ممجد في صفاته وذاته.

### قال السعدي رحمته الله:

أي: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا ﴾ من الملائكة الكرام، رسولنا ﴿ إِبْرَاهِيمَ ﴾ الخليل ﴿ بِالْبُشْرَى ﴾ أي: بالبشارة بالولد، حين أرسلهم الله لإهلاك قوم لوط، وأمرهم أن يمروا على إبراهيم، فيبشروه بإسحاق، فلما دخلوا عليه ﴿ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ﴾ أي: سلموا عليه، ورد عليه السلام.

ففي هذا مشروعية السلام، وأنه لم يزل من ملة إبراهيم عليه السلام، وأن السلام قبل الكلام، وأنه ينبغي أن يكون الرد، أبلغ من الابتداء، لأن سلامهم بالجملة الفعلية، الدالة على التجدد، ورده بالجملة الاسمية، الدالة على الثبوت والاستمرار، وبينهما فرق كبير كما هو معلوم في علم العربية.

﴿ فَمَا لَبِثَ ﴾ إبراهيم لما دخلوا عليه ﴿ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ (٦١) ﴿ أي: بادر لبيته، فاستحضر لأضيافه عجلاً مشوياً على الرضف سميناً، فقربه إليهم فقال: ألا تأكلون؟.

﴿ فَلَمَّا رَأَوْا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ ﴾ أي: إلى تلك الضيافة ﴿ نَكَرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ وظن أنهم أتوه بشر ومكروه، وذلك قبل أن يعرف أمرهم.  
 ف ﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ (٧٠) أي: إنا رسل الله، أرسلنا الله إلى إهلاك قوم لوط.

وامرأة إبراهيم ﴿ قَائِمَةٌ ﴾ تخدم أضيافه ﴿ فَضَحِكَتْ ﴾ حين سمعت بحالهم، وما أرسلوا به، تعجبا.  
 ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ ﴾ (٧١) فتعجبت من ذلك. و ﴿ قَالَتْ يَوْنِلَيْكَ أَلَدٌ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ﴾ فهذان مانعان من وجود الولد ﴿ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ (٧٢).

﴿ قَالُوا أَنْعَجِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ فإن أمره لا عجب فيه، لنفوذ مشيئته التامة في كل شيء، فلا يستغرب على قدرته شيء، وخصوصا فيما يدبره ويمضيه، لأهل هذا البيت المبارك.

﴿ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ، عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ أي: لا تزال رحمته وإحسانه وبركاته، وهي: الزيادة من خيره وإحسانه، وحلول الخير الإلهي على العبد ﴿ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ (٧٣) أي: حميد الصفات، لأن صفاته صفات كمال، حميد الأفعال لأن أفعاله إحسان، وجود، وبر، وحكمة، وعدل، وقسط.  
 مجيد، والمجد: هو عظمة الصفات وسعتها، فله صفات الكمال، وله من كل صفة كمال أكملها وأتمها وأعمها.



س: ما وجه النصب في قوله: ﴿ قَالُوا سَلَامًا ﴾ ووجه الرفع في قوله: ﴿ قَالَ سَلَامٌ ﴾؟

ج: قال القرطبي رحمه الله: ﴿ قَالُوا سَلَامًا ﴾ نصب بوقوع الفعل عليه، كما تقول

قالوا خيراً....

**وقال:** وقيل: ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ أي: فاتحوه بصوابٍ من القول كما قال: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣] أي: صواباً، فسلاماً بمعنى قولهم لا لفظه

**وذكر القرطبي أقوالاً آخر وقال:** ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ في رفعه وجهان: أحدهما: على إضمار مبتدأ أي هو سلام، وأمرى سلام. والآخر بمعنى سلام عليكم إذا جعل بمعنى التحية؛ فأضمر الخبر. وجاز سلام على التنكير لكثرة استعماله، فحذف الألف واللام كما حذف من لا هم في قولك اللهم. وقرئ «سلم» قال الفراء: السلم والسلام بمعنى؛ مثل الحل والحلال.



**س: هل يُزاد في السلام على ﴿وَبَرَكَاتُهُ﴾؟**

**ج:** الظاهر أنه (لا يزاد) والخبر الوارد عن رسول الله ﷺ وفيه: «...ومغفرته» به علة والله أعلم.

**قال القرطبي رحمه الله:**

ودلت الآية أيضاً على أن منتهى السلام ﴿وَبَرَكَاتُهُ﴾ كما أخبر الله عن صالح عبادہ ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾.



**س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلُ فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ (٧٦) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ (٧٥) يَكْرِهُهُمْ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَمَاتِهِمْ عَذَابٌ غَيْرَ مَرْدُورٍ (٧٦) ؟**

**ج: المعنى -والله أعلم-:** فلما ذهب عن إبراهيم الرُّوعُ والخوف والفرع اللذان قد اعترياه لما دخلت عليه الملائكة وامتنعت من الأكل، لما هب عنه

هذا الخوف واطمأن إلى أن العذاب ليس المقصود به إبراهيم عليه السلام وجاءته  
البشرى بإسحاق عليه السلام، إذا به يجادل الملائكة في شأن قوم لوط، أي: كيف  
تدمرون مدائنهم وفيهم من هو مؤمن كلوط عليه السلام، وذلك كما في الآية  
الأخرى: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾ [العنكبوت: ٣٢].

ثم إن الله تعالى يشني على نبيه إبراهيم عليه السلام بين يدي توجيهه وإخباره، فيقول  
تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾. أي: بطيء الغضب لا يُعاجل بالعقوبة، ﴿أَوْهٌ﴾  
خاشع لربه متذل له متضرع خائف وجل ﴿مُنِيبٌ﴾ (٧٥) ﴿رَجَّاعٌ إِلَى اللَّهِ مَكْثَرٌ﴾  
من الاستغفار.

ثم يوجه إبراهيم عليه السلام فيقول له الملائكة عليهم السلام: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾  
أي: عن هذا الجدل ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ قضاء الله تعالى قد حان وقته، وقد أمر  
بإهلاك قوم لوط في وقت لا يتأخر ولا يتغير ولا يتبدل، وإن قومه أيتهم عذاب  
غير مدفوع، لن يصرفه عنهم صارف، ولن يدفعه عنهم دافع ولن يُرد هذا  
العذاب عنهم بل هو واقع بهم لا محالة.

**وبنحو هذا قال أهل العلم.**

**قال الطبري رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره:** فلما ذهب عن إبراهيم الخوف الذي أوجسه في نفسه  
من رسلنا، حين رأى أيديهم لا تصل إلى طعامه، وأمن أن يكون قُصد في نفسه  
وأهله بسوء، ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى﴾، بإسحاق، ظلّ، ﴿يُجَدِّلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ (٧٤).

**ثم قال:** وقد قيل معنى ذلك: وجاءته البشرى أنهم ليسوا إياه يريدون.

**وقال آخرون:** بشر بإسحاق.

**وقال:** وأما «الروع»: فهو الخوف.

**وقال:** وقوله: ﴿يُجَدِّلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ (٧٤)، يقول: يخاصمنا.



وأورد بإسناد حسن<sup>(١)</sup> عن قتادة، قوله: ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾<sup>(٧٤)</sup>، ذكر لنا أن مجادلته إياهم أنه قال لهم: رأيتم إن كان فيها خمسون من المؤمنين أمعذبوها أنتم؟ قالوا: لا! حتى صار ذلك إلى عشرة قال، رأيتم إن كان فيها عشرة أمعذبوهم أنتم؟ قالوا: لا! وهي ثلاث قرى فيها ما شاء الله من الكثرة والعدد.

وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ﴾<sup>(٧٥)</sup>، يقول تعالى ذكره: إن إبراهيم لبطيء الغضب، متذلّل لربه خاشع له، منقاد لأمره ﴿مُنِيبٌ﴾، رجّاع إلى طاعته.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾<sup>(٧٦)</sup>.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قول رسله لإبراهيم: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾، وذلك قيلهم له حين جادلهم في قوم لوط، فقالوا: دع عنك الجدال في أمرهم والخصومة فيه، فإنه ﴿قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ يقول: قد جاء أمر ربك بعدابهم. وحقّ عليهم كلمة العذاب، ومضى فيهم بهلاكهم القضاء، ﴿وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾<sup>(٧٦)</sup>، يقول: وإن قوم لوط، نازل بهم عذاب من الله غير مدفوع.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ أي: إنه قد نفذ فيهم القضاء، وحقّت عليهم الكلمة بالهلاك، وحلول البأس الذي لا يُرد عن القوم المجرمين.

وقال الشنقيطي رحمه الله (أضواء البيان):

لم يبين هنا ما المراد بهذه البشرى التي جاءت بها الرسل الملائكة إبراهيم ولكنه أشار بعد هذا إلى أنها البشارة بإسحاق ويعقوب في قوله: ﴿وَأَمْرَاتُهُ قَايِمَةٌ فَضَحَكْتُ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾<sup>(٧١)</sup> لأن البشارة بالذرية الطيبة

(١) ولكن بين قتادة وبين ذلك بون شاسع، ولا يدري من الذي ذكر له ذلك.

شاملة للأمم والأب، كما يدل لذلك قوله: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١١٢). [الصفافات: ١١٢].

وقوله: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِعَلَمٍ عَلَيْهِ﴾ (٢٨) [الذاريات: ٢٨] وقوله: ﴿قَالُوا لَا تَوَجَّلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِعَلَمٍ عَلَيْهِ﴾ (٥٣) [الحجر: ٥٣] وقيلك البشري هي إخبارهم له بأنهم أرسلوا لإهلاك قوم لوط، وعليه فالآيات المبينة لها كقوله هنا في هذه السورة: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ (٧٠) [هود: ٧٠] الآية. وقوله: ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ ثَمُودَ﴾ (٥٨) [الحجر: ٥٨ - ٥٩] الآية.

وقوله: ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ ثَمُودَ﴾ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابَةً مِّن طِينٍ (٣٣) [الذاريات: ٣٢ - ٣٣] وقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (٣١) [العنكبوت: ٣١].

**والظاهر القول الأول:** وهذه الآية الأخيرة تدل عليه لأن فيها التصريح بأن إخبارهم بإهلاك قوم لوط بعد مجيئهم بالبشري، لأنه مرتب عليه بأداة الشرط التي هي «لما» كما ترى.

**وقال في تفسير قوله: ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ (٧٤):**

لم يبين ما جادل له إبراهيم الملائكة في قوم لوط، ولكنه أشار إليه في العنكبوت بقوله ﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (٣١) قَالَ إِنَّكَ فِيهَا لُوطٌ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَانَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَايِبِينَ (٣٢) [العنكبوت: ٣١ - ٣٢] الآية.

فحاصل جداله لهم أنهم يقول: إن أهلكتم القرية وفيها أحد من المؤمنين أهلكتم ذلك المؤمن بغير ذنب، فأجابوه عن هذا بقولهم ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾ الآية.

وقال:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ (٧١).

هذا العذاب الذي صرح هنا بأنه آت قوم لوط، لا محالة وأنه لا مرد له بينه في مواضع متعددة، كقوله في هذه السورة الكريمة: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ (٨٢) ﴿مُسَوَّمَةٌ عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ (٨٣) [هود: ٨٢ - ٨٣].

وقوله في الحجر: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ (٧٤) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) [الحجر: ٧٤ - ٧٥].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَىٰ الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوَاءً﴾ [الفرقان: ٤٠] الآية.  
وقوله: ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾ (١٧٢) ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ﴾ (١٧٣) [الشعراء: ١٧٢ - ١٧٣].

وقوله: ﴿لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ (٣٢) ﴿مُسَوَّمَةٌ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ (٣٤) [الذاريات: ٣٣ - ٣٤] إلى غير ذلك من الآيات.

وقال السعدي رحمه الله:

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ الذي أصابه من خيفة أضيافه ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى﴾ بالولد، التفت حينئذ، إلى مجادلة الرسل في إهلاك قوم لوط، وقال لهم: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا لَنَحْرِبَ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَانَهُ﴾.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ أي: ذو خلق حسن وسعة صدر، وعدم غضب، عند جهل الجاهلين.

﴿أَوَّهٌ﴾ أي: متضرع إلى الله في جميع الأوقات، ﴿مُنِيبٌ﴾ (٧٥) أي: رجَّاع إلى الله بمعرفته ومحبه، والإقبال عليه، والإعراض عمن سواه، فلذلك كان

يجادل عمن حَتَمَ الله بهلاكهم.

**فَقِيلَ لَهُ:** ﴿يَتَأَبَّرُهُمْ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا﴾ الجِدَالُ ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بهلاكهم  
﴿وَأَنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ ﴿٧٦﴾ فلا فائدة في جدالك.



### قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

(وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْقُومُ هَؤُلَاءِ بِنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ إِيَّائِي رُكْنٌ شَدِيدٌ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَنْلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلَوْا إِلَيْكَ فَأَسِرْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَّكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ

﴿٨٣﴾ [هود: ٧٧-٨٣].

س: وضع معنى ما يلي:

(سَيِّءٌ بِهِمْ - وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا - عَصِيبٌ - يُهْرَعُونَ - يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ - أَطْهَرُ لَكُمْ - وَلَا تُخْزُونَ فِي ضَعِيفٍ - رَشِيدٌ - ءَاوِىَ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ - لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ - فَأَنْشِرِ بَاهِلَكَ بِقُطْعٍ مِّنَ الْإِثْلِ - مُصِيبُهُمَا أَصَابَهُمْ - مَوْعِدُهُمُ الصُّبْحُ - جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَاقِلَهَا - سَجِيلٍ مَّنْضُودٍ - مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ - وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) .

ج:

| الكلمة                           | معناها                                                                           |
|----------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------|
| (سَيِّءٌ بِهِمْ) ❖               | سَاءَ مجيئهم وتضايق بمجيئهم - ساء ظناً بقومه.                                    |
| (وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا) ❖       | ضاق صبره وقل واشتد المكر عليه وقع به مكروه عظيم لا يستطيع دفعه.                  |
| (عَصِيبٌ) ❖                      | شديد شره - الشر فيه شديد والبلاء فيه عظيم.                                       |
| (يُهْرَعُونَ) ❖                  | يسرعون مع حرصٍ شديد ﴿على إتيان الفاحشة﴾.                                         |
| (يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ) ❖    | يعملون الأعمال المسيئة ﴿التي هي إتيان الذكران من العالمين﴾.                      |
| (أَطْهَرُ لَكُمْ) ❖              | أحلَّ لكم - الزواج بهن أطيب لكم.                                                 |
| (وَلَا تُخْزُونَ فِي ضَعِيفٍ) ❖  | لا تهينوني مع أضيافي ولا تذلوني - ولا تمتهوني.                                   |
| (رَشِيدٌ) ❖                      | قوى الإيمان شديد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.<br>مرشد - عاقل مؤمن - صالح. |
| (ءَاوِىَ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) ❖ | الجبأ إلى قبيلة قوية تمنعني منكم.                                                |

|                                                                                                                                                                                    |                                                |
|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------|
| لَنْ يَسْتَطِيعُوا إِيْذَاءَكَ وَلَا اقْتِرَابَ مِنْكَ بِسُوءٍ وَلَا مَكْرُوهِ.                                                                                                    | (أَنْ يَصَلُّوا إِلَيْكَ) ﴿١﴾                  |
| فَأَخْرَجَ بِأَهْلِكَ ﴿٢﴾ إِلَّا أَمْرًا نَكَ ﴿٣﴾ فِي وَقْتٍ مِنَ اللَّيْلِ، وَهُوَ وَقْتُ السَّحَرِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿٤﴾ إِلَّا أَلْ لَّوْطُ يَجْعَلُهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٢٤﴾ ﴿٥﴾. | (فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنْ أَيْلٍ) ﴿٦﴾ |
| يَحِلُّ بِهَا مِنَ الْعَذَابِ مَا يَحِلُّ بِهِمْ.                                                                                                                                  | (مُصِيبُهُمَا مَا أَصَابَهُمْ) ﴿٧﴾             |
| مَوْعِدَ إِهْلَاكِهِمْ فِي الصَّبَاحِ.                                                                                                                                             | (مَوْعِدُهُمُ الصُّبْحُ) ﴿٨﴾                   |
| رَفَعْنَاهَا ثُمَّ قَلْبْنَاهَا رَأْسًا عَلَى عَقَبِ.                                                                                                                              | (جَعَلْنَاهَا عَلَيْهَا) ﴿٩﴾                   |
| الطِّينِ الشَّدِيدِ الْمَتَحَجَّرِ الْمَتَصَلَّبِ.                                                                                                                                 | (سَجِيلٍ مَنْضُودٍ) ﴿١٠﴾                       |
| مَتَابِعَ يَتَّبِعُ بَعْضُهُ بَعْضًا.                                                                                                                                              |                                                |
| مَعْلَمَةٌ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ بِعَلَامَاتٍ، وَقِيلَ: كَانَ عَلَى كُلِّ حَجَرٍ اسْمٌ مِنْ سِيْهْلِكَ بِهِ.                                                                         | (مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ) ﴿١١﴾              |
| لَيْسَتْ بِبَعِيدَةٍ عَنْ أَهْلِ الظُّلْمِ فَكُلْ ظَالِمٌ فَرَبْنَا قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَرْسِلَ عَلَيْهِمْ مِثْلَهَا.                                                              | (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) ﴿١٢﴾ |



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ (٧).

ج: المعنى - والله أعلم - ولما جاءت ملائكتنا لوطاً ﷺ ساءه قدومهم لما يعلمه من قومه الشريرين المفسدين، فخشى على أضيافه خشيةً شديدة من أن ينالهم مكروه من قومه، وضايق وجود الأضياف لا كراهية منه للأضياف، بل خشية عليهم وحفاظاً عليهم، فحلَّ به ضيقٌ شديدٌ، وأصابه كرب وهمٌ وقال هذا يوم عصيب، أي: شديد شرُّه الشر فيه شديد.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ولما جاءت ملائكتنا لوطاً، ساءه مجيئهم، وهو «فعل» من «السوء»، ﴿وَضَاقَ بِهِمْ﴾، بمجيئهم ﴿ذَرْعًا﴾، يقول: وضاحت نفسه غماً بمجيئهم. وذلك أنه لم يكن يعلم أنهم رسلُ الله في حال ما ساءه مجيئهم، وعلم من قومه ما هم عليه من إتيانهم الفاحشة، وخاف عليهم، فضاق من أجل ذلك بمجيئهم ذرعاً، وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عن أضيافه، ولذلك قال: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾.

وأورد بإسنادٍ فيه مقال عن حذيفة أنه قال: لما جاءت الرسل لوطاً أتوه وهو في أرض له يعمل فيها، وقد قيل لهم، والله أعلم: لا تهلكوهم حتى يشهد لوط. قال: فأتوه فقالوا: إنا مُتَضَيِّفُوكَ الليلة، فانطلق بهم، فلما مضى ساعة التفت فقال: أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية؟ والله ما أعلم على ظهر الأرض أناساً أخبث منهم! قال: فمضى معهم. ثم قال الثانية مثل ما قال، فانطلق بهم. فلما بصرت بهم عجوزُ السوء امرأته، انطلقت فأنذرتهم.



وقال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وأما قوله: ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ (٧٧)، فإنه يقول: وقال لوط: هذا اليوم يوم شديد شره، عظيم بلاؤه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يخبر تعالى عن قُدم رسله من الملائكة بعد ما أعلموا إبراهيم بهلاكهم، وفارقوه وأخبروه بإهلاك الله قوم لوط هذه الليلة. فانطلقوا من عنده، فأتوا لوطاً رَحِمَهُ اللهُ، وهو - على ما قيل - في أرض له يعمرها وقيل: في منزله، ووردوا عليه وهم في أجمل صورة تكون، على هيئة شبان حسان الوجوه، ابتلاء من الله وله الحكمة والحجة البالغة، فساء شأنهم وضاعت نفسه بسببهم، وخشي إن لم يُضِفْهم أن يضيفهم أحد من قومه، فينالهم بسوء، ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ (٧٧).

قال ابن عباس وغير واحد: شديد بلاؤه وذلك أنه علم أنه سيدافع عنهم، ويشق عليه ذلك.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ أي ضاق صدره بمجيئهم وكرهه. وقيل: ضاق وسعه وطاقته. وأصله أن يذرع البعير بيديه في سيره ذرعا على قدر سعة خطوه؛ فإذا حمل على أكثر من طوقه ضاق عن ذلك، وضعف ومد عنقه؛ فضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع. وقيل: هو من ذرعه القيء أي غابه؛ أي ضاق عن حبسه المكروه في نفسه، وإنما ضاق ذرعه بهم لما رأى من جمالهم، وما يعلم من فسق قومه. ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ (٧٧) أي شديد في الشر.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ أي: الملائكة الذين صدروا من إبراهيم لما أتوا

﴿لَوْطَا سَيِّءَ بِهِمْ﴾ أي: شق عليه مجيئهم، ﴿وَصَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ (٧٧) أي: شديد حرج، لأنه علم أن قومه لا يتركونهم، لأنهم في صور شباب، جرد، مرد، في غاية الكمال والجمال، ولهذا وقع ما خطر بباله.

**قال ابن الجوزي رحمه الله:**

**قال الزجاج:** يقال: ضاق فلان بأمره ذرعًا: إذا لم يجد من المكروه في ذلك الأمر مخلصًا. وذكر ابن الأنباري فيه ثلاثة أقوال.

**أحدها:** أن معناه: وقع به مكروه عظيم لا يصل إلى دفعه عن نفسه، فالذرع كناية عن هذا المعنى.

**والثاني:** أن معناه: ضاق صبره وعظم المكروه عليه؛ وأصله من ذرع فلانًا القِيءُ: إذا غلبه وسبقه.

**والثالث:** أن المعنى: ضاق بهم وسعته، فتاب الذرع والذراع عن الوسع، لأن الذراع من اليد، والعرب تقول: ليس هذا في يدي، يعنون: ليس هذا في وسعي؛ ويدل على صحة هذا أنهم يجعلون الذراع في موضع الذرع، فيقولون: ضقت بهذا الأمر ذراعًا.



س: وضح المعنى الإجمالي لهذه الآيات: ﴿وَجَاءَهُمْ قَوْمُهُمْ يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ قال يَنْفَوْهُمْ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (٧٨) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ (٧٩) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠) قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْفُتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا إِنَّهُ مُصِيبُهُمَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهُمَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (٨٢) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣) ﴿

**ج: المعنى إجمالاً - والله أعلم :-** أن قوم لوط عليه السلام لما بلغهم خبر مجيء الأضياف حسان الوجوه على أعلى درجات من الجمال (وهم الملائكة) وقيل: إن التي أخبرتهم بذلك هي امرأته، قالوا، وقد كانت تلك خيانتها، جاءوا (أي: قوم لوط) مسرعين حريصين على فعل الفاحشة بهؤلاء الكرام، وكان من سجية قوم لوط هؤلاء قبل مجيء الرسل إليهم كانوا يعملون هذه الفاحشة، فلم تكن هذه المحاولة للاعتداء هي أولى المحاولات، بل كانت هذه سجيتهم، وكان هذا شأنهم وتلك عادتهم ألا وهي فعل السيئات التي منها هذه الكبيرة إتيان الذكران من العالمين، فلما وصلوا إلى بيت لوط عليه السلام ذكّرهم بالله وبتقواه عليه السلام، وناشدهم وعرض عليهم بناته كي يتزوجوهن فهن أحلّ وأطيب إذا تزوجوهن على شريعة الله، عرض عليهم لوط عليه السلام ذلك قائلاً: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ أي: أحلّ لكم فتزوجوهن إن شئتم أزواجكم إياهن، ولا تهنوني، ولا تذلونني مع أضيافي ولا تخرجوني معهم، أليس منكم رجل رشيد عاطل شديد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كي يدفع الله بي عن شركم؟!، أليس فيكم من يتعقل الأمور ويتفهم ويتقي الله؟!؟

**فيحتمل أجابوه بقولهم:** ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ قيل: المعنى لقد علمت ما لنا في بناتك من حاجة فإننا لا نحتاج النساء، ولكن تعلم مرادنا وهو أننا نريد الرجال ولا نريد النساء.

**وقيل المعنى:** ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ لكونهن لسن لنا بأزواج، ولا نريد الزواج إنما نريد الرجال (يعنون الأضياف).

**وقيل:** إنهم كانوا من قبل قد خطبوا بنات لوط فأبى عليه السلام أن يزوجهن، وكان من عادتهم أن من خطب امرأة فرفض أنه لا يرجع إليها ثانية، فلما حلّ بنبي الله ما حل من الحرج وافق على تزويجهن بناته دفعاً للضرر عن الأضياف

فاعتزلوا له بأنك تعلم ما لنا في بناتك من حق، فالله أعلم.  
 فحينئذ وقع لوط عليه السلام في كرب شديد وبلاء عظيم، ولم تكن له بتلك  
 البلدة قبيلة، ولم يكن له منهم كبير ناصر بعد الله ﷻ، فقالوا مقولةً يرحمه الله  
 ويغفر له قال: ﴿لَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْءَاوَيْتُ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (٨٠).  
 أي: لو أن عندي منعة وأنصار أو كانت لي قبيلة قوية لفعلت بكم الأفاعيل  
 حفاظاً على أضيافي ودفعاً لشركم.  
 وفي مثل هذا المقام يقول النبي ﷺ: «يرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى  
 ركن شديد».

فلما قال عليه السلام مقولته قالت الملائكة حينئذ - يطمئنونه - وأفصحوا عن  
 وجهتهم وعن أنفسهم، فقد كان عليه السلام يظنهم بشرًا، فقالوا: ﴿يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ  
 رَبِّكَ﴾ ملائكة من عند الله ﷻ فاطمئن فلن يصلوا إليك بمكروه ولا سوء، وكذا  
 لن يستطيعوا الوصول غليتنا بأذى ولا بمكروه، هذا، وقد ذكر بعض العلماء  
 هاهنا أقوالاً تشهد لها في الجملة آيات من كتاب الله ﷻ، ذكروا أن قوم لوط  
عليه السلام أتوه ووقفوا بباب بيته وهو يدفعهم حفاظاً على أضيافه فكادوا أن  
 يكسروا الباب فخرج لهم جبريل عليه السلام ضربهم بجناحه فأعمى أبصارهم، وكا  
 أسلفت فيشهد في الجملة لهذا المعنى، قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاوَوْهُ عَنْ ضَيْفِهِ  
 فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾.

**فالحاصل:** أن الله ﷻ دفع عن لوط عليه السلام الشر والمكروه وسلّمه وسلّم  
 أضيافه من هؤلاء الأشرار، ثم أمرته الملائكة - بأمر الله لهم بتبليغه - قالت  
 الملائكة ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ أي: فاخرج بأهلك ليلاً عند الحر، كما قال تعالى:  
 ﴿إِلَّا عَالَ لُوطٌ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ (٣١) [القمر: ٣٤] ونهته الملائكة عن الالتفات إلى  
 الخلف حتى لا يفكر في أحد من القوم ولا يفكر في ديار ولا مال ولا غير ذلك

إلا ذكر الله ودعاء الله كي ينجيه وينجي من معه، واستثنيت من الإنجاء ومن الخروج مع لوطٍ عليه السلام امرأته تلك الخائنة التي كانت تدل أهل الشر والكفر والفسوق على أضياف لوطٍ عليه السلام، فقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَمْرًا نَكْتُبُ﴾ أي: لا تخرجها معك إنه سيحل بها مثل الذي يحلُّ بهم من العذاب.

وكان لوطًا عليه السلام استبطأ العذاب وأراد أن ينزل العذاب على قومه في الحال، فطمأنته الملائكة بقولهم له: إن موعد إهلاكهم الصبح، أليس الصبح ب قريب؟!؟

فلما جاء أمر الله تعالى وقضاؤه بتعذيب هؤلاء الأشرار المفسدين جعل الله سبحانه وتعالى أعلى هذه القرى أسفلها وأسفلها أعلاها ذكر العلماء أن جبريل عليه السلام حمل هذه القرى بمن فيها ورفعها إلى السماء ثم قلبها رأسًا على عقب، وأتبع ذلك بأن أرسلت على القوم حجارة من طين شديد متحجر صلبة في غايته من الصلابة، بحجارة متتابعة معلمة بعلامات من عند الله فأهلكتهم وأبادتهم ثم حذر أهل الظلم عمومًا وخوفوا يقول تعالى: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ (٨٣) أي: أن مثل هذه الحجارة قريب إحلالها بأهل الظلم، والله ليس بعاجز عن فعل ما فعله بقوم لوطٍ من إهلاكهم وتدميرهم، فليحذر كل ظالم أن يصيبه مثل الذي أصاب قوم لوط، نسأل الله العافية والسلامة.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمته الله:

يقول تعالى ذكره: وجاء لوطًا قومه يستحثون إليه، يُرعدون مع سرعة المشي، مما بهم من طلب الفاحشة.

يقال: «أهرع الرجل»، من برد أو غضب أو حمى، إذا أرعد، «وهو مُهرع»، إذا كان مُعجلًا حريصًا.

**وقوله:** ﴿قَالَ يَنْقُومُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾، يقول تعالى ذكره: قال لوط لقومه لما جاؤوه يراودونه عن ضيفه: هؤلاء يا قوم بناتي -يعني نساء أمته- فانكحوهن<sup>(١)</sup> فهن أطهر لكم.

**وأورد بإسناد صحيح ابن أبي نجیح يقول في قوله:** ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾، قال: ما عرض عليهم نكاحًا ولا سفاحًا.

**وبإسناد حسن عن قتادة في قوله:** ﴿هُؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ قال: أمرهم أن يتزوجوا النساء، وأراد نبي الله ﷺ أن يقي أضيافه ببناته.

**قال الطبري:**

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾.

**فقرأته عامة القراء برفع:** ﴿أَطْهَرُ﴾، على أن جعلوا ﴿هُنَّ﴾ اسمًا، ﴿أَطْهَرُ﴾

خبره، كأنه قيل: بناتي أطهر لكم مما تريدون من الفاحشة من الرجال.

**وقوله:** ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾، يقول: فاحشوا الله، أيها الناس، واحذروا عقابه، في إتيانكم الفاحشة التي تأتونها وتطلبونها، ﴿وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾، يقول: ولا تذلوني بأن تركبوا مني في ضيفي ما يكرهون أن تركبوه منهم.

و«الضيف»، في لفظ واحد في هذا الموضع بمعنى جمع. والعرب تسمي الواحد والجمع «ضيفًا» بلفظ واحد. كما قالوا: «رجل عدل، وقوم عدل».

**وقوله:** ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾<sup>(٧٨)</sup>، يقول: أليس منكم رجل ذو رشد،

ينهى من أراد ركوب الفاحشة من ضيفي، فيحول بينهم وبين ذلك؟

**وقال في تأويل قوله تعالى:** ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ﴾.

**يقول تعالى ذكره:** قال قوم لوط للوط: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾، يا لوط ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ

(١) أي: تزوجوهن.

مِنْ حَقِّي ﴿٧٩﴾، لَأَنْهَن لَسَنَ لَنَا أَزْوَاجًا.

**وقوله:** ﴿وَأَنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ﴾ ﴿٧٩﴾، يقول: قالوا: وإنك يا لوط لتعلم أن حاجتنا في غير بناتك، وأن الذي نريد هو ما تنهانا عنه.

### ثم قال الطبري:

**يقول تعالى ذكره:** قال لوط لقومه حين أبوا إلا المضي لما قد جاؤوا له من طلب الفاحشة، وأيس من أن يستجيبوا له إلى شيء مما عرض عليهم: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾، بأنصار تنصرني عليكم وأعوان تعينني، ﴿أَوْءَاوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ ﴿٨٠﴾، يقول: أو أنضم إلى عشيرة مانعة تمنعني منكم، لحلت بينكم وبين ما جئتم تريدونه مني في أضيافي، وحذف جواب «لو» لدلالة الكلام عليه، وأن معناه مفهوم.

**وقال في تأويل قوله تعالى:** ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْفُتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَّكَ﴾ إِنَّهُ مُصِيبُهُمَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾.

**يقول تعالى ذكره:** قالت الملائكة للوط، لما قال لوط لقومه: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْءَاوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ ﴿٨٠﴾، ورأوا ما لقي من الكرب بسببهم منهم: ﴿يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾، أرسلنا لإهلاكهم، وإنهم لن يصلوا إليك وإلى ضيفك بمكروه، فهوّن عليك الأمر، ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾، يقول: فاخرج من بين أظهرهم أنت وأهلك ببقية من الليل.

يقال منه: «أسرى» و«سرى»، وذلك إذا سار بليل.

**وأما قوله:** ﴿إِلَّا أَمْرًا نَّكَ﴾، فإن عامة القراء من الحجاز والكوفة، وبعض أهل البصرة، قرأوا بالنصب ﴿إِلَّا أَمْرًا نَّكَ﴾، بتأويل: فأسر بأهلك إلا امرأتك، وعلى أن لوطاً أمر أن يسري بأهله سوى زوجته، فإنه نهى أن يسري بها، وأمر

بتخليفها مع قومها.

**وقوله:** ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ ، يقول: إنه مصيب امرأتك ما أصاب قومك من العذاب ، ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ ، يقول: إن موعد قومك الهلاك الصبح. فاستببطاً ذلك منهم لوط وقال لهم: بلى عجّلوا لهم الهلاك ! فقالوا: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (٨١) أي عند الصبح نزول العذاب بهم.

**وقال في تأويل قوله تعالى:** ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ﴾ (٨٢) مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣) .  
**يقول تعالى ذكره:** ولما جاء أمرنا بالعذاب وقضاؤنا فيهم بالهلاك، ﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا﴾ يعني عالي قريتهم ، ﴿سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ ، يقول: وأرسلنا عليها ، ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ .

واختلف أهل التأويل في معنى ﴿سِجِّيلٍ﴾ فأورد الطبري أقوالاً ثم قال:  
والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله المفسرون، وهو أنها حجارة من طين، وبذلك وصفها الله في كتابه في موضع، وذلك قوله: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ \* مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿ [سورة الذاريات: ٣٣، ٣٤].  
وأورد أقوالاً في تفسير ﴿مَنْضُودٍ﴾ منها: مصفوفة، ومنها: متتابعة.

**واختار قول الربيع بن أنس: نضد بعضه على بعض.**

**قال الطبري:**

والصواب من القول في ذلك ما قاله الربيع بن أنس، وذلك أن قوله: ﴿مَنْضُودٍ﴾ من نعت ﴿سِجِّيلٍ﴾ ، لا من نعت «الحجارة»، وإنما أمطر القوم حجارة من طين، صفة ذلك الطين أنه نضد بعضه إلى بعض، فصير حجارة، ولم يُمَطَّرُوا الطين، فيكون موصوفاً بأنه تتابع على القوم بمجيئه.

**قال أبو جعفر:** وإنما كان جائزاً أن يكون على ما تأوله هذا المتأول لو كان



التنزيل بالنصب «منضودة»، فيكون من نعت «الحجارة» حيثئذ.  
**وأما قوله:** ﴿مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾، فإنه يقول: معلمة عند الله، أعلمها الله، و«المسومة» من نعت «الحجارة»، ولذلك نصبت على النعت.  
**وأما قوله:** ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ (٨٢)، فإنه يقول تعالى ذكره متهدداً مشركي قريش: وما هذه الحجارة التي أمطرتها على قوم لوط، من مشركي قومك، يا محمد، ببعيد أن يمطروها، إن لم يتوبوا من شركهم.

**وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:**

**وقوله:** ﴿يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي: يسرعون ويهرولون في مشيتهم ويجمرون من فرحهم بذلك وروي في هذا عن ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدي وقتادة وشمر بن عطية وسفيان بن عيينة .

**وقوله:** ﴿وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ أي: لم يزل هذا من سجيتهم إلى وقت آخر حتى أخذوا وهم على ذلك الحال.

**وقوله:** ﴿قَالَ يَنْقُومُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ يرشدهم إلى نسائهم، فإن النبي للأمة بمنزلة الوالد للرجال والنساء، فأرشدهم إلى ما هو أنفع لهم في الدنيا والآخرة، كما قال لهم في الآية الأخرى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦) [الشعراء: ١٦٥، ١٦٦]، وقوله في الآية الأخرى: ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (٧٠) [الحجر: ٧٠] أي: ألم ننهك عن ضيافة الرجال ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (٧١) لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢) [الحجر: ٧١، ٧٢]، وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾.

**ثم قال:**

**وقوله:** ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾ أي: اقبلوا ما أمركم به من الاقتصار

على نسائكم ، ﴿ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ أي: ليس منكم رجل فيه خير، يقبل ما أمره به، ويترك ما أنهاه عنه؟

﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَالَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَقٍّ ﴾ أي: إنك تعلم أن نساءنا لا أرب لنا فيهن ولا نستهيهن، ﴿ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ﴾ (٧٦) أي: ليس لنا غرض إلا في الذكور، وأنت تعلم ذلك، فأى حاجة في تكرار القول علينا في ذلك؟ قال السدي: ﴿ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ﴾ (٧٦) إنما نريد الرجال.

يقول تعالى مخبراً عن نبيه لوط، **عليه السلام**: ﴿ إِنْ لَوْطَا تَوَعَّدُهُمْ بِقَوْلِهِ ﴾ : ﴿ لَوْ أَنِّي بِيَكْمٍ قُوَّةٌ أَوْ إِيَّايَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ (٨٠) أي: لكنت نكلت بكم وفعلت بكم الأفاعيل من العذاب والنقمة وإحلال البأس بكم بنفسي وعشيرتي، ولهذا ورد في الحديث، من طريق محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أن رسول الله **ﷺ** قال: «رحمة الله على لوط، لقد كان يأوي إلى ركن شديد - يعني: الله **ﷻ** - فما بعث الله بعده من نبي إلا في ثروة من قومه».

فعند ذلك أخبرته الملائكة أنهم رُسل الله إليه، وبشروه أنهم لا وصول لهم إليه ولا خلوص ﴿ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ ﴾ وأمره أن يسري بأهله من آخر الليل، وأن يتبع أدبارهم، أي: يكون ساقية لأهله، ﴿ وَلَا يَلْفُتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ ﴾ أي: إذا سمعت ما نزل بهم، ولا تهولنكم تلك الأصوات المزعجة، ولكن استمروا ذاهبين كما أنتم .

﴿ إِلَّا أَمْرًا نَكِّ ﴾ قال الأكثرون: هو استثناء من الميث وهو قوله: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾ تقديره ﴿ إِلَّا أَمْرًا نَكِّ ﴾ وكذلك قرأها ابن مسعود ونصب هؤلاء امرأتك؛ لأنه من مثبت ، فوجب نصبه عندهم.

**قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

ثم قربوا له هلاك قومه تبشيراً له؛ لأنه قال لهم: «أهلكوهم الساعة»،

فقالوا: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ ﴿٨١﴾ هذا وقوم لوط وقوف على الباب وعكوف قد جاءوا يهرعون إليه من كل جانب، ولوط واقف على الباب يدافعهم ويردعهم وينهاهم عما هم فيه، وهم لا يقبلون منه، بل يتوعدونه، فعند ذلك خرج عليهم جبريل، **عليه السلام**، فضرب وجوههم بجناحه، فطمس أعينهم، فرجعوا وهم لا يهتدون الطريق، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاَوْهُ عَنِ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ﴾ [القمر: ٣٧-٣٩].

ثم قال:

يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ وكان ذلك عند طلوع الشمس، ﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا﴾ وهي قريتهم العظيمة وهي سدوم ومعاملتها ﴿سَافِلَهَا﴾ كقوله ﴿وَالْمُؤْنَفَكَةَ أَهْوَى﴾ ﴿فَغَشَّاهَا مَا عَشَى﴾ ﴿٥٤﴾ [النجم: ٥٣، ٥٤] أي: أمطرنا عليها حجارة من «سجيل» وهي بالفارسية: حجارة من طين، قاله ابن عباس وغيره. وقال بعضهم: أي من «سك» وهو الحجر، و«كل» وهو الطين، وقد قال في الآية الأخرى: ﴿حِجَارَةً مِّنْ طِينٍ﴾ ﴿٣٢﴾ [الذاريات: ٣٣] أي: مستحجرة قوية شديدة. وقال بعضهم: مشوية، وقال بعضهم: مطبوخة قوية صلبة، وقال البخاري: «سجيل»: الشديد الكبير. سجيل وسجين واحد، اللام والنون أختان، وقال تميم بن مقبل:

**وَرَجُلَةٍ يَضْرِبُونَ الْبَيْضَ ضَاحِيَةً      ضَرْبًا تَوَاصَّتْ بِهِ الْأَبْطَالُ سِجِينَا**

**وقوله:** ﴿مَنْضُودٍ﴾ قال بعضهم: منضودة في السماء، أي: معدة لذلك.

**وقال آخرون:** ﴿مَنْضُودٍ﴾ أي: يتبع بعضها بعضا في نزولها عليهم.

**وقوله:** ﴿مُسَوَّمَةٌ﴾ أي مُعْلَمَةٌ مختومة، عليها أسماء أصحابها، كل حجر

مكتوب عليه اسم الذي ينزل عليه.

**وقال قتادة وعكرمة:** ﴿مُسَوَّمَةٌ﴾ أي: مُطَوَّقَةٌ، بها نَضْحٌ من حُمْرَةٍ.

وذكروا أنها نزلت على أهل البلد، وعلى المتفرقين في القرى مما حولها، فبينما أحدهم يكون عند الناس يتحدث، إذ جاءه حجر من السماء فسقط عليه من بين الناس، فدمره، فتبعهم الحجارة من سائر البلاد، حتى أهلكتهم عن آخرهم فلم يبق منهم أحد.

**ثم قال:**

**وقوله:** ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ (٨٢) ﴿أَي: وما هذه النعمة ممن تشبه

بهم في ظلمهم، ببعيد عنه.

**وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:**

﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي: يسرعون ويبادرون، يريدون أضيافه بالفاحشة، التي كانوا يعملونها، ولهذا قال: ﴿وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ أي: الفاحشة التي ما سبقهم عليها أحد من العالمين.

﴿قَالَ يَقَوْمُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ من أضيافي، وهذا كما عرض لسليمان رَحِمَهُ اللهُ، على المرأتين أن يشق الولد المختصم فيه، لاستخراج الحق ولعلمه أن بناته ممتنع منالهن، ولا حق لهن فيهن. والمقصود الأعظم، دفع هذه الفاحشة الكبرى.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾ أي: إما أن تراعوا تقوى الله، وإما أن تراعوني في ضيفي، ولا تخزون عندهم.

﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ (٧٨) ﴿فينهاكم، ويزجركم، وهذا دليل على مروجهم وانحلالهم، من الخير والمروءة.

فـ ﴿قَالُوا﴾ له: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ (٧٩) ﴿أي: لا نريد إلا الرجال، ولا لنا رغبة في النساء.

فاشدد قلق لوط عليه الصلاة والسلام، ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِیْ بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِیَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (٨٠) كقبيلة مانعة، لمنعتكم.

وهذا بحسب الأسباب المحسوسة، وإلا فإنه يأوي إلى أقوى الأركان وهو الله، الذي لا يقوم لقوته أحد، ولهذا لما بلغ الأمر منتهاه واشتد الكرب. ﴿قَالُوا﴾ له: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ أي: أخبروه بحالهم ليطمئن قلبه، ﴿لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ﴾ بسوء.

ثم قال جبريل بجناحه، فطمس أعينهم، فانطلقوا يتوعدون لوطا بمجيء الصبح، وأمر الملائكة لوطا، أن يسري بأهله ﴿يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ﴾ أي: بجانب منه قبل الفجر بكثير، ليتمكنوا من البعد عن قريتهم. ﴿وَلَا يَلْفَتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ أي: بادروا بالخروج، وليكن همكم النجاة ولا تلتفتوا إلى ما وراءكم.

﴿إِلَّا أَمْرًا إِنَّهُ مُصِيبُهَا﴾ من العذاب ﴿مَا أَصَابَهُمْ﴾ لأنها تشارك قومها في الإثم، فتدلهم على أضياف لوط، إذا نزل به أضياف. ﴿إِنْ مَوْعِدُهُمُ الصُّبْحُ﴾ فكان لوطا، استعجل ذلك، ف قيل له: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (٨١).

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بنزول العذاب، وإحلاله فيهم ﴿جَعَلْنَا﴾ ديارهم ﴿عَلَيْهَا سَافِلَهَا﴾ أي: قلبناها عليهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ أي: من حجارة النار الشديدة الحرارة ﴿مَنْضُودٍ﴾ أي: متتابعة، تتبع من شذ عن القرية.

﴿مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: معلمة، عليها علامة العذاب والغضب، ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الذين يشابهون لفعل قوم لوط ﴿بَعِيدٍ﴾ (٨٢) فليحذر العباد، أن يفعلوا كفعالهم، لئلا يصيبهم ما أصابهم.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ (٨٣).

في هذه الآية الكريمة ثلاثة أوجه من التفسير للعلماء: اثنان منها كلاهما يشهد له القرآن، وواحد يظهر أنه ضعيف.

أما الذي يظهر أنه ضعيف فهو أن المعنى: أن تلك الحجارة ليست بعيدة من قوم لوط. أي لم تكن تخطئهم.

قاله القرطبي وغيره. لأن هذا يكفي عنه قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً﴾ ونحوها من الآيات. أما الوجهان اللذان يشهد لكل واحد منهما قرآن فالأول منهما: أن ديار قوم لوط ليست بعيدة من الكفار المكذبين لبينا. فكان عليهم أن يعتبروا بما وقع لأهلها إذا مروا عليها في أسفارهم إلى الشام، ويخافوا أن يوقع الله بهم بسبب تكذيب نبينا محمد ﷺ مثل ما وقع من العذاب بأولئك، بسبب تكذيبهم لوطاً عليه الصلاة والسلام. والآيات الدالة على هذا كثيرة جداً. كقوله: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ﴾ (١٣٧) ﴿وَبِالْإِيلَافِ لَتَعْلَمُونَ﴾ (١٣٨) [الصافات: ١٣٧ - ١٣٨]، وقوله: ﴿وَإِنَّهَا لَإِسْبِيلٌ مُّقِيمٌ﴾ (٧٦) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٧٧) [الحجر: ٧٦ - ٧٧]، وقوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٢٧) [الذاريات: ٢٧] وقوله: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٣٥) [العنكبوت: ٣٥] إلى غير ذلك من الآيات وعلى هذا القول فالضمير في قوله: ﴿وَمَا هِيَ﴾ راجع إلى ديار قوم لوط المفهومة من المقام.

**الوجه الثاني - أن المعنى:** وما تلك الحجارة التي أمطرت على قوم لوط ببعيد من الظالمين للفاعلين مثل فعلهم، فهو تهديد لمشركي العرب كالذي قبله.

ومن الآيات الدالة على هذا الوجه قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ

فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَذَابُهُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿١٠﴾ [محمد: ١٠] فَإِنْ قَوْلُهُ: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا﴾ ﴿١٠﴾ [محمد: ١٠] ظاهر جداً في ذلك، والآيات بنحو ذلك كثيرة.



س: ما مدة صحة المنقول عن رسول الله ﷺ: «... ويرحم الله لوطاً لقد كان

يأوي إلى ركن شديد؟ وما معناه؟

ج: صحيح، وقد أخرجه البخاري ومسلم<sup>(١)</sup> من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال ربي أرني كيف تحيي الموتى... الحديث»، وفي بعض طرقه: «يغفر الله للوط إن كان ليأوي إلى ركنٍ شديد».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى (فتح الباري)<sup>(٢)</sup>:

قَوْلُهُ: «يَغْفِرُ اللَّهُ لِلْوَطِ إِنْ كَانَ لِيَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ» أَيَّ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَيُشِيرُ ﷺ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ ﴿٨٠﴾ وَيُقَالُ إِنْ قَوْمَ لُوطَ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَحَدٌ يَجْتَمِعُ مَعَهُ فِي نَسَبِهِ لِأَنَّهُمْ مِنْ سَدُومَ وَهِيَ مِنَ الشَّامِ وَكَانَ أَصْلُ إِبْرَاهِيمَ وَلُوطَ مِنَ الْعِرَاقِ، فَلَمَّا هَاجَرَ إِبْرَاهِيمَ إِلَى الشَّامِ هَاجَرَ مَعَهُ لُوطَ، فَبَعَثَ اللَّهُ لُوطًا إِلَى أَهْلِ سَدُومَ فَقَالَ: لَوْ أَنَّ لِي مَنَعَةٌ وَأَقَارِبَ وَعَشِيرَةً لَكُنْتُ أَسْتَنْصِرُ بِهِمْ عَلَيْكُمْ لِيَدْفَعُوا عَنْ ضِيْفَانِي، وَلِهَذَا جَاءَ فِي بَعْضِ طُرُقِ هَذَا الْحَدِيثِ كَمَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ لُوطُ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، قَالَ فَإِنْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ وَلَكِنَّهُ عَنَى عِشْرَتَهُ فَمَا بَعَثَ

(١) البخاري (٣٣٧٢ و ٣٣٧٥)، ومسلم (١٥١).

(٢) الفتح (٦/ ٤٧٨-٤٧٩).

الله نبيًّا إِلَّا فِي ذُرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ» زَادَ ابْنُ مَرْدُوَيْهِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ: «أَلَمْ تَرَ إِلَى قَوْلِ شُعَيْبٍ: وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ» وَقِيلَ: مَعْنَى قَوْلِهِ: «لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ» أَيُّ: إِلَى عَشِيرَتِهِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَأْوِ إِلَيْهِمْ وَأَوَى إِلَى اللَّهِ انْتَهَى. وَالْأَوَّلُ أَظْهَرَ لِمَا بَيَّنَّاهُ. وَقَالَ النَّوَوِيُّ: يَجُوزُ أَنَّهُ لَمَّا انْدَهَشَ بِحَالِ الْأَضْيَافِ قَالَ ذَلِكَ، أَوْ أَنَّهُ انْتَجَبَ إِلَى اللَّهِ فِي بَاطِنِهِ وَأَظْهَرَ هَذَا الْقَوْلُ لِلْأَضْيَافِ اعْتِدَارًا، وَسَمَّى الْعَشِيرَةَ رُكْنًا لِأَنَّ الرُّكْنَ يُسْتَنَدُ إِلَيْهِ وَيُمْتَنَعُ بِهِ فَشَبَّهَهُمُ بِالرُّكْنِ مِنَ الْجَبَلِ لِشِدَّتِهِمْ وَمَنْعَتِهِمْ، وَسَيَأْتِي فِي الْبَابِ الَّذِي بَعْدَهُ تَفْسِيرُ الرُّكْنِ بِلَفْظٍ آخَرَ.



**س: ما فائدة ختام الآيات بقوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ (٨٣)؟**

**ج:** فائدة ذلك - والله أعلم - الخروج بالقصة من خير الخصوص إلى العموم، فليست هذه الحجارة بقاصرة على قوم لوط، بل يتوقع كل ظالم أن ينزل الله عليه عذابًا على ظلمه في أي وقت كان، وفي أي مكان كان.

وكثيرًا ما يحدث مثل هذا سواء في أبواب العقوبات أو في أبواب النعم والمنن، كما قال تعالى في شأن نوح عليه السلام بعد أن أنجاه وأغرق أعداءه ﴿يَعْمَهُ مِنْ عِنْدِنَا﴾ [القمر: ٣٥] ثم عقب بقوله: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ (٣٥) فكل شاكر يُجَازِيهِ اللَّهُ تعالى وينجيه الله تعالى (في الدنيا أو في الآخرة) وكما قال في عدة آيات سواء في قصة موسى أو يوسف عليهما السلام وفي قصص غيرهما بعد أن ذكر ما منَّ به عليهم يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٤) [الأنعام: ٨٤] وكما في بعد ذكر قصة أيوب عليه السلام ﴿وَذِكْرُنَا لِلْعَبِيدِ﴾ [الأنبياء: ٨٤] أي: ليتذكر العباد ما حدث لأيوب عليه السلام، وكيف وأن الله تعالى شفاه وعافاه وأكرمه بعد طول سنين، وبعد أن يأس الأطباء من علاجه، وذلك حتى ييأس شخص من رحمة الله تعالى. والأمثلة في هذا كثيرة جدًا. والله أعلم.



### قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَبْنَؤُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنفُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ۝٨٤ وَيَقَوْمِ أَوفُوا بِالْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝٨٥ بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ۝٨٦ قَالُوا يَشْعِيبُ أَصْلَوْتَنَا تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ۝٨٧ قَالَ يَبْنَؤُمْ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ يَمِينٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُم إِلَىٰ مَا أَنهَكُم عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝٨٨ وَيَقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُمْ بِبَعِيدٍ ۝٨٩ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝٩٠ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ۝٩١ قَالَ يَبْنَؤُمْ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا ۚ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ

مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَقَوْمٍ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ  
مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ  
﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ  
الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَثِيمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۖ أَلَا  
بُعْدًا لِّلْمَدِينِ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾

[هود: ٨٤-٩٥].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿أَرْزَكُمْ بِخَيْرٍ - عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ - وَلَا تَبْخَسُوا - أَشْيَاءَهُمْ - وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ - مُفْسِدِينَ - بَقِيَّتُ اللَّهِ - بِحَفِظٍ - الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ - رِزْقًا حَسَنًا - تَوْفِيقِي - تَوَكَّلْتُ - أُنِيبُ - لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي - وَدُودٌ - مَا نَفَقَهُ - رَهْطَكَ - لَرَجَمَنَّكَ - يَعَزِيزُ - وَأَتَّخِذُكُمْ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا - عَلَى مَكَانِكُمْ - يُعْزِيهِ - رَقِيبٌ - الضَّيْحَةُ - جَنِيمِينَ - كَانَ لَرِيعَتُنَا فِيهَا - بَعْدًا - بَعْدَتْ ثَمُودُ﴾.

ج:

| الكلمة                                      | معناها                                                                                         |
|---------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ﴿أَرْزَكُمْ بِخَيْرٍ﴾                       | أراكم في عافية وسلامة وسعة رزق.                                                                |
| ﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾                   | عذاب يوم يحيط بكم لا تفرون منه.                                                                |
| ﴿وَلَا تَبْخَسُوا﴾                          | لا تنقصوا.                                                                                     |
| ﴿أَشْيَاءَهُمْ﴾                             | حقوقهم.                                                                                        |
| ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ | لا تمشوا مسرعين في الأرض بالفساد والشر.                                                        |
| ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ﴾                         | رزق الله الحلال الطيب - جنة الله - ما تبقى من الحلال الطيب.                                    |
| ﴿بِحَفِظٍ﴾                                  | بحافظ لأعمالكم.                                                                                |
| ﴿الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾                     | المتأنى العاقل صائب الرأي القوي في الحق، وأرادوا الاستهزاء به ﷺ، وقيل: عنوا بذلك السفية الضال. |
| ﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾                           | رزقًا حلالًا.                                                                                  |

|                                                                    |                                               |
|--------------------------------------------------------------------|-----------------------------------------------|
| هدايتي وسدادي.                                                     | (تَوَفِّيتِي) ﴿١﴾                             |
| اعتمدت.                                                            | (تَوَكَّلْتُ) ﴿٢﴾                             |
| أرجع وأرجو.                                                        | (أُنَيْبُ) ﴿٣﴾                                |
| لا يحملنكم بفضلكم لي، ولا عداوتكم.                                 | (لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي) ﴿٤﴾            |
| محبُّ (لأهل الإيمان) ومتودد لهم ويوادونه.                          | (وَدُودٌ) ﴿٥﴾                                 |
| ما نعلم وما ندري.                                                  | (مَا نَفْقَهُ) ﴿٦﴾                            |
| عشيرتك.                                                            | (رَهْطَكَ) ﴿٧﴾                                |
| لسبيناك - لرجمناك بالحجارة.                                        | (لِرَجْمِكَ) ﴿٨﴾                              |
| بممتنع، ولا بمستعصٍ علينا، بل نحن قادرين عليك.                     | (بِعَزِيزٍ) ﴿٩﴾                               |
| رفضموه ورقيتم بأوامره ونواهيهِ وجعلتموها خلف ظهوركم لا تعبؤون بها. | (وَأَتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا) ﴿١٠﴾ |
| على طريقتكم - على ما أنتم عليه من العمل.                           | (عَلَى مَكَانِكُمْ) ﴿١١﴾                      |
| بتؤدة.                                                             | (بُخْرِيهٍ) ﴿١٢﴾                              |
| منتظر.                                                             | (رَقِيبٌ) ﴿١٣﴾                                |
| صيحة عظيمة (صوت عظم) أهلكهم.                                       | (الصَّيْحَةُ) ﴿١٤﴾                            |
| هلكى باركين على الركب، وكذا ملتصقين بالأرض.                        | (جَنَمِينَ) ﴿١٥﴾                              |
| كأنهم لم يعيشوا في بلادهم من قبل.                                  | (كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا) ﴿١٦﴾           |
| هلاكا وخسارا.                                                      | (بُعْدًا) ﴿١٧﴾                                |
| هلكت وخسرت.                                                        | (بَعَدَتْ نَمُودٌ) ﴿١٨﴾                       |

س: من المعنيون بمدين؟

ج: قيل: إنهم قوم أرسل إليهم نبي الله شعيب عليه السلام.

وقيل: إنهم بنو مدین بن إبراهيم، فقيل: مدین والمراد: بنو مدین.

وقيل: إنه اسم للمدينة التي كانوا يسكنونها.



س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ۝٨٤ وَيَنْقُورُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝٨٥ بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ۝٨٦﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: ولقد أرسلنا إلى أهل مدین أخاهم شعيباً عليه السلام فقال لهم: ﴿يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ ما لكم من معبود يستحق العبادة سواه، وهكذا دعا الرسل كلهم إلى عبادة الله عز وجل.

ثم إن القوم كان يظلمون الناس فقد كانوا يطففون الكيل والميزان، أي: أنهم إذا باعوا للناس فكالوا لهم أو وزنوا لهم أنقصوا الناس حقوقهم، فحذرهم نبي الله شعيب عليه السلام من هذا الصنيع قائلاً: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ﴾ في دنياكم عن سعة الأرزاق وسلامة الأبدان ورخص الأسعار وغير ذلك من نعم الدنيا وإني أخاف أن تسلب منكم هذه النعم ويحل بكم عذاب من الله عز وجل يُحيط بكم لا تستطيعون الفرار منه إما في الدنيا وإما في الآخرة.

ويؤكد عليهم نبيهم عليه الصلاة والسلام الأمر بإيفاء الكيل والميزان قائلاً: ﴿وَيَنْقُورُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾

أما القسط فهو العدل والحق، ولا تنقصوا الناس أشياءهم إذا قلتهم لهم أو وزنتم لها ولا تستمروا في إفسادكم في الأرض مجتهدين في نشر هذا الفساد.

**ثم يذكرهم قائلاً:** ﴿يَقَيِّتُ اللَّهُ خَيْرَ لَكُمْ﴾ أي: الحلال الطيب في الدنيا خير لكم من المال المحرم، وكذا رزق الله لكم في الآخرة خير لكم من الحرام الزائل الفاني، إن كنتم مصدقين بالآخرة: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ ٨١ ﴿لست أحفظ أعمالكم بل الله يحفظها ويكتبها، ولست بموكلٌ بهدايتكم فالله يهديكم ما شاء.

### قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

**يقول تعالى ذكره:** وأرسلنا إلى ولد مدين أخاهم شعيباً، فلما أتاهم قال: ﴿يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، يقول: أطيعوه، وتذلّلوا له بالطاعة لما أمركم به ونهاكم عنه، ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، يقول: ما لكم من معبود سواه يستحقّ عليكم العبادة غيره، ﴿وَلَا تَنْفُسُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾، يقول: ولا تنقصوا الناس حقوقهم في مكيالكم وميزانكم، ﴿إِنِّي أَرْبُكُمْ بِخَيْرٍ﴾.

واختلف أهل التأويل في «الخير» الذي أخبر الله عن شعيب أنه قال لمدين إنه يراهم به.

**فقال بعضهم:** كان ذلك رخص السعر وحذرهم غلاءه.

**وقال آخرون:** عنى بذلك: إنني أرى لكم مالا وزينة من زين الدنيا.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما أخبر الله عن شعيب أنه قال لقومه، وذلك قوله: ﴿إِنِّي أَرْبُكُمْ بِخَيْرٍ﴾، يعني بخير الدنيا. وقد يدخل في خير الدنيا، المال وزينة الحياة الدنيا، ورخص السعر، ولا دلالة على أنه عنى بقبله ذلك بعض خيرات الدنيا دون بعض، فذلك على كل معاني خيرات الدنيا التي ذكر أهل العلم أنهم كانوا أوتوها.

وإنما قال ذلك شعيب، لأن قومه كانوا في سعة من عيشهم ورخص من أسعارهم، كثيرة أموالهم، فقال لهم: لا تنقصوا الناس حقوقهم في مكاييلكم وموازينكم، فقد وسَّع الله عليكم رزقكم، ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾، بمخالفتكم أمر الله، وبخسكم الناس أموالهم في مكاييلكم وموازينكم، ﴿عَذَابٌ يَوْمٍ مُّحِيطٌ﴾، يقول: أن ينزل بكم عذاب يوم محيط بكم عذابه. فجعل «المحيط» نعتاً لليوم، وهو من نعت «العذاب»، إذ كان مفهوماً معناه، وكان العذاب في اليوم، فصار كقولهم: «بعض جبتك محترقة».

**يقول تعالى ذكره، مخبراً عن قيل شعيب لقومه:** أوفوا الناس الكيل والميزان ﴿بِالْقِسْطِ﴾، يقول: بالعدل، وذلك بأن توفوا أهل الحقوق التي هي مما يكال أو يوزن حقوقهم، على ما وجب لهم من التمام، بغير بخس ولا نقص.

**وقوله:** ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾، يقول: ولا تنقصوا الناس حقوقهم التي يجب عليكم أن توفوهم كيلاً أو وزناً أو غير ذلك.

**وقوله:** ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، يقول: ولا تسيروا في الأرض تعملون فيها بمعاصي الله.

**ويعني تعالى ذكره بقوله:** ﴿يَقَيِّتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، ما أبقاء الله لكم، بعد أن توفوا الناس حقوقهم بالمكيال والميزان بالقسط، فأحلَّه لكم، خير لكم من الذي يبقى لكم ببخسكم الناس من حقوقهم بالمكيال والميزان، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾، يقول: إن كنتم مصدِّقين بوعد الله ووعيده، وحلاله وحرامه.

وهذا قولٌ روي عن ابن عباس بإسنادٍ غير مرتضى عند أهل النقل.

وقد اختلف أهل التأويل في ذلك.

**فقال بعضهم معناه:** طاعة الله خيرٌ لكم.

وقال آخرون: معنى ذلك: حظكم من ربكم خير لكم.

وقال آخرون: معناه: رزق الله خير لكم.

وأورد عن ابن زيد بسندٍ صحيح قال: «الهلاك»، في العذاب، و«البقية» في الرحمة.

قال الطبري رحمه الله:

وإنما اخترت في تأويل ذلك القول الذي اخترته، لأن الله تعالى ذكره إنما تقدم إليهم بالنهي عن بَخْسِ الناس أشياءهم في المكيال والميزان، وإلى ترك التطفيف في الكيل والبخس في الميزان دعاهم شعيب، فتعقيب ذلك بالخبر عما لهم من الحظّ في الوفاء في الدنيا والآخرة، أولى، مع أن قوله: ﴿بَقِيَتْ﴾، إنما هي مصدر من قول القائل «بقيت بقية من كذا»، فلا وجه لتوجيه معنى ذلك إلا إلى: بقية الله التي أبقاها لكم مما لكم بعد وفائكم الناس حقوقهم خير لكم من بقيتكم من الحرام الذي يبقى لكم من ظلمكم الناس ببخسهم إياهم في الكيل والوزن.

وقوله: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ (٨٦)، يقول: وما أنا عليكم، أيها الناس، برقيب أرقبكم عند كيلكم ووزنكم، هل توفون الناس حقوقهم أم تظلمونهم؟ وإنما عليّ أن أبلغكم رسالة ربّي، فقد أبلغتكموها.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: ولقد أرسلنا إلى مدين - وهم قبيلة من العرب، كانوا يسكنون بين الحجاز والشام، قريباً من بلاد معان، في بلد يعرف بهم، يقال لها «مدين» فأرسل الله إليهم شعيباً، وكان من أشرفهم نسباً. ولهذا قال: ﴿أَخَاهُ شُعَيْبٌ﴾ يأمرهم بعبادة الله تعالى وحده، وينهاهم عن التطفيف في المكيال والميزان ﴿إِنِّي أَرْسَلْتُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ (٨٤) أي: في معيشتكم



ورزقكم فأخاف أن تُسلَبوا ما أنتم فيه بانتهاكم محارم الله، ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ ﴿٨٤﴾ أي: في الدار الآخرة.

ينهاهم أولاً عن نقص المكيال والميزان إذا أعطوا الناس، ثم أمرهم بوفاء الكيل والوزن بالقسط آخذين ومعطين، ونهاهم عن العيث في الأرض بالفساد، وقد كانوا يقطعون الطريق.

**وقوله:** ﴿يَقَيِّتُ اللَّهُ خَيْرَ لَكُمْ﴾ قال ابن عباس: رزق الله خير لكم.

**وأورد أقوالاً أخر ثم قال:**

**قلت:** ويشبه قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَيْرُ وَالْطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْرِ﴾ [المائدة: ١٠٠].

**وقوله:** ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ ﴿٨٦﴾ أي: برقيب ولا حفيظ، أي: افعلوا ذلك لله ﷻ. لا تفعلوه ليراكم الناس، بل لله ﷻ.

**قال القرطبي رحمه الله:**

﴿قَالَ يَنْقُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ تقدم. ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ كانوا مع كفرهم أهل بخس وتطيف؛ كانوا إذا جاءهم البائع بالطعام أخذوا بكيل زائد، واستوفوا بغاية ما يقدرون عليه وظلموا؛ وإن جاءهم مشتر للطعام باعوه بكيل ناقص، وشحوا له بغاية ما يقدرون؛ فأمروا بالإيمان إقلاعا عن الشرك، وبالوفاء نهياً عن التطيف. ﴿وَإِنِّي أَرْزُقُكُمْ خَيْرَ﴾ أي في سعة من الرزق، وكثرة من النعم. وقال الحسن: كان سعرهم رخيصة. ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ ﴿٨٤﴾ وصف اليوم بالإحاطة، وأراد وصف ذلك اليوم بالإحاطة بهم؛ فإن يوم العذاب إذا أحاط بهم فقد أحاط العذاب بهم، وهو كقولك: يوم شديد؛ أي شديد حره. واختلف في ذلك العذاب؛ فقيل: هو عذاب النار في الآخرة.

**وقيل:** عذاب الاستئصال في الدنيا. وقيل: غلاء السعر.

قوله تعالى: ﴿وَيَقَوْمٌ أَوْفُوا بِالْمِكَالِ وَالْمِزَانِ﴾ أمر بالإيفاء بعد أن نهى عن التطفيف تأكيداً. والإيفاء الإتمام. ﴿بِالْقِسْطِ﴾ أي بالعدل والحق، والمقصود أن يصل كل ذي كل نصيب إلى نصيبه؛ وليس يريد إيفاء المكيال والموزون لأنه لم يقل: أوفوا بالمكيال وبالميزان؛ بل أراد ألا تنقصوا حجم المكيال عن المعهود، وكذا الصنجات. ﴿وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ أي لا تنقصوهم مما استحقوه شيئاً. ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ بين أن الخيانة في المكيال والميزان مبالغة في الفساد في الأرض.

**وأورد أقوالاً أخر ثم قال:**

﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ شرط هذا لأنهم إنما يعرفون صحة هذا إن كانوا مؤمنين. وقيل: يحتمل أنهم كانوا يعترفون بأن الله خالقهم فخاطبهم بهذا. ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ ﴿٨٦﴾ أي رقيب أرقبكم عند كيحكم ووزنكم؛ أي لا يمكنني شهود كل معاملة تصدر منكم حتى أؤاخذكم بإيفاء الحق. وقيل: أي لا يتهيا لي أن أحفظكم من إزالة نعم الله عليكم بمعاصيكم.



## بخس الناس حقوقهم لا يقتصر على تطفيف الكيل والميزان

س: هل بخس الناس أشياءهم يقتصر على تطفيف الكيل والميزان؟

ج: لا يقتصر على تطفيف الكيل والميزان، بل يشمل كل إنقاص للحقوق، فمثلاً استشرت في شأن شخص فذكرت مساوئه ولم تذكر محاسنه فقد بخسته حقه، وكذلك إذا كنت تختبر أقواماً فأعطيت من الدرجات والتقارير أقل مما يستحقون فقد بخستهم حقوقهم.

بل إذا استشرت في شأن طالبٍ جيد فقلت إنه ليس بجيد فقد بخسته. إن استشرت في شأن فتاة فقلت: إنها دميمة وليست هي بدميمة بل وضيئة فقد بخستها حقها وصور ذلك متعددة كثيرة، والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَنْشَعِبُ أَصْلُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (٨٧)؟

ج: هذا - والله أعلم - جواب قوم شعيب لشعيب عليه السلام حينما دعاهم إلى عبادة الله وحده وترك ما يعبدون من دون الله، وكذا عندما نهاهم عن تطفيف الكيل والميزان، قالوا له: يا شعيب أدينك الذي تكثر فيه من الصلاة يأمرك أن نترك عبادة الأوثان التي كان آبائنا يعبدونها، وكذا أدينك ينهاك عن أن نتصرف في أموالنا بالطريقة التي يريدونها!!؟

وكأنهم قالوا ما للدين وما للصلاة بشؤوننا.

قالوا: ما للدين وما للصلاة بعبادتنا وما للصلاة بأموالنا!!؟

كأنهم قالوا: صل واقتصر على صلاتك ولا تتدخل في شؤون الحياة كأنهم قالوا فما للدين والاقتصاد.

ثم قالوا: إنك لأنت الحليم الرشيد.

أي: أأنت الحليم الرشيد، ونحن وآباؤنا السفهاء الجهلاء.

**ووجه آخر:** إنك لأنت الذي كنا ندعوه بالحليم الرشيد تقول لنا هذا؟

**ووجه ثالث:** إنك لأنت في نظر نفسك الحليم الرشدي، أهذا هو رشدك

وهذا هو حلمك.

**ووجه رابع:** إنك لأنت السفیه الضال، وإنما قال: ﴿الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (٨٧) ﴿سُحْرِيَّةً وَاسْتِهْزَاءً كَمَا يُقَالُ لِلْكَافِرِ فِي النَّارِ: ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩].

وكما كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾

﴿الحجر: ٦﴾.

**ثم هذه بعض أقوال العلماء في ذلك.**

**قال الطبري رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره:** قال قوم شعيب: يا شعيب، أصلواتك تأمرك أن نترك عبادة ما يعبد آباؤنا من الأوثان والأصنام، ﴿أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا دَشَتُوا﴾، من كسر الدراهم وقطعها، وبخس الناس في الكيل والوزن، ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ﴾، وهو الذي لا يحمله الغضب أن يفعل ما لم يكن ليفعله في حال الرضى، ﴿الرَّشِيدُ﴾، يعني: رشيد الأمر في أمره إياهم أن يتركوا عبادة الأوثان.

**ثم قال:**

وأما قوله لشعيب: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (٨٧) ﴿فَإِنَّهُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ، قَالُوا ذَلِكَ لَهُ اسْتِهْزَاءً بِهِ، وَإِنَّمَا سَفَّهُوهُ وَجَهَّلُوهُ بِهَذَا الْكَلَامِ﴾.

**وقال القرطبي رحمه الله:**

وروي أن شعيباً عليه السلام كان كثير الصلاة، مواظباً على العبادة فرضها ونقلها

ويقول: الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ؛ فلما أمرهم ونهاهم عيروه بما رأوه يستمر عليه من كثرة الصلاة، واستهزؤوا به فقالوا ما أخبر الله عنهم. وقيل: إن الصلاة هنا بمعنى القراءة ؛ قاله سفيان عن الأعمش، أي قراءة تك تأمرك ؛ ودل بهذا على أنهم كانوا كفارا. وقال الحسن: لم يبعث الله نبيا إلا فرض عليه الصلاة والزكاة. ﴿أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ زعم الفراء أن التقدير: أو تنهانا أن نفعل في أموالنا ما نشاء.

وقال رحمه الله:

وقيل: معنى. ﴿أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ إذا تراضينا فيما بيننا بالبخس فلم تمنعنا منه ؟ !. ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (٨٧) يعنون عند نفسك بزعمك. ومثله في صفة أبي جهل: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (٤٩) [الدخان: ٤٩]. أي عند نفسك بزعمك. وقيل: قالوه على وجه الاستهزاء والسخرية، قاله قتادة. ومنه قولهم للحبشي: أبو البضاء، وللأبيض أبو الجون ؛ ومنه قول خزنة جهنم لأبي جهل: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (٤٩) [الدخان: ٤٩]. وقال سفيان بن عيينة: العرب تصف الشيء بضده للتطير والتفاؤل ؛ كما قيل للديغ سليم، وللغلاة مفازة. وقيل: هو تعريض أرادوا به السب ؛ وأحسن من هذا كله، ويدل ما قبله على صحته ؛ أي إنك أنت الحلیم الرشید حقا، فكيف تأمرنا أن نترك ما يعبد آباؤنا! ويدل عليه. ﴿أَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ أنكروا لما رأوا من كثرة صلاته وعبادته، وأنه حلیم رشید بأن يكون يأمرهم بترك ما كان يعبد آباؤهم، وبعده أيضا ما يدل عليه.

قال ابن الجوزي رحمه الله:

وفي قوله: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أنهم قالوه استهزاء به، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال

قتادة، والفراء.

**والثاني:** أنهم قالوا له: إنك لأنت السفية الجاهل، فكنى بهذا عن ذلك، ذكره الزجاج.

**والثالث:** أنهم سبّوه بأنه ليس بحليم ولا رشيد، فأثنى الله ﷻ عليه فقال: بل إنك لأنت الحليم الرشيد، لا كما قال لك الكافرون، حكاه أبو سليمان الدمشقي عن أبي الحسن المصيصي.

**والرابع:** أنهم اعترفوا له بالحلم والرشد حقيقة، وقالوا: أنت حليم رشيد، فلم تنهانا أن نفعل في أموالنا ما نشاء؟ حكاه الماوردي، وذهب إلى نحوه ابن كيسان.

**وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:**

ولهذا قالوا في تهكمهم: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (٨٧) أي: أأنك أنت الذي، الحلم والوقار، لك خلق، والرشد لك سجية، فلا يصدر عنك إلا رشد، ولا تأمر إلا برشد، ولا تنهى إلا عن غي، أي: ليس الأمر كذلك.

وقصدهم أنه موصوف بعكس هذين الوصفين: بالسفه والغواية، أي: أن المعنى: كيف تكون أنت الحليم الرشيد، وآباؤنا هم السفهاء الغاؤون؟!!!

وهذا القول الذي أخرجوه بصيغة التهكم، وأن الأمر بعكسه، ليس كما ظنوه، بل الأمر كما قالوه. إن صلاته تأمره أن ينهاهم، عما كان يعبد آباؤهم الضالون، وأن يفعلوا في أموالهم ما يشاءون، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وأي فحشاء ومنكر، أكبر من عبادة غير الله، ومن منع حقوق عباد الله، أو سرقته بالمكاييل والموازين، وهو عليه الصلاة والسلام الحليم الرشيد.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَنْقُورُ آرءَيْتُمْ إِن كُنتُمْ عَلَىٰ رَيْبٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَّأ أَن أَهْدِيَكُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (٨٨) وَيَنْقُورُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ (٨٩) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ (٩٠).

ج: هذا - والله أعلم - : جواب نبي الله الكريم شعيب عليه السلام لقومه يقول لهم: يا قوم أرأيتم إن كنت على علم وبصيرة وحجة وبرهان من الله ﷻ الذي هو ربي، وقد تفضل عليّ بالرزق الحلال الطيب، قيل: إنه كان ثرياً ﷻ، وكان من ذوي التجارات والأموال، وقيل: إن أراد بالرزق الحسن: الحلال الطيب من العلم والهداية والتوفيق.

وهنا مضمّر مفهوم من السياق حاصله والله أعلم: أفأخالف أمر ربي وأكفر نعم ربي، وقد أنعم عليّ، كلاً فما أريد أن آمركم بشيء وأفعل خلافه بل الذي أريده إصلاح أموري وأموركم قدر جهدي واستطاعتي، وما سداذي وهدايتي وتوفيقي إلا بالله ﷻ هو الذي يوفقي فيما أريد، وهو الذي يهديني، وهو القادر على هدايتكم إن شاء، عليه أعتمد في أموري كلها، وإليه أرجع وألجأ في كل ما أريد، وأرجع إليه راجياً عفوه، راجياً رحمته ﷻ.

ثم يواصل ﷻ قائلاً، ويا قوم لا يحملنكم بغضكم لي ولا تحملنكم كراهيتكم لي على أن تتمادوا في الكفر والمعاصي فيحل بكم مثل الذي حلّ بقوم نوح من الطوفان والعذاب، أو بقوم هود من الريح العقيم، أو بقوم صالح من الرجفة، ثم هؤلاء قريبون منكم، ألا وهم قوم لوط، وقد رأيتم ما حلّ بهم من قلب بلادهم رأساً على عقب، ومن إرسال الحجارة عليهم، فها هم قريبون منكم، قيل: بلادهم كانت قريبة من بلادهم، وقيل: كانوا قريبين في

الزمن منهم، ثم يواصل تذكيره ونصحه قائلاً: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ من سالف ذنوبكم ﴿ثُمَّ تَوُوبُوا إِلَيْهِ﴾ ثم ارجعوا إليه وأقبلوا على طاعته ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ لمن استغفر من ذنبه ورجع إلى ربه ﴿وَدُودٌ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿محبٌّ لأهل الإيمان، ويحبونه كذلك من قلوبهم، وذو ودٍّ وإحسان لعباده المؤمنين المستغفرين التائبين. والله أعلم.

**وينحو ما ذكر قال أهل العلم.**

**قال الطبري رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره:** قال شعيب لقومه: يا قوم أرايتم إن كنت على بيان وبرهان من ربي فيما أدعوكم إليه من عبادة الله، والبراءة من عبادة الأوثان والأصنام، وفيما أنهاكم عنه من إفساد المال، ﴿وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾، يعني حلالاً طيباً. ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنهَضَكُمْ عَنْهُ﴾، يقول: وما أريد أن أنهاكم عن أمر ثم أفعل خلافة، بل لا أفعل إلا ما أمركم به، ولا أنتهي إلا عما أنهاكم عنه.

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾، يقول: ما أريد فيما أمركم به وأنهاكم عنه، إلا إصلاحكم وإصلاح أمركم، ﴿مَا أَسْتَطَعْتُ﴾، يقول: ما قدرت على إصلاحه، لئلا ينالكم من الله عقوبة منكرة، بخلافكم أمره، ومعصيتكم رسوله، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ يقول: وما إصابتي الحق في محاولتي إصلاحكم وإصلاح أمركم إلا بالله، فإنه هو المعين على ذلك، إلا يعني عليه لم أصب الحق فيه.

**وقوله:** ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾، يقول: إلى الله أفوض أمري، فإنه ثقتي، وعليه اعتمادي في أموري.

**وقوله:** ﴿وَالَيْهِ أُنِيبُ﴾ ﴿٨٨﴾، وإليه أقبل بالطاعة، وأرجع بالتوبة.

**ويقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل شعيب لقومه:** ﴿وَيَنْقُورُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي﴾،



يقول: لا يحملنكم عداوتي وبغضي، وفراق الدين الذي أنا عليه، على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر بالله، وعبادة الأوثان، وبخس الناس في المكيال والميزان، وترك الإنابة والتوبة، فيصيبكم ﴿مَثَلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾، من الغرق، ﴿أَوْ قَوْمَ هُودٍ﴾، من العذاب، ﴿أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾، من الرّجفة، ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ﴾ الذين اتفكت بهم الأرض، ﴿مَنْكُمْ يَبْعِدُ﴾ ٨٩، هلاكهم، أفلا تتعظون به، وتعتبرون؟ يقول: فاعتبروا بهؤلاء، واحذروا أن يصيبكم بشقاقي مثل الذي أصابهم.

**وقال أيضًا:** وقد يحتمل أن يقال: معناه: وما دار قوم لوط منكم ببعيد.

**قال الطبري:**

**يقول تعالى ذكره، مخبرًا عن قيل شعيب لقومه:** ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾، أيها القوم من ذنوبكم بينكم وبين ربكم التي أنتم عليها مقيمون، من عبادة الآلهة والأصنام، وبخس الناس حقوقهم في المكايل والموازين، ﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾، يقول: ثم ارجعوا إلى طاعته والانتهاة إلى أمره ونهيه، ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾، يقول: هو رحيم بمن تاب وأناب إليه أن يعذبه بعد التوبة. ﴿وَدُودٌ﴾ ٩٠، يقول: ذو محبة لمن أناب وتاب إليه، يودّه ويحبّه.

**وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:**

يقول لهم أرأيتم يا قوم ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَنبَئٍ مِّن رَّبِّي﴾ أي: على بصيرة فيما أدعو إليه، ﴿وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ قيل: أراد النبوة. وقيل: أراد الرزق الحلال، ويحتمل الأمرين.

وقال الثوري: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ﴾ أي: لا أنهاكم عن شيء وأخالف أنا في السر فأفعله خفية عنكم، كما قال قتادة في قوله: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ﴾ يقول: لم أكن لأنهاكم عن أمر وأركبه ﴿إِنْ

أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴿٨٨﴾ أي: فيما أمركم وأنهاكم، إنما مرادي إصلاحكم جهدي وطاقتي، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي﴾ أي: في إصابة الحق فيما أريده ﴿إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في جميع أموري، ﴿وَالِيَهُ أُذِيبُ﴾ أي: أرجع.

وقال **رحمته**:

يقول لهم: ﴿وَيَقَوْمٌ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي﴾ أي: لا تحملنكم عداوتي وبغضي على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر والفساد، فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم لوط من النعمة والعذاب. قال قتادة: ﴿وَيَقَوْمٌ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي﴾ يقول: لا يحملنكم فراقِي. وقال السدي: عداوتي، على أن تتمادوا في الضلال والكفر، فيصيبكم من العذاب ما أصابهم.

وقوله: ﴿وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ قيل: المراد في الزمان، كما قال قتادة في قوله: ﴿وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ يعني إنما أهلكوا بين أيديكم بالأمس، وقيل: في المكان، ويحتمل الأمران، ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ أي: استغفروه من سالف الذنوب، وتوبوا فيما تستقبلونه من الأعمال السيئة، ﴿إِنَّ رَبِّيَ رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ أي: لمن تاب وأناب.



## النهي عن مخالفة الفعل للقول

س: اذكر بعض الوارد في النهي عن مخالفة الفعل للقول.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٢) كِبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ

أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ [الصف: ٢-٣].

وقوله شعيب عليه السلام: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخْلِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَكُم عَنْهُ ﴾.

وما أخرجه البخاري ومسلم:

من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيُّ فُلَانٍ. أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟! فَيَقُولُ: كُنْتُ أُمَرُّكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَأَكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ».

وما أخرجه أحمد وغيره بسند صحيح من حديث أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ لَيْلَةً أُسْرِيَ بِي رَجُلًا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، كُلَّمَا قُرِضَتْ رَجَعَتْ. فَقُلْتُ لِجَبْرِيلَ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ».

وقد تقدم في سورة البقرة كم كبير من الأقوال في هذا الصدد وبالله التوفيق.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا

ضَعِيفًا وَلَا رَهْطًا لِرَجْمِكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ (١١).

ج: المعنى - والله أعلم - أن قوم شعيب عليه السلام لما ذكّرهم بنبيهم عليه السلام

بعبادة الله وحده وترك التطفيف في الكيل والميزان، قالوا له: يا شعيب ما نفقه

كثيراً مما تقول، ما نفهم قولك ولا نعي مرادك فإنك تكلمنا وتُخبرنا من البعث والثواب والعقاب والجنة والنار، لا نفهم شيئاً عن ذلك إلا القليل، وإنا لنراك ضعيفاً فينا لست بقوي، ولا من ذوي الوجهات، وقيل: إنه كان ضريراً ضعيف البصر، وقيل: كان أعمى ولولا عشيرتك لرجمناك، قيل: رجمناك بالحجارة، وقيل: رجمناك بالقول أي: سبناك وشتمنناك، أما أنت فلست بممتنع منا، بل أنت في متناولنا ولسنا بعاجزين منك.

**وينحو هذا قال العلماء.**

**قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:**

**يقول تعالى ذكره:** قال قوم شعيب لشعيب: ﴿يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾، أي: ما نعلم حقيقة كثير مما تقول وتُخبرنا به، ﴿وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾. ذُكِرَ أنه كان ضريراً، فلذلك قالوا له: ﴿وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾.

**وأورد الطبري بعض أقوال العلماء في أنه رَحِمَهُ اللهُ كان أعمى، وقول آخرين: إنه كان ضعيف البصر.**

**قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:**

**وقوله:** ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾، يقول: يقولون: ولولا أنك في عشيرتك وقومك، ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾، يعنون: لسببناك. **وقال بعضهم:** معناه لقتلناك.

**وقوله:** ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾، يعنون: ما أنت ممن يكرّم علينا، فيعظم علينا إذلاله وهوانه، بل ذلك علينا هيّن.

**قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

يقولون: ﴿يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾ أي: ما نفهم ولا نعقل كثيراً من قولك، وفي آذاننا وقر، ومن بيننا وبينك حجاب. ﴿وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾.

قال سعيد بن جبیر، والثوري: كان ضرير البصر. قال الثوري: وكان يقال له: خطيب الأنبياء.

وقال السدي: ﴿وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ قال: أنت واحد.  
وقال أبو روق: ﴿وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ يعنون: ذليلاً؛ لأن عشيرتك ليسوا على دينك.

﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ أي: قومك وعشيرتك؛ لولا معزة قومك علينا ﴿لَرَجَمَنَّكَ﴾  
قيل بالحجارة، وقيل: لسببناك، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ﴾ (١١) أي: ليس لك عندنا معزة.

﴿قَالَ يَنْقَوْمُ أَرْهَطٌ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ﴾ يقول: أتركوني لأجل قومي، ولا تتركوني إعظاماً لجنان الله أن تنالوا نبيه بمساءة. وقد اتخذتم جانب الله ﴿وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا﴾ أي: نبذتموه خلفكم، لا تطيعونه ولا تعظمونه، ﴿إِنَّكَ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (١٢) أي: هو يعلم جميع أعمالكم وسيجزيك بها.



إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر أو الكافر

س: كثيرًا ما يؤيد الله ﷺ الدين بالرجل الفاجر، ويدفع الله الشرور عن المسلمين بأقوامٍ فجارٍ بل كفارٍ دُلِّلَ على ذلك:

ج: من ذلك ما يلي:

قول قوم شعيب لشعيب عليه السلام: ﴿وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيزٌ ۝١١﴾.

وما أخرج البخاري ومسلم <sup>(١)</sup> من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يَدَّعِي الْإِسْلَامَ: «هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ» فَلَمَّا حَضَرَ الْقِتَالُ قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالًا شَدِيدًا فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ. فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الَّذِي قُلْتَ لَهُ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَإِنَّهُ قَدْ قَاتَلَ الْيَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا وَقَدْ مَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِلَى النَّارِ». قَالَ: فَكَادَ بَعْضُ النَّاسِ أَنْ يَرْتَابَ. فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ قِيلَ إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ، وَلَكِنَّ بِهِ جِرَاحًا شَدِيدًا. فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يَضِرْ عَلَى الْجِرَاحِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» ثُمَّ أَمَرَ بِأَنْ لَا فَنَادَى بِالنَّاسِ: «إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ».

وكذا دفاع أبي طالب عم رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ.

وكذا دفاع المطعم بن عدي عن رسول الله ﷺ لما نزل رسول الله ﷺ في جواره.

وكذا ما أخرجه البخاري ومسلم <sup>(٢)</sup> من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ التَّقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ فَاقْتَتَلُوا فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) البخاري (٣٠٦٢)، ومسلم (١١١).

(٢) البخاري (٢٨٩٨)، ومسلم (١١٢).

إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ لَا يَدْعُ لَهُمْ شَاذَةً وَلَا فَاذَةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالَ: مَا أَجْزَأُ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأُ فُلَانٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ فَجَرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتُ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابُهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالَ الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آفَئًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ، ثُمَّ جَرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتُ فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الْأَرْضِ وَذُبَابُهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

وفي الباب قصة إسلام عمر رضي الله عنه كذلك.

وأخرج ابن حبان في موارد الظمان بسند حسن<sup>(١)</sup>:

عن ابن عمر قال: لما أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم تعلم قريش بإسلامه فقال: أي أهل مكة أنشأ للحديث؟ فقالوا: جميل بن معمر الجمحي فخرج إليه وأنا معه أتبع أثره أعقل ما أرى وأسمع فأتاه فقال: يا جميل إني قد أسلمت قال: فوالله ما رد عليه كلمة حتى قام عامدا إلى المسجد فنأدى أندية قريش فقال: يا معشر قريش إن ابن الخطاب قد صبا فقال عمر: كذب ولكني أسلمت وآمنت بالله وصدقت رسوله فثاوروه فقاتلهم حتى ركدت الشمس على رؤوسهم حتى فتر عمر وجلس فقاموا على رأسه فقال عمر: افعلوا ما بدا

(١) موارد الظمان (٢١٨١).

لكم فوالله لو كنا ثلاث مئة رجل لقد تركتموهما لنا أو تركناها لكم فبينما هم كذلك قيام عليه إذ جاء رجل عليه حلة حرير وقميص قومسي فقال: ما بالكم ؟ فقالوا: إن ابن الخطاب قد صبأ قال: فمه امرؤ اختار ديناً لنفسه أفتظنون أن بني عدي تسلم إليكم صاحبهم ؟ قال: فكأنما كانوا ثوبا انكشف عنه فقلت له بعد بالمدينة: يا أبت من الرجل الذي رد عنك القوم يومئذ ؟ فقتال: يا بني ذاك العاص بن وائل.

### وقال الشنقيطي في أضواء البيان:

قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا نَقُولُ وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿١١﴾ ﴾ .

**بين تعالى في هذه الآية الكريمة:** أن نبيه شعباً عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام منعه الله من الكفار، وأعز جانبه بسبب العواطف العصبية، والأواصر النسبية من قومه الذين هم كفار.

وهو دليل على المتمسك بدينه قد يعينه الله ويعزه بنصرة قريبه الكافر، كما بينه تعالى في مواضع أخرى. كقوله في صالح وقومه: ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ ﴾ [النمل: ٤٩] الآية.

ففي الآية دليل على أنهم لا قدرة لهم على أن يفعلوا السوء بصالح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام إلا في حال الخفاء، وأنهم لو فعلوا به ذلك خفاء وسرقة لكانوا يحلفون لأوليائه الذين هم عصبته أنهم ما فعلوا به سوءاً، ولا شهدوا ذلك ولا حضروه خوفاً من عصبته. فهو عزيز الجانب بسبب عصبته الكفار. وقد قال تعالى لنبينا ﷺ: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾ [الضحى: ٦] أي آواك بأن ضمك إلى عمك أبي طالب.

وذلك بسبب العواطف العصبية، والأواصر النسبية، ولا صلة له بالدين



أَلْبَتَ . فكون جل وعلا يمتن على رسوله ﷺ بإيواء أبي طالب له دليل على أن الله قد ينعم على المتمسك بدينه بنصرة قريبه الكافر .

ومن ثمرات تلك العصبية النسبية قول أبي طالب:  
**والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفيناً**  
**فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة أبشر بذاك وقر منه عيوناً**

وقوله أيضاً:

**ونمنعه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل**

ولهذا لما كان نبي الله لوط عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ليس له عصبية في قومه الذين أرسل إليهم، ظهر فيه أثر عدم العصبية. بدليل قوله تعالى عنه:  
﴿قَالَ لَوْ أَنِّي لِيَكُمُ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠].

وهذه الآيات القرآنية تدل على أن المسلمين قد تنفعهم عصبية إخوانهم الكافرين.

ولما ناصر بن المطلب بن عبد مناف بني هاشم ولم يناصرهم بنو عبد شمس بن عبد مناف وبنو نوفل بن عبد مناف عرف النبي ﷺ لبني المطلب تلك المناصرة التي هي عصبية نسبية لا صلة لها بالدين. فأعطاهم من خمس الغنيمة مع بني هاشم، وقال: «إنا وبني المطلب لم نفرق في جاهلية ولا إسلام» ومنع بني عبد شمس وبني نوفل من خمس الغنيمة، مع أن الجميع أولاد عبد مناف بن قصي.

وقال أبو طالب في بني عبد شمس وبني نوفل:

**جزى الله عنا عبد شمس ونوفلاً عقوبة شر عاجل غير آجل**  
**بميزان قسط لا يخيس شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل**

**لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا بني خلف فيضا بنا والغياطل**

والغياطل « بالغين المعجمة » ومراد أبي طالب بهم: بنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي « القبيلة المشهورة من قبائل قريش » وإنما سموا الغياطل، لأن قيس بن عدي بن سعد بن سهم الذي هو من سادات قريش العظام، وهو الذي يعنيه عبد المطلب بقوله يرقص ابنه عبد الله وهو صغير: **كأنه في العز قيس بن عدي في دار سعد ينتدي أهل الندي**

تزوج امرأة من كنانة تسمى « الغيطة » وهي أم بعض أولاده. فسمي بنو سهم الغياطل. لأن قيس بن عدي المذكور سيدهم. فهذه الآيات القرآنية تدل على أن الله قد يعين المؤمن بالكافر لتعصبه له، وربما كان لذلك اثر حسن على الإسلام والمسلمين. وقد يكون من منن الله على بعض أنبيائه المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم. وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » وفي المثل: « اجتن الثمار وألق الخشبة في النار ».

فإذا عرفت دلالة القرآن على ان المسلم قد ينتفع برابطة نسب وعصبية من كافر، فاعلم أن النداء بالروابط العصبية لا يجوز. لإجماع المسلمين على ان المسلم لا يجوز له الدعاء بيا لبني فلان ونحوها.

وقد ثبت في صحيح البخاري من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي قال في تلك الدعوة: « دعوها فإنها متنة » وقوله ﷺ: « دعوها » يدل على وجوب تركها. لأن صيغة أفعل للوجوب - إلا لدليل صارف عنه، وليس هنا دليل صارف عنه. ويؤكد ذلك تعليله الأمر بتركها بأنها متنة، وما صرح النبي ﷺ بالأمر بتركه وأنه متن لا يجوز لأحد تعاطيه، وإنما الواجب على المسلمين النداء

برابطة الإسلام التي هي من شدة قوتها تجعل المجتمع الإسلامي كله كأنه جسد إنسان واحد. فهي تربطك بأخيك المسلم كربك أعضائك بعضها ببعض، قال ﷺ: « إن مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ».

وإذا تأملت قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّوْنَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] تحققت أن الروابط النسبية تتلاشى مع الروابط الإسلامية، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠] وقال: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١].

ولا يخفى أن أسلافنا معاشر المسلمين إنما فتحوا البلاد ومصروا الأمصار بالرابطة الإسلامية، لا بروابط عصبية، ولا بأواصر نسبية.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَتَقَوَّمُوا أَرْحَامِي أَعَزَّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [١٣] وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿١٤﴾ كَانُوا لَرِيقَتِهَا آلًا مُبْدِلِينَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ ﴾ [١٤].

ج: هذا - والعلم عند الله ﷻ -: خطاب نبي الله شعيب عليه السلام لقومه، وبيان لما أحله الله ﷻ بهم من العقوبة، فقال ﷻ لهم: يا قوم أقبيلتي وعيرتي أعز عليكم من الله، هي التي تمنعكم من إلحاق الأذى والضرر بي، ولا يمنعكم خوف الله من ذلك، بل اتخذتم ربكم ﷻ وأوامره ورأيكم ظهرياً، لم تبالوا بربكم ولم تخشوه ولم تراقبوه، وكذا لم تلقوا بالأوامر ﷻ ونواهيها بل

جعلتم كل ذلك وراء ظهوركم ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ ١٢ لا يخفى عليه شيءٌ من أعمالكم ولا من تدبيركم ولا من مكركم.

ويا قوم اعملوا على مكانتكم، استمروا في العمل الذي تعملونه في منازلكم متئين في ذلك متمكنين من عملكم فإني عامل على طريقتي متمكن فيها سوف تعلمون من يأتيه عذاب يُهينهُ، يُذَلُّهُ ويخزيه وستعلمون من هو كاذبٌ في دعواه، وانتظروا ما سيحل بكم من العقاب وسأنتظر - بإذن الله - ثواب الله لي.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ قضاؤنا الذي قضيناه وحُكْمنا الذي حكمنا به نجينا شعيباً عليه السلام من العذاب وكذا أنجينا أهل الإيمان الذين اتبعوه وصدقوه بفضل منا وبرحمة منا، أما أهل الظلم والتكذيب فأخذتهم الصيحة، قيل: صاح جبريل عليه السلام صيحة شديدة أهلكتهم جميعاً وأبادتهم، وقيل: إنها صيحة أمر الله بها، والله أعلم بمن صاحبها وكيف كانت فأهلكتهم جميعاً فأصبحوا في ديارهم جاثمين على ركبهم هلكى وصرعى بدورهم وأفنيتهم، كأنهم لم يعيشوا في هذه الديار من قبل، ألا هلاكاً وخساراً لهذه الأمة الظالمة، هلاكاً وخساراً وبعداً عن الخير كما أهلكت وخسرت قبيلة ثمود. سلمنا الله وأهل الإيمان من الشرور والآثام.

**قال الطبري رحمته الله:**

**يقول تعالى ذكره:** قال شعيب لقومه: يا قوم، أعزّزتم قومكم، فكانوا أعزّ عليكم من الله، واستخففتكم بربكم، فجعلتموه خلف ظهوركم، لا تأتمرون لأمره ولا تخافون عقابه، ولا تعظّمونه حق عظمته؟

يقال للرجل إذا لم يقض حاجة الرجل: «نبذ حاجته وراء ظهره»، أي: تركها لا يلتفت إليها. وإذا قضاها قيل: «جعلها أمامه، ونُصِبَ عينيه»، ويقال:

«ظَهَرَتْ بِحَاجَتِي» و«جَعَلْتُهَا ظَهْرِيَّةً»، أي: خلف ظهرك، كما قال الشاعر:

**وَجَدْنَا بَنِي الْبَرَصَاءِ مِنْ وَلَدِ الظُّهْرِ**

بمعنى: أنهم يظهرون بحوائج الناس فلا يلتفتون إليها.

**وقال آخرون:** معنى ذلك: واتخذتم ما جاء به شعيب وراءكم ظهرًا،

فالهاء في قوله: ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ﴾، على هذا من ذكر ما جاء به شعيب.

**قال الطبري:** وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك، لقرب قوله:

﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا﴾، من قوله: ﴿أَرْهَطِيْ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾، فكانت

الهاء في قوله: ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ﴾، بأن تكون من ذكر الله، لقرب جوارها منه، أشبه

وأولى.

**وقوله:** ﴿إِنَّ رَبِّيَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، يقول: إن ربي محيط علمه

بعملكم، فلا يخفى عليه منه شيء، وهو مجازيكم على جميعه عاجلا وآجلا.

ويقول تعالى ذكره، مخبراً عن قيل شعيب لقومه: ﴿وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ

مَكَانِنِكُمْ﴾، يقول: على تمكنكم.

يقال منه: «الرجل يعمل على مكنته، ومكنته»، أي: على اتئاده، «ومكن

الرجل يمكن مكنًا ومكانةً ومكانًا».

**وكان بعض أهل التأويل يقول في معنى قوله:** ﴿عَلَىٰ مَكَانِنِكُمْ﴾، على

منازلكم.

**قال أبو جعفر:** فمعنى الكلام إذا: ويا قوم اعملوا على تمكنكم من العمل

الذي تعملونه، ﴿إِنِّي عَمِلٌ﴾ على تؤدة من العمل الذي أعمله، ﴿سَوْفَ

تَعْلَمُونَ﴾، أي: الجاني على نفسه، والمخطئ عليها، والمصيب في فعله

المحسن إلى نفسه.

يقول تعالى ذكره، مخبراً عن قيل نبيه شعيب لقومه: الذي يأتيه منّا

ومنكم، أيها القوم ، ﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ ، يقول: يذله ويهينه ﴿وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ﴾ ، يقول: ويُخْزِي أَيضًا الذي هو كاذب في قيله وخبره منا ومنكم ، ﴿وَأَرْتَقِبُوا﴾ ، أي: انتظروا وتفقدوا من الرقبة.

يقال منه: «رقت فلانًا أرْقَبه رِقْبَةً».

**وقوله:** ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ ، يقول: إني أيضًا ذو رقبة لذلك العذاب معكم ، وناظر إليه بمن هو نازل منا ومنكم؟

**وقال رحمه الله:**

**في تأويل قوله تعالى:** ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِمِينَ﴾ (٩٤).

**يقول تعالى ذكره:** ولما جاء قضاؤنا في قوم شعيب، بعذابنا ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا﴾ رسولنا، والذين آمنوا به فصدقوه على ما جاءهم به من عند ربهم مع شعيب، من عذابنا الذي بعثنا على قومه ، ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ ، له ولمن آمن به وأتبعه على ما جاءهم به من عند ربهم ، وأخذت الذين ظلموا صيحة من السماء أحمدهم، فأهلكتهم بكفرهم بربهم. وقيل: إن جبريل عليه السلام ، صاح بهم صيحةً أخرجت أرواحهم من أجسامهم ، ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِمِينَ﴾ (٩٤) ، على ركبهم، وصرعى بأفئيتهم.

**وقال:**

**يقول تعالى ذكره:** كأن لم يعيش قوم شعيب الذين أهلكهم الله بعذابه، حين أصبحوا جاثمين في ديارهم قبل ذلك. ولم يغنوا.

من قولهم: «غنيت بمكان كذا»، إذا أقمت به، ومنه قول النابغة:

**غَنَيْتُ بِذَلِكَ إِذْ هُمْ لِي جِيرَةٌ مِنْهَا بَعْطُفِ رِسَالَةٍ وَتَوَدُّدِ**

**وقوله:** ﴿أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ﴾ (٩٥) ، يقول تعالى ذكره: ألا أبعد الله

مدین من رحمته، بإحلال نعمته بهم ﴿كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ﴾ ١٥، يقول: «كما بعدت من قبلهم ثمود من رحمته، بإنزال سخطه بهم».

### قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

لما يسّس نبيّ الله شعيب من استجابة قومه له، قال: يا قوم، ﴿أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ أي: على طريقتكم، وهذا تهديد ووعد شديد، ﴿إِنِّي عَمِلْتُ﴾ على طريقتي ومنهجي ﴿سَوْفَ نَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ أي: في الدار الآخرة، ﴿وَمَن هُوَ كَذِبٌ﴾ أي: مني ومنكم، ﴿وَأَرْتَقِبُوا﴾ أي: انتظروا ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ ١٣.

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْنُ شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وهم قومه، ﴿الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِئَرِهِمْ جَثِمِينَ﴾ وقوله: ﴿جَثِمِينَ﴾ أي: هامدين لا حراك بهم. وذكر هاهنا أنه أتتهم صيحة، وفي الأعراف رجفة، وفي الشعراء عذاب يوم الظلة، وهم أمة واحدة، اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه النقم كلها. وإنما ذكر في كل سياق ما يناسبه، ففي الأعراف لما قالوا: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨]، ناسب أن يذكر هناك الرجفة، فرجفت بهم الأرض التي ظلموا بها، وأرادوا إخراج نبيهم منها، وهاهنا لما أساءوا الأدب في مقالتهم على نبيهم ناسب ذكر الصيحة التي أسكتتهم وأخمدتهم، وفي الشعراء لما قالوا: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾ [الشعراء: ١٨٧]، قال ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٨٩]، وهذا من الأسرار الغريبة الدقيقة، والله الحمد والمنة كثيرًا دائمًا.

وقوله: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ أي: يعيشوا في دارهم قبل ذلك، ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ﴾ ١٥ وكانوا جيرانهم قريبًا منهم في الدار، وشبيهًا بهم في الكفر

وقطع الطريق، وكانوا عرباً شبههم.

**وقال ابن الجوزي (زاد المسير):**

**قوله تعالى:** ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ قال المفسرون: صاح بهم جبريل فماتوا في أمكتهم. قال محمد بن كعب: عذب أهل مدين بثلاثة أصناف من العذاب، أخذتهم رجفة في ديارهم، حتى خافوا أن تسقط عليهم، فخرجوا منها فأصابهم حرٌّ شديد، فبعث الله الظَّلَّةَ، فتنادوا: هلم إلى الظل؛ فدخلوا جميعاً في الظَّلَّةَ، فصيح بهم صيحة واحدة فماتوا كلهم. قال ابن عباس: لم تعذب أمتان قط بعذاب واحد، إلا قوم شعيب وصالح، فأما قوم صالح، فأخذتهم الصيحة من تحتهم، وأما قوم شعيب، فأخذتهم من فوقهم، نشأت لهم سحابة كهيئة الظَّلَّةَ فيها ريح بعد أن امتنعت الريح عنهم، فأتوها يستظلُّون تحتها فأحرقتهم. قوله تعالى: ﴿كَأَبَدَتْ ثُمُودٌ﴾ أي: كما هلكت ثمود.

**وقال السعدي في تفسيره:**

﴿قَالَ﴾ لهم مترقفا لهم: ﴿يَقَوْمُ ارْهَطِيْ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: كيف تراعوني لأجل رهطي، ولا تراعوني لله، فصار رهطي أعز عليكم من الله. ﴿وَأَخَذَتْهُمُ وَّرَاءَ كُمُ ظَهْرِيًّا﴾ أي: نبذتم أمر الله، وراء ظهوركم، ولم تبالوا به، ولا خفتهم منه.

﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ لا يخفى عليه من أعمالكم مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، فسيجازيكم على ما عملتم أتم الجزاء. ﴿وَلَمَّا أَعْيَاهُ وَعَجَزَ عَنْهُمْ قَالَ: وَيَقَوْمِ اكْمُلُوا عَمَلَكُمْ﴾ أي: على حالتكم ودينكم.

﴿إِنِّي عَمِلْتُ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ ويحل عليه عذاب مقيم أنا أم أنتم، وقد علموا ذلك حين وقع عليهم العذاب.



﴿وَأَرْتَقِبُوا﴾ ما يحل بي ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ ما يحل بكم.  
﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاك قوم شعيب ﴿بَجَيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا  
وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيمِينَ﴾ لا تسمع لهم صوتا، ولا ترى  
منهم حركة.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ أي: كأنهم ما أقاموا في ديارهم، ولا تنعموا فيها حين  
أتاهم العذاب.

﴿الْأَبْعَدَ الْمَدِينِ﴾ إذ أهلكها الله وأخزاها ﴿كَأَبْعَدَتْ ثُمُودُ﴾ أي: قد اشتركت  
هاتان القبيلتان في السحق والبعد والهلاك.

وشعيب عليه السلام كان يسمى خطيب الأنبياء، لحسن مراجعته لقومه.



بعض الفوائد المأخوذة من قصة شعيب عليه السلام

س: اذكر بعض الفوائد المأخوذة من قصة شعيب عليه السلام مع قومه؟

ج: من ذلك ما يلي:

**أولاً:** ديننا ينظم لنا كل شؤوننا، فليس ديننا بمقتصر على الصلاة والصيام فحسب بل ينظم لنا المعاملات كذلك، كما قال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾.

وكذا سائر شؤون الحياة نأتمر فيها بأمر الله تعالى وننتهي عما نهانا عنه، في الاقتصاد عمومًا، وفي السياسة، وفي الحدود، والمعاملات، والآداب، والمعتقدات، والأخلاق وغير ذلك.

**ثانيًا:** أن المعاصي سبب لزوال النعم فإن العقوبة حلت بأهل مدين لما كذبوا رسولهم وعاندوه.

**ثالثًا:** أن الله تعالى قد يحفظ بعض أوليائه بسبب بعض الكفار قال قوم شعيب لشعيب عليه السلام ولوا رهطك لرجمناك....

**رابعًا:** أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يبدأ بنفسه وأن المرء لا يخالف قوله فعله، ولا فعله قوله.

**خامسًا:** أننا ومع إرادتنا الإصلاح لابد من سؤال الله التوفيق، فكم من مريد للإصلاح وساع فيه لكن يغفل عن سؤال الله التوفيق فلا يوفق. وثم فوائد أخر أوردتها عدد من العلماء.

قال السعدي رحمته الله:

وفي قصته من الفوائد والعبر، شيء كثير:

**منها:** أن الكفار، كما يعاقبون، ويخاطبون، بأصل الإسلام، فكذلك

بشرائعه وفروعه، لأن شعيبا دعا قومه إلى التوحيد، وإلى إيفاء المكيال والميزان، وجعل الوعيد، مرتبا على مجموع ذلك.

**ومنها:** أن نقص المكايل والموازين، من كبائر الذنوب، وتخشى العقوبة العاجلة، على من تعاطى ذلك، وأن ذلك من سرقة أموال الناس، وإذا كان سرقته في المكايل والموازين، موجبة للوعيد، فسرقته - على وجه القهر والغلبة - من باب أولى وأحرى.

**ومنها:** أن الجزاء من جنس العمل، فمن بخس أموال الناس، يريد زيادة ماله، عوقب بنقيض ذلك، وكان سببا لزوال الخير الذي عنده من الرزق لقوله: ﴿إِنِّي أَرْزُقُكُمْ خَيْرٌ﴾ أي: فلا تسبوا إلى زواله بفعلكم.

**ومنها:** أن على العبد أن يقنع بما آتاه الله، ويقنع بالحلال عن الحرام وبالمكاسب المباحة عن المكاسب المحرمة، وأن ذلك خير له لقوله: ﴿بَقِيتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ففي ذلك، من البركة، وزيادة الرزق ما ليس في التكالب على الأسباب المحرمة من المحق، وضد البركة.

**ومنها:** أن ذلك، من لوازم الإيمان وآثاره، فإنه رتب العمل به، على وجود الإيمان، فدل على أنه إذا لم يوجد العمل، فالإيمان ناقص أو معدوم.

**ومنها:** أن الصلاة، لم تنزل مشروعة للأنبياء المتقدمين، وأنها من أفضل الأعمال، حتى إنه متقرر عند الكفار فضلها، وتقديمها على سائر الأعمال، وأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي ميزان للإيمان وشرائعه، فإقامتها تكمل أحوال العبد، وبعدم إقامتها، تختل أحواله الدينية.

**ومنها:** أن المال الذي يرزقه الله للإنسان - وإن كان الله قد خوله إياه - فليس له أن يصنع فيه ما يشاء، فإنه أمانة عنده، عليه أن يقيم حق الله فيه بأداء ما فيه من الحقوق، والامتناع من المكاسب التي حرمها الله ورسوله، لا كما

يزعمه الكفار، ومن أشبههم، أن أموالهم لهم أن يصنعوا فيها ما يشاءون ويختارون، سواء وافق حكم الله، أو خالفه.

**ومنها:** أن من تكلمة دعوة الداعي وتامها أن يكون أول مبادر لما يأمر غيره به، وأول منته عما ينهى غيره عنه، كما قال شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنهَضَكُمْ عَنْهُ﴾ ولقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ٢ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ [الصف: ٢-٣].

**ومنها:** أن وظيفة الرسل وسنتهم وملتهم إرادة الإصلاح بحسب القدرة والإمكان فيأتون بتحصيل المصالح وتكميلها أو بتحصيل ما يقدر عليه منها وبدفع المفاسد وتقليلها ويراعون المصالح العامة على المصالح الخاصة وحقيقة المصلحة هي التي تصلح بها أحوال العباد وتستقيم بها أمورهم الدينية والدنيوية

**ومنها:** أن من قام بما يقدر عليه من الإصلاح لم يكن ملوما ولا مذموما في عدم فعله ما لا يقدر عليه فعلى العبد أن يقيم من الإصلاح في نفسه وفي غيره ما يقدر عليه.

**ومنها:** أن العبد ينبغي له أن لا يتكل على نفسه طرفة عين بل لا يزال مستعينا بربه متوكلا عليه سائلا له التوفيق وإذا حصل له شيء من التوفيق فلينسبه لموليه ومسديه ولا يعجب بنفسه لقوله ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ٨٨ [هود: ٨٨].

**ومنها:** التهيب بأخذات الأمم وما جرى عليهم وأنه ينبغي أن تذكر القصص التي فيها إيقاع العقوبات بالمجرمين في سياق الوعظ والزجر. كما أنه ينبغي ذكر ما أكرم الله به أهل التقوى عند الترغيب والحث على التقوى.

**ومنها:** أن التائب من الذنب كما يسمح له عن ذنبه ويعفى عنه فإن الله تعالى يحبه ويوده ولا عبرة بقول من يقول «إن التائب إذا تاب فحسبه أن يغفر له ويعود عليه العفو وأما عود الود والحب فإنه لا يعود» فإن الله قال ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾.

**ومنها:** أن الله يدفع عن المؤمنين بأسباب كثيرة قد يعلمون بعضها وقد لا يعلمون شيئاً منها وربما دفع عنهم بسبب قبيلتهم أو أهل وطنهم الكفار كما دفع الله عن شعيب رجم قومه بسبب رهطه وأن هذه الروابط التي يحصل بها الدفع عن الإسلام والمسلمين لا بأس بالسعي فيها بل ربما تعين ذلك لأن الإصلاح مطلوب على حسب القدرة والإمكان.

فعلى هذا لو ساعد المسلمون الذين تحت ولاية الكفار وعملوا على جعل الولاية جمهورية يتمكن فيها الأفراد والشعوب من حقوقهم الدينية والدينية لكان أولى من استسلامهم لدولة تقضي على حقوقهم الدينية والدينية وتحرص على إبادة وجعلهم عملةً وخدمًا لهم.

نعم إن أمكن أن تكون الدولة للمسلمين وهم الحكام فهو المتعين ولكن لعدم إمكان هذه المرتبة فالمرتبة التي فيها دفع ووقاية للدين والدنيا مقدمة والله أعلم.



## قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَبْسُ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا تَنْيِبٌ ﴿١٠١﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ جَمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تُؤْخِرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَلِيلَيْنِ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَلِيلَيْنِ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِي مَرِيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوْفُوهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾ [هود: ٩٦-١٠٩].

س: اذكر معنى ما يلي:

(بَايَعْتَنَا - وَسُلْطَنٍ مُّبِينٍ - وَمَلَائِيهٖ - رَشِيدٍ - يَفْقَهُ - الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ - وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ -  
- لَعْنَةً - الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ - أَنْبَاءٌ - قَائِمٌ - وَحَصِيدٌ - أَغْنَتْ عَنْهُمْ - تَنْبِيْءٌ - أَخَذُ رِيكَ -  
أَخَذَهُ - مَشْهُودٌ - لِأَجْلِ مَعْدُورٍ - لَا تَكَلِّمْ - شَقِيٌّ - وَسَعِيدٌ - زَفِيرٌ - وَشَهِيقٌ - عَطَاءٌ غَيْرُ  
مَجْدُوفٍ - مَرْيَةٍ - مَنْقُوصٍ ) .

ج:

| الكلمة                          | معناها                                                                                                                              |
|---------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| (بَايَعْتَنَا )                 | بحججنا الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا على صدقه في أنه رسول من عند الله (قيل: إنه التوراة، وقيل: سائر المعجزات كالعصا واليد وغير ذلك). |
| (وَسُلْطَنٍ مُّبِينٍ )          | حجة مظهره أنه رسول من عند الله.                                                                                                     |
| (وَمَلَائِيهٖ )                 | سادات قومه وأشرافهم.                                                                                                                |
| (رَشِيدٍ )                      | بموفقٍ ولا سديد.                                                                                                                    |
| (يَفْقَهُ )                     | يتقدم..                                                                                                                             |
| (الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ )       | المدخل المدخول - المكان المدخول.                                                                                                    |
| (وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ )     | ألحقوا في الدنيا بعد مماتهم.                                                                                                        |
| (لَعْنَةً )                     | دعاء عليهم بالطرد من رحمة الله.                                                                                                     |
| (يُسَّ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ) | بُسَّت العطية المُعطاة وبُسَّ الإكرام الذي يُكرمون به.                                                                              |
| ( أَنْبَاءٌ )                   | أخبار.                                                                                                                              |

|                                                                      |                            |
|----------------------------------------------------------------------|----------------------------|
| بنائه موجود وقائم لكنه غير مسكون، أو موجود وقائم لكن يسكنه غير أهله. | (قَائِمٌ)                  |
| محصول مُدمر متهدم.                                                   | (وَحْصِيدٌ)                |
| دفعت عنهم.                                                           | (أَغْنَتْ عَنْهُمْ)        |
| تخسير - هلاك.                                                        | (تَنْيِيبٌ)                |
| عقاب ربك - انتقام ربك - إهلاك ربك للقرى.                             | (أَخَذُ رَبِّكَ)           |
| عقابه - انتقامه.                                                     | (أَخَذَهُ)                 |
| محضور مرئى.                                                          | (مَشْهُودٌ)                |
| لوقت حدده الله.                                                      | (لَأَجَلٍ مُّعَدُّودٍ)     |
| لا تتكلم                                                             | (لَا تَكَلِّمْ)            |
| كافر - مسرف على نفسه بالذنوب والمعاصي.                               | (شَقِيٌّ)                  |
| مؤمن - عامل بالطاعات وعامل للصالحات.                                 | (وَسَعِيدٌ)                |
| الهواء الخارج من الأنف والفم بشدة.                                   | (زَفِيرٌ)                  |
| الهواء الداخل إلى الجوف عن طريق الأنف أو الفم.                       | (وَشْهِيقٌ)                |
| عطاء غير مقطوع.                                                      | (عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ) |
| شك.                                                                  | (مَرِيَّةٌ)                |
| منجوس - ناقص.                                                        | (مَنْقُوصٌ)                |





س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبينٍ ﴿٦٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَأَتْبَعُوا آمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٦٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدَ الْمَوْزُودُ ﴿٦٨﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَقْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ بِئْسَ الرَّقْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٦٩﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: ولقد أرسلنا نبينا وكليما موسى ﷺ بما أيدناه به من التوراة وسائر المعجزات كالعصا واليد وبحجج مبينة أنه رسول من عندنا، أرسلناه بذلك إلى فرعون وسادات قومه وكبراءهم فما استجابوا لموسى ﷺ بل اتبعوا خطوات فرعون ذلك المتكبر المتجبر، وانساقوا خلفه فيما يدعوهم إليه من الضلال والكفر، وما أمر فرعون بموفق ولا سديد ولا مرشد إلى خير، فكان عاقبة تكذيبه وعاقبة اتباع قومه له أنه (أي: فرعون لعنه الله) يتقدم قومه يوم القيامة، ويقودهم، ولكن يقودهم إلى ماذا؟ يقودهم إلى الجحيم والعياذ بالله، وهو يتبعونه على ذلك فأدخلهم النار وبئس المدخل المدخول، ولم يقف أمرهم على ذلك بل من جاء من بعدهم في الدنيا يلعنهم ويدعي عليهم بالطرد من رحمة الله، فبئست العطية التي يُعطونها بعد موتهم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ولقد أرسلنا موسى بأدلتنا على توحيدنا، وحجة تبين لمن عاينها وتأملها بقلب صحيح. أنها تدل على توحيد الله، وكذب كل من ادّعى الربوبية دونه، وبُطُول قول من أشرك معه في الألوهية غيره، ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾، يعني إلى أشراف جنده وتبّاعه، ﴿فَأَتْبَعُوا آمْرَ فِرْعَوْنَ﴾، يقول: فكذب فرعون وملاه موسى، وجحدوا وحادانية الله، وأبوا قبول ما أتاهم به موسى من عند الله، واتبع ملاء فرعون أمر فرعون دون أمر الله، وأطاعوه في تكذيب موسى، وردّ ما جاءهم به من عند الله عليه، يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٦٧﴾﴾ يعني: أنه لا يُرشد أمر فرعون من قبله منه، في تكذيب

موسى، إلى خير، ولا يهديه إلا صلاح، بل يورده نار جهنم.

**ويقول تعالى ذكره:** ﴿يَقْدُمُ﴾، فرعون، ﴿قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾، يقودهم، فيمضي بهم إلى النار، حتى يوردهموها، ويصليهم سعيها، ﴿وَيُسَّ الْوَرْدُ﴾، يقول: وبُس الورد الذي يردونه.

**ويقول الله تعالى ذكره:** وأتبعهم الله في هذه -يعني في هذه الدنيا - مع العذاب الذي عجله لهم فيها من الغرق في البحر، لعنته، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾، يقول: وفي يوم القيامة أيضًا يلعنون لعنة أخرى.

**قال القرطبي رحمه الله:**

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ بين أنه أتبع النبي النبي لإقامة الحجة، وإزاحة كل علة ﴿بِآيَاتِنَا﴾ أي بالتوراة. وقيل: بالمعجزات. ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ (٩٦) أي حجة بينة؛ يعني العصا. وقد مضى في «آل عمران» معنى السلطان واشتقاقه فلا معنى للإعادة. ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ أي شأنه وحاله، حتى اتخذوه إلها، وخالفوا أمر الله تعالى. ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ (٩٧) أي بسديد يؤدي إلى صواب. وقيل: ﴿بِرَشِيدٍ﴾ أي بمرشد إلى خير.

قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ يعني أنه يتقدمهم إلى النار إذ هو رئيسهم. يقال: قدمهم يقدمهم قدما وقدوما إذا تقدمهم. ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ أي أدخلهم فيها. ذكر بلفظ الماضي؛ والمعنى فيوردهم النار؛ وما تحقق وجوده فكأنه كائن؛ فلهذا يعبر عن المستقبل بالماضي. ﴿وَيُسَّ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ أي بس المدخل المدخول؛ ولم يقل بسست لأن الكلام يرجع إلى المورد، وهو كما تقول: نعم المنزل دارك، ونعمت المنزل دارك. والمورود الماء الذي يورد، والموضع الذي يورد؛ وهو بمعنى المفعول.

قوله تعالى: ﴿وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً﴾ أي: في الدنيا. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي ولعنة

يوم القيامة ؛ وقد تقدم هذا المعنى. ﴿يُسْأَلُ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ حكى الكسائي وأبو عبيدة: رفته أرفده رفدا ؛ أي أعنته وأعطيته. واسم العطية الرfid ؛ أي بس العطاء والإعانة.

### وقال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى مخبراً عن إرسال موسى، ﷺ، بآياته وبيناته، وحججه ودلائله الباهرة القاطعة إلى فرعون لعنه الله، وهو ملك ديار مصر على أمة القبط، ﴿فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ أي: مسلكه ومنهجه وطريقته في الغي والضلال، ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ أي: ليس فيه رشد ولا هدى، وإنما هو جهل وضلال، وكفر وعناد، وكما أنهم اتبعوه في الدنيا، وكان مقدمهم ورئيسهم، كذلك هو يُقدمهم يوم القيامة إلى نار جهنم، فأوردتهم إياها، وشربوا من حياض رذاها، وله في ذلك الحظ الأوفر، من العذاب الأكبر، كما قال تعالى: ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ ﴿١١﴾ ﴿[المزمل: ١٦]، وقال تعالى: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾ ﴿١١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى﴾ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى﴾ ﴿٢٦﴾ [النازعات: ٢١- ٢٦]، وقال تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيُسْأَلُ الْوَرْدُ الْمَوْزُودُ﴾ ﴿٢٨﴾ وكذلك شأن المتبوعين يكونون مُوفرين في العذاب يوم المعاد، كما قال تعالى: ﴿قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ [الأعراف: ٣٨]، وقال تعالى إخباراً عن الكفرة أنهم يقولون في النار: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾ ﴿١٧﴾ رَبَّنَا إِنَّهُمْ ضَعَفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَمِ لَعَنَّا كِبَرًا﴾ ﴿١٨﴾ [الأحزاب: ٦٧، ٦٨].

### ثم قال:

وقوله: ﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُسْأَلُ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ ﴿١١﴾ أي: أتبعناهم زيادة على ما جازيناهم من عذاب النار لعنة في هذه الحياة الدنيا،

﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَبْسُ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ (١١) .

ثم قال: وهذه كقوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ (٤١) **وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ (٤٢) [القصاص: ٤١، ٤٢]،**  
وقال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (٤٦) **[غافر: ٤٦].**

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ﴾ بن عمران ﴿بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على صدق ما جاء به، كالعصا، واليد ونحوهما، من الآيات التي أجراها الله على يدي موسى ﷺ.

﴿وَسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾ أي: حجة ظاهرة بينة، ظهرت ظهور الشمس.  
﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ أي: أشراف قومه لأنهم المتبوعون، وغيرهم تبع لهم، فلم ينقادوا لما مع موسى من الآيات، التي أراهم إياها، كما تقدم بسطها في سورة الأعراف، ولكنهم ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ بل هو ضال غاو، لا يأمر إلا بما هو ضرر محض، لا جرم - لما اتبعه قومه - أرداهم وأهلكهم.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ (١١) **وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ﴾ أي في الدنيا ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي يلعنهم الله وملائكته والناس أجمعون في الدنيا والآخرة**  
﴿بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ (١١) أي بئس ما اجتمع لهم وترادف عليهم من عذاب الله ولعنة الدنيا والآخرة.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ وما ظلمتكم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تنبيء ﴿١٠١﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: هذا الذي أخبرناك به يا رسول الله من أخبار القرى التي أهلكنا أهلها وأبدناهم ودمرناهم وأخذناهم بالعذاب، منها قرى منازلها ما زالت قائمة وأبید أهلها وأهلكهم الله وسكنها آخرون، أو هي أيضاً قائمة ولكنها خربة لم يسكنها أحد، ومنها قرى أخرى حصدناها ودمرناها فهي متهدمة ساقطة أو ممحو أثرها، وما ظلمناهم بما صنعناهم فيهم، ولكنهم ظلموا أنفسهم بشركهم بالله ﷻ، وعبادتهم آلهة أخرى مع الله فما دفعت عنهم تلك الآلهة شيئاً أراد الله بهم، وما نصرتهم من الله ولا خفت عنهم من عذابه، ولم ينتفعوا بها أي: انتفاع حينما نزل عليهم من الله العذاب، كما أنها لم تنفعهم قط في دنياهم بشيء ولم تغن عنهم شيئاً فكذا لم تغن عنهم عند حلول عذاب الله بهم في الدنيا من شيء، ولن تغني عنهم يوم القيامة شيئاً بل تتبرأ منهم وتلعنهم، وما زادتهم عبادتهم لها إلا تبيهاً إلا خساراً ودماراً وهلاكاً وضياعاً.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: هذا القصص الذي ذكرناه لك في هذه السورة، والنبا الذي أنبأناكه فيها، من أخبار القرى التي أهلكنا أهلها بكفرهم بالله، وتكذيبهم رسله، ﴿نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾ فنخبرك به، ﴿مِنْهَا قَائِمٌ﴾، يقول: منها قائم بنيانه، بائد أهله هالك، ومنها قائم بنيانه عامر، ومنها حصيد بنيانه، خراب متداع، قد تغنى أثره دارس.

من قولهم: «زرع حصيد»، إذا كان قد استؤصل قطعه، وإنما هو محصود،

ولكنه صرف إلى «فعل»، كما قد بينا في نظائره.

**ويقول تعالى ذكره:** وما عاقبنا أهل هذه القرى التي اقتصصنا نبأها عليك، يا محمد، بغير استحقاق منهم عقوبتنا، فنكون بذلك قد وضعنا عقوبتنا هُم في غير موضعها، ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، يقول: ولكنهم أوجبوا لأنفسهم بمعصيتهم الله وكفرهم به، عقوبته وعذابه، فأحلوا بها ما لم يكن لهم أن يحلوه بها، وأوجبوا لها ما لم يكن لهم أن يوجبوه لها، ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾، يقول: فما دفعت عنهم آلهتهم التي يدعونها من دون الله، ويدعونها أرباباً من عقاب الله وعذابه إذا أحله بهم ربهم من شيء، ولا ردت عنهم شيئاً منه، ﴿لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾، يا محمد، يقول: لما جاء قضاء ربك بعذابهم، فحق عليهم عقابه، ونزل بهم سخطه، ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيْبٍ﴾ (١٠١)، يقول: وما زادتهم آلهتهم عند مجيء أمر ربك هؤلاء المشركين بعقاب الله غير تخسيرٍ وتدميرٍ وإهلاك.

#### وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

لما ذكر تعالى خبر هؤلاء الأنبياء، وما جرى لهم مع أممهم، وكيف أهلك الكافرين ونجى المؤمنين قال: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَى﴾ أي: من أخبارها ﴿نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ﴾ أي: عامر، ﴿وَحَصِيدٌ﴾ (١٠٠) أي: هالك دائر، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ أي: إذ أهلكناهم، ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: بتكذيبهم رسلنا وكفرهم بهم، ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ﴾ أي: أصنامهم وأوثانهم التي كانوا يعبدونها ويدعونها، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: ما نفعوهم ولا أنقذوهم لما جاء أمر الله بإهلاكهم، ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيْبٍ﴾ (١٠١).

قال مجاهد، وقتادة، وغيرهما: أي غير تخسير، وذلك أن سبب هلاكهم ودمارهم إنما كان باتباعهم تلك الآلهة وعبادتهم إياها فبهذا أصابهم ما

أصابهم، وخسروا بهم، في الدنيا والآخرة.

**قال السعدي رحمه الله:**

﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ ﴾ لتنذر به ويكون آية على رسالتك وموعظة وذكرى للمؤمنين.

﴿ مِنْهَا قَائِمٌ ﴾ لم يتلف بل بقي من آثار ديارهم ما يدل عليهم ﴿ وَ ﴾ منها ﴿ وَحَصِيدٌ ﴾ ١٠٠ ﴿ قد تهدمت مساكنهم وضمحلّت منازلهم فلم يبق لها أثر. وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ﴾ بأخذهم بأنواع العقوبات ﴿ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ بالشرك والكفر والعناد.

﴿ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهِمْ ﴾ الّتي يدعون من دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴿ وهكذا كل من التجأ إلى غير الله لم ينفعه ذلك عند نزول الشدائد. وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتَابُعٍ ﴾ أي خسار ودمار بالضد مما خطر ببالهم.



**س: وضح معنى هذه الآيات:** ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ ١٠٢ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ تَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴾ ١٠٣ ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعَدَّدٍ ﴾ ١٠٤ ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ ١٠٥ ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ ١٠٦ ﴿ خَلِيلَيْنِ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ ١٠٧ ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَلِيلَيْنِ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ ١٠٨ ﴿ فَلَا تَكُ فِي مَرِيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ ﴾ نصيبهم غير منقوص ١٠٩ ﴿ .

**ج: المعنى - والله أعلم:-** وكذلك الانتقام الذي انتقمنا من الأمم المتقدمة الذين قدمنا ذكرهم وما أحللناهم بهم من العقوبة، بمثل هذا الانتقام ننتقم من القرى الظالمة عمومًا، إن انتقام الله ﷻ وأخذه للقرى الظالمة أليم، مؤلم

شديد الألم وشديد الأخذ والانتقام، إن في ذلك الانتقام من المكذبين لدلالة على قدرتنا ودلالة على وحدانيتنا، ودلالة على انتقامنا من المكذبين بنا لكن لا يعقل هذه الدلالات إلا من خاف عذاب يوم القيامة، ذلك يوم مجموع له الناس من الأولين والآخرين للمجازاة ولإعطاء كل ذي حق حقه، وذلك يوم مشهود يشهده الله ﷻ وتشهده الملائكة الكرام، ويشهده المؤمن والكافر وجميع المخلوقين، وهو آتٍ لا محالة وواقع لا مرد له، ولكن يؤخر لأجل حدده الله ﷻ ووقته، وحدد له موعداً ويوم يأت هذا اليوم لا تتكلم نفس إلا إذا أذن الله لها بالكلام، وعنده وفيه هنالك من العباد من هو شقي، وهنالك منهم من هو سعيد ثم بين الله ﷻ مصائر هؤلاء وأولئك فقال: فاما الذين شقوا في دنياهم بإسرافهم على أنفسهم وارتكاب ما نهى الله عنه وترك أوامره ﷻ ففي النار لهم فيها زفير، وهو الصوات صوت الهواء الخارج من أنف الإنسان وفمه، وكذا لهم فيها شهيق، وهو الهواء الذي يتنفس ويدخل الفم والأنف ومن ثم الصدر، وهم في هذا خالدون ما دامت السموات والأرض قائمتين، ولقد قيل إن المراد بالسموات السموات يوم القيامة، وكذا الأرض، فإن الله قال: ﴿﴾، أما قوله: ﴿﴾ فإذا نزلناه على أهل الكفر فقد بين الله ﷻ في مواطن أخر أنهم لا يخرجون من النار ولا يموتون فيها ولا يحيون.

أما أهل الإيمان والتوحيد الذي أسرفوا على أنفسهم فإن يدخلون النار زمناً ثم يخرجون منها.

وقوله تعالى: ﴿﴾ لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه.

أما الذين سعدوا في الدنيا وعملوا بأعمال أهل السعادة فيها فإنهم يوم القيامة في الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض قائمتان، والمراد بالسموات والأرض، تلك التي عناها الله بقوله: ﴿﴾ فإنها السموات الجديدة



والأرض الجديدة.

وقوله تعالى: ﴿﴾ وقد أخبر الله أنه شاء أن يخلدوا فيها ولا يخرجون منها، وعطاؤه لهم فيها غير منقطع بل متواصل كما قال: ﴿﴾. ثم ينهى الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ عن التشكك في بطلان ما عليه هؤلاء الكفار من عبادة الأصنام والأوثان فيقول تعالى: ﴿﴾ المشركون الوثنيون فإنهم لا يعبدون إلهاً كما كان آباؤهم يعبدون من قبل وإنا لموفوهم جزاءهم غير منقوص، قيل: المراد أرزاقهم في الدنيا، وقيل: جزاؤهم الآخروي. والله أعلم.

وهذه أقوال بعض أهل العلم في ذلك.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وكما أخذت، أيها الناس، أهل هذه القرى التي اقتصصت عليك نبأ أهلها بما أخذتهم به من العذاب، على خلافهم أمري، وتكذيبهم رسلي، وجحودهم آياتي، فكذلك أخذي القرى وأهلها إذا أخذتهم بعقابي، وهم ظلمة لأنفسهم بكفرهم بالله، وإشراكهم به غيره، وتكذيبهم رسله، ﴿﴾ إنَّ أخذه أليم ﴿﴾، يقول: إن أخذ ربكم بالعقاب من أخذه، ﴿﴾ أليم ﴿﴾، يقول: موجه، ﴿﴾ شديد ﴿﴾ الإيجاع.

وهذا من الله تحذير لهذه الأمة، أن يسلكوا في معصيته طريق من قبلهم من الأمم الفاجرة، فيحل بهم ما حلَّ بهم من المثلات.

وأورد حديث أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يُملي - وربما، قال: يمهل - الظالم، حتى إذا أخذه لم يُفلته». ثم قرأ: ﴿﴾ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ﴿﴾.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿﴾ إنَّ في ذلك لآيةً لمن خاف عذاب الآخرة ﴿﴾

ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿٦١٠﴾.

**يقول تعالى ذكره:** إن في أخذنا من أخذنا من أهل القرى التي اقتصصنا خبرها عليكم أيها الناس لآية، يقول: لعبرة وعظة، لمن خاف عقاب الله وعذابه في الآخرة من عباده، وحجة عليه لربه، وزاجراً يجره عن أن يعصي الله ويخالفه فيما أمره ونهاه.

**وقيل:** بل معنى ذلك: إن فيه عبرة لمن خاف عذاب الآخرة، بأن الله سيفي له بوعدده.

**وأورد بإسناد صحيح ابن زيد في قوله:** ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾، إنا سوف نفي لهم بما وعدناهم في الآخرة، كما وفينا للأنبياء: أنا ننصرهم.

**قال الطبري:**

وقوله: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ﴾، يقول تعالى ذكره: هذا اليوم، يعني يوم القيامة، ﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ﴾، يقول: يحشر الله له الناس من قبورهم، فيجمعهم فيه للجزاء والثواب والعقاب، ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾، يقول: وهو يوم تشهد الخلائق، لا يتخلف منهم أحد، فينتقم حينئذ ممن عصى الله وخالف أمره وكذب رسله.

**وقال في تأويل قوله تعالى:** ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعْدُودٍ﴾.

**يقول تعالى ذكره:** وما نؤخر يوم القيامة عنكم أن نجئكم به إلا لأن يقضى، فقضى له أجلا فعده وأحصاه، فلا يأتي إلا لأجله ذلك، لا يتقدم مجيئه قبل ذلك ولا يتأخر.

**ويقول تعالى ذكره:** يوم يأتي يوم القيامة، أيها الناس، وتقوم الساعة، لا تكلم نفس إلا بإذن ربها.

**وقيل:** ﴿لا تكلم﴾، وإنما هي «لا تتكلم»، فحذف إحدى التاءين اجتزاء بدلالة الباقية منهما عليها.

**وقوله:** ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾، يقول: فمن هذه النفوس التي لا تكلم يوم القيامة إلا بإذن ربها، شقي وسعيد، وعاد على «النفس»، وهي في اللفظ واحدة، بذكر الجميع في قوله: ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾.

**يقول تعالى ذكره:** ﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير﴾، وهو أول نُهاق الحمار وشبهه، ﴿وشهيق﴾، وهو آخر نهيقه إذا رده في الجوف عند فراغه من نُهاقه.

**وقوله:** ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد﴾، يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿خالدين فيها﴾، لا بشين فيها، ويعني بقوله: ﴿ما دامت السموات والأرض﴾، أبدًا.

وذلك أن العرب إذا أرادت أن تصف الشيء بالدوام أبدًا قالت: هذا دائم دوام السموات والأرض، بمعنى أنه دائم أبدًا، وكذلك يقولون: «هو باقٍ ما اختلف الليل والنهار». و«ما سمر ابنا سَمِير»، و«ما لأت العُفْرُ بأذناها» يعنون بذلك كله «أبدًا». فخاطبهم جل ثناؤه بما يتعارفون به بينهم فقال: ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض﴾، والمعنى في ذلك: خالدين فيها أبدًا.

ثم قال: ﴿إلا ما شاء ربك﴾، واختلف أهل العلم والتأويل في معنى ذلك فقال بعضهم: هذا استثناء استثناه الله في بأهل التوحيد، أنه يخرجهم من النار إذا شاء، بعد أن أدخلهم النار.

**وأورد بإسنادٍ يصح عن قتادة:** ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾، والله أعلم بثنيته. ذكر لنا أن ناسًا يصيبهم سَفْعٌ من

النار بذنوب أصابتهم، ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته، يقال لهم: «الجهنميون».

**وقال آخرون:** الاستثناء في هذه الآية في أهل التوحيد، إلا أنهم قالوا: معنى قوله: ﴿إلا ما شاء ربك﴾، إلا أن يشاء ربك أن يتجاوز عنهم فلا يدخلهم النار. ووجهوا الاستثناء إلى أنه من قوله: ﴿فأما الذين شقوا ففي النار﴾، ﴿إلا ما شاء ربك﴾، لا من «الخلود».

**وقال آخرون:** عنى بذلك أهل النار وكل من دخلها.

**وقال آخرون:** أخبرنا الله بمشيئته لأهل الجنة، فعرفنا معنى ثنياء بقوله: ﴿عطاء غير مجذوذ﴾، أنها في الزيادة على مقدار مدة السموات والأرض. قال: ولم يخبرنا بمشيئته في أهل النار. وجائز أن تكون مشيئته في الزيادة، وجائز أن تكون في النقصان.

**وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله:** ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾، فقراً حتى بلغ: ﴿عطاء غير مجذوذ﴾، قال: وأخبرنا بالذي يشاء لأهل الجنة، فقال: ﴿عطاء غير مجذوذ﴾، ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار.

**قال أبو جعفر:** وأولى هذه الأقوال في تأويل هذه الآية بالصواب، القول الذي ذكرنا عن قتادة والضحاك: من أن ذلك استثناء في أهل التوحيد من أهل الكبائر أنه يدخلهم النار، خالدين فيها أبداً إلا ما شاء من تركهم فيها أقل من ذلك، ثم يخرجهم فيدخلهم الجنة، كما قد بينا في غير هذا الموضع، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصحة في ذلك، لأن الله جل ثناؤه أوعد أهل الشرك به الخلود في النار، وتظاهرت بذلك الأخبار عن رسول الله ﷺ،

فغير جائز أن يكون استثناءً في أهل الشرك، وأن الأخبار قد تواترت عن رسول الله ﷺ أن الله يدخل قومًا من أهل الإيمان به بذنوب أصابوها النار، ثم يخرجهم منها فيدخلهم الجنة، فغير جائز أن يكون ذلك استثناءً في أهل التوحيد قبل دُخُولها، مع صحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بما ذكرنا، وأنا إن جعلناه استثناءً في ذلك، كنا قد دخلنا في قول من يقول: «لا يدخل الجنة فاسق، ولا النار مؤمن»، وذلك خلاف مذاهب أهل العلم، وما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ. فإذا فسد هذان الوجهان، فلا قول قال به القدوة من أهل العلم إلا الثالث.

**وقوله:** ﴿إِنْ رَبُّكَ فَعَالٌ لِّمَا يَرِيدُ﴾، يقول تعالى ذكره: إن ربك، يا محمد، لا يمنعه مانع من فعل ما أراد فعله بمن عصاه وخالف أمره، من الانتقام منه، ولكنه يفعل ما يشاء فعله، فيمضي فيهم وفيمن شاء من خلقه فعله وقضاؤه.

**...ثم قال:**

وأما الذين سعدوا برحمة الله، فهم في الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض، يقول: أبدًا، ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾. فاختلف أهل التاويل في معنى ذلك.

**فقال بعضهم:** ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾، من قدر ما مكثوا في النار قبل دُخُولهم الجنة. قالوا: وذلك فيمن أخرج من النار من المؤمنين فأدخل الجنة.

**وقال آخرون:** معنى ذلك: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾، من الزيادة على قدر مدة دوام السموات والأرض، قالوا: وذلك هو الخلود فيها أبدًا. واختلف أهل العربية في وجه الاستثناء في هذا الموضع.

**فقال بعضهم في ذلك معنيان:**

**أحدهما:** أن تجعله استثناءً يستثنيه ولا يفعله، كقولك: «والله لأضربنك إلا

أن أرى غير ذلك»، وعزمتك على ضربه. قال: فكذلك قال: ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾، ولا يشاؤه، وهو أعلم.

قال: والقول الآخر: أن العرب إذا استثنت شيئاً كثيراً مع مثله، ومع ما هو أكثر منه، كان معنى «إلا» ومعنى «الواو» سواء. فمن كان قوله: ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض﴾، سوى ما شاء الله من زيادة الخلود، فيجعل «إلا» مكان «سوى» فيصلح، وكأنه قال: «خالدين فيها ما دامت السموات والأرض سوى ما زادهم من الخلود والأبد». ومثله في الكلام أن تقول: لي عليك ألف إلا ألفين اللذين من قبل فلان»، أفلا ترى أنه في المعنى: لي عليك ألف سوى الألفين [؟ قال: وهذا أحب الوجهين إليّ، لأن الله لا خُلِفَ لوعده. وقد وصل الاستثناء بقوله: ﴿عطاء غير مجذوذ﴾، فدلّ على أن الاستثناء لهم بقوله في الخلود غير منقطع عنهم.

وقال آخر منهم بنحو هذا القول. وقالوا: جائز فيه وجه ثالث: وهو أن يكون استثنى من خلودهم في الجنة احتباسهم عنها ما بين الموت والبعث، وهو البرزخ، إلى أن يصيروا إلى الجنة، ثم هو خلود الأبد. يقول: فلم يغيبوا عن الجنة إلا بقدر إقامتهم في البرزخ.

**وقال آخر منهم:** جائز أن يكون دوام السموات والأرض، بمعنى: الأبد، على ما تعرف العرب وتستعمل، وتستثنى المشيئة من داومها، لأن أهل الجنة وأهل النار قد كانوا في وقت من أوقات دوام السموات والأرض في الدنيا، لا في الجنة، فكأنه قال: خالدين في الجنة، وخالدين في النار، دوام السماء، والأرض، إلا ما شاء ربك من تعميمهم في الدنيا قبل ذلك.

**قال أبو جعفر:** وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، القول الذي ذكرته عن الضحاك، وهو ﴿وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت

السموات والأرض إلا ما شاء ربك ﴿١﴾، من قدر مُكثِّهم في النار، من لدن دخلوها إلى أن ادخلوا الجنة، وتكون الآية معناها الخصوص، لأن الأشهر من كلام العرب في «إلا» توجيهها إلى معنى الاستثناء، وإخراج معنى ما بعدها مما قبلها، إلا أن يكون معها دلالة تدلُّ على خلاف ذلك. ولا دلالة في الكلام، أعني في قوله: ﴿إلا ما شاء ربك﴾، تدلُّ على أن معناها غير معنى الاستثناء المفهوم في الكلام، فيؤجَّه إليه.

**وأما قوله:** ﴿عطاء غير مجذوذ﴾، فإنه يعني: عطاءً من الله غير مقطوع عنهم.

**وقال في تأويل قوله تعالى:** ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ﴾ نصيبهم غير منقوص ﴿٢﴾.

**قال أبو جعفر:** يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: فلا تك في شك، يا محمد، مما يعبد هؤلاء المشركون من قومك من الآلهة والأصنام، أنه ضالٌّ وباطلٌ، وأنه بالله شركٌ، ﴿ما يعبد هؤلاء إلا كما يعبد آباؤهم من قبل﴾، يقول: إلا كعبادة آبائهم، من قبل عبادتهم لها. يُخبر تعالى ذكره أنهم لم يعبدوا ما عبدوا من الأوثان إلا اتباعاً منهم منهاج آبائهم، واقتفاءً منهم آثارهم في عبادتهموها، لا عن أمر الله إياهم بذلك، ولا بحجة تبينها توجب عليهم عبادتها.

ثم أخبر جل ثناؤه نبيّه ما هو فاعل بهم لعبادتهم ذلك، فقال جل ثناؤه: ﴿وَإِنَّا لَمُوفُونَ﴾ نصيبهم غير منقوص ﴿٣﴾، يعني: حظهم مما وعدتهم أن أوفِّيهموه من خير أو شر، ﴿غير منقوص﴾، يقول: لا أنقصهم مما وعدتهم، بل أتمم ذلك لهم على التمام والكمال.

**وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

**يقول تعالى:** وكما أهلكنا أولئك القرون الظالمة المكذبة لرسلنا كذلك نفعل بنظائرهم وأشباههم وأمثالهم، ﴿إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليُملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾.

يقول تعالى: إن في إهلاكنا الكافرين، ونصرة الأنبياء، وإنجائنا المؤمنين ﴿لَايَةٌ﴾ أي: عظة واعتباراً على صدق موعودنا في الدار الآخرة: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]، وقال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ \* مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٌ﴾ [إبراهيم: ١٣، ١٤]. الآية. وقوله: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ﴾ أي أولهم وآخرهم كقوله: ﴿وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ أي عظيم تحضره الملائكة ويجتمع فيه الرسل وتحشر الخلائق بأسرهم من الإنس والجن والطير والوحوش والدواب ويحكم فيه العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها. وقوله ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾ أي ما نؤخر إقامة القيامة إلا لأنه قد سبقت كلمة الله في وجود أناس معدودين من ذرية آدم وضرب مدة معينة إذا انقطعت وتكامل وجود أولئك المقدر خروجهم قامت الساعة ولهذا قال: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾ أي لمدة مؤقتة لا يزداد عليها ولا ينتقص منها ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ أي يوم يأتي يوم القيامة لا يتكلم أحد إلا بإذن الله كقوله: ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ وقال: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ الآية. وفي الصحيحين من حديث الشفاعة



«ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم»<sup>(١)</sup> وقوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ أي فمن أهل الجمع شقي ومنهم سعيد كما قال ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.

#### وقال ابن كثير أيضًا:

ويحتمل أن المراد بما دامت السموات والأرض: الجنس؛ لأنه لا بد في عالم الآخرة من سموات وأرض، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]؛ ولهذا قال الحسن البصري في قوله: ﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ قال: تبدل سماء غير هذه السماء، وأرض غير هذه الأرض، فما دامت تلك السماء وتلك الأرض.

وقال ابن أبي حاتم: ذكر عن سفیان بن حسين، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن عباس قوله: ﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ قال: لكل جنة سماء وأرض.

وأورد ابن كثير اختيار الطبري في الاستثناء أن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد، ممن يخرجهم الله من النار بشفاعاة الشافعين، من الملائكة والنبیین والمؤمنين، حين يشفعون في أصحاب الكبائر، ثم تأتي رحمة أرحم الراحمين، فتخرج من النار من لم يعمل خيرا قط، وقال يوما من الدهر: لا إله إلا الله.

#### ثم قال ابن كثير:

وهذا الذي عليه كثير من العلماء قديما وحديثا في تفسير هذه الآية الكريمة.

ويقول تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا﴾ وهم أتباع الرسل، ﴿فَفِي الْجَنَّةِ﴾

(١) صحيح: وقد تقدم في البقرة.

أي: فمأواهم الجنة، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: ماكثين مقيمين فيها أبدا، ﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ معنى الاستثناء هاهنا: أن دوامهم فيما هم فيه من النعيم، ليس أمرا واجبا بذاته، بل هو موكول إلى مشيئة الله تعالى، فله المنة عليهم دائما، ولهذا «يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس».

وقال الضحاك، والحسن البصري: هي في حق عصاة الموحدين الذين كانوا في النار، ثم أخرجوا منها. وعقب ذلك بقوله: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾ أي: غير مقطوع - قاله ابن عباس، ومجاهد، وأبو العالية وغير واحد، لئلا يتوهم متوهم بعد ذكره المشيئة أن ثم انقطاعا، أو لبسا، أو شيئا بل ختم له بالدوام وعدم الانقطاع. كما بين هنا أن عذاب أهل النار دائما مردود إلى مشيئته، وأنه بعدله وحكمته عذبهم؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧] كَمَا قَالَ ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وهنا طيب القلوب وثبت المقصود بقوله: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾.

وقد جاء في الصحيحين<sup>(١)</sup>: «يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ثم يقال: يا أهل الجنة، خلُود فلا موت، ويا أهل النار، خلُود فلا موت».

وفي الصحيحين<sup>(٢)</sup> أيضا: «فيقال يا أهل الجنة، إن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهَرَمُوا أبدا، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا».

وقال ابن كثير:

(١) البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

(٢).

**يقول تعالى:** ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾ المشركون، إنه باطل وجَهل وضلال، فإنهم إنما يعبدون ما يعبد آباؤهم من قبل، أي: ليس لهم مُستند فيما هم فيه إلا اتباع الآباء في الجهالات، وسيجزئهم الله على ذلك أتم الجزاء فيعذب كافرهم عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين، وإن كان لهم حسنات فقد وفاهم الله إياها في الدنيا قبل الآخرة.



**س: اذكر بمزيد من الإيضاح وجه الاستثناء في قوله تعالى:** ﴿﴾ **فيما يخص أهل الكفر وأهل الإيمان؟**

**ج: أولاً:** وبين يدي بيان وجه الاستثناء أقول، وبالله التوفيق: هنالك أمور يجب تذكرها، وفي ضوئها تفسر الآية والله المستعان. **أولاً:** تواردت النصوص التي تُفيد أن أهل الكفر لن يخرجوا من النار بحالٍ من الأحوال.

**ثانيًا:** تواردت النصوص التي تُفيد أن أهل التوحيد الذين دخلوا النار لكونهم أسرفوا على أنفسهم في الدنيا سيخرجون من النار، وإن تفاوتت مدة إقامتهم فيها.

**ثالثًا:** ليُعلم، وبلى شك ولا تردد، وإنما هي للتذكرة أن القرآن من عند الله، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا.

**فعلى إثر ذلك أقول، وبالله التوفيق.**

للعلماء عدة أقوال في تفسير الاستثناء في قوله تعالى في شأن أهل النار: ﴿﴾ والذي عليه الجمهور في هذا الاستثناء أن هؤلاء المعنيين بقوله: ﴿﴾ إنما هم أهل التوحيد الذي أسرفوا على أنفسهم ودخلوا النار يبقون فيها إلى الوقت الذي يحدده الله ﷻ لهم.

## وهناك أقوال أخر:

منها: أن الاستثناء هنا، قد وضع الله ﷻ إذ أخبر في آيات أخر أن أهل الكفر لن يخرجوا من النار كقوله تعالى: ﴿﴾ قال تعالى في آية أخرى: ﴿﴾، وهنالك أقوال أخر ذكر الطبري بعضها فيما تقدم، وسيأتي لها مزيد بيان إن شاء الله.

أما الاستثناء في شأن أهل الإيمان فقد بُيِّن أن الله ﷻ شاء ألا يخرج أهل الجنة من الجنة، كما قال: ﴿﴾ ثم هذه بعض الأقوال التي جمعها ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ في كتاب زاد المسير، قال رَحِمَهُ اللهُ:

## قال ابن الجوزي ﴿زاد المسير﴾:

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ في الاستثناء المذكور في حق أهل النار سبعة أقوال:

**أحدها:** أن الاستثناء في حق الموحِّدين الذين يخرجون بالشفاعة، قاله ابن عباس، والضحاك.

**والثاني:** أنه استثناء لا يفعله، تقول: والله لأضربنَّكِ إلا أن أرى غير ذلك، وعزيمتك على ضربه، ذكره الفراء، وهو معنى قول أبي صالح عن ابن عباس: «إلا ما شاء ربك» قال: فقد شاء أن يخلِّدوا فيها. قال الزجاج: وفائدة هذا، أنه لو شاء أن يرحمهم لرحمهم، ولكنه أعلمنا أنهم خالدون أبداً.

**والثالث:** أن المعنى: خالدين فيها أبداً، غير أن الله تعالى يأمر النار فتأكلهم وتفنئهم، ثم يجدد خلقهم، فيرجع الاستثناء إلى تلك الحال، قاله ابن مسعود.

**والرابع:** أن «إلا» بمعنى «سوى» تقول: لو كان معنا رجل إلا زيد، أي: سوى زيد؛ فالمعنى: خالدين فيها مقدار دوام السموات والأرض سوى ما شاء ربك من الخلود والزيادة، وهذا اختيار الفراء. قال ابن قتيبة: ومثله في

الكلام أن تقول: لأُسْكِنَنَّكَ في هذه الدار حولاً إلا ما شئتَ؛ تريد: سوى ما شئتَ أن أزيدك.

**والخامس:** أنهم إذا حُشِرُوا وبُعِثُوا، فهم في شروط القيامة؛ فلا استثناء واقع في الخلود بمقدار موقفهم في الحساب، فالمعنى: خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا مقدار موقفهم للمحاسبة، ذكره الزجاج. وقال ابن كيسان: الاستثناء يعود إلى مكثهم في الدنيا والبرزخ والوقوف للحساب؛ قال ابن قتيبة: فالمعنى: خالدين في النار وخالدين في الجنة دوام السماء والأرض إلا ما شاء ربك من تعميرهم في الدنيا قبل ذلك، فكأنه جعل دوام السماء والأرض بمعنى الأبد على ما كانت العرب تستعمل، وإن كانتا قد تتغيران. واستثنى المشيئة من دوامهما، لأن أهل الجنة والنار قد كانوا في وقت من أوقات دوام السماء والأرض في الدنيا، لا في الجنة، ولا في النار.

**والسادس:** أن الاستثناء وقع على أن لهم فيها زفيراً وشهيقاً، إلا ما شاء ربك من أنواع العذاب التي لم تُذكر؛ وكذلك لأهل الجنة نعيم مما ذكر، ولهم مما لم يُذكر ما شاء ربك، ذكره الزجاج أيضاً.

**والسابع:** أن «إلا» بمعنى «كما» ومنه قوله: ﴿وَلَا نُنَكِّهُنَّ مَا نَكِّحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢]، ذكره الثعلبي.

**فأما الاستثناء في حق أهل الجنة، ففيه ستة أقوال:**

**أحدها:** أنه استثناء لا يفعله.

**والثاني:** أن «إلا» بمعنى «سوى».

**والثالث:** أنه يرجع إلى وقوفهم للحساب ولبثهم في القبور.

**والرابع:** أنه بمعنى: إلا ما شاء أن يزيدهم من النعيم الذي لم يُذكر.

**والخامس:** أن «إلا» كـ«ما»، وهذه الأقوال قد سبق شرحها.

**والسادس:** أن الاستثناء يرجع إلى لبث من لبث في النار من الموحّدين، ثم أُدخل الجنة، قاله ابن عباس، والضحاك، ومقاتل. قال ابن قتيبة: فيكون الاستثناء من الخلود مُكث أهل الذنوب من المسلمين في النار، فكأنه قال: إلا ما شاء ربك من إخراج المذنبين إلى الجنة، وخالدين في الجنة إلا ما شاء ربك من إدخال المذنبين النارَ مدّةً.



## قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ كَلَّا لَمَا يُؤْفِكُهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَهُودٍ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكَلَّا نَقْصُصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ❦

س: اذكر معنى ما يلي:

(الْكِتَابَ - كَلِمَةً - سَبَقَتْ - لَقَضَى بَيْنَهُمْ - مُرِيبٍ - وَلَا تَطْفَؤْا - وَلَا تَزْكُتُوا - أُولِيَاءَ -  
طَرَفِي النَّهَارِ - وَزُلْفًا - الْحَسَنَاتِ - السَّيِّئَاتِ - ذِكْرًا لِلذَّكْرَيْنِ - فَلَوْلَا - أُولُوا بَقِيَّةٍ - مَا أَتَرَفُوا فِيهِ  
- يَظْلُمُ - وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ - أَنْبَاءَ - فَوَادَكَ - وَمَوْعِظَةً - أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ ) .

ج:

| الكلمة                | معناها                                                                                           |
|-----------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------|
| (الْكِتَابَ )         | التوراة.                                                                                         |
| (كَلِمَةً سَبَقَتْ )  | كلمة تكلم الله بها وقضاها وكتبها قبل الخلق.                                                      |
| (لَقَضَى بَيْنَهُمْ ) | لحكم بينهم ﴿لحكم على الكافر بالهلاك وأهلكه وللصالح بالفلاح وأكرمه﴾.                              |
| (مُرِيبٍ )            | مُحِيرٌ - مُشْكِكٌ.                                                                              |
| (وَلَا تَطْفَؤْا)     | لا تتجاوزا الحد، لا تتعدوا فتحرموا ما أحلَّ الله لكم، ولا تنتهكوا حرمة الله - ولا تظلموا العباد. |
| (وَلَا تَزْكُتُوا )   | ولا تميلوا - ولا تداهنوا - ولا ترضوا بأعاليهم.                                                   |
| (طَرَفِي النَّهَارِ ) | الطرف الأول: هو الصبح، والطرف الثاني اختلف في تعيينه، ف قيل: العصر، وقيل: المغرب.                |
| (وَزُلْفًا)           | ساعات من الليل، وقيل: ساعات الليل الأولى القريبة من النهار، وقيل: صلاة العشاء.                   |
| (الْحَسَنَاتِ )       | الصلوات الخمس، وصلاة النافلة أيضًا، وقيل: عموم الأعمال الصالحة.                                  |



|                                 |                                                             |
|---------------------------------|-------------------------------------------------------------|
| الْأَعْمَالُ السَّيِّئَاتِ )    | الأعمال السيئة المحرمة.                                     |
| (ذَكَرَى لِلذِّكْرِينَ)         | عِظَةً لِّلْمُتَعَطِّينَ.                                   |
| (فَلَوْلَا )                    | فَهَلَّا.                                                   |
| (أُولُوا بَقِيَّةَ )            | أَهْلُ فَهْمٍ وَعَقْلٍ وَعِلْمٌ ﴿يَعْقِلُونَ عَنْ اللَّهِ﴾. |
| (مَا أُتْرِفُوا فِيهِ)          | الترف والمال والمعيشة الرغدة التي هم فيها.                  |
| (يُظْلَمُ )                     | بشرك، وقيل: بظلم منه لعباده.                                |
| (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ)    | مضت كلمة الله وتحققت فيهم مقادير الله.                      |
| (أَنْبَاءَ )                    | أخبار.                                                      |
| (فُؤَادَكَ )                    | قلبك.                                                       |
| (وَمَوْعِظَةً )                 | تذكرة.                                                      |
| (اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ) | اعملوا على طريقَتكم ومنهجكم.                                |



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُتِحَ بَيْنَهُمْ وَلِيَّتُهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ ۝ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا لَيُوقِفُ لَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُمْ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝﴾.

ج: ذلك - والله أعلم -: ولقد أنزلنا التوراة على موسى ﷺ فاختلف قومه في شأنها فمنهم من آمن بها وصدق، وصدق أيضًا نبوة موسى ﷺ، ومنهم من كفر بها وكذب وجحدها وجحد نبوة موسى ﷺ، ولولا أن الله ﷻ جعل لكل أجل كتاب، وقدر ذلك في اللوح المحفوظ وتكلم به لقضيين هؤلاء فيما هم فيه يختلفون، ولحكم على المكذبين بالهلاك والدمار والعقاب عاجلاً ولكن لكون الله ﷻ قضى أنه سيهلكوا في زمن معين، فلذلك أخرروا وأجلوا، وإن هؤلاء المكذبين لفي شكٍّ من كون التوراة من عند الله شكٌّ مُحير، فلا يزالون من أمرها مرتابين فكما كذبك قومك يا رسول الله، فقد كذب قوم موسى موسى ﷺ، فاصبر يا رسول الله كما صبر نبي الله موسى ﷺ، فكل هؤلاء المكذبين سيوفهم ربهم ﷻ جزاء أعمالهم، وهو سبحانه وتعالى خير بها لا يخفى عليه شيء منها.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره، مسلماً نبيه في تكذيب مشركي قومه إياه فيما أتاهم به من عند الله، بفعل بني إسرائيل بموسى فيما أتاهم به من عند الله. يقول له تعالى ذكره: ولا يحزنك، يا محمد، تكذيب هؤلاء المشركين لك، وامض لما أمرك به ربك من تبليغ رسالته، فإن الذي يفعل بك هؤلاء من رد ما جئتهم به عليك من النصيحة من فعل ضربائهم من الأمم قبلهم وسنة من سنتهم.

ثم أخبره جل ثناؤه بما فعل قوم موسى به فقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى

الكتاب ﴿﴾، يعني: التوراة، كما آتيناك الفرقان، فاختلف في ذلك الكتاب قوم موسى، فكذب به بعضهم وصدق به بعضهم، كما قد فعل قومك بالفرقان من تصديق بعض به، وتكذيب بعض، ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾، يقول تعالى ذكره: ولولا كلمة سبقت، يا محمد، من ربك بأنه لا يعجل على خلقه العذاب، ولكن يتأنى حتى يبلغ الكتاب أجله، ﴿لقضي بينهم﴾، يقول: لقضي بين المكذب منهم به والمصدق، بإهلاك الله المكذب به منهم، وإنجائه المصدق به، ﴿وإنهم لفي شك منه مريب﴾، يقول: وإن المكذبين به منهم لفي شك من حقيقته أنه من عند الله، ﴿مريب﴾، يقول: يريبهم، فلا يدرون أحق هو أم باطل؟ ولكنهم فيه ممترون.

**وقال بعد أن أورد بعض القراءات في الآية الكريمة: ﴿وَلَإِنْ كُنَّا لَنَآ﴾:**

وأصح هذه القراءات مخرجاً على كلام العرب المستفيض فيهم، قراءة من قرأ: «وإن» بتشديد نونها، «كُلا لَمَّا» بتخفيف «ما» ﴿لَيُؤْفِنَهُمْ رَبُّكَ﴾، بمعنى: وإن كل هؤلاء الذين قصصنا عليك، يا محمد، قصصهم في هذه السورة، لمن ليوفينهم ربك أعمالهم، بالصالح منها بالجزيل من الثواب، وبالطالح منها بالشديد من العقاب، فتكون «ما» بمعنى «من» واللام التي فيها جواباً لـ «إن»، واللام في قوله: ﴿لَيُؤْفِنَنَّهُمْ﴾، لام قسم.

**وقوله:** ﴿إنه بما يعملون خبير﴾، يقول تعالى ذكره: إن ربك بما يعمل هؤلاء المشركون بالله من قومك، يا محمد، «خبير»، لا يخفى عليه شيء من عملهم، بل يخبر ذلك كله ويعلمه ويحيط به، حتى يجازيهم على جميع ذلك جزاءهم.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

ثم ذكر تعالى أنه أتى موسى الكتاب، فاختلف الناس فيه، فمن مؤمن به،

ومن كافر به، فلك بمن سلف من الأنبياء قبلك يا محمد أسوة، فلا يغيظنك تكذيبهم لك، ولا يهيدنك ذلك.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ قال ابن جرير: لولا ما تقدم من تأجيله العذاب إلى أجل معلوم، لقضى الله بينهم.

ويحتمل أن يكون المراد بالكلمة، أنه لا يعذب أحدا إلا بعدم قيام الحجة عليه، وإرسال الرسول إليه، كما قال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]؛ فإنه قد قال في الآية الأخرى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ فاصبر على ما يقولون ﴿طه: ١٢٩، ١٣٠﴾. ثم أخبر أن الكافرين في شك - مما جاءهم به الرسول - قوي، فقال ﴿وَأَنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾.

ثم أخبرنا تعالى أنه سيجمع الأولين والآخرين من الأمم، ويجزيهم بأعمالهم، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، فقال: ﴿وَإِنْ كُلًّا لَّمَّا لَيُؤْفِقُنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالُهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: عليم بأعمالهم جميعها، جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها.

وفي هذه الآية قراءات كثيرة، ويرجع معناها إلى هذا الذي ذكرناه، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٣٢].

**وقال القرطبي رحمه الله:**

**قوله تعالى:** ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ الكلمة: أن الله ﷻ حكم أن يؤخرهم إلى يوم القيامة لما علم في ذلك من الصلاح؛ ولولا ذلك لقضى بينهم أجلهم بأن يثيب المؤمن ويعاقب الكافر. قيل: المراد بين المختلفين في كتاب موسى؛ فإنهم كانوا بين مصدق به ومكذب. وقيل: بين هؤلاء المختلفين فيك يا محمد بتعجيل العقاب، ولكن سبق الحكم بتأخير العقاب

عن هذه الأمة إلى يوم القيامة. ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ﴾ إن حملت على قوم موسى ؛ أي لفي شك من كتاب موسى فهم في شك من القرآن.



س: الآية الكريمة فيها أن الأمور مقدرةٌ وضح ذلك.

ج: إيضاحه من قوله تعالى: ﴿﴾ فمفاده أن الله قدر المقادير من قبل وكتب الآجال، ولولا ذلك لحلّ العذاب.



أو امر لرسول الله ﷺ والمؤمنين لسلامتهم وحفظهم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١١٢) وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (١١٣) وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ أَلَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكِرِينَ (١١٤) وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٥) ﴿﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: فالزم يا رسول الله أمر الله ﷻ الذي أمرك به وامثل هذا الأمر، واجتنب ما نهاك الله عنه، استقم ولا تبالي بانحراف المنحرفين ولا بميل المائلين الزائفين عن الحق، استقم أنت واستقم من آمنوا بك وصدقوك على طريق الحق والصواب ولا تحديوا عنه.

أما قوله تعالى: ﴿﴾.

أحدها: لا تتجاوزوا حد الاستقامة فلا تسلكوا سبيل الغلاة الذين يحرمون ما أحلّ الله.

الثاني: لا ترتكبوا ما نهاكم الله عنه.

الثالث: لا تتجبروا على العباد وتظلموهم.

﴿﴾ أي الله سبحانه وتعالى ﴿﴾ بصيرٌ بأعمالكم ﴿﴾.

ولا تميلوا إلى الظلمة والمشركين وتطمئئوا إليهم وتعتدوا عليهم طلباً لنصرتهم، وطلباً منهم قضاء حوائجكم، فإنكم إن فعلتم مستكم النار وأصابكم بلفحها وما لكم من دون الله من أولياء يدفعون عنكم العذاب ولا يمنعونكم من العذاب، وحينئذٍ فلن تسلموا ولن تغنموا في آخرتكم ولا في دنياكم ﴿﴾ أي: وصل الله ﴿﴾ طرفي النهار وزلفاً من الليل.

أما قوله: ﴿﴾ فالطرف الأول الفجر، والطرف الثاني فيه خلاف، فمن العلماء من قال إنه المغرب، ومنهم من قال: إنه العصر، ومنهم من قال إنه ﴿﴾ الطرف الثاني ﴿﴾ الظهر والعصر، والطرف الأول الفجر، وقيل - وسيأتي -: بطرفي النهار ما كان في أول الإسلام من صلاته فقط صلاة الصبح، وصلاة العصر.

أما قوله: ﴿﴾ أي: وساعات من الليل، وقيل: الزلف مأخوذة من الزلفى، وهو القربى، والمراد: هنا القربة، أي: القربة من النهار وهي صلاة العشاء، وقيل: صلاة المغرب والعشاء.

**وقال بعض أهل العلم: المراد: ساعات الليل عموماً.**

أما قوله تعالى: ﴿﴾ فالحسنات يدخل فيها بالدرجة الأولى الصلاة فهي أعظم ركن في الإسلام بعد الشهادتين، وسبب نزول الآية فيه ذكر الصلاة، وقيل: المراد الصلوات الخمس خاصة، والصواب: الفرض والنفل، والله أعلم.

وقيل أيضاً: إن المراد بالحسنات، قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

وبلا شك فهذه داخلة في الحسنات وهي مكفرات أيضاً.

وقيل: إن الحسنات المراد بها عموم الحسنات من صلاة وذكر وصيام وحج وعمل برٍّ وإصلاح بين الناس ونحو ذلك فهذه الحسنات تُذهب أثر السيئات، فجديرٌ بمن أَلَمَّ بسيئة أن يتبعها بحسنة، بل الحسنات فإن الحسنات يُذهبن أثر السيئات.

أما قوله: ﴿فَمَعْنَاهُ ذَلِكَ الْمَذْكُورُ مِنَ الْحَثِّ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ ﷻ وَالنَّهْيَ عَنِ الطَّغْيَانِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْكُرُونِ إِلَى الظَّالِمِينَ، وَكَذَا الْحَثُّ عَلَى إِقَامَةِ الصَّلَاةِ طَرَفِي النَّهَارِ وَزَلْفًا مِنَ اللَّيْلِ كُلِّ ذَلِكَ تَذْكَيرٌ وَوَعْظٌ لِمَنْ انْتَفَعَ بِالْوَعْظِ وَالتَّذْكَيرِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

ثم يحث ربنا ﷻ نبينا ﷺ على الصبر بقوله: ﴿لَا يَذْهَبُ بِثَوَابِ عَمَلِهِمْ وَلَا يَضِيعُ أَجُورُهُمْ بَلْ يَكْرَمُهُمْ وَيُشَبِّهِهُمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

**قال الطبري رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ:** فاستقم أنت، يا محمد، على أمر ربك، والدين الذي ابتعثك به، والدعاء إليه، كما أمرك ربك، ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾، يقول: ومن رجع معك إلى طاعة الله والعمل بما أمره به ربه من بعد كفره، ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾، يقول: ولا تعدوا أمره إلى ما نهاكم عنه. ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، يقول: إن ربكم، أيها الناس، بما تعملون من الأعمال كلُّها، طاعتها ومعصيتها «بصير»، ذو علم بها، لا يخفى عليه منها شيء، وهو لجميعها مبصرٌ. يقول تعالى ذكره: فاتقوا الله، أيها الناس، أن يطلع عليكم ربكم وأنتم عاملون بخلاف أمره، فإنه ذو علم بما تعلمون، وهو لكم بالمرصاد.

**ويقول تعالى ذكره:** ولا تميلوا، أيها الناس، إلى قول هؤلاء الذين كفروا بالله، فتقبلوا منهم وترضوا أعمالهم، ﴿فَتَمْسَكُكُمْ النَّارُ﴾، بفعلكم ذلك، وما لكم من دون الله من ناصر ينصركم وولِّي يليكم، ﴿ثُمَّ لَا تَنْصُرُونَ﴾، يقول:

فإنكم إن فعلتم ذلك لم ينصركم الله، بل يخليكم من نصرته ويسلط عليكم عدوكم.

**ويقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ:** ﴿وأقم الصلاة﴾، يا محمد، يعني: صلّ، ﴿طرفي النهار﴾، يعني الغداة والعشيّ. واختلف أهل التأويل في التي عُنيّت بهذه الآية من صلوات العشيّ، بعد إجماع جميعهم على أن التي عُنيّت من صلاة الغداة، الفجر. **فقال بعضهم:** عُنيّت بذلك صلاة الظهر والعصر. قالوا: وهما من صلاة العشيّ.

**وقال آخرون:** بل عني بها صلاة المغرب.

**وقال آخرون:** عني بها: صلاة العصر.

**واختار الطبري أنها صلاة المغرب.**

**وقال:**

**وأما قوله:** ﴿وزلفاً من الليل﴾، فإنه يعني: ساعات من الليل.

وهي جمع «زُلفة»، و«الزلفة»، الساعة، والمنزلة، والقربة، وقيل: إنما سميت «المزدلفة» و«جمع» من ذلك، لأنها منزلٌ بعد عرفة، وقيل سميت بذلك، لازدلاف آدم من عرفة إلى حواء وهي بها.

**وأورد أقوالاً مفادها أن من العلماء من قال: إنها صلاة العشاء، ومنهم من**

**قال: صلاتي المغرب والعشاء.**

**قال الطبري:**

**وقوله:** ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾، يقول تعالى ذكره: إنّ الإنابة إلى

طاعة الله والعمل بما يرضيه، يذهب آثام معصية الله، ويكفر الذنوب.

ثم اختلف أهل التأويل في الحسنات التي عني الله في هذا الموضع، اللاتي



يذهبن السيئات، فقال بعضهم: هنّ الصلوات الخمس المكتوبات.  
**وقال آخرون:** هو قول: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

وأولى التأويلين بالصواب في ذلك، قول من قال في ذلك: «هنّ الصلوات الخمس»، لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ وتواترها عنه أنه قال: «مَثَلُ الصلوات الخمس مَثَلُ نَهْرٍ جَارٍ عَلَى بَابٍ أَحَدِكُمْ، يَنْغَمِسُ فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَاتٍ، فَمَاذَا يُبْقِيَنَّ مِنْ دَرَنِهِ؟»، وأن ذلك في سياق أمر الله بإقامة الصلوات، والوعد على إقامتها الجزيل من الثواب عقبيها، أولى من الوعد على ما لم يجر له ذكر من صالحات سائر الأعمال، إذا خُصَّ بالقصد بذلك بعض دون بعض.

**وقوله:** ﴿ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ﴾، يقول تعالى ذكره: هذا الذي أوعدت عليه من الركون إلى الظلم، وتهددت فيه، والذي وعدت فيه من إقامة الصلوات اللواتي يذهبن السيئات، تذكرة ذكرت بها قومًا يذكرون وعد الله، فيرجون ثوابه ووعيده، فيخافون عقابه، لا من قد طبع على قلبه، فلا يجيب داعيًا، ولا يسمع زاجرًا.

وذكر أن هذه الآية نزلت بسبب رجل نال من غير زوجته ولا ملك يمينه بعض ما يحرم عليه، فتاب من ذنبه ذلك.  
وأورد الروايات في هذا الباب، وكذا أسباب نزول الآية الكريمة، وسأوردها إن شاء الله.

**ثم قال الطبري:**

**في تأويل قوله تعالى:** ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.  
**يقول تعالى ذكره:** واصبر، يا محمد، على ما تلقى من مشركي قومك من

الأذى في الله والمكروه، رجاء جزيل ثواب الله على ذلك، فإن الله لا يضيع ثوابَ عمل من أحسن فأطاع الله واتبع أمره، فيذهب به، بل يوفّره أحوج ما يكون إليه.

**قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

يأمر تعالى رسوله وعباده المؤمنين بالثبات والدوام على الاستقامة، وذلك من أكبر العون على النصر على الأعداء ومخالفة الأضداد ونهى عن الطغيان، وهو البغي، فإنه مَصْرَعَةٌ حتى ولو كان على مشرك. وأعلم تعالى أنه بصير بأعمال العباد، لا يغفل عن شيء، ولا يخفى عليه شيء. وأورد أقوالاً في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾. **منها:** ولا تميلوا إلى الذين ظلموا.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

وهذا القول حسن، أي: لا تستعينوا بالظلمة فتكونوا كأنكم قد رضيتُم بباقي صنيعهم، ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ أي: ليس لكم من دونه من ولي ينقذكم، ولا ناصر يخلصكم من عذابه. وقال بعد أن أورد أقوالاً في تفسير: ﴿﴾:

وقد يحتمل أن تكون هذه الآية نزلت قبل فرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء؛ فإنه إنما كان يجب من الصلاة صلاتان: صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها. وفي أثناء الليل قيام عليه وعلى الأمة، ثم نسخ في حق الأمة، وثبت وجوبه عليه، ثم نسخ عنه أيضاً، في قول، والله أعلم. **وقوله:** ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ يقول: إن فعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة.

**قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:**

ثم لما أخبر بعدم استقامتهم، التي أوجبت اختلافهم وافتراقهم، أمر نبيه محمدا ﷺ، ومن معه، من المؤمنين، أن يستقيموا كما أمروا، فيسلكوا ما شرعه الله من الشرائع، ويعتقدوا ما أخبر الله به من العقائد الصحيحة، ولا يزيغوا عن ذلك يمناً ولا يسرة، ويدوموا على ذلك، ولا يطغوا بأن يتجاوزوا ما حده الله لهم من الاستقامة.

وقوله: ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها، ففيه ترغيب لسلوك الاستقامة، وترهيب من ضدها، ولهذا حذرهم عن الميل إلى من تعدى الاستقامة فقال: ﴿وَلَا تَرَكُّوْا﴾ أي: لا تميلوا ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فإنكم، إذا ملت إليهم، ووافقتموهم على ظلمهم، أو رضيت ما هم عليه من الظلم ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ إن فعلتم ذلك ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ يمنعونكم من عذاب الله، ولا يحصلون لكم شيئاً، من ثواب الله.

﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ أي: لا يدفع عنكم العذاب إذا مسكم، ففي هذه الآية: التحذير من الركون إلى كل ظالم، والمراد بالركون، الميل والانضمام إليه بظلمه وموافقته على ذلك، والرضا بما هو عليه من الظلم. وإذا كان هذا الوعيد في الركون إلى الظلمة، فكيف حال الظلمة بأنفسهم؟! نسأل الله العافية من الظلم.

يأمر تعالى بإقامة الصلاة كاملة ﴿طَرَفِي النَّهَارِ﴾ أي: أوله وآخره، ويدخل في هذا، صلاة الفجر، وصلاتا الظهر والعصر، ﴿وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ﴾ ويدخل في ذلك، صلاة المغرب والعشاء، ويتناول ذلك قيام الليل، فإنها مما تزلف العبد، وتقربه إلى الله تعالى.

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ أي: فهذه الصلوات الخمس، وما

أَلْحَقَ بِهَا مِنَ التَّطَوُّعَاتِ مِنْ أَكْبَرِ الْحَسَنَاتِ، وَهِيَ: مَعَ أَنَّهَا حَسَنَاتٌ تَقْرُبُ إِلَى اللَّهِ، وَتُوجِبُ الثَّوَابَ، فَإِنَّهَا تَذْهَبُ السَّيِّئَاتِ وَتَمْحُوها، وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ: الصَّغَائِرُ، كَمَا قِيدَتْهَا الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، مِثْلُ قَوْلِهِ: «الْصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مَكْفَرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتَنَبْتَ الْكِبَائِرَ»، بَلْ كَمَا قِيدَتْهَا الْآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ النَّسَاءِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمًا﴾. ذَلِكَ لَعَلَّ الْإِشَارَةَ، لِكُلِّ مَا تَقْدُمُ، مِنْ لَزُومِ الْإِسْتِقَامَةِ عَلَى الصِّرَاطِ

الْمُسْتَقِيمِ، وَعَدَمِ مَجَاوِزَتِهِ وَتَعْدِيهِ، وَعَدَمِ الرُّكُونِ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا. وَالْأَمْرُ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَبَيَانُ أَنَّ الْحَسَنَاتِ يَذْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ، الْجَمِيعِ ﴿ذَكَرَ لِلذَّاكِرِينَ﴾ يَفْهَمُونَ بِهَا مَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ، وَنَهَاہُمْ عَنْهُ، وَيُمَثِّلُونَ لَتِلْكَ الْأَوَامِرِ الْحَسَنَةِ الْمَثْمُورَةِ لِلْخَيْرَاتِ، الدَّافِعَةِ لِلشَّرِّ وَالسَّيِّئَاتِ، وَلَكِنْ تِلْكَ الْأُمُورُ، تَحْتَاجُ إِلَى مَجَاهِدَةِ النَّفْسِ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهَا، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَاصْبِرْ﴾ أَيُّ: أَحْبَسْ نَفْسَكَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَعَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَإِلْزَامِهَا لِذَلِكَ، وَاسْتَمْرَ وَلَا تَضْجِرْ.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بَلْ يَقْبَلُ اللَّهُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي عَمِلُوا، وَيَجْزِيهِمْ أَجْرَهُمْ، بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَفِي هَذَا تَرْغِيبٌ عَظِيمٌ، لِلزُّومِ الصَّبْرِ، بِتَشْوِيقِ النَّفْسِ الضَّعِيفَةِ إِلَى ثَوَابِ اللَّهِ، كَلِمَا وَنْتَ وَفَرْتِ.



**س: اذْكَرْ سَبَبَ نَزُولِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾؟**

**ج:** أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ<sup>(١)</sup> مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ؛ أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ

(١) الْبُخَارِيُّ (٥٢٦)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٦٣).

وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴿١﴾ فقال الرجل: إلى هذا يا رسول الله؟ قال: «لجميع أمتي كلهم».

وعند مسلم وأحمد<sup>(١)</sup> من حديث ابن مسعود قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني وجدت امرأة في بستان، ففعلت بها كل شيء، غير أني لم أجامعها، قبّلتها ولزمتها، ولم أفعل غير ذلك، فافعل بي ما شئت. فلم يقل رسول الله ﷺ شيئا، فذهب الرجل، فقال عمر: لقد ستر الله عليه، لو ستر على نفسه. فأتبعه رسول الله ﷺ بصره ثم قال: «ردوه عليّ». فردّوه عليه، فقرأ عليه: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ فقال معاذ -وفي رواية عمر-: يا رسول الله، أله وحده، أم للناس كافة؟ فقال: «بل للناس كافة».



### الصلوات كفارات للذنوب

س: اذكر بعض ما يدل على أن الصلوات تكفر الذنوب؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿﴾، وقد تقدم سبب نزولها.

وفي الصحيحين<sup>(٢)</sup> من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أرايتم لو أن بياض أحدكم نهرا غمرا يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، هل يُبقي من درنه شيئا؟» قالوا: لا يا رسول الله: قال: «وكذلك الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الذنوب والخطايا».

(١) مسلم (٢٧٦٣)، وأحمد (١/٤٤٥، ٤٤٩).

(٢) البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٢٨٣).

**وقال مسلم في صحيحه<sup>(١)</sup>:** حدثنا أبو الطاهر وهارون بن سعيد قالا حدثنا ابن وهب، عن أبي صخر: أن عمر بن إسحاق مولى زائدة حدثه عن أبيه، عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ كان يقول: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مُكَفَّرَات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر». وقوله تعالى: ﴿﴾.

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًا.

وفي الصحيحين<sup>(٢)</sup> عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه توضأ لهم وضوء النبي ﷺ، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».



### الحث على النهي عن الفساد في الأرض

**س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَتَهُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَجَعْنَا مِنْهُمُ وَأَتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَرَفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ وما كان ربك ليُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿٣٣﴾؟**

**ج: المعنى - والله أعلم -:** فهلاً كان من الأمم التي تقدمتكم والقرون التي سبقتكم أهل فضل وأهل خير وأصحاب عقل وفهم ينهاون عن الفساد في الأرض، لكان الله ﷻ أنقذ بهم أممهم وسلمها بسببهم، ولم يكن هذا موجوداً إلا قليلاً نادرًا، وهؤلاء القليلون هم الذين أنجاهم الله وسلمهم كما قال تعالى: ﴿﴾.

ولكن أهل الظلم من كل أمة مضوا فيما هم عليه من الترف والفساد في

(١) مسلم (٢٣٣).

(٢) انظر البخاري (١٥٩)، ومسلم (٢٢٦).

الأرض والتعالى على الخلق وكانوا مجترمين للذنوب والجرائم والشرك والفساد.

**أما قوله تعالى:** ﴿بظلم منه للعباد، بل أهلكهم وهم لأنفسهم ظالمين، وهم في الأرض مفسدون مستحقون للعقوبات.

هذا، ومن أهل العلم من قال المعنى، وما كان ربك مهلك القرى بسبب شركها فقط في الدنيا إذا كانوا قائمين بالعدل فيما بينهم مصلحين في الأرض، ولكن يهلكهم إذا انضم إلى الشرك ظلم آخر كما صنع قوم لوط، وكما صنع قوم فرعون، وكما صنع قوم شعيب من تطفيف المكيال والميزان إلى غير ذلك فإذا ارتكبوا جرماً إضافة إلى الشرك حل بهم العقاب والله أعلم.

**قال الطبري رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره:** فهلا كان من القرون الذين قصصت عليك نبأهم في هذه السورة، الذين أهلكتهم بمعصيتهم إياي، وكفرهم برسلي من قبلكم. ﴿أولو بقية﴾، يقول: ذو بقية من الفهم والعقل، يعتبرون مواعظ الله ويتدبرون حججه، فيعرفون ما لهم في الإيمان بالله، وعليهم في الكفر به، ﴿ينهيون عن الفساد في الأرض﴾، يقول: ينهيون أهل المعاصي عن معاصيهم، وأهل الكفر بالله عن كفرهم به، في أرضه، ﴿إلا قليلاً ممن أنجينا منهم﴾، يقول: لم يكن من القرون من قبلكم أولو بقية ينهيون عن الفساد في الأرض، إلا يسيراً، فإنهم كانوا ينهيون عن الفساد في الأرض، فنجاهم الله من عذابه، حين أخذ من كان مقيماً على الكفر بالله عذابه، وهم اتباع الأنبياء والرسل.

ونصب «قليلاً» لأن قوله: ﴿إلا قليلاً﴾ استثناء منقطع مما قبله، كما قال: ﴿إلا قوم يؤنس لَمَّا آمَنُوا﴾، [سورة يونس: ٩٨].

**وأورد بإسناد حسن عن قتادة:** ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية

ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم ﴿﴾، أي: لم يكن من قبلكم من ينهى عن الفساد في الأرض، ﴿﴾ إلا قليلا ممن أنجينا منهم ﴿﴾.

**وقوله:** ﴿﴾ واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه ﴿﴾، يقول تعالى ذكره: واتبع الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بالله ما أترفوا فيه.

**وقال:**

**وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال:** إن الله أخبر تعالى ذكره: أن الذين ظلموا أنفسهم من كل أمة سلفت فكفروا بالله، اتبعوا ما أنظروا فيه من لذات الدنيا، فاستكبروا وكفروا بالله، واتبعوا ما أنظروا فيه من لذات الدنيا، فاستكبروا عن أمر الله وتجبروا وصدوا عن سبيله.

وذلك أن المترف في كلام العرب: هو المنعم الذي قد غُذِّي باللذات، ومنه قول الراجز:

**نُهْدِي رُغُوسَ الْمُتْرَفِينَ الصَّدَاذَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَنَادَ**

**وقوله:** ﴿﴾ وكانوا مجرمين ﴿﴾، يقول: وكانوا مكتسبي الكفر بالله.

**وقال في تأويل قوله تعالى:** ﴿﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿﴾.

**يقول تعالى ذكره:** وما كان ربك، يا محمد، ليهلك القرى، التي أهلكتها، التي قصَّ عليك نبأها، ظُلْمًا وأهلها مصلحون في أعمالهم، غير مسيئين، فيكون إهلاكه إياهم مع إصلاحهم في أعمالهم وطاعتهم ربهم، ظُلْمًا، ولكنه أهلكتها بكفر أهلها بالله وتماديهم في غيهم، وتكذيبهم رُسُلهم، وركوبهم السيئات.

**وقد قيل: معنى ذلك:** لم يكن ليهلكهم بشرهم بالله. وذلك قوله «بظلم» يعني: بشر، ﴿﴾ وأهلها مصلحون ﴿﴾، فيما بينهم لا يتظالمون، ولكنهم



يتعاطون الحقّ بينهم، وإن كانوا مشركين، إنما يهلكهم إذا تظالموا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

**يقول تعالى:** فهلا وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير، ينهون عما كان يقع بينهم من الشرور والمنكرات والفساد في الأرض.

**وقوله:** ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: قد وجد منهم من هذا الضرب قليل، لم يكونوا كثيرا، وهم الذين أنجاهم الله عند حلول غيِّره، وفجأة نَقَمَه؛ ولهذا أمر تعالى هذه الأمة الشريفة أن يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وفي الحديث: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيِّروه، أوشك أن يعمَّهُم الله بعقاب»؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾.

**وقوله:** ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾ أي: استمروا على ما هم فيه من المعاصي والمنكرات، ولم يلتفتوا إلى إنكار أولئك، حتى فجأهم العذاب، ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.

ثم أخبر تعالى أنه لم يهلك قرية إلا وهي ظالمة لنفسها ولم يأت قرية مصلحة بأسه وعذابه قط حتى يكونوا هم الظالمين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [هود: ١٠١]، وقال ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

لما ذكر تعالى، إهلاك الأمم المكذبة للرسول، وأن أكثرهم منحرفون، حتى أهل الكتب الإلهية، وذلك كله يقضي على الأديان بالذهاب

والاضمحلال، ذكر أنه لولا أنه جعل في القرون الماضية بقايا، من أهل الخير يدعون إلى الهدى، وينهون عن الفساد والردى، فحصل من نفعهم ما بقيت به الأديان، ولكنهم قليلون جدا.

وغاية الأمر، أنهم نجوا، باتباعهم المرسلين، وقيامهم بما قاموا به من دينهم، وبكون حجة الله أجراها على أيديهم، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة

﴿ وَ ﴾ لكن ﴿ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ ﴾ أي: اتبعوا ما هم فيه من النعيم والترف، ولم ييغوا به بدلا.

﴿ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ أي: ظالمين، باتباعهم ما أترفوا فيه، فلذلك حق عليهم العقاب، واستأصلهم العذاب. وفي هذا، حث لهذه الأمة، أن يكون فيهم بقايا مصلحون، لما أفسد الناس، قائمون بدين الله، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويبصرونهم من العمى.

وهذه الحالة أعلى حالة يرغب فيها الراغبون، وصاحبها يكون، إماما في الدين، إذا جعل عمله خالصا لرب العالمين.

أي: وما كان الله ليهلك أهل القرى بظلم منه لهم، والحال أنهم مصلحون، أي: مقيمون على الصلاح، مستمررون عليه، فما كان الله ليهلكهم، إلا إذا ظلموا، وقامت عليهم حجة الله.

ويحتمل، أن المعنى: وما كان ربك ليهلك القرى بظلمهم السابق، إذا رجعوا وأصلحوا عملهم، فإن الله يعفو عنهم، ويمحو ما تقدم من ظلمهم.

**وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:**

قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ ﴾ أي فهلا كان. ﴿ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ أي من الأمم التي قبلكم. ﴿ أُولُو بَقِيَّةٍ ﴾ أي أصحاب طاعة ودين وعقل وبصر.

﴿يَنْهَوْنَ﴾ قومهم. ﴿عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ لما أعطاهم الله تعالى من العقول وأراهم من الآيات ؛ وهذا توبيخ للكفار. وقيل: ولولا ههنا للنفي ؛ أي ما كان من قبلكم ؛ كقوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ﴾ [يونس: ٩٨] أي ما كانت. ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استثناء منقطع ؛ أي لكن قليلا. ﴿مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ نهوا عن الفساد في الأرض. قيل: هم قوم يونس ؛ لقوله: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾. وقيل: هم أتباع الأنبياء وأهل الحق. ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي أشركوا وعصوا. ﴿مَا أَتَرَفُوا فِيهِ﴾ أي من الاشتغال بالمال واللذات، وإيثار ذلك على الآخرة. ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى﴾ أي أهل القرى. ﴿بِظُلْمٍ﴾ أي بشرك وكفر. ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ أي فيما بينهم في تعاطي الحقوق ؛ أي لم يكن ليهلكهم بالكفر وحده حتى ينضاف إليه الفساد، كما أهلك قوم شعيب ببخس المكيال والميزان، وقوم لوط باللواط ؛ ودل هذا على أن المعاصي أقرب إلى عذاب الاستئصال في الدنيا من الشرك، وإن كان عذاب الشرك في الآخرة أصعب. وفي صحيح الترمذي من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده». وقد تقدم.

وقيل: المعنى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مسلمون، فإنه يكون ذلك ظلما لهم ونقصا من حقهم، أي ما أهلك قوما إلا بعد إعدار وإنذار. وقال الزجاج: يجوز أن يكون المعنى ما كان ربك ليهلك أحدا وهو يظلمه وإن كان على نهاية الصلاح ؛ لأنه تصرف في ملكه ؛ دليله قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ [يونس: ٤٤]. وقيل: المعنى وما كان الله ليهلكهم بذنوبهم وهم مصلحون ؛ أي مخلصون في الإيمان. فالظلم المعاصي على

هذا.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩).

ج: المعنى - والله أعلم -: ولو شاء الله يا رسول الله لجعل الناس كلهم على ملة واحدة، على الإسلام أو على الكفر، ولكن قدر الله وشاء أن يكونوا مختلفين، كما قال: ﴿﴾ وكما قال: ﴿﴾ وهكذا فإنهم لا يزالون مختلفين، منهم المؤمن ومنهم الكافر، ومنهم كذلك الطائع المنقاد لشرع الله، ومنهم المنحرف المعوج عن الشريعة الغراء المتبع لهواه لكن من رحمهم الله من أهل الإسلام فإنهم مستقيمون على أمر الله ليس بينهم تباغض ولا اختلاف. أما قوله تعالى: ﴿﴾ خلقهم ومنهم شقي وسعيد وقيل: خلقهم للرحمة كي يرحمهم ولكنهم حادوا عن الطريق إلا من رحم الله. وقيل: خلقهم ليعبدوه ولكنهم اختلفوا.

أما قوله: ﴿﴾ أي: وتحققت كلمة الله ﷻ إذ الله قضى أن يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ولو شاء ربك، يا محمد، لجعل الناس كلها جماعة واحدة على ملة واحدة، ودين واحد.

وقوله: ﴿ولا يزالون مختلفين﴾، يقول تعالى ذكره: ولا يزال الناس مختلفين، ﴿إلا من رحم ربك﴾.

ثم اختلف أهل التأويل في «الاختلاف» الذي وصف الله الناس أنهم لا يزالون به.

**فقال بعضهم:** هو الاختلاف في الأديان، فتأويل ذلك على مذهب هؤلاء: ولا يزال الناس مختلفين على أديان شتى، من بين يهوديٍّ ونصرانيٍّ، ومجوسيٍّ، ونحو ذلك.

**وقال قائلو هذه المقالة:** استثنى الله من ذلك من رحمهم، وهم أهل الإيمان.

**وقال آخرون:** بل معنى ذلك: ولا يزالون مختلفين في الرزق، فهذا فقير وهذا غني.

**وقال بعضهم:** مختلفين في المغفرة والرحمة، أو كما قال.

**قال أبو جعفر:** وأولى الأقوال في تأويل ذلك، بالصواب قول من قال: معنى ذلك: «ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم على أديان وملل وأهواء شتى، إلا من رحم ربك، فأمن بالله وصدق رسله، فإنهم لا يختلفون في توحيد الله، وتصديق رسله، وما جاءهم من عند الله».

وإنما قلت ذلك أولى بالصواب في تأويل ذلك، لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله: ﴿وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾، ففي ذلك دليلٌ واضح أن الذي قبله من ذكر خبره عن اختلاف الناس، إنما هو خبرٌ عن اختلاف مذموم يوجب لهم النار، ولو كان خبراً عن اختلافهم في الرزق، لم يعقب ذلك بالخبر عن عقابهم وعذابهم.

**وأما قوله:** ﴿ولذلك خلقهم﴾، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله:

**فقال بعضهم:** معناه: وللاختلاف خلقهم.

**وقال آخرون:** بل معنى ذلك: وللرحمة خلقهم.

**قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:**

وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: وللاختلاف بالشقاء والسعادة خلقهم، لأن الله جل ذكره ذكر صنفين من خلقه: أحدهما أهل اختلاف وباطل، والآخر أهل حق، ثم عَقَّبَ ذلك بقوله: ﴿ولذلك خلقهم﴾، فعمَّ بقوله: ﴿ولذلك خلقهم﴾، صفة الصنفين، فأخبر عن كل فريق منهما أنه ميسَّر لما خلق له.

**فإن قال قائل:** فإن كان تأويل ذلك كما ذكرت، فقد ينبغي أن يكون المختلفون غير ملومين على اختلافهم، إذ كان لذلك خلقهم ربُّهم، وأن يكون المتمتَّعون هم الملومين؟

**قيل:** إن معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهب، وإنما معنى الكلام: ولا يزال الناس مختلفين بالباطل من أديانهم ومللهم، ﴿إلا من رحم ربك﴾، فهذه للحق ولعلمه، وعلى علمه النافذ فيهم قبل أن يخلقهم أنه يكون فيهم المؤمن والكافر، والشقي والسعيد خلقهم، فمعنى اللام في قوله: ﴿ولذلك خلقهم﴾ بمعنى «على» كقولك للرجل: أكرمتك على برك بي، وأكرمتك لبرك بي.

**وأما قوله:** ﴿وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾، لعلمه السابق فيهم أنهم يستوجبون صليها بكفرهم بالله، وخلافهم أمره.

**وقوله:** ﴿وتمت كلمة ربك﴾، قسم كقول القائل: حلفي لأزورك، وبدًا لي لآتينك، ولذلك تُلْقِيَتْ بلام اليمين.

**وقوله:** ﴿من الجنة﴾، وهي ما اجتنَّ عن أبصار بني آدم، ﴿والناس﴾، يعني: وبني آدم.

**وقيل:** إنهم سموا «الجنة»، لأنهم كانوا على الجنان.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

يخبر تعالى أنه قادر على جعل الناس كُلَّهُم أمة واحدة، من إيمان أو كفران كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩].

وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ أي: ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم. قال عكرمة: ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾ في الهدى. وقال الحسن البصري: ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾ في الرزق، يُسَخَّر بعضهم بعضا، والمشهور الصحيح الأول.

وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ أي: إلا المرحومين من أتباع الرسل، الذين تمسكوا بما أمروا به من الدين. أخبرتهم به رسل الله إليهم، ولم يزل ذلك دأبهم، حتى كان النبي ﷺ الأمي خاتم الرسل والأنبياء، فاتبعوه وصدقوه، ونصروه ووازره، ففازوا بسعادة الدنيا والآخرة؛ لأنهم الفرقة الناجية، كما جاء في الحديث المروي في المسانيد والسنن، من طرق يشد بعضها بعضا: «إن اليهود افرقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن النصارى افرقوا على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة واحدة». قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»<sup>(١)</sup>.

**وقال عطاء:** ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ يعني: اليهود والنصارى والمجوس ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ يعني: الحنيفة.

**وقال قتادة:** أهل رحمة الله أهل الجماعة، وإن تفرقت ديارهم وأبدانهم، وأهل معصيته أهل فرقة، وإن اجتمعت ديارهم وأبدانهم.

**وقوله:** ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قال الحسن البصري -في رواية عنه -:

(١) الذي أراه في القدر الثابت الصحيح من هذا الحديث إلى قوله: «وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»، أما قوله: «كلها في النار...» فضعف، والله أعلم.

وللاختلاف خَلَقَهُمْ.

وأورد أقوالاً آخر منها لم يخلقهم ليختلفوا ولكن خلقهم للجماعة ولم يخلقهم للعذاب.

**قال: وقيل:** بل المراد وللرحمة والاختلاف خلقهم.

**... وذكر أقوالاً وقال:**

وقال ابن وهب: سألت مالكا عن قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قال: فريق في الجنة وفريق في السعير.

وقد اختار هذا القول ابن جرير، وأبو عبيدة والفراء.

وقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ يخبر تعالى أنه قد سبق في قضائه وقدره، لعلمه التام وحكمته النافذة، أن ممن خلقه من يستحق الجنة، ومنهم من يستحق النار، وأنه لا بد أن يملأ جهنم من هذين الثقليين الجن والإنس، وله الحجة البالغة والحكمة التامة. وفي الصحيحين<sup>(١)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اختصمت الجنة والنار، فقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضَعْفَةُ الناس وسَقَطُهُمْ؟ وقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين. فقال الله ﷻ للجنة، أنت رحمتي أرحم بك من أشاء. وقال للنار: أنت عذابي، أنتقم بك ممن أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها. فأما الجنة فلا يزال فيها فضل، حتى ينشئ الله لها خلقا يسكن فضل الجنة، وأما النار فلا تزال تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع عليه رب العزة قدمه، فتقول: قَطُّ قط، وعزتك».

**قال السعدي رحمته الله:**

يخبر تعالى أنه لو شاء لجعل الناس كلهم أمة واحدة على الدين

(١) البخاري (٤٨٤٩)، ومسلم (٢٨٤٦).



الإسلامي، فإن مشيئته غير قاصرة، ولا يمتنع عليه شيء، ولكنه اقتضت حكمته، أن لا يزالوا مختلفين، مخالفين للصراط المستقيم، متبعين للسبل الموصلة إلى النار، كل يرى الحق، فيما قاله، والضلال في قول غيره.

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ فهداهم إلى العلم بالحق والعمل به، والاتفاق عليه، فهو لاء سبقت لهم، سابقة السعادة، وتداركتهم العناية الربانية والتوفيق الإلهي.

وأما من عداهم، فهم مخذولون موكلون إلى أنفسهم.

وقوله: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي: اقتضت حكمته، أنه خلقهم، ليكون منهم السعداء والأشقياء، والمتفوقون والمختلفون، والفريق الذين هدى الله، والفريق الذين حقت عليهم الضلالة، ليتبين للعباد، عدله وحكمته، وليظهر ما كمن في الطباع البشرية من الخير والشر، ولتقوم سوق الجهاد والعبادات التي لا تتم ولا تستقيم إلا بالامتحان والابتلاء.

﴿وَلَا تَمَنَّاهُمْ﴾ لأنه ﴿تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ فلا بد أن يسير للنار أهلا يعملون بأعمالها الموصلة إليها.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٠) وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ (١٣١) وَانظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ (١٣٢) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٣٣) ؟

ج: المعنى - والله أعلم -: ونقص عليك من أنباء الرسل كل ما يثبت الله به قلبك ويُعينك به على الرسالة وتحمل أعبائها، وجاءك في هذه السورة الخبر الحق من ربك والقول الحق والقصص الحق من ربك ﷻ، وجاءتك فيها

أيضاً موعظة يتعظ بها أهل الإيمان، وتذكير يتذكرون به فاقبله وليقبله المؤمنون.

وقل للذين لا يؤمنون بالله ولا يقرون له بالوحدانية ولا يقرون لك بالرسالة اعملوا على طريقتكم ومنهجكم متمكنين في ذلك بزعمكم، فإننا عاملون على مكانتنا ومنهجنا، وانتظروا ماذا سيحلُّ بكم وماذا سيحلُّ بنا وسنتنظر نحن كذلك والله غيب السموات والأرض، قيل: المراد والله علم الغيب في السموات والأرض، وقيل: الله ما يكون من أمرٍ يحدث في السماء أو في الأرض من مطر وقذف وخسف ونبات وكل ما من شأنه أن يكون مستقبلًا من أمر السموات والأرض وغائبًا منهما فضلًا عن كونه يعلم ما مضى وما هو كائن.

وقيل: المعنى، والله خزائن السموات والأرض.

أما قوله: ﴿فكل شيء مرده ورجعه إلى الله يقضي بالذي يشاء ويفعل الذي يريد، فاستقم على عبادته وطاعته والخضوع له، واعمد عليه في شؤونك كلها، وما ربك بغافل عما تعملون، بل هو بصير عالم بكل عملٍ يُعمل، وبكل قول، وبكل تفكير، وسيجازي كلًّا بما عمل.

**وبنحو هذا قال أهل العلم.**

**قال الطبري رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره:** ﴿وكلا نقص عليك﴾، يا محمد، ﴿من أنباء الرسل﴾، الذين كانوا قبلك، ﴿ما نثبت به فؤادك﴾، فلا تجزع من تكذيب من كذبك من قومك، وردَّ عليك ما جئتهم به، ولا يضق صدرك، فتترك بعض ما أنزلتُ إليك من أجل أن قالوا: ﴿لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك﴾؟ إذا علمت ما لقي من قبلك من رسلي من أممها.

**وأما قوله:** ﴿وجاءك في هذه الحق﴾، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله:  
**فقال بعضهم:** معناه: وجاءك في هذه السورة الحق.  
**وقال آخرون:** معنى ذلك: وجاءك في هذه الدنيا الحق.  
وأولى التأويلين بالصواب في تأويل ذلك، قول من قال: وجاءك في هذه السورة الحق، لإجماع الحجة من أهل التأويل، على أن ذلك تأويله.  
**فإن قال قائل:** أو لم يجيء النبي ﷺ الحق من سور القرآن إلا في هذه السورة، فيقال: وجاءك في هذه السورة الحق؟  
**قيل له:** بلى، قد جاء فيها كلها.  
**فإن قال:** فما وجه خصوصه إذا في هذه السورة بقوله: ﴿وجاءك في هذه الحق﴾؟ قيل: إن معنى الكلام: وجاءك في هذه السورة الحق مع ما جاءك في سائر سور القرآن، أو إلى ما جاءك من الحق في سائر سور القرآن، لا أن معناه: وجاءك في هذه السورة الحق دون سائر سور القرآن.  
**وقوله:** ﴿وموعظة﴾ يقول: وجاءك موعظة تعظ الجاهلين بالله، وتبين لهم عبره ممن كفر به وكذب رسله، ﴿وذكرى للمؤمنين﴾ يقول: وتذكرة تذكر المؤمنين بالله ورسله، كي لا يغفلوا عن الواجب لله عليهم.  
**ويقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ:** وقل، يا محمد، للذين لا يصدقونك ولا يقرؤون بوحداية الله، ﴿اعملوا على مكانتكم﴾، يقول: على هينتكم وتمكنكم ما أنتم عاملوه فإننا عاملون ما نحن عاملوه من الأعمال التي أمرنا الله بها، وانتظروا ما وعدكم الشيطان، فإننا منتظرون ما وعدنا الله من حربكم ونصرتنا عليكم.  
**ويقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ:** والله، يا محمد، ملك كل ما غاب عنك في السموات والأرض فلم تطلع ولم تعلمه، ولم تعلمه، كل ذلك بيده وبعلمه،

لا يخفى عليه منه شيء، وهو عالم بما يعمل به مشركو قومك، وما إليه مصير أمرهم، من إقامة على الشرك، أو إقلاعه عنه وتوبة، ﴿وإليه يرجع الأمر كله﴾، يقول: وإلى الله معاد كل عامل وعمله، وهو مجاز جميعهم بأعمالهم. ﴿فاعبده﴾، يقول: فاعبد ربك يا محمد، ﴿وتوكل عليه﴾، يقول: وفوض أمرك إليه، وثق به وبكفايته، فإنه كافي من توكل عليه.

**وقوله:** ﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾، يقول تعالى ذكره: وما ربك، يا محمد، بساه عما يعمل هؤلاء المشركون من قومك، بل هو محيط به، لا يعزب عنه شيء منه، وهو لهم بالمرصاد، فلا يحزنك إعراضهم عنك، ولا تكذيبهم بما جئتهم به من الحق، وامض لأمر ربك، فإنك بأعيننا.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

**يقول تعالى:** وكل أخبار نقصها عليك، من أنباء الرسل المتقدمين قبلك مع أممهم، وكيف جرى لهم من المحاجات والخصومات، وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى، وكيف نصر الله حزبه المؤمنين وخذل أعداءه الكافرين - كل هذا مما ثبت به فؤادك - يا محمد - أي: قلبك، ليكون لك بمن مضى من إخوانك من المرسلين أسوة.

**وقوله:** ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ﴾ أي: في هذه السورة. قاله ابن عباس، ومجاهد، وجماعة من السلف. وعن الحسن - في رواية عنه - وقتادة: في هذه الدنيا.

**والصحيح:** في هذه السورة المشتملة على قصص الأنبياء وكيف نجّاهم الله والمؤمنين بهم، وأهلك الكافرين، جاءك فيها قصص حق، ونبأ صدق، وموعظة يرتدع بها الكافرون، وذكرى يتوقر بها المؤمنون.

يقول تعالى أمرا رسوله أن يقول للذين لا يؤمنون بما جاء به من ربه على

وجه التهديد: ﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ أي: على طريقتكم ومنهجكم، ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾ أي: على طريقتنا ومنهجنا، ﴿وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ أي: فستعلمون من تكون له عاقبة الدار، إنه لا يفلح الظالمون.

وقد أنجز الله لرسوله وعده، ونصره وأيده، وجعل كلمته هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، والله عزيز حكيم.

ويخبر تعالى أنه عالم غيب السموات والأرض، وأنه إليه المرجع والمآب، وسيؤفى كل عامل عمله يوم الحساب، فله الخلق والأمر. فأمر تعالى بعبادته والتوكل عليه؛ فإنه كاف من توكل عليه وأناب إليه.

**وقوله:** ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أي: ليس يخفى عليه ما عليه مكذبوك يا محمد، بل هو عليم بأحوالهم وأقوالهم وسيجزئهم على ذلك أتم الجزاء في الدنيا والآخرة، وسينصرك وحزبك عليهم في الدارين.

### وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ «كلا» نصب بـ «نقص» معناه وكل الذي تحتاج إليه من أنباء الرسل نقص عليك. وقال الأخفش: «كلا» حال مقدمة، كقولك: كلا ضربت القوم. ﴿أَنْبَاءَ الرُّسُلِ﴾ أي من أخبارهم وصبرهم على أذى قومهم. ﴿مَا نُنَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ أي على أداء الرسالة، والصبر على ما ينالك فيها من الأذى. وقيل: نزيدك به تثبيتاً وبقينا. وقال ابن عباس: ما نشد به قلبك. وقال ابن جريج: نصبر به قلبك حتى لا تجزع. وقال أهل المعاني: نطيب، والمعنى متقارب. و«ما» بدل من «كلا» المعنى: نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك. ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ﴾ أي في هذه السورة؛ عن ابن عباس وأبي موسى وغيرهما؛ وخص هذه السورة لأن فيها أخبار الأنبياء والجنة والنار. وقيل: خصها بالذكر تأكيداً وإن كان الحق في كل

القرآن. وقال قتادة والحسن: المعنى في هذه الدنيا، يريد النبوة. ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الموعظة ما يتعظ به من إهلاك الأمم الماضية، والقرون الخالية المكذبة؛ وهذا تشریف لهذه السورة؛ لأن غيرها من السور قد جاء فيها الحق والموعظة والذكرى ولم يقل فيها كما قال في هذه على التخصيص. ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي يتذكرون ما نزل بمن هلك فيتوبون؛ وخص المؤمنين لأنهم المتعظون إذا سمعوا قصص الأنبياء.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ تهديد ووعيد. ﴿إِنَّا عَامِلُونَ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ تهديد آخر، وقد تقدم معناه. قوله تعالى: - ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي غيبهما وشهادتهما؛ فحذف لدلالة المعنى. وقال ابن عباس: خزائن السماوات والأرض. وقال الضحاك: جميع ما غاب عن العباد فيهما. وقال الباقر: غيب السماوات والأرض نزول العذاب من السماء وطلوعه من الأرض. وقال أبو علي الفارسي: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي علم ما غاب فيهما؛ أضاف الغيب وهو مضاف إلى المفعول توسعاً؛ لأنه حذف حرف الجر؛ تقول: غبت في الأرض وغبت ببلد كذا.. ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ أي يوم القيامة، إذ ليس لمخلوق أمر إلا بإذنه. وقرأ نافع وحفص «يرجع» بضم الياء وبفتح الجيم؛ أي يرد. ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ أي الجأ إليه وثق به. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أي يجازي كلا بعمله. وقرأ أهل المدينة والشام وحفص بالتاء على المخاطبة. الباقر بياء على الخبر. قال الأخفش سعيد: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ إذا لم يخاطب النبي ﷺ معهم؛ قال: بعضهم وقال: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء لأنه خاطب النبي ﷺ وقال: قل لهم ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وقال كعب الأحبار: خاتمة التوراة خاتمة «هود» من قوله: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٦٥٥﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ.

**قال ابن الجوزي ﴿زاد المسير﴾:**

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ﴾ في المشار إليه بـ«هذه» أربعة أقوال:

**أحدها:** أنها السورة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو العالية، ورواه شيبان عن قتادة.

**والثاني:** أنها الدنيا، فالمعنى: وجاءك في هذه الدنيا، رواه سعيد عن قتادة؛ وعن الحسن كالقولين.

**والثالث:** أنها الأقاويص المذكورة.

**والرابع:** أنها هذه الآية بعينها، ذكر القولين ابن الأنباري.

**وفي المراد بالحق هاهنا ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** أنها البيان.

**والثاني:** صدق القصص والأنباء.

**والثالث:** النبوة.

**فإن قيل:** أليس قد جاءه الحق في كل القرآن، فلم خص هذه السورة؟

فالجواب أنا إن قلنا: إن الحق النبوة، فالإشارة بـ«هذه» إلى الدنيا، فيكون المعنى: وجاءك في هذه الدنيا النبوة، فيرتفع الإشكال. وإن قلنا: إنها السورة، فعنه أربعة أجوبة:

**أحدها:** أن المراد بالحق البيان، وهذه السورة جمعت من تبين إهلاك الأمم، وشرح مآلهم، ما لم يجمع غيرها، فبان أثر التخصيص، وهذا مذهب بعض المفسرين.

**والثاني:** أن بعض الحق أوكد من بعض في ظهوره عندنا وخفائه علينا، ولهذا يقول الناس: فلان في الحق: إذا كان في الموت، وإن لم يكن قبله في

باطل، ولكن لتعظيم ما هو فيه، فكأن الحق المبين في هذه السورة أجلى من غيره، وهذا مذهب الزجاج.

**والثالث:** أنه خص هذه السورة بذلك لبيان فضلها، وإن كان في غيرها حق أيضاً، فهو كقوله: ﴿وَالصَّكَّوَةُ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقوله: ﴿وَجَزِيلٌ وَمِكْنَلٌ﴾ [البقرة: ٩٨]، وهذا مذهب ابن الأنباري.

**والرابع:** أن المعنى: وجاءك في هذه السورة الحق مع ما جاءك من سائر السور، قاله ابن جرير الطبري.

قوله تعالى: ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يتعظون إذا سمعوا هذه السورة وما نزل بالأمم فتلين قلوبهم.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ هذا تهديد ووعيد، والمعنى: اعملوا ما أنتم عاملون، فستعلمون عاقبة أمركم، ﴿وَأَنْظِرُوا﴾ ما يعدكم الشيطان ﴿إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ ما يعدنا ربنا.

**قال السعدي رحمه الله: ﴿تيسير الكريم الرحمن﴾:**

لما ذكر في هذه السورة من أخبار الأنبياء، ما ذكر، ذكر الحكمة في ذكر ذلك، فقال: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ أي: قلبك ليطمئن ويثبت ويصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فإن النفوس تأنس بالافتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد المنافسة لغيرها، ويتأيد الحق بذكر شواهد، وكثرة من قام به.

﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾ السورة ﴿الْحَقُّ﴾ اليقين، فلا شك فيه بوجه من الوجوه، فالعلم بذلك من العلم بالحق الذي هو أكبر فضائل النفوس.

﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يتعظون به، فيرتدعون عن الأمور المكروهة، ويتذكرون الأمور المحبوبة لله فيفعلونها.



وأما من ليس من أهل الإيمان، فلا تنفعهم المواعظ، وأنواع التذكير، ولهذا قال: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بعد ما قامت عليهم الآيات، ﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ أي: حالتكم التي أنتم عليها ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾ على ما كنا عليه.

﴿وَانْتَظِرُوا﴾ ما يحل بنا ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ ما يحل بكم. وقد فصل الله بين الفريقين، وأرى عباده، نصره لعباده المؤمنين، وقمعه لأعداء الله المكذبين. وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿أي: ما غاب فيهما من الخفايا، والأمر الغيبية.

﴿وَالِيهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ من الأعمال والعمال، فيميز الخبيث من الطيب ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ أي: قم بعبادته، وهي جميع ما أمر الله به مما تقدر عليه، وتوكل على الله في ذلك. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من الخير والشر، بل قد أحاط علمه بذلك، وجرى به قلمه، وسيجري عليه حكمه، وجزاؤه.